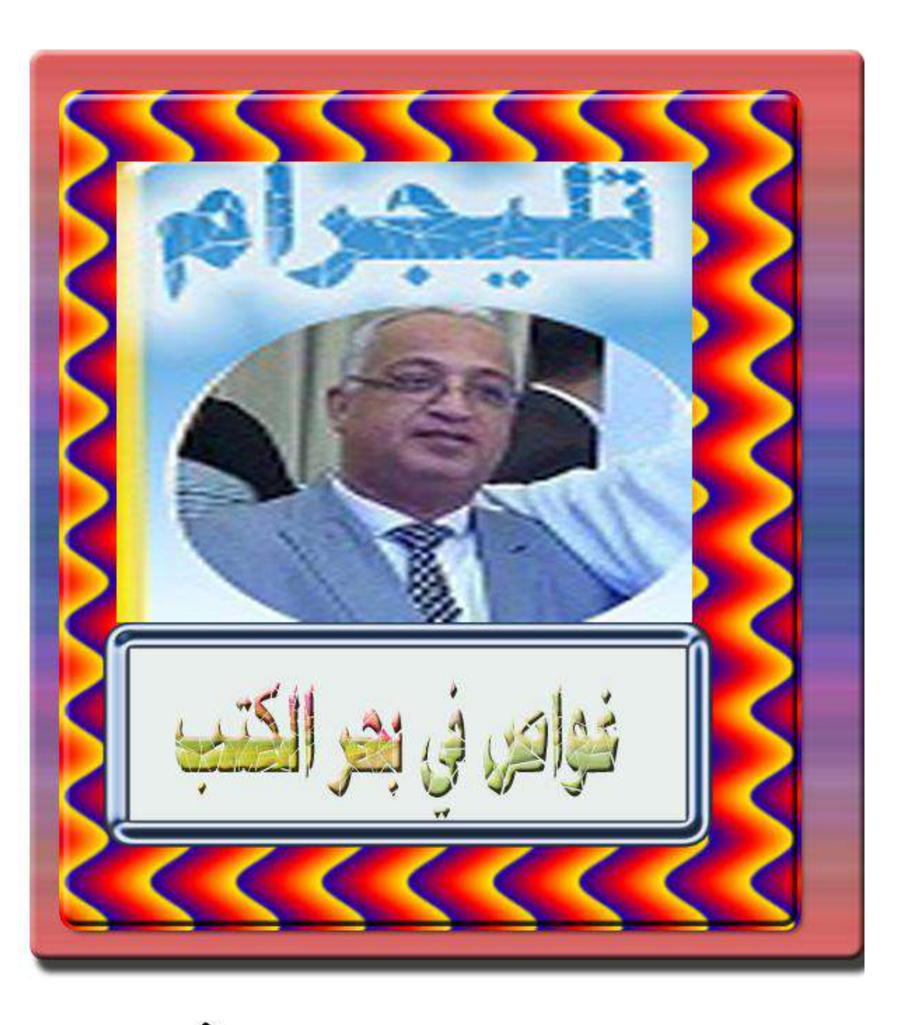


الكاتب الأكثر مبيعًا
أنتوني هورويتز
مكتبة X
بدافع القتل
رواية
ترجمة: إيناس التركي
تُرجمت أعمـاله لأكثر من ٣٥ لغة



بدافع القتل

ستلاحظ وجود خطين مستخدمين لطباعة الكتاب ووجود ترقيمين للكتاب ..

ذلك أن الراوي يقرأ مخطوط أثناء أحداث الرواية ولتمييز صفحات المخطوط طُبع بخط مختلف وترقيم مختلف ..

السؤال كيف نقرأ الكتاب ؟ بالترتيب المنشور طبعا دون قفز.

هذا توضيح من **مكتبة** حتى لا يدخل الشك للقارئ أن التصوير فيه خطأ .. خاصة أن النسخة الورقية ليست أمامه ..

أنتوني هورويتز



رواية

ترجمتها عن الإنجليزية

إيناس التركي





٢٤٦٨١٠٩٧٥٣١

تصميم الغلاف: أحمد فرج

كراوتش إند، لندن

زجاجة نبيذ، وعبوة بحجم عائلي من رقائق التورتيلا بنكهة جبن الناتشو، ووعاء من صلصة التغميس الحارة، علاوة على علبة سجائر (أعرف، أعرف!)، والمطر يطرق النوافذ، وكتاب.

ما الذي كان يمكن أن يصير أروع من ذلك؟

كان بدافع القتل الكتاب التاسع في سلسلة «أتيكوس بوند» المحبوبة للغاية، والأكثر مبيعًا في العالم. عندما فتحته لأول مرة في ذلك المساء الرطب من شهر أغسطس، كان موجودًا فقط كمخطوطة مطبوعة على الكمبيوتر، وستكون وظيفتي هي تحريره قبل نشره. نويت الاستمتاع به أولًا. أتذكر أنني توجهت إلى المطبخ مباشرة عندما دخلت، والتقطت بعض الأشياء من الثلاجة، ووضعت كل شيء على صينية. خلعت ملابسي، وتركتها حيث سقطَت. كانت الشقة بأكملها مقلب قمامة على أي حال. استحممت، وجففت نفسي، وارتديت قميصًا واسعًا عليه صورة الفأرة ميزي، أعطاني إياه شخص ما في معرض بولونيا للكتاب. كان الوقت مبكرًا جدًّا للدخول إلى الفراش، لكنني كنت سأقرأ الكتاب وأنا مستلقية فوقه، والأغطية لا تزال مجعدة ولم تُسوَّ منذ الليلة السابقة. لا أعيش دومًا على هذا النحو، لكن رفيقي كان غائبًا لمدة ستة أسابيع، وبينما كنت بمفردي، تعمدت السماح بتدهور الأمور. هناك شيء مريح للغاية بشأن الفوضى، خصوصًا في عدم وجود شخص آخر يجأر بالشكوى.

في الواقع، أنا أكره تلك الكلمة: «رفيق». خصوصًا عند استخدامها لوصف رجل طُلِّق مرتين، يبلغ من العمر اثنين وخمسين عامًا. المشكلة أن اللغة الإنجليزية لا تقدم كثيرًا من البدائل. لم يكن أندرياس شريكي، إذ لم نكن نتقابل بانتظام بما يكفي لذلك. خليلي؟ نصفي الآخر؟ جعلني كلاهما أجفل لأسباب مختلفة. كان من جزيرة كريت، ويدرِّس اللغة اليونانية القديمة في مدرسة وستمنستر، واستأجر شقة في مايدا فيل، لا تبعد عني كثيرًا. تحدثنا عن الانتقال إلى السكن معًا، لكننا خشينا أن يؤدي ذلك إلى قتل العلاقة. لذا، على الرغم من أنني كانت لديَّ خزانة مليئة بملابسه، فإنه لم يكن موجودًا عندي في كثير من الأوقات، وهذا أحدها. سافر أندرياس إلى موطنه خلال العطلة المدرسية ليكون مع عائلته. كان والداه، وجدته الأرملة، وابناه المراهقان، وشقيق زوجته السابقة، جميعًا يعيشون في المنزل نفسه، في نوع من تلك الترتيبات المعقدة التي يبدو أن اليونانيين يستمتعون بها. لن يعود حتى يوم الثلاثاء، اليوم السابق لبدء الدراسة، ولن أراه حتى عطلة نهاية الأسبوع التالية.

لذا كنت بمفردي في شقتي بكراوتش إند، التي توزعت بين البدروم والطابق الأرضي لمنزل فيكتوري في شارع كليفتون، على بعد نحو خمس عشرة دقيقة سيرًا على الأقدام من محطة مترو هاي جيت. ربما كانت الشيء الوحيد المعقول الذي اشتريته على الإطلاق. أحببت العيش هناك. كان المكان هادئًا ومريحًا، وشاركت الحديقة مع مصمم رقص يعيش في الطابق الأول، لكنه نادرًا ما كان موجودًا. امتلكت كتبًا كثيرة جدًّا بالطبع، وامتلأت كل بوصة من مساحة الأرفف. تكدست الكتب بعضها فوق بعض، وانحنت الأرفف نفسها تحت ذلك الثقل. حوَّلت غرفة النوم الثانية إلى غرفة مكتب، على الرغم من أنني حاولت ألا أعمل في المنزل. استخدمها أندرياس أكثر مني، في أثناء وجوده.

فتحت النبيذ، وفتحت وعاء الصلصة، وأشعلت سيجارة. بدأت أقرأ الكتاب، كما توشكون أنتم على ذلك. لكن قبل أن تفعلوا، عليَّ أن أحذركم.

لقد غيَّر هذا الكتاب حياتي.

ربما قرأتم ذلك من قبل. يخجلني القول إنني كتبت ذلك على غلاف أول رواية

أوصيت بها على الإطلاق، وهي رواية تشويق عادية جدًّا عن الحرب العالمية الثانية. لا أستطيع أن أتذكر حتى من قال ذلك، لكن الطريقة الوحيدة التي سيغير بها ذلك الكتاب حياة شخص ما، هي في حال سقوطه عليه. هل يصح ذلك القول بالفعل؟ ما زلت أتذكر قراءة أعمال الشقيقات برونتي وأنا فتاة صغيرة جدًّا، والوقوع في حب عالمهن: الميلودراما، والطبيعة الجامحة، والرومانسية ذات الطابع القوطي التي تلف كل شيء. يمكنكم القول إن جين إير قادتني إلى عملي في مجال النشر، مما يُعد مفارقة ساخرة إلى حدٍّ ما، في ضوء ما حدث. هناك كثير من الكتب التي أثرت فيَّ بعمق شديد: رواية إيشيجورو لا تدعني أرحل أبدًا، ورواية ماك إيوان الكفَّارة. بلغني أن عددًا كبيرًا جدًّا من الأطفال وجدوا أنفسهم فجأة في مدرسة داخلية، نتيجة لظاهرة هاري بوتر، وعبر التاريخ كانت هناك كتب لها تأثير عميق في مواقفنا. تُعد عشيق الليدي تشاترلي مثالًا واضحًا، و١٩٨٤ مثالًا آخر. لكنني لست متأكدة ما إذا كان ما نقرأه مهمًّا بالفعل. تسير حياتنا عبر الخطوط المرسومة لنا، ويتيح لنا الأدب مجرد لمحة عن البديل. ربما كان ذلك أحد أسباب استمتاعنا به.

لكن بدافع القتل غيَّر كل شيء بالنسبة إليَّ بالفعل. لم أعد أعيش في كراوتش إند، ولم أعد أعمل في وظيفتي، كما خسرت عددًا كبيرًا من الأصدقاء. في ذلك المساء، عندما مددت يدي، وقلبت الصفحة الأولى من المخطوطة المطبوعة، لم تكن لديَّ أدنى فكرة عن الرحلة التي كنت على وشك أن أبدأها، وبصراحة تامة أتمنى لو لم أسمح لنفسي بقبولها قَطُّ. كل هذا يعود إلى ذلك الوغد، آلان كونواي. لم أمِل إليه يوم قابلته، لكن الشيء الغريب هو أنني لطالما أحببت كتبه. على حد رأيي، لا يوجد ما هو أفضل من رواية بوليسية جيدة: التقلبات، والمفاجآت، والأدلة، والمغالطات المنطقية، ثم أخيرًا الشعور بالرضا عند توضيح كل شيء لك بطريقة تجعلك تلوم نفسك لأنك لم تنتبه لذلك منذ البداية.

هذا هو ما توقعته عندما بدأت، لكن بدافع القتل لم يكن كذلك. لم يكن كذلك على الإطلاق.

آمل ألا أحتاج إلى توضيح الأمر أكثر من ذلك. على عكسي، فقد تلقيتم تحذيرًا.

بدافع القتل

من ألغاز أتيكوس بوند

آلان كونواي

عن المؤلف

وُلِد آلان كونواي في إبسويتش، وتلقى تعليمه أولًا في مدرسة وودبريدج، ثم في جامعة ليدز، حيث حصل على ليسانس في الأدب الإنجليزي. التحق بعد ذلك بجامعة إيست أنجليا كطالب ناضج، لدراسة الكتابة الإبداعية. أمضى السنوات الست التالية مدرسًا، قبل تحقيق نجاحه الأول مع جرأة أتيكوس بوند، في عام ١٩٩٥. ظل الكتاب لمدة ثمانية وعشرين أسبوعًا على قائمة صحيفة صنداي تايمز للكتب الأكثر مبيعًا، وفاز بجائزة «الخنجر الذهبي»، التي تمنحها رابطة كُتَّاب الجريمة لأفضل رواية جريمة صادرة خلال العام. منذ ذلك الحين، باعت سلسلة كتب أتيكوس بوند ثمانية عشر مليون كتاب في جميع أنحاء العالم، وتُرجمت إلى خمس وثلاثين لغة. في عام ٢٠١٢، مُنح آلان كونواي وسام رتبة الإمبراطورية البريطانية نظير خدماته التي أسداها إلى الأدب. لديه ابن واحد من زيجة سابقة، ويعيش في فراملينجهام في سوفولك.

سلسلة كتب أتيكوس بوند

جرأة أتيكوس بوند

نفوس شريرة

أتيكوس بوند يتولى القضية

سيأتي الليل مناديًا

أتيكوس بوند يحتفل بعيد الميلاد

لهب وسيانيد

قرنفل أحمر لأتيكوس

لقاءات أتيكوس بوند

في مديح أتيكوس بوند

«كل ما يمكن أن تتمناه من رواية بوليسية بريطانية. أنيقة، وذكية، ولا يمكن التنبؤ بها».

- صحيفة إندبندنت

«احترس يا هيركيول بوارو! هناك أجنبي ضئيل بارع في المدينة، وهو يحل محلك».

- صحيفة دايلي ميل

«أنا من هواة أتيكوس بوند. إنه يعيدنا إلى العصر الذهبي لروايات الجريمة، ويذكرنا أين بدأنا جميعًا».

- إيان رانكين

«شرلوك هولمز، واللورد بيتر ويمسي، والأب براون، وفيليب مارلو، وبوارو... ربما يمكن عدُّ المحققين العظماء بالفعل على أصابع يد واحدة. حسنًا، مع أتيكوس بوند، قد تحتاج إلى إصبع إضافية!».

- صحيفة إندبندنت الأيرلندية

«إن القصة البوليسية العظيمة بحاجة إلى محقق عظيم، ويُعَد أتيكوس بوند إضافة قيِّمة إلى المجموعة».

- صحيفة يوركشاير بوست

«ألمانيا لديها سفير جديد، والجريمة لديها أعظم محققيها».

- صحيفة دير تاجسشبيجل

«من الواضح أن آلان كونواي يستدعي في كتابته ما استبطنه من أجاثا كريستي. حظًا موفقًا له! لقد أحببته».

- روبرت هاريس

«نصف يوناني، ونصف ألماني، لكن دائمًا مائة في المائة على حق. الاسم؟ إنه بوند، أتيكوس بوند».

- صحيفة دايلي إكسبرس

قريبًا سيصبح مسلسلًا تلفزيونيًا ضخمًا على قناة بي بي سي ١

واحد

الترح

١



٢٣ يوليو ١٩٥٥

كانت هناك جنازة ستُقام.

خرج حفَّارا القبور، العجوز جيف وابنه آدم، عند أول ضوء، وصار كل شيء جاهزًا: حُفر قبر بالحجم المناسب تمامًا، وتكدست التربة بانتظام على أحد الجوانب. لم يسبق أن بدت كنيسة سانت بوتولف في ساكسبي أون أيفون أكثر جمالًا من قبل، وشمس الصباح تلتمع على النوافذ الزجاجية الملونة. يعود تاريخ الكنيسة إلى القرن الثاني عشر، على الرغم من إعادة بنائها عدة مرات بالطبع. كان القبر الجديد يقع جهة الشرق، بالقرب من أنقاض المذبح القديم حيث تُركت الأعشاب لتنمو على نحو بري، ونبتت زهور الأقحوان والهندباء حول الأقواس المتهدمة.

كانت القرية نفسها هادئة، والشوارع خالية. أتم بائع الحليب تسليمه بالفعل، واختفى والزجاجات ترتج في مؤخرة شاحنته، كما انتهى باعة الصحف من جولاتهم. كان هذا يوم سبت، لذا فلن يتوجه أي شخص إلى العمل، كما أن الوقت لا يزال مبكرًا على أن يبدأ أصحاب المنازل مباشرة أعمالهم المنزلية في عطلة نهاية الأسبوع. في الساعة التاسعة، سيفتح متجر القرية. أخذت رائحة الخبز الطازج المنبعثة من الفرن تتسرب بالفعل من متجر الخبَّاز المجاور. سرعان ما سيصل أول زبائنهم. بمجرد انتهاء الإفطار، ستبدأ جوقة من جزازات العشب. كان الوقت في شهر يوليو، أكثر أوقات العام انشغالًا بالنسبة إلى جيش البستانيين المتحمسين في ساكسبي أون أيفون، ومع اقتراب مهرجان الحصاد بعد شهر واحد فقط، بدأ بالفعل تقليم الورد وقياس حجم ثمار الكوسة بعناية. في الساعة

الواحدة والنصف، ستُعقد مباراة كريكت في الساحة الخضراء بالقرية. ستكون هناك عربة لبيع الآيس كريم، وأطفال يلعبون، وزوّار يتنزهون أمام سياراتهم، كما سيفتح المقهى أبوابه للعمل: عصر يوم صيفي إنجليزي مثالي.

لكن ليس بعد. بدا الأمر كما لو أن القرية تحبس أنفاسها في صمت على سبيل الاحترام، في انتظار النعش الذي كان على وشك بدء رحلته من باث. بدأ الآن بالفعل تحميله في عربة الموتى، محاطًا بمرافقيه المتجهمين، خمسة رجال وامرأة، تجنبوا جميعًا أن ينظر بعضهم إلى بعض، كما لو أنهم غير متأكدين اين يوجهون أبصارهم. كان اربعة من الرجال متعهدي دفن محترفين من شركة لانر وكرين المحترمة للغاية. تأسست الشركة منذ العصر الفيكتوري، عندما كانت تعمل بشكل أساسي في النجارة والبناء. في ذلك الوقت، كانت النعوش والجنازات عملًا جانبيًا، يكاد يكون أضيف كفكرة لاحقة بعد ذلك. لكن على عكس المتوقع، كان هذا الجانب من العمل هو ما تبقى. لم تعد شركة لانر وكرين تبني المنازل، لكن اسمها صار مرادفًا للموت باحترام. كانت جنازة اليوم تمثل الحزمة الاقتصادية إلى حدٍّ كبير. كانت عربة الموتى من طراز أقدم، ولم تكن هناك خيول سوداء أو أكاليل زهور باذخة. أما النعش نفسه، فعلى الرغم من تشطيبه على نحو رائع، فإنه صُنع، من دون شك، من خشب رديء النوعية. حملت لوحة بسيطة مطلية بالفضة، بدلًا من الفضة الخالصة، اسم المتوفَّى والتاريخين الأساسيين:

ماري إليزابيث بلاكيستون

٥ أبريل ١٨٨٧ - ١٥ يوليو ١٩٥٥

لم تكن حياتها طويلة كما بدت، حيث عبرت من قرن إلى قرن، إلا أنها اجتُثت بعد ذلك على نحو غير متوقع تمامًا. لم يكن هناك حتى ما يكفي من المال في خطة جنازة ماري لتغطية التكاليف النهائية - لكن لم تكن لذلك أهمية، إذ

إن شركات التأمين سوف تغطي الفرق - وكان سيسعدها رؤية أن كل شيء يسير وفقًا لرغباتها.

غادرت عربة الموتى في الوقت المحدد بالضبط، وانطلقت في الرحلة البالغ طولها ثمانية أميال عندما وصل عقرب الدقائق إلى التاسعة والنصف. إذا واصلت الطريق بوتيرة رصينة ملائمة، ستصل إلى الكنيسة عند تمام الساعة العاشرة. إن كان لشركة لانر وكرين شعار، فقد يكون «لا تأخير على الإطلاق». وعلى الرغم من أن المشيعين اللذين رافقا النعش ربما لم يلاحظا ذلك، فإن الريف لم يسبق أن بدا أكثر جمالًا، والحقول على الجانب الآخر من الجدران المنخفضة المبنية من حجر الصوان تنحدر باتجاه نهر أيفون، الذي سيتبعهم طوال الطريق.

في المقبرة عند كنيسة سانت بوتولف، تفحص حفَّارا القبور عمل أيديهما. هناك العديد من الأشياء التي يمكن قولها بشأن جنازة - عميقة، وتأملية، وفلسفية - لكن جيف ويفر أصاب، عندما اتكأ على مجرفته وهو يلف سيجارة بين أصابعه القذرة، والتفت إلى ابنه قائلًا:

- إذا كنت ستموت، فلا يمكنك اختيار يوم أفضل.

٢

جلس الكاهن روبن أوسبورن إلى طاولة المطبخ في مقر سكنه، وهو يجري التعديلات النهائية على خطبته. توزعت على الطاولة أمامه ست صفحات مطبوعة، لكن غطتها بالفعل الملاحظات بخط يده ذي الخطوط الطويلة الحادة. هل كانت الخطبة طويلة للغاية؟ صدرت شكاوى مؤخرًا من بعض رعيته أن خطبه تطول بعض الشيء، وحتى الأسقف أبدى نفاد صبر خلال خطابه يوم عيد العنصرة. لكن هذا الأمر كان مختلفًا، إذ عاشت السيدة بلاكيستون حياتها بأكملها في القرية، والجميع يعرفونها. بالتأكيد يمكنهم تخصيص نصف ساعة من وقتهم - أو حتى أربعين دقيقة - لتوديعها.

كان المطبخ عبارة عن غرفة كبيرة ومبهجة، بها موقد ماركة «أجا» يشع دفئًا لطيفًا طول العام. تدلت القدور والمقالي من الخطافات، وكانت هناك جرار مليئة بالأعشاب الطازجة والفطر المجفف التي جمعها الزوجان أوسبورن بنفسيهما. في الطابق العلوي، كانت هناك غرفتا نوم، كلتاهما دافئة وبسيطة، بهما سجاد ذو وبرة طويلة، وأكياس وسائد مطرزة يدويًا، وكوات جديدة في السقف أضيفت فقط بعد مشاورات كثيرة مع الكنيسة. لكن مصدر البهجة الأساسي في سكن الكاهن كان يكمن في موقعه، على حافة القرية، مطلًّا على الغابة التي يعرفها الجميع باسم «دينجل ديل». كان هناك مرج بري، مرقط بالزهور في الربيع والصيف، ثم مساحة من الغابة الممتدة، تتألف أشجارها بشكل أساسي من البلوط والدردار، وتحجب من الجانب الآخر أراضي باي هول، والبحيرة، والمسطحات الخضراء، ثم المنزل نفسه. يستيقظ روبن أوسبورن في كل صباح على مشهد لا يمكنه أن يفشل في إسعاده أبدًا. كان يعتقد أحيانًا أنه يعيش في قصة خيالية.

لم يكن سكن الكاهن دومًا على هذا النحو. عندما ورثا المنزل - والأبرشية - من الكاهن المسن مونتاجو، بدا كمنزل رجل عجوز إلى حدٍّ بعيد، رطبًا، ولا يوحي بالترحاب. لكن هنرييتا أعملت سحرها، وتخلصت من جميع الأثاث الذي اعتبرته قبيحًا للغاية أو غير مريح، وجابت محال الأثاث المستعمل في ويلتشير وأيفون للعثور على بدائل مثالية. لم تتوقف طاقتها عن إثارة دهشته قَطُّ. بدا من المدهش بما فيه الكفاية كونها اختارت في البداية أن تصير زوجة كاهن، لكنها ألقت بنفسها في خضم واجباتها بحماس جعلها تحظى بالشعبية منذ يوم وصولهما. لم يكونا لينعما بسعادة أكبر من تلك التي تمتعا بها في ساكسبي أون أيفون. من الصحيح أن الكنيسة بحاجة إلى العناية، إذ كان نظام التدفئة معطلًا على الدوام، كما بدأ السقف يسرب الماء من جديد. لكن رعيتهما كانت كبيرة بما يكفي لإرضاء الأسقف، وباتا الآن يعتبران الكثير من المصلين أصدقاء لهما. لم يكونا ليحلما بالوجود في أي مكان آخر.

«كانت جزءًا من القرية، وعلى الرغم من أننا هنا اليوم حدادًا على رحيلها،

يجب أن نتذكر ما خلفته وراءها. جعلت ماري ساكسبي أون أيفون مكانًا أفضل للجميع، سواء بترتيب الزهور كل يوم أحد في هذه الكنيسة نفسها، وزيارة المسنين هنا وفي آشتون هاوس، وجمع المال لصالح الجمعية الملكية لحماية الطيور، أو الترحيب بالزوَّار في باي هول. لطالما كانت كعكاتها المصنوعة منزليًا هي نجمة حفل القرية، ويمكنني إخبارکم بأنه كانت هناك العديد من المناسبات التي فاجأتني فيها في خزانة الكنيسة بواحدة من حلواها المصنوعة من اللوز، أو ربما شريحة من كعك فيكتوريا الإسفنجي».

حاول أوسبورن أن يتصور المرأة التي قضت معظم حياتها تعمل مدبرة منزل في باي هول. كانت ضئيلة، ذات شعر داكن، وتتصف بالحزم. لطالما كانت في عجلة من أمرها، كما لو أنها تسعى إلى تحقيق هدف شخصي. بدت ذكرياته عنها في الأساس قليلة نوعًا ما، لأنهما في الحقيقة لم يقضيا وقتًا طويلًا في الغرفة نفسها قَطُّ. ربما اجتمعا معًا في مناسبة اجتماعية أو مناسبتين، لكن ليس كثيرًا إلى هذا الحد. لم يكن الأشخاص الذين يعيشون في ساكسبي أون أيفون متعجرفين على نحو صريح، لكنهم في الوقت نفسه كانوا مدركين جدًا للطبقات الاجتماعية، وعلى الرغم من أن الكاهن قد يُعَد إضافة ملائمة لأي تجمع اجتماعي، فلا يمكن قول الشيء نفسه عن إنسانة كانت في نهاية المطاف عاملة نظافة. ربما أدركت ذلك. حتى في الكنيسة، كانت تميل إلى شغل مقعد في المؤخرة تمامًا. كان هناك شيء في غاية التواضع في الطريقة التي أصرت بها على مساعدة الناس، كما لو أنها مدينة لهم بذلك بطريقة ما.

أم كان الأمر أبسط من ذلك؟ عندما فكر فيها ونظر إلى ما كتبه للتو، خطرت بباله كلمة واحدة: «متطفلة». لم يكن ذلك عادلًا، وبالتأكيد لم يكن شيئًا سيتفوَّه به بصوت مرتفع قَطُّ، لكن تعين عليه الاعتراف بأن هناك بعض الحقيقة في هذا. كانت من ذلك النوع من النساء اللاتي يدخلن أنفسهن في كل شيء ويغمسن إصبعًا في كل فطيرة (بما في ذلك التفاح والتوت الأسود)، وجعلت من شأنها التواصل مع الجميع في القرية. بطريقة ما، دومًا ما كانت

موجودة حينما تحتاج إليها، لكن المشكلة تكمن في أنها كانت موجودة أيضًا حينما لا تحتاج إليها.

تذكر أنه وجدها هنا في هذه الغرفة نفسها، منذ أكثر من أسبوعين بقليل. أحس بالانزعاج من نفسه. كان عليه أن يتوقع ذلك. اشتكت هنرييتا على الدوام من الطريقة التي يترك بها الباب الأمامي مفتوحًا، كما لو أن مقر سكن الكاهن مجرد ملحق بالكنيسة، بدلًا من سكن خاص. كان يجب عليه الاستماع إليها. سمحت ماري لنفسها بالدخول، ووقفت هناك حاملة زجاجة صغيرة بها سائل أخضر، كما لو أنها تعويذة من القرون الوسطى لصد الشياطين.

- صباح الخير يا نيافة الكاهن! سمعت أنك تواجه مشكلات مع الدبابير. جلبت لك بعض زيت النعناع. سوف يتخلص منها. دومًا ما كانت والدتي تقسم به!

كان ذلك صحيحًا، إذ كانت توجد دبابير في منزل الكاهن، لكن كيف علمت بذلك؟ لم يخبر أوسبورن أحدًا إلا هنرييتا، ولم تكن هي لتذكر ذلك. بالطبع، كان هذا متوقعًا من مجتمع مثل ساكسبي أون أيفون. بطريقة ما، على نحو غير مفهوم، كان الجميع يعرفون كل شيء عن بعضهم البعض، وكثيرًا ما تردد أنك إذا سعلت في الحمَّام، فسيظهر لك شخص حاملًا منديلًا.

عند رؤيتها هناك، لم يكن أوسبورن متأكدًا ما إذا كان عليه الشعور بالامتنان أم الانزعاج. تمتم بكلمة شكر، لكن في الوقت نفسه ألقى نظرة خاطفة على طاولة المطبخ، وكانت هناك، ملقاة فحسب وسط كل أوراقه. كم طول المدة التي مكثتها بالغرفة؟ وهل رأتها؟ لم تقل شيئًا، وبالطبع لم يجرؤ هو على سؤالها. أرشدها إلى الخارج بأسرع ما في وسعه، وكانت تلك هي المرة الأخيرة التي شاهدها فيها. كان هو وهنرييتا في إجازة عندما تُوفيت. عادا للتو في الوقت المناسب لدفنها.

سمع وقع خطوات، ورفع عينيه عندما ولجت هنرييتا الغرفة. خرجت حديثًا من الحمَّام، وهي لا تزال ملتفة في رداء حمَّام من قماش البشكير. صارت في أواخر الأربعينيات من عمرها الآن، وكانت لا تزال امرأة جذابة للغاية، بشعر كستنائي منساب، وقوام ستصفه كتالوجات الأزياء بأنه «ممتلئ». جاءت من عالم مختلف

تمامًا، الابنة الصغرى لمزارع ثري يمتلك ألف فدان في غرب ساسكس، ومع ذلك عندما التقى كلاهما في لندن - في محاضرة أُلقيت في قاعة ويجمور - اكتشفا انجذابًا فوريًا بينهما. تزوجا من دون موافقة والديها، وكانا الآن قريبين مثلما كانا في أي وقت مضى. مصدر أسفهما الوحيد هو أن زواجهما لم يكلل بأي أطفال، لكن بالطبع كانت هذه مشيئة الرب، وقد تقبلا ذلك. أحسا بالسعادة لوجودهما معًا فحسب.

قالت:

- ظننت أنك انتهيت من ذلك.

كانت قد أخذت الزبدة والعسل من حجرة المؤن، وقطعت لنفسها شريحة من الخبز.

- أضيف بعض الأفكار التي طرأت عليَّ في اللحظة الأخيرة فحسب.

- حسنًا، لن أسهب في الحديث كثيرًا لو كنت مكانك، يا روبن. إنه يوم سبت في نهاية المطاف، وسيرغب الجميع في متابعة شؤونهم.

- سنتجمع في حانة كوينز آرمز بعد ذلك، في الساعة الحادية عشرة.

- هذا لطيف.

حملت هنرييتا صحنًا به إفطارها إلى الطاولة، وألقت بنفسها جالسة، وتابعت قائلة:

- هل حدث أن رد السير ماجنوس على رسالتك؟

- لا، لكنني متأكد انه سيكون هناك.

- حسنًا، لقد ترك ذلك حتى وقت متأخر جدًا.

انحنت ونظرت إلى إحدى الصفحات، وقالت:

- لا يمكنك قول ذلك.

- ماذا؟

- إن وجودها يحيي أي حفل.

- لمَ لا؟

- لأنها لم تكن كذلك. لطالما وجدتها متحفظة وكتومًا نوعًا ما، إذا أردت الحقيقة. لا يسهل الحديث معها أبدًا.

- كانت مسلية للغاية عندما أتت إلى هنا في عيد الميلاد الماضي.

- لقد انضمت إلى إنشاد الترانيم، إذا كان هذا ما تعنيه. لكن في الواقع لم يكن من الممكن معرفة ما تفكر فيه قَطُّ. لا يمكنني القول إنني أحببتها كثيرًا.

- لا يجب أن تتحدثي عنها بهذه الطريقة يا هن، وبالتأكيد ليس اليوم.

- لا أفهم لمَ لا. هذه هي المشكلة في الجنازات، إنها في غاية النفاق. يذكر الجميع كم كان المتوفَّى رائعًا، وكم كان لطيفًا، وكم كان كريمًا، في حين أنهم يعرفون في أعماقهم أن هذا ليس صحيحًا. لم أشعر بالميل إلى ماري بلاكيستون قَطُّ، ولن أبدأ في ترديد الثناء عليها لمجرد أنها سقطت من فوق الدرج وكُسرت عنقها.

- إنك غير متسامحة بعض الشيء.

- أنا ألتزم الصراحة يا روبي. كما أنني أعلم أنك تعتقد الشيء نفسه تمامًا، حتى إذا كنت تحاول إقناع نفسك بخلاف ذلك. لكن لا تقلق! أعدك أنني لن أجلب لك الخزي أمام المعزين.

لوت قسمات وجهها قائلة:

- هاك! هل هذا يدل على الحزن بما يكفي؟

- أليس من الأفضل أن تستعدي؟

- لقد أعددت كل شيء في الطابق العلوي؛ ثوبًا أسود، وقبعة سوداء، ولآلئ سوداء.

تنهدت وتابعت قائلة:

- عندما أموت، لا أرغب في ارتداء الأسود، إنه كئيب للغاية. عدني بذلك. أريد أن أُدفن باللون الوردي، وفي يدَي باقة كبيرة من زهور البيجونيا.

- لن تموتي في أي وقت قريب، والآن، لتصعدي إلى الطابق العلوي، وارتدي ملابسك.

- حسنًا، حسنًا. أنت متنمر!

انحنت فوقه، وأحس بثدييها، ناعمين ودافئين، يضغطان على رقبته. قبَّلت وجنته، ثم أسرعت في الخروج، تاركة إفطارها على الطاولة. ابتسم روبن أوسبورن لنفسه وهو يعود إلى خطبته. ربما كانت على حق. يمكنه اختصار صفحة أو صفحتين. عاد للنظر إلى ما كتبه مرة أخرى.

«لم تكن حياة ماري بلاكيستون سهلة. سرعان ما عرفت الفواجع الشخصية بعد مجيئها إلى ساكسبي أون أيفون، وكان يمكنها أن تدع ذلك يسحقها بكل سهولة، لكنها قاومت. كانت من ذلك النوع من النساء اللاتي يعانقن الحياة، واللاتي لن يسمحن للحياة بالتغلب عليهن أبدًا. وبينما نشيعها إلى مثواها الأخير، بجانب الابن الذي أحبته كثيرًا، والذي فقدته على نحو مأساوي للغاية، ربما يمكننا أن نستمد بعض العزاء من فكرة أنهما صارا معًا، أخيرًا».

قرأ روبن أوسبورن الفقرة مرتين. رآها واقفة هناك مرة ثانية، في هذه الغرفة نفسها، بجوار الطاولة تمامًا.

- سمعت أنك تواجه مشكلات مع الدبابير.

هل شاهدتها؟ هل كانت تعرف؟

لا بد أن الشمس غابت خلف سحابة، لأن ظلًا ظهر على وجهه فجأة. مد يده ومزَّق الصفحة بأكملها، ثم أسقط القطع في السلة.

٣

استيقظت الدكتورة إميليا ريدوينج مبكرًا. استلقت في الفراش لمدة ساعة تحاول إقناع نفسها بأنها قد تعود إلى النوم، ثم نهضت وارتدت روبًا، وأعدت لنفسها كوبًا من الشاي. جلست إلى طاولة المطبخ منذ ذلك الحين، تراقب شروق الشمس فوق حديقتها، ووراءها أطلال قلعة ساكسبي، وهي بناء يعود إلى القرن الثالث عشر، أسعد مئات المؤرخين الهواة الذين زاروه، لكنه كان يقطع ضوء الشمس عصر

كل يوم، ملقيًا ظلًّا طويلًا على المنزل. تجاوز الوقت الثامنة والنصف بقليل، وكان من المفترض أن تكون الصحيفة قد وصلت الآن. كان أمامها بعض ملفات المرضى، وانشغلت بمراجعتها، لإلهاء نفسها جزئيًا عن اليوم الممتد أمامها. كانت العيادة تفتح عادة صباح أيام السبت، لكنها ستغلق اليوم بسبب الجنازة. حسنًا، كان وقتًا مناسبًا لمتابعة أعمالها المكتبية.

لم يكن هناك قَطُّ شيء بالغ الخطورة يمكن علاجه في قرية مثل ساكسبي اون أيفون. إذا كان ثمة شيء سيقضي على السكان، فهو الشيخوخة، ولم يكن بوسع الدكتورة ريدوينج فعل الكثير حيال ذلك. بينما هي تراجع الملفات، ألقت نظرة مرهقة على الأمراض المختلفة التي اعترضت طريقها مؤخرًا. كانت الآنسة دوتريل، التي تعمل مساعدة في متجر القرية، تتعافى من الحصبة بعد قضاء أسبوع في الفراش. أصيب بيلي ويفر، البالغ من العمر تسع سنوات، بنوبة شرسة من السعال الديكي، لكنه تغلب عليها بالفعل. يعاني جده، جيف ويفر، التهاب المفاصل، لكنه مصاب به منذ سنوات، ولم تكن حالته تتحسن أو تسوء. جرح جوني وايتهيد يده. أما هنرييتا أوسبورن، زوجة الكاهن، فقد داست على أجمة من ست الحسن - أتروبا بيلادونا - وبطريقة ما، أصابت قدمها بالكامل. أوصتها بالراحة في الفراش لمدة أسبوع، وشرب كثير من المياه. بخلاف ذلك، بدا أن الصيف الدافئ مفيد لصحة الجميع.

لا، ليس الجميع. لقد وقعت حالة وفاة.

دفعت الدكتورة ريدوينج الملفات جانبًا، واتجهت إلى الموقد حيث شغلت نفسها بإعداد الإفطار لها ولزوجها. كانت قد سمعت آرثر بالفعل وهو يتحرك في الطابق العلوي، وتعالت أصوات الصرير والقعقعة المعتادة وهو يجهز لنفسه الحمَّام. يبلغ عمر السباكة في المنزل خمسين عامًا على الأقل، وكانت تجأر بالشكوى الصاخبة في كل مرة تتعرض فيها لضغط العمل، لكنها كانت تؤدي المهمة على الأقل. سرعان ما سينزل. قطعت الخبز للتحميص، وملأت قِدرًا بالمياه ووضعتها على الموقد، وأخرجت الحليب ورقائق الذرة، وأعدت المائدة.

كان آرثر وإميليا ريدوينج متزوجين منذ ثلاثين عامًا. فكرت في نفسها أنه زواج سعيد وناجح، حتى لو لم تسِر الأمور كما كانا يأملان تمامًا. أولًا، كان هناك سيباستيان، ابنهما الوحيد، البالغ من العمر أربعة وعشرين عامًا الآن، ويعيش في لندن مع أصدقائه الوجوديين. كيف أصبح مخيبًا للأمل إلى هذا الحد؟ ومتى تحديدًا انقلب ضدهما؟ لم تسمع منه لا هي ولا زوجها منذ شهور، ولم يكن بوسعهما حتى التأكد ما إذا كان حيًا أم ميتًا. ثم كان هناك آرثر نفسه. بدأ حياته مهندسًا معماريًا، وكان مهندسًا ماهرًا. حصل على ميدالية سلون من المعهد الملكي للمهندسين المعماريين البريطانيين، نظير تصميم أتمه في مدرسة الفنون. عمل على العديد من المباني الجديدة التي أُنشئت بعد الحرب مباشرة. لكن عشقه الحقيقي كان الرسم - بورتريهات بألوان الزيت في الأساس - وقد تخلى عن حياته المهنية قبل عشر سنوات للعمل فنانًا بدوام كامل. فعل ذلك بدعم كامل من إميليا.

علقت أحد أعماله في المطبخ، على الجدار بجوار خزانة الأطباق، وألقت عليه نظرة الآن. كانت لوحة لها، رُسمت قبل عشر سنوات، ودومًا ما كانت تبتسم عند النظر إليها، وهي تتذكر فترات الصمت الممتدة وهي تجلس كي يرسمها، محاطة بالزهور البرية. لم يكن زوجها يتحدث قَطُّ وهو يعمل. كانت هناك اثنتا عشرة جلسة، خلال صيف طويل وحار، وقد تمكن آرثر بطريقة ما من تصوير الحرارة، والضباب الخفيف في وقت متأخر من العصر، وحتى رائحة المرج. ارتدت فستانًا طويلًا وقبعة من القش - مازحته قائلة إنها مثل نسخة أنثوية من فان جوخ، وربما كان هناك شيء من أسلوب ذلك الفنان في الألوان الغنية، وضربات الفرشاة الحادة. لم تكن امرأة جميلة، وهي تعلم ذلك. وجهها حاد بدرجة زائدة، وكتفاها عريضتان وشعرها الداكن يبدو رجوليًا للغاية. ربما كان هناك شيء ما أشبه بالمعلمة أو المربية في طريقة تصرفاتها. وجدها الناس متحفظة جدًا، لكنه وجد فيها شيئًا جميلًا. لو كانت الصورة معلقة في صالة عرض بلندن، لَمَا تمكن أحد من المرور بها من دون تدقيق النظر فيها.

لكنها لم تكن كذلك، بل ظلت معلقة هنا. لم تهتم أي صالات عرض في لندن

بآرثر أو بعمله. لم تستطع إميليا فهم الأمر. كانا قد ذهبا معًا إلى المعرض الصيفي في الأكاديمية الملكية، وشاهدا أعمالًا من رسم جيمز جن والسير ألفريد مونينجز. كانت هناك صورة للملكة مثيرة للجدل، رسمها سيمون إلويز. لكن كل ذلك بدا عاديًا ومتواضعًا للغاية مقارنة بعمله. لماذا لم يميز أحد آرثر ريدوينج بوصفه عبقريًا، كما كان بلا شك؟

تناولت ثلاث بيضات، وأنزلتها برفق داخل القدر، اثنتان له، وواحدة لها. انشرخت واحدة منها عند ملامسة الماء المغلي، وفكرت في الحال في ماري بلاكيستون، وقد انشرخت جمجمتها بعد سقوطها. لم تستطع تفادي ذلك. حتى الآن كانت ترتجف من ذكرى ما شاهدته، ومع ذلك تساءلت عن السبب وراء هذا. لم تكن هذه أول جثة تصادفها، كما عالجت جنودًا بإصابات خطيرة في أثناء عملها في لندن خلال أسوأ فترات القصف. ما الأمر المختلف للغاية في هذا؟

ربما كان حقيقة أن كلًّا منهما كانت مقربة من الأخرى. من الصحيح أن هناك القليل جدًّا من القواسم المشتركة بين الطبيبة ومدبرة المنزل، لكنهما أصبحتا صديقتين على نحو غير متوقع. بدأ الأمر حينما كانت السيدة بلاكيستون مريضة. عانت نوبة من الهربس النطاقي استمرت لمدة شهر، وقد أعجبت الدكتورة ريدوينج بتحمُّلها وحسن إدراكها. بعد ذلك، صارت تعتمد عليها في مناقشة أفكارها. كان عليها توخي الحذر، إذ لم يكن بوسعها خرق خصوصية المرضى، لكن في حالة وجود ما يزعجها، دومًا ما كانت تستطيع الاعتماد على ماري كمستمعة جيدة، ولتقديم نصائح معقولة.

وكانت النهاية مفاجئة للغاية: صباح عادي، منذ أكثر من أسبوع بقليل، قاطعه عبر الهاتف برينت، العامل المسؤول عن الحدائق في باي هول.

- هل يمكنك المجيء يا دكتورة ريدوينج؟ إن السيدة بلاكيستون عند أسفل الدرج، بالمنزل الكبير. إنها ممددة هناك. أعتقد أنها سقطت.

- هل تتحرك؟

- لا أعتقد ذلك.

- هل أنت معها الآن؟

- لا أستطيع الدخول. كل الأبواب مغلقة.

كان برينت في الثلاثينيات من عمره، شابًا رثًا تتجمع الأوساخ تحت أظفاره، وفي عينيه نظرة لامبالاة وتجهم. كان يتولى رعاية المساحات الخضراء وأحواض الزهور، وأحيانًا كان يطارد المتسللين لإبعادهم عن الأرض تمامًا مثل والده من قبله. كانت هناك بحيرة خلف الأراضي المحيطة بباي هول، يحب الأطفال السباحة فيها خلال الصيف، لكن ليس في وجود برينت. كان رجلًا منعزلًا غير متزوج، يعيش بمفرده في المنزل الذي كان ملكًا لوالديه من قبل. لم يكن محبوبًا في القرية بدرجة كبيرة، نظرًا إلى اعتباره مراوغًا. الحقيقة أنه لم يكن متعلمًا، وربما كان مصابًا بالتوحد بعض الشيء، لكن المجتمع الريفي تسرع في القفز إلى الاستنتاجات. طلبت منه الدكتورة ريدوينج مقابلتها عند الباب الأمامي، وجمعت بعض الإمدادات الطبية، وتركت ممرضتها وموظفة الاستقبال - جوي - لصرف أي وافدين جدد، ثم أسرعت إلى سيارتها.

كان باي هول على الجانب الآخر من دينجل ديل، على بعد خمس عشرة دقيقة سيرًا على الأقدام، وما لا يزيد على خمس دقائق بالسيارة. لطالما كان موجودًا هناك، منذ وجود القرية نفسها، وعلى الرغم من كونه مزيجًا من الطرز المعمارية، فإنه كان بالتأكيد أفخم منزل في المنطقة. كانت بداية نشأته كدير للراهبات، لكنه تحوَّل إلى منزل خاص في القرن السادس عشر، ثم جرى العبث به في كل قرن منذ ذلك الحين. ما تبقى منه هو جناح واحد ممتد به برج مثمن - شُيد بعد ذلك بكثير - عند طرفه البعيد. كانت معظم النوافذ من العصر الإليزابيثي، ضيقة ومقسمة، لكن كانت هناك أيضًا إضافات جورجية وفيكتورية تنتشر حولها نباتات اللبلاب، كما لو أن ذلك على سبيل الاعتذار إلى هذا الطيش. كان هناك فناء في الخلف، وبقايا شيء ربما كان صوامع في السابق. استُغلت مجموعة إسطبلات منفصلة كمرآب الآن.

لكن بهاءه الرئيسي يكمن في موقعه. أشارت بوابة ذات تمثالَي غِرفين صخريين

إلى المدخل، وامتد طريق ممهد بالحصى أمام الكوخ الخشبي الذي تعيش فيه ماري بلاكيستون، ثم انعطف في منحنى رشيق كرقبة البجعة عبر المسطحات الخضراء حتى الباب الأمامي بقوسه الذي على الطراز القوطي. توزعت أحواض الزهور كبقع الطلاء على لوحة ألوان رسَّام، كما كانت هناك حديقة ورد محاطة بسياج من أشجار الزينة، يُقال إن بها أكثر من مائة نوع ورد مختلف. امتد العشب طول الطريق حتى البحيرة، ودينجل ديل على الجانب الآخر. في الواقع، كانت العزبة بأكملها محاطة بغابة من الأشجار المعمرة التي تمتلئ بزهور عشبة الجريس في الربيع، التي تفصلها عن العالم الحديث.

سحقت إطارات السيارة الحصى عندما توقفت الدكتورة ريدوينج، ورأت برينت ينتظرها مضطربًا وهو يدير قبعته بين يديه. ترجلت وتناولت حقيبة الأدوية خاصتها، وتوجهت إليه.

سألته:

- هل هناك اي علامة على الحياة؟

تمتم برينت:

- لم ألقِ نظرة.

ذُهلت الدكتورة ريدوينج. ألم يحاول حتى مساعدة المرأة المسكينة؟ عندما رأى النظرة المرتسمة على وجهها، أضاف قائلًا:

- لقد أخبرتك بأنني لا أستطيع الدخول.

- هل الباب الأمامي مغلق؟

- أجل يا سيدتي. وباب المطبخ أيضًا.

- اليست لديك أي مفاتيح؟

- نعم يا سيدتي. أنا لا أدخل المنزل.

هزت الدكتورة ريدوينج رأسها بحنق. في الوقت الذي استغرقته للوصول إلى هنا، كان بإمكان برينت أن يفعل شيئًا، ربما يجلب سلمًا ليجرب نافذة في الطابق العلوي. سألته:

- إذا لم تتمكن من الدخول، فكيف اتصلت بي؟

لم يكن الأمر مهمًا، لكنها تساءلت فحسب.

- هناك هاتف في الإسطبل.

- حسنًا، من الأفضل أن تريني مكانها.

- يمكنك الرؤية من خلال النافذة...

كانت النافذة المعنية عند حافة المنزل، وهي إحدى الإضافات الحديثة. وفرت إطلالة جانبية على الردهة، مع درج عريض يؤدي إلى الطابق الأول. وهناك، كما هو متوقع تمامًا، استلقت ماري بلاكيستون ممددة على سجادة، وإحدى ذراعيها ممدودة أمامها، تخفي رأسها جزئيًا. من النظرة الأولى، كانت الدكتورة ريدوينج متأكدة بدرجة كبيرة أنها ماتت. بطريقة ما، سقطت من فوق الدرج، وكُسرت عنقها. لم تصدر عنها حركة بالطبع، لكن الأمر كان أكثر من ذلك. الطريقة التي تمدد بها الجسد كانت غير طبيعية تمامًا. كان بها ذلك الشبه بالدمى المحطمة الذي لاحظته الدكتورة ريدوينج في مراجعها الطبية.

هذا هو ما أملته غريزتها، لكن المظاهر قد تكون خادعة.

قالت:

- يجب أن ندخل. المطبخ والباب الأمامي مغلقان، لكن لا بد من وجود طريقة أخرى.

- يمكن أن نجرب غرفة خلع الأحذية.

- أين تقع؟

- من هنا...

قادها برينت إلى باب آخر في الخلف. كان لهذا الباب ألواح زجاجية، وعلى الرغم من كونه مغلقًا بإحكام هو أيضًا، فإن الدكتورة ريدوينج رأت بوضوح مجموعة من المفاتيح لا تزال في القفل على الجانب الآخر. سألته:

- لمن هذه؟

- لا بد أنها لها.

توصلت إلى قرار.

- سنضطر إلى كسر الزجاج.

تذمر برينت قائلًا:

- لا أعتقد أن السير ماجنوس سيكون سعيدًا جدًا بذلك.

- يمكن للسير ماجنوس أن يناقش هذا الموضوع معي إذا أراد. الآن، هل ستفعل ذلك أم سأفعله أنا؟

لم يبدُ المسؤول عن الحدائق سعيدًا، لكنه وجد حجرًا، واستخدمه لكسر أحد الألواح الزجاجية. مد يده إلى الداخل، وأدار المفاتيح. انفتح الباب، ودخلا.

في أثناء انتظار سلق البيض، تذكرت الدكتورة ريدوينج المشهد تمامًا كما رأته. في الحقيقة، كان أشبه بصورة فوتوغرافية انطبعت في ذهنها.

دخلا من غرفة خلع الأحذية، ومن خلال ممر يؤدي إلى الردهة الرئيسية مباشرة، حيث يوجد الدرج المؤدي إلى البسطة المعلقة بها لوحات. أحاطتهما الألواح الخشبية الداكنة التي تكسو الجدران، وغطتها اللوحات الزيتية وجوائز الصيد التذكارية: طيور في صناديق زجاجية، ورأس غزال، وسمكة ضخمة. بجوار باب يؤدي إلى غرفة المعيشة، انتصبت بدلة دروع كاملة بالسيف والدرع. كان الرواق طويلًا وضيقًا، والباب الأمامي يقع مقابل السلم، في المنتصف تمامًا. كانت هناك مدفأة حجرية على أحد الجانبين، كبيرة بما يكفي ليخطو المرء بداخلها، وعلى الجانب الآخر، مقعدان جلديان وطاولة أثرية يعلوها هاتف. اكتست الأرض بالبلاط الحجري الذي غطته جزئيًا سجادة فارسية. كانت درجات السلم أيضًا من الحجر، تتوسطها سجادة بلون النبيذ الأحمر. إذا كانت ماري بلاكيستون قد تعثرت وتدحرجت من بسطة السلم إلى الأسفل، فمن الممكن تفسير موتها بسهولة. لم يكن هناك إلا القليل جدًا للتخفيف من وطأة السقوط.

بينما انتظر برينت متوترًا عند الباب، تفحصت هي الجثة. لم تبرد بعد، لكن لم يكن هناك نبض. أبعدت الدكتورة ريدوينج بعض الشعر الداكن عن الوجه،

لتكشف عن عينين بنيتين تحدقان إلى المدفأة، وأغلقتهما بلطف. لطالما كانت السيدة بلاكيستون في عجلة من أمرها. كان من المستحيل إبعاد تلك الفكرة. ألقت بنفسها حرفيًا على الدرج، مسرعة إلى موتها.

قالت:

- علينا الاتصال بالشرطة.

أحس برينت بالدهشة.

- ماذا؟ هل فعل بها شخص ما شيئًا؟

- لا، بالطبع لا، إنه حادث. لكن لا يزال يتعين علينا الإبلاغ عنه.

كان الأمر حادثًا. لم يكن عليك أن تكون محققًا للتوصل إلى ذلك. كانت مدبرة المنزل تستخدم المكنسة الكهربائية، والمكنسة لا تزال هناك، حمراء لامعة، مثل اللعبة تقريبًا، عالقة في الدرابزين عند قمة الدرج. اشتبكت في السلك بطريقة ما، وتعثرت وسقطت على الدرج. لم يكن هناك أي شخص آخر في المنزل، والأبواب مغلقة. أي تفسير آخر يمكن أن يكون؟

بعدها بأكثر من أسبوع بقليل، انقطع تفكير إميليا ريدوينج بسبب حركة عند الباب. كان زوجها قد ولج الغرفة. رفعت البيضتين من القدر، ووضعتهما برفق في كوبين خزفيين من أكواب البيض. شعرت بالارتياح لرؤية أنه ارتدى ملابسه للجنازة. كانت متأكدة تمامًا أنه سوف ينسى. ارتدى بدلته الداكنة المخصصة ليوم الأحد، على الرغم من عدم وجود ربطة عنق. لم يكن يرتدي ربطات عنق قَطُّ. تناثرت بضع قطرات من الطلاء على قميصه، لكن هذا كان متوقعًا، إذ إن آرثر والطلاء لا ينفصلان.

قال:

- لقد استيقظتِ مبكرًا.

- أنا آسفة يا عزيزي، هل أيقظتك؟

- لا، ليس في الواقع. لكنني سمعتك تنزلين إلى الطابق السفلي. ألم تتمكني من النوم؟

- اعتقد أنني كنت أفكر في الجنازة.
- يبدو يومًا جميلًا لذلك. اتمنى الا يطيل ذلك الكاهن اللعين في الحديث بدرجة كبيرة. إنها الحال نفسها دومًا مع رجال الدين، فهم مغرمون جدًا بسماع أصواتهم.

التقط ملعقة الشاي، وهوى بها على بيضته الأولى.

انشرخت!

تذكرت المحادثة التي أجرتها مع ماري بلاكيستون قبل يومين فقط من استدعاء برينت لها إلى المنزل. اكتشفت الدكتورة ريدوينج شيئًا. كان الأمر خطيرًا جدًا، وكانت على وشك الذهاب للعثور على آرثر لطلب مشورته، عندما ظهرت مدبرة المنزل فجأة كما لو استدعتها روح خبيثة. لذا أخبرتها هي بدلًا من ذلك. بطريقة ما، خلال يوم حافل، اختفت زجاجة من العيادة. يمكن أن تكون محتوياتها فائقة الخطورة، بين الأيدي الخطأ، وبدا من الواضح أنه لا بد أن يكون شخص ما قد أخذها. ما الذي يتعين عليها فعله؟ هل يجب عليها إبلاغ الشرطة؟ كانت مترددة، لأنه من المحتم أن يجعلها ذلك تبدو حمقاء وغير مسؤولة. لماذا تركت الصيدلية من دون رقابة؟ لماذا لم تكن الخزانة مغلقة بالقفل؟ لماذا لم تلاحظ ذلك قبل الآن؟

قالت ماري:

- لا تقلقي يا دكتورة ريدوينج. اتركي لي الموضوع يومًا أو يومين. في الواقع، قد تكون لديَّ فكرة أو اثنتان...

هذا ما قالته. في الوقت نفسه، ارتسمت على وجهها نظرة لم تكن خبيثة تمامًا، بل فطنة، كما لو انها رات شيئًا، وكانت تنتظر استشارتها في هذه المسألة تحديدًا.

وها قد ماتت الآن.

كان الأمر حادثًا بالطبع. لم يسنح لماري بلاكيستون الوقت الكافي للحديث إلى أي شخص عن السم المفقود، وحتى لو فعلت ذلك، فمن المستحيل أن يكون قد فعل بها شيئًا ما. لقد تعثرت وسقطت على الدرج، هذا كل ما في الأمر.

لكن بينما هي تراقب زوجها يغمس في بيضته إصبعًا من الخبز المحمص، كان على إميليا ريدوينج الاعتراف لنفسها بالأمر. أحست حقًا بالقلق البالغ.

٤

- لماذا نحن ذاهبان إلى الجنازة؟ كنا نعرف المرأة بالكاد.

غالب جوني وايتهيد زر قميصه العلوي، ومهما حاول بجد، فشل في إدخاله في العروة. الحقيقة أن الياقة لم تمتد ببساطة حول عنقه بالكامل. بدا له أن جميع ملابسه أخذت تنكمش مؤخرًا. السترات التي ارتداها طوال سنوات ضاقت على كتفيه فجأة، أما بالنسبة إلى السراويل! استسلم وألقى بنفسه جالسًا إلى طاولة الإفطار. دفعت زوجته جيما طبقًا أمامه. كانت قد طهت إفطارًا إنجليزيًا كاملًا، مع بيضتين ولحم خنزير ونقانق وطماطم وشرائح خبز مقلي، بالطريقة التي يحبها تمامًا.

قالت جيما:

- سيكون الجميع هناك.

- هذا لا يعني أننا يجب أن نكون كذلك.

- سيتحدث الناس إذا لم نفعل، وعلى أي حال، فهذا في صالح العمل. من المحتمل أن يخلي ابنها، روبرت، المنزل الآن بعد رحيلها، ولا تعرف أبدًا ما قد تعثر عليه.

- غالبًا الكثير من النفايات.

التقط جوني سكينه وشوكته، وبدأ يتناول الطعام، وتابع قائلًا:

- لكنك على حق يا عزيزتي. أعتقد أنه لا ضرر فيما لو أظهرنا وجودنا.

كان هناك عدد قليل جدًا من المتاجر في ساكسبي أون أيفون. بالطبع كان هناك المتجر العام، الذي يبيع كل ما يمكن أن يحتاج إليه أي شخص تقريبًا، من المماسح والدلاء، إلى مسحوق الكاسترد وستة أنواع مختلفة من المربى.

بدت معجزة بالفعل، كيف يمكن لهذا العدد من المنتجات المختلفة التناسب مع مثل هذه المساحة الصغيرة. كان السيد تيرنستون لا يزال يدير متجر الجزارة في الخلف - له مدخل منفصل، وشرائط بلاستيكية تتدلى إلى أسفل لإبعاد الذباب - وتأتي عربة الأسماك كل يوم ثلاثاء. لكن إذا أردت أي شيء غريب، مثل زيت الزيتون أو أيًا من مكونات طعام حوض البحر المتوسط التي ضمنتها إليزابيث ديفيد في كتبها، فسوف يتعين عليك الذهاب إلى باث. كان متجر الأجهزة الكهربائية المزعوم يقع على الجانب الآخر من ساحة القرية، لكن لم يكن يدخله سوى قلة قليلة من الناس، من أجل مصابيح كهربائية إضافية أو صمامات كهربائية. بدت معظم المنتجات المعروضة في النافذة مترية وعتيقة الطراز. كان هناك متجر كتب ومقهى يفتحان خلال أشهر الصيف فقط. بعيدًا عن الساحة، وقبل محطة الإطفاء، يقع المرأب الذي يبيع مجموعة من قطع غيار السيارات، لكن ليس شيئًا قد يرغب فيه أي شخص بالفعل. كان هذا كل شيء، ولطالما بقي الأمر على هذا النحو منذ أبعد ما يستطيع أي شخص التذكر.

ثم وصل جوني وجيما وايتهيد من لندن. اشتريا مكتب البريد القديم، الذي ظل خاليًا فترة طويلة، وحوَّلاه إلى متجر لبيع التُّحف، واسماهما مكتوبان بأحرف عتيقة فوق النافذة. علق كثيرون في القرية بأن «ديكورات رخيصة» قد تكون وصفًا أكثر دقة لمحتويات المتجر من «تحف»، لكن منذ البداية، أثبت المتجر شعبيته لدى الزوَّار الذين بدوا سعداء بالبحث بين الساعات القديمة، والأباريق التي على هيئة أشخاص، والأوعية التي تحوي أدوات المائدة، والعملات المعدنية، والميداليات، واللوحات الزيتية، والدمى، وأقلام الحبر، وأي شيء آخر معروض. أما إذا كان أحد يشتري شيئًا بالفعل على الإطلاق، فهذه مسألة أخرى. لكن المتجر ظل موجودًا هناك منذ ست سنوات إلى الآن، والزوجان وايتهيد يسكنان في الشقة الكائنة أعلاه.

كان جوني رجلًا قصيرًا عريض الكتفين، أصلع الرأس، وحتى لو لم يكن

لاحظ ذلك، فقد أخذ يزداد وزنًا. كان يحب ارتداء بدلات مبهرجة من ثلاث قطع، مهترئة نوعًا ما، مع ربطة عنق زاهية اللون عادة. من أجل الجنازة، أخرج على مضض سترة وسروالًا أكثر قتامة من الصوف الرمادي، ومثل القميص، لم يكن مقاسهما ملائمًا له. ارتدت زوجته اللون الأسود، وهي نحيفة وضئيلة للغاية إلى الدرجة التي كان يمكن معها وجود ثلاث منها مقابل واحد منه. لم تكن تتناول إفطارًا مطهيًا. صبت لنفسها كوبًا من الشاي، وأخذت تقضم مثلثًا من الخبز المحمص.

تمتم جوني كما لو طرأت عليه الفكرة مؤخرًا:

- لن يكون السير ماجنوس والليدي باي موجودين هناك.

- أين؟

- في الجنازة. لن يعودا حتى نهاية الأسبوع.

- من أخبرك بذلك؟

- لا أدري. كانوا يتحدثون عن ذلك في الحانة. لقد ذهبا إلى جنوب فرنسا، أو مكان ما. لا بأس في هذا بالنسبة إلى البعض، أليس كذلك؟ على أي حال، حاول الناس الوصول إليهما، لكن لم يحالفهم الحظ حتى الآن.

توقف جوني عن الحديث، وهو يحمل قطعة من النقانق. عند الاستماع إلى حديثه الآن، سيبدو جليًا أنه عاش معظم حياته في الطرف الشرقي من لندن. كانت لكنته تختلف تمامًا عندما يتعامل مع العملاء. واصل قائلًا:

- لن يسعد السير ماجنوس كثيرًا بهذا الأمر، إذ كان يميل إلى السيدة بلاكيستون بشدة. كان هذان الاثنان مقربين للغاية!

- ماذا تقصد؟ هل تقول إنه كان هناك شيء ما بينهما؟

جعدت جيما أنفها وهي تفكر في ذلك «الشيء».

- لا، ليس الأمر على هذا النحو. لم يكن ليجرؤ على ذلك، ليس مع وجود زوجته في المشهد، وعلى أي حال، لم يكن هناك شيء مميز في ماري بلاكيستون. لكنها كانت تعبده. كانت تعتقد أن الشمس تشرق من مؤخرته!

كما عملت مدبرة لمنزله سنوات وسنوات. حارسة المفاتيح! كانت تطبخ له، وتنظف له، ومنحته نصف حياتها. أنا متأكد أنه كان سيرغب في الوجود هناك من أجل الوداع.

- كان بإمكانهم انتظار عودته.

- أراد ابنها الانتهاء من الأمر، وفي الواقع لا أستطيع أن ألومه. كان الأمر برمته بمنزلة صدمة نوعًا ما.

جلس الاثنان في صمت بينما أنهى جوني إفطاره. راقبته جيما باهتمام. كثيرًا ما كانت تفعل هذا، كما لو أنها تحاول النظر إلى ما وراء مظهره الخارجي الهادئ بشكل عام، كأنها قد تعثر على شيء يحاول إخفاءه. سألته فجأة:

- ما الذي كانت تفعله هنا؟ ماري بلاكيستون؟

- متى؟

- يوم الاثنين السابق لوفاتها. كانت هنا.

- لا، لم تكن هنا.

وضع جوني سكينه وشوكته. كان قد تناول طعامه بسرعة، ومسح الطبق تمامًا.

- لا تكذب عليَّ يا جوني، لقد رأيتها تخرج من المتجر.

ابتسم جوني بضيق، وقال:

- أوه! المتجر! ظننتك تعنين أنني جلبتها هنا إلى الشقة. كان ذلك سيمثل أمرًا غريبًا، أليس كذلك؟

توقف عن الحديث، آملًا أن تغير زوجته الموضوع، لكن بما أنها لم تُظهر أي علامة على ذلك، واصل حديثه، واختار كلماته بعناية.

- أجل... لقد زارت المتجر بالفعل. وأعتقد أن ذلك كان في نفس أسبوع ما حدث. لا أتذكر حقًّا ما كانت تريده، إذا أردت الحقيقة يا عزيزتي. أعتقد أنها قالت شيئًا عن هدية لشخص ما، لكنها لم تشترِ شيئًا. على أي حال، فقد بقيت دقيقة أو دقيقتين فقط.

دائمًا ما كانت جيما وايتهيد تعرف حينما يكذب زوجها. رأت السيدة بلاكيستون

بالفعل وهي تخرج من المتجر، وسجلت ذلك في ذهنها، وقد خمنت بطريقة ما أن هناك شيئًا ليس على ما يرام. لكنها لم تذكر ذلك حينها، وقررت عدم متابعة الأمر الآن. لم ترغب في خوض مشادة، وبالتأكيد ليس عندما كانا على وشك الانطلاق لحضور جنازة.

بالنسبة إلى جوني وايتهيد، وعلى الرغم مما قاله، فقد كان يتذكر جيدًا لقاءه الأخير مع السيدة بلاكيستون. دخلت المتجر بالفعل، موجهة اتهاماتها تلك، وأسوأ ما في الأمر أنه كان لديها الدليل الذي يدعمها. كيف عثرت عليه؟ ما الذي قادها إليه في المقام الأول؟ لم تخبره بالطبع، لكنها أوضحت ما تعنيه تمامًا، الساقطة.

لم يكن ليخبر زوجته بهذا، بالتأكيد، لكنه أحس بسعادة فائقة لموتها.

٥

وقفت كلاريسا باي، مرتدية السواد من رأسها حتى أخمصَي قدميها، تتفحص نفسها في المرآة الطويلة في نهاية الردهة. لم تكن هذه هي المرة الأولى التي تساءلت فيها ما إذا كانت القبعة، بريشاتها الثلاث ووشاحها المجعد، مغاليًا فيها بعض الشيء. *De trop*، كما يُقال بالفرنسية. اشترتها من دون تفكير سابق من متجر لبيع الأشياء المستعملة في باث، وندمت على ذلك بعد لحظة. أرادت أن تبدو في أفضل حالاتها للجنازة. ستكون القرية بأكملها هناك، وقد دُعيت إلى تناول القهوة والمشروبات الغازية بعد ذلك في حانة كوينز آرمز. بالقبعة أو من دونها؟ أزالتها بحرص، ووضعتها على طاولة الردهة.

كان شعرها داكنًا بدرجة زائدة. طلبت قصه خصيصًا، وعلى الرغم من أن رينيه أدى عمله المعتاد على نحو ممتاز، فلا شك أن ذلك العامل الجديد لديه، المسؤول عن صبغ الشعر، كان بمنزلة خيبة أمل للمكان. بدت سخيفة، كما لو أنها شيء ما من غلاف مجلة هوم تشات. حسنًا، لقد حسم ذلك الأمر، إذن.

سيتعين عليها ارتداء القبعة فحسب. أخرجت أنبوبًا من أحمر الشفاه، ووضعته على شفتيها بعناية. بدا ذلك أفضل بالفعل. من المهم بذل الجهد.

لن تبدأ الجنازة قبل أربعين دقيقة أخرى، ولم ترِد أن تكون أول من يصل. كيف ستشغل الوقت؟ دخلت المطبخ حيث تنتظرها الأطباق المتبقية من الإفطار، لكنها لم ترغب في غسلها وهي ترتدي أفضل ملابسها. وُضع كتاب مقلوب على الطاولة. كانت تقرأ جين أوستن - العزيزة جين - للمرة الألف، لكنها لم تشعر بالرغبة في ذلك أيضًا الآن. ستلحق بإيما وودهاوس ومكائدها في فترة ما بعد الظهيرة. ربما الاستماع إلى الراديو؟ أو شرب كوب آخر من الشاي، ومحاولة سريعة لحل الكلمات المتقاطعة في صحيفة التليجراف؟ أجل، هذا هو ما ستفعله.

كانت كلاريسا تعيش في منزل حديث. كانت العديد من المباني في ساكسبي أون أيفون منشآت راسخة من الطراز الجورجي مبنية بأحجار مدينة باث، بها أروقة جميلة بأعمدة، وحدائق ترتفع على شكل مصاطب. لم تكن بحاجة إلى قراءة جين أوستن، فإذا خطوت إلى الخارج، فستجد نفسك في عالمها بالفعل. كانت تفضِّل كثيرًا العيش بجانب الساحة الرئيسية، أو في طريق ريكتوري الممتد وراء الكنيسة. كانت هناك بعض الأكواخ الجميلة والأنيقة، معتنى بها جيدًا. بُني المنزل رقم ٤ في وينزلي تيراس على عجل. كان منزلًا عاديًا تمامًا به غرفتا استقبال بالطابق السفلي، وغرفتا نوم بالطابق العلوي، بواجهة مغطاة بالحصى وحديقة مربعة تكاد لا تستحق العناء. كان مطابقًا للمنازل المجاورة له، باستثناء البركة الصغيرة التي أضافها الملاك السابقون، والتي يعيش فيها زوجان من سمك الزينة الذهبي العجوز. منطقة ساكسبي أون أيفون العليا، ومنطقة ساكسبي أون أيفون السفلى. كان الفارق بينهما لافتًا للأنظار بشدة، وهي في النصف الخطأ.

كان هذا المنزل هو كل ما تستطيع تحمُّل ثمنه. للحظة وجيزة، تفحصت المطبخ الصغير المربع بستائره الشبكية، والجدران الحمراء المائلة إلى

الأرجواني، ونبات الأسبدسترا على قاعدة النافذة، والصليب الخشبي الصغير المتدلي من خزانة الأطباق، حيث يمكنها رؤيته في بداية كل يوم. ألقت نظرة سريعة على أدوات الإفطار، التي لا تزال متراصة على الطاولة: طبق واحد، وسكين واحد، وملعقة واحدة، وجرة نصف فارغة من مربى البرتقال ماركة «جولدن شريد». فجأة، شعرت بتدفق المشاعر التي ألفتها على مر السنين، لكن كان لا يزال يتعين عليها محاربتها بكل قوتها. كانت وحيدة. ما كان عليها أن تأتي هنا أبدًا. كانت حياتها بأكملها مهزلة.

وكل ذلك بسبب اثنتي عشرة دقيقة.

اثنتي عشرة دقيقة!

رفعت الغلاية، ووضعتها على الموقد، وأشعلت الغاز بلفة عنيفة من يدها. لم يكن الأمر عادلًا بالفعل. كيف يمكن أن يقرر أحد مصير حياة شخص برمتها، لمجرد توقيت ولادته؟ لم تفهم ذلك حقًا على الإطلاق، عندما كانت طفلة في باي هول. كانت هي وماجنوس توأمين، متساويين وسعيدين بالحماية التي توفرها كل الثروة والامتيازات المحيطة بهما، والتي سيتمتع بها كلاهما لبقية حياتهما. هذا هو ما ظنته على الدوام. كيف يمكن أن يكون قد حدث لها هذا؟

باتت تعرف الجواب الآن. ماجنوس نفسه هو اول من أخبرها عن شرط يحدد التصرف في الميراث يعود إلى قرون مضت، مما يعني أن المنزل والتركة بأكملهما سيؤولان إليه لمجرد كونه مولودًا أولًا، علاوة على اللقب بالطبع، نظرًا إلى كونه ذكرًا، ولم يكن هناك ما يمكن أن يفعله أي شخص حيال ذلك. ظنت أنه يختلق هذا كي يغيظها فحسب، لكنها سرعان ما اكتشفت الأمر. كانت عملية استنزاف، بدأت بوفاة والديها في حادث سيارة حينما كانت في منتصف العشرينيات من عمرها. انتقل المنزل بصورة رسمية إلى ماجنوس، ومنذ تلك اللحظة، تغير وضعها. صارت ضيفة في منزلها، وعلاوة على ذلك غير مرغوب فيها. نُقلت إلى غرفة أصغر، وعندما التقى ماجنوس بفرانسيس وتزوجها - كان ذلك بعد عامين من الحرب - جرى إقناعها بلطف بالرحيل تمامًا عن المنزل.

أمضت عامًا بائسًا في لندن، حيث استأجرت شقة صغيرة في بايزووتر، وراقبت مدخراتها وهي تنفد. في النهاية، صارت مربية. ما الخيار المتاح لامرأة عزباء تتحدث الفرنسية على نحو مقبول، وتعزف على البيانو، ويمكنها إلقاء أعمال كل الشعراء الكبار، لكن ليست لديها أي مهارات أخرى يمكن تمييزها؟ بروح المغامرة، ذهبت إلى أمريكا: أولًا إلى بوسطن، ثم إلى واشنطن. كانت كلتا الأسرتين اللتين عملت لديهما مروعة للغاية، وبالطبع فقد عاملتاها بوضاعة، على الرغم من كونها تُعَد من جميع النواحي أكثر خبرة (لكنها لم تكن لتقول ذلك بنفسها قَطُّ) وأكثر رقيًا. والأطفال! بدا من الواضح لها أن الأطفال الأمريكيين هم الأسوأ في العالم، بلا أخلاق ولا تربية، والقليل جدًا من الذكاء. مع ذلك، فقد حصلت على أجر جيد، وقد ادخرت كل سنت - كل سنت - نالته، وعندما لم تعد تطيق تحمُّل المزيد، عادت إلى موطنها بعد عشر سنوات طويلة.

كان موطنها هو ساكسبي أون أيفون. بطريقة ما، كان ذلك آخر مكان تريد الوجود فيه، لكنه كان حيث وُلدت ونشأت. إلى أين يمكنها الذهاب إلى سواه؟ هل ترغب في قضاء باقي حياتها في غرفة بمنزل مشترك في بايزووتر؟ من حسن الحظ، ظهرت وظيفة في المدرسة المحلية، وبكل الأموال التي ادخرتها، تمكنت بالكاد من تحمُّل تكلفة الرهن العقاري. لم يساعدها ماجنوس بالطبع، ولم تكن هي لتحلم بأن تطلب منه ذلك. في البداية، أثار الأمر غضبها عند رؤيته يقود السيارة خارجًا وداخلًا إلى المنزل الكبير، حيث لعب كلاهما ذات مرة. كان لا يزال بحوزتها مفتاح - مفتاحها الخاص - للباب الأمامي! لم تُعِده قَطُّ، ولن تفعل أبدًا. كان المفتاح رمزًا إلى كل ما فقدته، لكنه في الوقت نفسه يذكرها بأن لها كل الحق في البقاء. من شبه المؤكد أن وجودها هنا شكَّل مصدرًا للحرج لشقيقها، وكان هناك بعض العزاء في ذلك.

اجتاحت المرارة والغضب كلاريسا باي وهي تقف بمفردها في مطبخها، والغلاية تصفر في وجهها بالفعل بنغمة متصاعدة. لطالما كان من يتمتع

بالذكاء، هي، وليس ماجنوس. احتل المركز الأخير من بين طلاب صفه، وتلقى تقارير دراسية مروعة، بينما احتفى بها المعلمون. كان كسولًا لأنه يعلم أن بوسعه التصرف على ذلك النحو. لم يكن لديه ما يقلق بشأنه. هي التي تعين عليها الخروج والعثور على عمل، أي عمل، كي تعيل نفسها يومًا بعد يوم. كان يملك كل شيء، والأسوأ من ذلك أنها لم تكن تمثل له أي شيء. لماذا كانت ذاهبة حتى إلى هذه الجنازة؟ خطر لها فجأة ان شقيقها كان أكثر قربًا من ماري بلاكيستون، من قربه منها هي في أي وقت على الإطلاق. مربية منزل وضيعة، بحق السماء!

التفتت ونظرت إلى الصليب، وهي تتأمل الشكل الصغير الذي كان مسمَّرًا في الخشب. أوضح الكتاب المقدس ذلك تمامًا: «لا تشتهِ بيت قريبك. لا تشتهِ امرأة قريبك، ولا عبده، ولا أمته، ولا ثوره، ولا حماره، ولا شيئًا مما لقريبك». حاولت جاهدة أن تطبق على حياتها كلمات الآية ١٧ من الإصحاح ٢٠ من سفر الخروج، وكادت تنجح من نواحٍ عديدة. بالطبع تود أن تصير أكثر ثراءً، وتريد تشغيل التدفئة في الشتاء من دون القلق بشأن الفواتير، فهذا من الطبيعة البشرية فحسب. عند ذهابها إلى الكنيسة، كثيرًا ما حاولت تذكير نفسها بأن ما حدث لم يكن خطأ ماجنوس، وحتى لو لم يكن من ألطف وأرق الأشقاء - في الواقع كان أبعد ما يكون عن ذلك - فقد كان لا يزال يتعين عليها محاولة مسامحته. «فإنه إن غفرتم للناس زلاتهم، يغفر لكم أيضًا ابوكم السماوي».

لم يفلح الأمر.

دعاها إلى تناول العشاء بين الحين والحين. كانت آخر مرة قبل شهر واحد فقط، وفي أثناء جلوسها لتناول العشاء في القاعة الكبرى ذات اللوحات العائلية المعلقة بها، والشرفة الداخلية المخصصة لجلوس العازفين، وهي واحدة من بين عشرات الضيوف يُقدم إليهم الطعام والنبيذ على أطباق فاخرة وفي كؤوس بلورية، كانت تلك هي اللحظة التي تسللت فيها الفكرة إلى ذهنها لأول مرة، وبقيت هناك منذ ذلك الحين. عاودتها الآن. حاولت تجاهلها، وصلَّت من أجل

زوالها، لكن في النهاية كان عليها تقبل أنها تفكر جديًا في خطيئة أفظع بكثير من الجشع، والأسوأ من ذلك أنها اتخذت الخطوة الأولى لتنفيذها. كان الأمر جنونيًا. رغمًا عنها، ألقت نظرة نحو الأعلى وهي تفكر فيما أخذته، وما يختبئ في خزانة حمَّامها.

لا تقتل.

همست بالكلمات، لكن لم يخرج صوت. وراءها، شرعت الغلاية في الصراخ. اختطفتها وقد نسيت أن المقبض سيكون ساخنًا، ثم وضعتها بعنف مرة أخرى مع صرخة ألم صغيرة. غسلت يدها تحت صنبور الماء البارد وهي دامعة. لم يكن ذلك أكثر مما تستحق.

بعد بضع دقائق، نسيت شايها، وجذبت القبعة من فوق الطاولة وغادرت لحضور الجنازة.

٦

وصلت عربة الموتى إلى مشارف ساكسبي أون أيفون، وكان من المحتم أن يقودها طريقها عبر مدخل باي هول، بتمثالَي الغرفين الحجريين والكوخ الخشبي الذي بات صامتًا الآن. لم يكن هناك إلا طريق رئيسي واحد من باث، وكان الاقتراب من القرية من أي طريق آخر ينطوي على كثير من الالتفاف. هل كان هناك شيء مؤسف في نقل المرأة الميتة عبر المنزل نفسه الذي عاشت فيه ذات مرة؟ لو أن أحدًا سأل متعهدَي الدفن، جيفري لانر ومارتن كرين (كلاهما من نسل المؤسسين الأصليين) لقالا العكس تمامًا. بل كانا سيصران، أليست هناك رمزية معينة في المصادفة، بل حتى حس بأن الدائرة قد انغلقت؟ كان الأمر كما لو أن ماري بلاكيستون قد أتمت دائرة كاملة.

بينما هو جالس في المقعد الخلفي، شعر بالغثيان والخواء في وجود النعش الراقد خلفه، ألقى روبرت بلاكيستون نظرة سريعة على منزله القديم كما لو

أنه لم يسبق أن رآه من قبل. لم يدرِ راسه ليبقيه أمام ناظريه في أثناء مرورهم عبره، ولم يفكر فيه حتى. عاشت والدته هناك، وها قد ماتت الآن، وهي ممددة خلفه. كان روبرت في الثامنة والعشرين من عمره، شاحبًا وناحلًا، بشعر أسود مقصوص في خط مستقيم بعرض جبهته، ويسير في منحنيين مثاليين حول كل أذن. بدا غير مرتاح في البدلة التي يرتديها، وهو ما لم يكن مفاجئًا، إذ إنها لم تكن ملكًا له، بل أُعيرت له من أجل الجنازة. كان روبرت يمتلك بدلة بالفعل، لكن خطيبته، جوي، أصرت على انها ليست أنيقة بما يكفي، وتمكنت من استعارة بدلة جديدة من والدها، مما كان سببًا في حدوث جدال، ثم أقنعته بارتدائها، مما أدى إلى جدال آخر.

جلست جوي بجانبه في عربة الموتى. تحدثا بالكاد منذ أن غادرا باث، وكلاهما منشغل بأفكاره، وكلاهما يشعر بالقلق.

أحيانًا كان يبدو لروبرت أنه أخذ يحاول الهروب من والدته منذ يوم ولادته تقريبًا. كان قد نشأ بالفعل في الكوخ الخشبي، حيث عاش فيه كلاهما فقط، أحدهما فوق الآخر، وقد اعتمد كلاهما على الآخر، لكن بطرق مختلفة. لم يكن لديه شيء من دونها، ولم تكن هي شيئًا من دونه. ارتاد روبرت المدرسة المحلية، حيث اعتُبر طفلًا ذكيًا، يمكنه التفوق إذا تمكن فقط من التركيز على دراسته بدرجة أكبر بعض الشيء. كان لديه قليل من الأصدقاء، وكثيرًا ما أحس المعلمون بالقلق لرؤيته واقفًا بمفرده في الملعب الصاخب، بينما يتجاهله الأطفال الآخرون. في الوقت نفسه، كان الأمر مفهومًا تمامًا. وقعت مأساة عندما كان صغيرًا جدًا، إذ توفي شقيقه الأصغر - في حادث مروع - وهجر والده الأسرة بعد ذلك بوقت قصير، لائمًا نفسه. كان الحزن الناتج عن ذلك لا يزال عالقًا به، وتفاداه الأطفال الآخرون كما لو أنهم يخشون العدوى.

لم يبلِ روبرت في الفصل بلاءً جيدًا قَطُّ. حاول معلموه التماس الأعذار لسلوكه السيئ وعدم تحقيقه أي تقدم، آخذين ظروفه في الحسبان، لكن مع ذلك أحسوا بالارتياح سرًا عندما بلغ السادسة عشرة ورحل عن المدرسة. كان

هذا بالمناسبة في عام ١٩٤٥، عند نهاية حرب كان أصغر من أن يقاتل فيها، لكنها سلبته والده فترات طويلة من الزمن. كان هناك العديد من الأطفال الذين تأثر تعليمهم، وبهذه الطريقة كان مجرد ضحية أخرى. لم تكن هناك فرصة لذهابه إلى الجامعة. ومع ذلك، فقد كان العام الذي أعقب ذلك مخيبًا للآمال. استمر في العيش مع والدته، وعمل في أعمال متفرقة بين الحين والحين في أرجاء القرية. اتفق جميع من يعرفه على أنه يبخس قدر نفسه. وعلى الرغم من كل شيء، فقد كان أذكى كثيرًا من أن يعيش مثل تلك الحياة.

في النهاية، كان السير ماجنوس باي، الذي وظف ماري بلاكيستون وحل محل ولي أمره طوال السنوات السبع الماضية، هو من أقنع روبرت بالحصول على وظيفة مناسبة. عند عودته من الخدمة الوطنية، ساعده السير ماجنوس على العثور على تدريب مهني كميكانيكي في قسم الخدمة لدى مورد سيارات فورد الرئيسي في بريستول. ربما من المدهش أن والدته كانت أبعد ما تكون عن الامتنان. كانت تلك هي المرة الوحيدة التي تجادلت فيها مع السير ماجنوس. انتابها القلق بشأن روبرت، ولم ترده أن يعيش بمفرده في مدينة بعيدة. أحست أن السير ماجنوس تصرف من دون استشارتها، بل حتى من وراء ظهرها.

لم يكن الأمر مهمًا بدرجة كبيرة في الواقع، لأن التدريب المهني لم يستمر طويلًا. غاب روبرت لمدة ثلاثة أشهر فقط، حينما خرج لتناول الشراب في حانة ذا بلو بور في بريسلينجتون، حيث اشتبك في شجار تفاقم، واستُدعيت الشرطة. أُلقي القبض على روبرت، وعلى الرغم من عدم توجيه الاتهام إليه، فإن أرباب عمله استاءوا من الأمر، وأنهوا تدريبه المهني. عاد روبرت إلى المنزل مرة أخرى على مضض. تصرفت والدته كما لو أنها قد بُرِّئت من اللوم بطريقة ما. لم تكن ترغب في رحيله قَطُّ، ولو أنه استمع إليها فحسب، لوفر عليهما كثيرًا من المتاعب. بدا لكل من يعرفهما أنهما لم ينسجما معًا مرة أخرى قَطُّ منذ ذلك اليوم.

كان قد عثر على مهنته على الأقل. أحب روبرت السيارات، وبرع في إصلاحها.

تصادف أن هناك وظيفة شاغرة لميكانيكي بدوام كامل في المرأب المحلي، وعلى الرغم من عدم امتلاك روبرت الخبرة الكافية، فقد قرر المالك أن يمنحه فرصة. لم يكن راتب الوظيفة كبيرًا، لكنها وفرت الإقامة في شقة صغيرة فوق الورشة؛ كجزء من الصفقة. كان ذلك مناسبًا جدًا لروبرت. أوضح تمامًا أنه لم يعد يرغب في العيش مع والدته، وأنه يجد الكوخ الخشبي لا يطاق. انتقل إلى الشقة، وبقي هناك منذ ذلك الحين.

لم يكن روبرت بلاكيستون طموحًا، كما لم يكن فضوليًا على وجه الخصوص. كان يمكنه الاستمرار في حياة مقبولة، لا أكثر ولا أقل، لكن كل شيء تغير عندما شُوهت يده اليمنى في حادث كان يمكن أن يتسبب في قطعها تمامًا. كان ما حدث مألوفًا للغاية، ويمكن تجنبه تمامًا: سقطت السيارة التي كان يعمل عليها من فوق الرافعة، وتفادته بمقدار عدة بوصات. كانت الرافعة المتهاوية هي ما اصطدم به، ودخل عيادة الدكتورة ريدوينج مترنحًا ممسكًا يده كما يُمسك الطفل، والدماء تتدفق على ملابس عمله. حينها التقى جوي ساندرلنج، التي بدأت العمل لتوها ممرضة وموظفة استقبال جديدة. وعلى الرغم من ألمه؛ فإنه لاحظها على الفور، جميلة جدًا، لها شعر أشقر داكن يحيط بوجهها الذي يعلوه النمش. فكر فيها في سيارة الإسعاف، بعد أن ضمدت الدكتورة ريدوينج عظامه المكسورة، وأرسلته إلى مستشفى رويال يونايتد في باث. تعافت يده منذ فترة طويلة، لكنه ظل يذكر الحادث دومًا، وكان سعيدًا لحدوثه لأنه عرَّفه على جوي.

عاشت جوي مع والديها في منزلهم في لوير ويستوود. كان والدها رجل إطفاء شارك ذات مرة مع القوات العاملة بالجيش، وهو متمركز في محطة الإطفاء في ساكسبي أون أيفون، لكنه صار يعمل في الإدارة الآن. بقيت والدتها في المنزل لرعاية ابنها الأكبر، الذي كان بحاجة إلى رعاية بدوام كامل. مثل روبرت، غادرت جوي المدرسة في سن السادسة عشرة، ولم ترَ إلا القليل جدًا من العالم خارج مقاطعة سومرست. لكن على عكسه، كان لديها دائمًا طموح إلى السفر. قرأت

كتبًا عن فرنسا وإيطاليا، وتعلمت حتى بعض الكلمات الفرنسية من كلاريسا باي، التي أعطتها دروسًا خاصة. عملت مع الدكتورة ريدوينج لمدة ثمانية عشر شهرًا، وهي تأتي إلى القرية في كل صباح على الدراجة البخارية ذات اللون الوردي الزاهي التي اشترتها بالتقسيط.

طلب روبرت الزواج بجوي في ساحة الكنيسة، وقبلت. كانا يخططان للزواج في كنيسة سانت بوتولف في الربيع المقبل. سيستغلان الوقت حتى ذلك الحين لادخار ما يكفي من المال من أجل شهر عسل في فينيسيا. وعدها روبرت بأنه في اليوم الأول لوجودهما هناك، سيصطحبها في جولة بالجندول. سيحتسيان الشمبانيا بينما يطفوان أسفل جسر التنهدات. خططا كل شيء.

كان من الغريب جدًا أن يجلس بجانبها الآن، ووالدته في الخلف، لا تزال تعترضهما، لكن بطريقة مختلفة تمامًا. تذكر المرة الأولى التي اصطحب فيها جوي إلى الكوخ الخشبي لتناول الشاي. كانت والدته غير ودود تمامًا، بتلك الطريقة التي يعرفها جيدًا للغاية، واضعة غطاءً فولاذيًا على كل مشاعرها، بحيث لم يظهر من خلالها إلا قشرة باردة من الأدب.

- كم هو لطيف أن ألتقي بك. لوير ويستوود؟ أجل، أعرفها جيدًا. ووالدك رجل إطفاء؟ كم يبدو هذا مثيرًا للاهتمام.

تصرفت مثل إنسان آلي، أو ربما ممثل في مسرحية سيئة للغاية، وعلى الرغم من أن جوي لم تشكُ، ولم تتصرف إلا بطبيعتها اللطيفة المعتادة، فإن روبرت أقسم إنه لن يُعرضها لذلك مرة أخرى. تجادل مع والدته ذلك المساء، وفي الحقيقة لم يتصرف الاثنان معًا بتهذيب منذ ذلك الحين.

لكن أسوأ جدال وقع قبل أيام قليلة فحسب، عندما كان الكاهن وزوجته غائبين في إجازة، وماري بلاكيستون تتولى العناية بالكنيسة. التقيا خارج حانة القرية. كانت حانة كوينز آرمز بجوار كنيسة سانت بوتولف مباشرة، وكان روبرت جالسًا في ضوء الشمس، يستمتع بتناول الشراب بعد العمل. رأى والدته وهي تسير عبر المقابر. على الأرجح كانت ترتب الزهور لتصير

جاهزة لقداس نهاية الأسبوع، الذي سيعقده كاهن من أبرشية مجاورة. رأته، وأتت نحوه مباشرة.

- قلت إنك ستصلح ضوء المطبخ.

نعم، نعم، نعم. الضوء الكائن فوق الموقد. كان المصباح فقط هو المشكلة، لكن من الصعب الوصول إليه. قال إنه سيفعل ذلك منذ أسبوع. كثيرًا ما كان يمر بالكوخ الخشبي عند وجود مشكلة، لكن كيف تطور شيء تافه بهذه الدرجة، إلى مثل هذا الجدال السخيف، وكلاهما لا يصرخ في الآخر تمامًا، لكنهما يتحدثان بصوت مرتفع بما فيه الكفاية ليسمعه كل من يجلس خارج الحانة؟

- لماذا لا تتركينني وشأني فحسب؟ أتمنى فقط لو أنك سقطت ميتة، لتمنحيني بعض السلام.

- أوه، أجل، سيعجبك هذا، أليس كذلك؟

- أنتِ على حق! سوف يعجبني هذا.

هل تفوَّه لها بمثل هذه الكلمات بالفعل، وفي مكان عام؟ التفت روبرت خلفه، وحدق إلى سطح الخشب الخالي، غطاء النعش بإكليله من زهور الزنبق البيضاء. وبعد بضعة أيام فقط، لم تكمل حتى أسبوعًا بعدها، عُثر على والدته أسفل الدرج في باي هول. كان العامل المسؤول عن الحدائق، برينت، هو من أتى إلى المرأب وأبلغه بالأخبار، وحتى في أثناء حديثه، بدت في عينيه نظرة غريبة. هل كان في الحانة ذلك المساء؟ هل سمع؟

قالت جوي:

- لقد وصلنا.

التفت روبرت ثانية. كانت الكنيسة أمامهما حقًا، وقد امتلأت المقبرة بالمعزين بالفعل. لا بد أنه كان هناك ما لا يقل عن خمسين منهم. أحس روبرت بالدهشة. لم يعتقد قَطُّ أن والدته لديها هذا القدر من الأصدقاء.

تباطأت السيارة، وتوقفت. فتح له شخص ما الباب.

قال روبرت:

- لا أريد فعل هذا.

مد يده وأمسك بها، كطفل تقريبًا.

- لا بأس يا روب، سأكون معك. سرعان ما سينتهي كل شيء.

ابتسمت له، وشعر بالتحسن في الحال. ماذا سيفعل من دون جوي؟ غيرت له حياته، وكانت تمثل كل شيء بالنسبة إليه.

نزلا وشرعا في السير نحو الكنيسة.

٧

كانت غرفة النوم في الطابق الثالث من فندق جنيفييف في كاب فيرات، بمشهد مطل على الحدائق والشرفات. توهجت الشمس بالفعل وسط سماء زرقاء صافية. كان أسبوعًا رائعًا: طعام ممتاز، ونبيذ فخم، والاختلاط مع الجمع المعتاد في حوض البحر المتوسط. مع ذلك، كان السير ماجنوس باي في حالة مزاجية سيئة، وهو ينهي حزم أمتعته. كانت الرسالة التي وصلت قبل ثلاثة أيام قد أفسدت عطلته تمامًا، وتمنى لو أن الكاهن اللعين لم يرسلها قَطُّ. كان ذلك تصرفًا نموذجيًا تمامًا من الكنيسة، دومًا ما تتدخل، وتفسد متعة الجميع.

راقبته زوجته بتكاسل من الشرفة. كانت تدخن سيجارة، وقالت:

- سوف يفوتنا القطار.

- لن يرحل القطار قبل ثلاث ساعات، لدينا كثير من الوقت.

سحقت فرانسيس باي سيجارتها، ودخلت الغرفة. كانت امرأة سمراء متغطرسة، أطول قليلًا من زوجها، وبالتأكيد أكثر مهابة منه. كان قصيرًا وممتلئًا، بوجنتين متوردتين ولحية داكنة انتشرت عبر وجنتيه على استحياء، ولم تتمكن من احتلال وجهه تمامًا. كان في الثالثة والخمسين من عمره الآن، ويحب ارتداء بدلات تبرز عمره ومكانته في الحياة. صُنعت له خصيصًا، مقابل ثمن باهظ، كاملة مع صدرية. بدا كلاهما زوجًا غير متوقع: الإقطاعي الريفي، والممثلة الهوليوودية

ربما. سانشو بانزا ودولسينيا ديل توبوسو. وعلى الرغم من كونه صاحب اللقب، فإنه كان في الواقع يليق بها بدرجة أكبر. قالت:

- كان عليك أن تغادر في الحال.

نخر ماجنوس محاولًا إغلاق غطاء حقيبته بالقوة، وقال:

- قطعًا لا، لم تكن إلا مدبرة منزل لعينة.

- كانت تعيش معنا.

- كانت تعيش في الكوخ الخشبي، وهو أمر مختلف تمامًا.

- ترغب الشرطة في التحدث معك.

- يمكن للشرطة التحدث معي بمجرد عودتي، ولا يعني ذلك أن لديَّ أي شيء لأخبرهم به. يقول الكاهن إنها تعثرت في سلك كهربائي. إنه شيء مؤسف، لكنه ليس خطئي. لن يلمحوا إلى أنني قتلتها، أو شيء من هذا القبيل؟

- لن أستبعد عنك ذلك يا ماجنوس.

- حسنًا، لم يكن بوسعي ذلك. كنت معك هنا طوال الوقت.

راقبت فرانسيس باي زوجها وهو يغالب الحقيبة، ولم تعرض المساعدة. قالت:

- ظننت أنك كنت تميل إليها.

- كانت طاهية ماهرة، وأدت عملها في التنظيف على نحو جيد، لكن إذا أردت الحقيقة، لم أكن حقًّا أطيق رؤيتها، هي وابنها ذاك. لطالما اعتقدت أن بها شيئًا مبهمًا نوعًا ما، لتلك الطريقة التي كانت تتجول بها في المكان، مع تلك النظرة في عينيها... كما لو أنها تعرف شيئًا لا تعرفينه أنت.

- مع ذلك لا يزال يتعين عليك الذهاب إلى الجنازة.

- لماذا؟

- لأن القرية ستلحظ أنك لست موجودًا هناك، ولن يحبوك بسبب ذلك.

- إنهم لا يحبونني على أي حال. وسيحبونني بدرجة أقل حتى عندما يبلغهم خبر دينجل ديل. ما الذي يعنيني في ذلك؟ لم أخطط قَطُّ للفوز بأي

مسابقات في «الشعبية»، وعلى أي حال، هذه هي مشكلة العيش في الريف. كل ما يفعله الناس هو الثرثرة. حسنًا، يمكنهم التفكير فيَّ كما يشاءون. في الواقع، يمكنهم جميعًا الذهاب إلى الجحيم.

أغلق الأقفال بإبهاميه فأصدرت تكة، وتراجع في جلسته وهو يلهث بعض الشيء من الجهد الذي بذله.

نظرت إليه فرانسيس بفضول، وللحظة ظهر في عينيها شيء ما يتردد بين الازدراء والاشمئزاز. لم يعد هناك أي حب في زيجتهما، وكلاهما يعرف ذلك. بقيا معًا لأن ذلك كان مناسبًا. حتى في حرارة الريفييرا الفرنسية، كان الجو في الغرفة باردًا. قالت:

- سأطلب حمَّالًا. يجب أن تكون سيارة الأجرة هنا الآن.

بينما هي تتحرك نحو الهاتف، لاحظت بطاقة بريدية ملقاة على الطاولة. كانت موجهة إلى فريدريك باي في عنوان في هاستينجز. وبخته قائلة:

- بحق السماء يا ماجنوس، أنت لم ترسل تلك البطاقة إلى فريدي على الإطلاق. لقد وعدت بأن تفعل، وقد ظلت ملقاة هنا طوال الأسبوع.

تنهدت، وتابعت قائلة:

- سيكون قد عاد إلى المنزل قبل وصولها.

- حسنًا، يمكن أن ترسلها الأسرة التي يقيم معها. إنها ليست نهاية العالم. ليس الأمر كما لو أن لدينا شيئًا مثيرًا للاهتمام كي نقوله.

- إن البطاقات البريدية لا تكون مثيرة للاهتمام أبدًا. ليس هذا هو الهدف.

التقطت فرانسيس باي الهاتف، واتصلت بمكتب الاستقبال. بينما هي تتحدث، تذكر ماجنوس شيئًا ما. كان ذكر البطاقة البريدية هو السبب في ذلك. شيئًا ما قالته، ماذا كان؟ بطريقة ما، كان متعلقًا بالجنازة التي سيفوتها اليوم. أوه، أجل! كم هو أمر غريب للغاية. سجل ماجنوس باي ملحوظة في ذهنه، لن ينساها. كان هناك شيء ما يتعين عليه فعله، وسيفعله بمجرد وصوله إلى المنزل.

٨

«جعلت ماري ساكسبي أون أيفون مكانًا أفضل للجميع، سواء بترتيب الزهور كل يوم أحد في هذه الكنيسة نفسها، وزيارة المسنين هنا وفي آشتون هاوس، وجمع المال لصالح الجمعية الملكية لحماية الطيور، أو الترحيب بالزوّار في باي هول. لطالما كانت كعكاتها المصنوعة منزليًا هي نجمة حفل القرية، ويمكنني إخباركم بأنه كانت هناك العديد من المناسبات التي فاجأتني فيها في خزانة الكنيسة بواحدة من حلواها المصنوعة من اللوز، أو ربما شريحة من كعك فيكتوريا الإسفنجي».

سارت الجنازة بالطريقة التي تسير بها الجنازات: ببطء، وبلطف، مع شعور هادئ بحتمية الأمور. حضر جيفري ويفر عددًا كبيرًا من الجنازات، وقف فيها جانبًا، وأبدى اهتمامًا شديدًا بالأشخاص الذين يجيئون ويذهبون، وفي الواقع بمن يجيئون ويبقون. لم يخطر بباله قَطُّ أنه في يوم من الأيام، في المستقبل غير البعيد، سيكون هو من يُدفن. كان في الثالثة والسبعين من عمره فحسب، وقد عاش والده حتى بلغ مائة عام. كان لا يزال لديه متسع من الوقت.

اعتبر جيفري نفسه يجيد الحكم على الشخصيات، وألقى نظرة تكاد تشبه نظرة الرسّام على الحشد المتجمع حول القبر الذي حفره بنفسه. كان لديه رأي خاص بشأن كل واحد منهم. وأي مكان أفضل من جنازة، لدراسة الطبيعة البشرية؟

بداية، كان هناك الكاهن نفسه، بوجهه الذي يشبه شاهد القبر، وشعره الطويل الأشعث بعض الشيء. تذكر جيفري عندما جاء إلى ساكسبي أون أيفون لأول مرة، ليحل محل الكاهن مونتاجو الذي صار غريب الأطوار على نحو متزايد في سن الشيخوخة، يكرر حديثه خلال الخطب، ويغفو خلال الصلوات المسائية. كان الزوجان أوسبورن محل ترحيب كبير عند وصولهما، حتى لو كانا زوجين غريبين بعض الشيء، وكانت الزوجة أقصر منه كثيرًا، ممتلئة الجسد إلى حدٍّ بعيد، ومشاكسة. بالتأكيد لم تكن تمتنع قَطُّ عن التعبير عن آرائها، وهو الأمر

الذي أعجب جيفري للغاية، على الرغم من أنها ربما لم تكن فكرة جيدة بالنسبة إلى زوجة كاهن. كانت بإمكانه رؤيتها الآن، تقف خلف زوجها وتومئ إليه برأسها عندما توافق على ما يقوله، وتعبس حينما لا توافق. بالقطع كان كلٌّ منهما مقربًا من الآخر. كان هذا مؤكدًا. لكنهما كانا غريبَي الأطوار بأكثر من طريقة. على سبيل المثال، ما سبب اهتمامهما بباي هول؟ أوه، أجل، لقد شاهدهما عدة مرات وهما يتسللان إلى الغابة الواصلة إلى طرف حديقتهما، والفاصلة بين أملاكهما والسير ماجنوس باي. استغل عدد غير قليل من الناس دينجل ديل كطريق مختصر للوصول إلى منزل مالك العزبة. وفر ذلك السير طول المسافة حتى طريق باث، ثم الدخول عبر المدخل الرئيسي. لكن الناس لم يفعلوا ذلك عادة في منتصف الليل. تساءل عما يفعلانه.

لم يكن لدى جيفري أي وقت للسيد والسيدة وايتهيد، ولم يتحدث إليهما قَطُّ في الواقع. على حد رأيه، كانا من سكان لندن، ولا مكان لهما في ساكسبي أون أيفون. لم تكن القرية بحاجة إلى متجر لبيع التحف على أي حال. كان ذلك إهدارًا للمكان. يمكنك أن تأخذ مرآة قديمة، أو ساعة قديمة، أو أي شيء آخر، وتضع عليه سعرًا غبيًا وتُسمِّيه «تحفة»، لكنه سيظل مجرد خردة، ومن يعتقد خلاف ذلك فهو شديد الحماقة. الحقيقة أنه لم يثق بأيٍّ منهما. بدا له أنهما يتظاهران بكونهما شيئًا خلاف ما هما عليه في الواقع، تمامًا مثل الأشياء التي يبيعانها. ولماذا جاءا إلى الجنازة؟ كانا بالكاد يعرفان السيدة بلاكيستون، وبالقطع لم يكن لديها قَطُّ أي شيء طيب لتقوله عنهما.

من ناحية أخرى، كان لدى الدكتورة ريدوينج وزوجها كل الحق في الوجود هنا. فهي التي عثرت على الجثة، مع برينت العامل المسؤول عن الحدائق، الذي حضر هو أيضًا، والذي وقف وقبعته في يده، وشعره المموج يتدلى على جبهته. عاشت الدكتورة ريدوينج في القرية دائمًا. عمل والدها، الدكتور رينارد، في العيادة من قبلها. لم يأتِ اليوم، لكن ذلك لم يكن مفاجئًا. كان في دار رعاية في تروبريدج، ويُقال إنه هو نفسه لم يعد لديه كثير من الوقت في هذا العالم. لم يسبق أن عانى

جيفري أي مرض خطير من قبل، لكن كليهما عالجه. في الواقع، وُلد ابنه على يد الدكتور رينارد العجوز، الذي أدى عمل القابلة إلى جانب كونه طبيبًا، وقت أن كان من الشائع جدًا أن يعمل رجل واحد في كليهما. وماذا عن آرثر ريدوينج؟ كان يستمع إلى الكاهن بنظرة تتأرجح على حافة نفاد الصبر والملل. كان رجلًا وسيمًا، لا شك في ذلك. كان فنانًا، على الرغم من كونه لا يجني أي أموال من وراء ذلك. ألم يرسم لوحة لليدي باي منذ فترة، في العزبة؟ على أي حال، كانا من نوعية الأشخاص الذين يمكنك الاعتماد عليهم، خلاف الزوجين وايتهيد. من الصعب تخيل القرية من دونهما.

ينطبق الشيء نفسه على كلاريسا باي. من المؤكد أنها تأنقت لحضور الجنازة، وبدت سخيفة بعض الشيء في تلك القبعة بريشاتها الثلاث. ماذا ظنت هذا الأمر؟ حفل كوكتيل؟ ومع ذلك، لم يستطع جيفري إلا الشعور بالشفقة حيالها. لا بد أن العيش هنا صعب بما فيه الكفاية، مع وجود شقيقها الذي يتفاخر عليها. كان كل شيء على ما يرام بالنسبة إليه، وهو يتجول بسيارته الجاجوار، بينما تعمل شقيقته بالتدريس في مدرسة القرية، ولم تكن معلمة سيئة بكل المقاييس، حتى لو لم يحبها الأطفال كثيرًا. ربما كان ذلك لأنهم أحسوا بتعاستها. كانت كلاريسا وحيدة تمامًا، لم تتزوج قَطُّ. بدت كأنها تقضي نصف حياتها في الكنيسة. دومًا ما كان يراها تدخل وتخرج. ليكون منصفًا معها، كثيرًا ما كانت تقف لتبادله الحديث، لكن بالطبع لم يكن لديها حقًّا أي شخص يمكنها الحديث إليه، إلا إذا كانت جاثية على ركبتيها. كانت تشبه إلى حدٍّ ما شقيقها، السير ماجنوس، لكن ليس على نحو يطريها. على الأقل تمتعت بما يكفي من الكياسة للحضور.

سعل شخص ما. كان برينت. راقبه جيفري وهو يمسح أنفه بظهر كمه، ثم يلقي نظرة سريعة من جانب إلى جانب. لم تكن لديه أدنى فكرة عن كيفية التصرف وسط حشد من الناس، لكن ذلك لم يكن مفاجئًا تقريبًا. أمضى برينت معظم حياته بمفرده، وعلى عكس كلاريسا، كان يفضّل ذلك. كان يعمل ساعات طويلة في العزبة، وأحيانًا بعد انتهائه، قد تجده يتناول الشراب أو العشاء في حانة

فيريمان، حيث لديه طاولته ومقعده الخاص، المطلان على الطريق الرئيسي، لكنه لم يكن يختلط بالآخرين قَطُّ، ولا يتبادل الحديث. تساءل جيفري أحيانًا عما يدور برأسه.

تجاهل المعزين الآخرين، واستقر على الفتى الذي وصل مع عربة الموتى، روبرت بلاكيستون. أحس جيفري بالشفقة حياله هو أيضًا: كانوا يدفنون والدته، حتى لو كانا على خلاف شديد. كان من المعروف جيدًا في القرية أنهما على خلاف، وفي الواقع فقد سمع بأذنيه ما قاله لها روبرت خارج حانة كوينز آرمز، في اليوم السابق لوقوع الحادث مباشرة. «أتمنى لو أنك سقطت ميتة، لتمنحيني بعض السلام!». حسنًا، لا يمكن لومه على ذلك. كثيرًا ما يقول الناس أشياء يندمون عليها، ولم يكن من الممكن أن يعرف أحد ما سيحدث. بدا الفتى بائسًا بما فيه الكفاية بكل تأكيد، وهو يقف هناك بجانب الفتاة الأنيقة الجميلة التي تعمل في عيادة الطبيبة. يعلم جميع من في القرية أنهما يتواعدان، وكان كلٌّ منهما ملائمًا جدًّا للآخر. من الواضح أنها أحست بالقلق لشأنه. كانت بإمكان جيفري رؤية ذلك في وجهها، وفي الطريقة التي تمسك بها ذراعه.

«كانت جزءًا من القرية، وعلى الرغم من أننا هنا اليوم حدادًا على رحيلها، يجب أن نتذكر ما خلفته وراءها...».

اقترب الكاهن من نهاية خطابه. كان في الصفحة الأخيرة. تلفت جيفري حوله، ورأى آدم يدخل المقبرة من الممر الكائن عند الطرف البعيد. كان فتى طيبًا، يمكن الاعتماد عليه دائمًا للحضور في اللحظة المناسبة تمامًا.

كان هناك شيء غريب نوعًا ما. شرع أحد المعزين في الرحيل بالفعل، على الرغم من أن الكاهن كان لا يزال يتحدث. لم يلحظه جيفري واقفًا في مؤخرة الحشد تمامًا، منفصلًا عنهم. كان رجلًا في منتصف العمر، يرتدي معطفًا داكنًا مع قبعة سوداء. قبعة فيدورا. لم يرَ جيفري وجهه إلا في لمحة سريعة، لكنه ظنه مألوفًا. كانت له وجنتان غائرتان، وأنف يشبه المنقار. أين رآه من قبل؟ حسنًا، فات الأوان. خرج بالفعل من البوابة الرئيسية، متوجهًا نحو ساحة القرية.

شيء ما جعل جيفري يوجه نظره نحو الأعلى. كان الغريب قد مر أسفل شجرة دردار كبيرة تنمو على حافة المقبرة، وتحرك شيء ما جالس على أحد الأفرع. كان طائر عقعق، ولم يكن بمفرده. عندما نظر مرة ثانية، رأى جيفري أن الشجرة مليئة بها. كم كان عددها؟ كانت الرؤية صعبة مع أوراق الشجر الكثيفة التي تحجبها، لكنه أحصى سبعة في النهاية، وذكره ذلك بأغنية الأطفال القديمة التي تعلمها حينما كان طفلًا:

واحد للترح
اثنان للفرح
ثلاثة للفتاة
أربعة للفتى
خمسة للفضة
ستة للذهب
سبعة لسر
لا يُباح به البتة

حسنًا، ألم يكن هذا شيئًا غريبًا؟ حشد كامل من طيور العَقْعَق في شجرة واحدة، كما لو أنها اجتمعت هنا من أجل الجنازة. لكن آدم وصل بعد ذلك، وأنهى الكاهن خطابه، وبدأ المعزون في الرحيل، وفي المرة التالية التي نظر فيها جيفري إلى الأعلى، كانت قد اختفت.



اثنان

الفرح

ا

لم يكن الطبيب بحاجة إلى الحديث. وجهه، والصمت السائد في الغرفة، والأشعات ونتائج الاختبار التي افترشت مكتبه، تولت التعبير عن كل شيء. جلس الرجلان وجهًا لوجه في المكتب المفروش بأناقة عند الطرف السفلي من شارع هارلي، وعرفا أنهما وصلا إلى الفصل الأخير من الدراما التي عُرضت مرات عديدة من قبل. منذ ستة أسابيع، لم يكن أحدهما يعرف الآخر، وها هما أولاء الآن متحدان بأكثر طريقة حميمية على الإطلاق. قدم أحدهما الخبر، وتلقاه الآخر. لم يسمح أيٌّ منهما بظهور كثير من المشاعر على وجهه. كان ذلك جزءًا من العملية، اتفاق بين سيدين، بأن يبذلا قصارى جهديهما لإخفاء الأمر.

سأل أتيكوس بوند:

- هل لي أن أسأل يا دكتور بينسون، كم تبلغ طول الفترة المتبقية لي في اعتقادك؟

أجابه الطبيب:

- ليس من السهل تحري الدقة. أخشى أن الورم في مرحلة متقدمة جدًا. لو تمكنا من اكتشافه في وقت سابق، لكان هناك احتمال ضئيل بأن نجري عملية جراحية. لكن في الوضع الحالي...

هز رأسه وتابع قائلًا:

- أنا آسف.

تحدث بوند باللغة الإنجليزية المثالية المدروسة لأجنبي مثقف، وهو يلفظ كل مقطع بوضوح كما لو أنه يعتذر عن لكنته الألمانية:

- لا داعي للأسف. أنا في الخامسة والستين من عمري. لقد عشت حياة

طويلة، وسأقول إنها كانت جيدة في كثير من النواحي. توقعت الموت في مناسبات عديدة قبل الآن، وقد تقول حتى إن الموت كان رفيقي، دومًا ما يسير خلفي بخطوتين. حسنًا، ها هو ذا قد أدركني الآن.

فرد يديه، وتمكن من رسم ابتسامة، وتابع قائلًا:

- نحن معارف قدامى، أنا وهو، وهو لا يمنحني أي سبب للخوف. ومع ذلك، سيكون من الضروري بالنسبة إليَّ تنظيم أموري، وترتيبها. لذا سيكون من المفيد أن أعرف بصفة عامة... هل نتحدث عن أسابيع أم شهور؟

- سيحدث تدهور، وهو ما أخشاه. سيزداد صداعك هذا سوءًا، وقد تعاني نوبات. يمكنني أن أرسل إليك بعض المطبوعات التي ستوضح لك الصورة العامة، وسأصف بعض المسكنات القوية. قد ترغب في التفكير في دار رعاية من نوع ما. هناك مكان جيد جدًا في هامبستيد يمكنني أن أوصي به، تديره مؤسسة ماري كوري التذكارية. في المراحل المتأخرة ستحتاج إلى رعاية مستمرة.

تلاشت الكلمات في الأفق. تفحص الدكتور بينسون مريضه بقدر من الحيرة. كان اسم أتيكوس بوند مألوفًا له بالطبع. كثيرًا ما ورد ذكره في الصحف، وهو لاجئ ألماني تمكن من النجاة بعد الحرب، بعد أن قضى عامًا في أحد معسكرات اعتقال هتلر. عند القبض عليه، كان يعمل شرطيًا في برلين - أو ربما كانت فيينا - وبعد وصوله إلى إنجلترا، نصب نفسه محققًا خاصًا، وساعد الشرطة في مناسبات عديدة. لم يبدُ محققًا خاصًا. كان رجلًا ضئيلًا، فائق الأناقة، ويداه معقودتان أمامه. ارتدى بدلة داكنة، وقميصًا أبيض، وربطة عنق سوداء رفيعة، وكان حذاؤه لامعًا. لو لم يكن يعرف خلاف ذلك، لربما أخطأ الطبيب وظنه محاسبًا، من ذلك النوع الذي يمكن أن يعمل في شركة عائلية، ويكون محل ثقة تامة. مع ذلك، كان هناك شيء آخر. حتى قبل أن يسمع الأخبار، في المرة الأولى التي دخل فيها العيادة، أظهر بوند شعورًا غريبًا بالتوتر. كانت عيناه مترقبتين على الدوام خلف نظارته المستديرة التي لها إطار من السلك، وبدا عليه التردد

في كل مرة قبل شروعه في الحديث. الشيء الغريب أنه صار أكثر استرخاءً الآن، بعد إبلاغه بالأخبار. كان الأمر كما لو أنه توقع ذلك على الدوام، وصار ممتنًا فحسب لأنه تلقى الخبر أخيرًا.

اختتم الدكتور بينسون حديثه قائلًا:

- شهران أو ثلاثة. قد يطول الوقت عن ذلك، لكنني أخشى أنك ستجد أن ملكاتك العقلية ستتدهور بعد ذلك.

- شكرًا جزيلًا لك يا دكتور. كانت المعاملة التي تلقيتها منك مثالية. هل لي أن أطلب توجيه أي مراسلات أخرى إليَّ شخصيًا، وأن يُكتب عليها «خاص وسري»؟ لديَّ مساعد شخصي، ولا أريده أن يعرف بشأن هذا بعد.

- بالتأكيد.

- هل انتهى العمل بيننا؟

- أود رؤيتك ثانية في غضون أسبوعين. سيتعين علينا اتخاذ بعض الترتيبات. أعتقد حقًا أن عليك الذهاب وإلقاء نظرة على هامبستيد.

- سوف أفعل.

نهض بوند واقفًا. من الغريب أن ذلك لم يضِف الكثير إلى طوله الإجمالي. بينما هو واقف، بدا أن الغرفة تغلبت عليه بألواحها الخشبية الداكنة وسقفها المرتفع.

- شكرًا مرة أخرى يا دكتور بينسون.

التقط عصاه المصنوعة من خشب الورد، التي لها مقبض صلب من البرونز يعود إلى القرن الثامن عشر. أتت من سالزبورج، وكانت هدية من السفير الألماني في لندن. ثبت في أكثر من مناسبة أنها سلاح مفيد. سار متجاوزًا موظف الاستقبال والبواب، وأومأ برأسه بأدب إلى كلٍّ منهما، ثم خرج إلى الشارع. ما إن صار هناك حتى وقف في ضوء الشمس الساطعة، متأملًا المشهد من حوله. لم يدهشه اكتشاف أن كل حاسة من حواسه ازدادت قوة. بدت حواف المباني دقيقة بدرجة تكاد تكون رياضية. تمكن من تمييز صوت كل سيارة وهي تندمج في

الضجيج العام للمرور. أحس بدفء الشمس على جلده. خطر له أنه قد يكون في حالة صدمة. خمسة وستون عامًا، ومن غير المرجح أن يتم السادسة والستين. سوف يستغرق الأمر بعض الوقت حتى يعتاده.

مع ذلك، بينما هو يسير في شارع هارلي باتجاه ريجنت بارك، شرع يضع كل شيء في سياقه بالفعل. كانت مجرد رمية أخرى للنرد، وفي النهاية، فقد عاش حياته كلها متغلبًا على جميع الصعاب. كان يعلم جيدًا، على سبيل المثال، أنه يدين بوجوده ذاته لحادث تاريخي. عندما أصبح أوتو الأول، وهو أمير بافاريا، ملكًا لليونان في عام ١٨٣٢، اختار عدد من الطلاب اليونانيين الهجرة إلى ألمانيا. كان جده الأكبر واحدًا منهم، وبعد ثمانية وخمسين عامًا، وُلد أتيكوس نفسه لأم ألمانية، عملت سكرتيرة في شرطة الولاية، حيث كان والده ضابطًا بالزي الرسمي. نصف يوناني، نصف ألماني؟ كانت هذه أقلية، لا شك في ذلك. وبعد ذلك بالطبع، كان هناك صعود النازية. لم يكن آل بوند يونانيين فحسب، بل كانوا يهودًا أيضًا. مع استمرار تلك اللعبة العظمى، تضاءلت فرصهم في البقاء حتى لم يعد أحد سوى أكثر المقامرين تهورًا فقط ليراهن على نجاتهم. من المؤكد أنه خسر: والدته، ووالده، وإخوته، وأصدقاءه. أخيرًا، وجد نفسه في بيلسين، ولم تنجُ حياته هو إلا لخطأ إداري نادر للغاية، فرصة في الألف. بعد التحرير، منحه ذلك عقدًا إضافيًا كاملًا من الحياة، لذا فهل يمكنه الشكوى حقًّا لأن رمية أخيرة انقلبت ضده الآن؟ لم يكن أتيكوس بوند يتصف بشيء أكثر من سخاء الروح، وعند وصوله إلى شارع يوستون، بات في سلام مع نفسه. كان كل شيء كما ينبغي له أن يكون، ولن يجأر بالشكوى.

استقل سيارة أجرة إلى المنزل. لم يكن يستخدم مترو الأنفاق قَطُّ، إذ كان يكره وجود كل هذا العدد من الناس على مقربة، وكل هذه الأحلام، والمخاوف، والاستياء ممتزجة معًا في الظلام. وجد ذلك كله طاغيًا. كانت سيارات الأجرة السوداء أكثر هدوءًا، تلفه بعيدًا عن العالم الخارجي. كانت حركة المرور قليلة في منتصف النهار، وسرعان ما وجد نفسه في ميدان تشارترهاوس في فارينجدون.

توقفت سيارة الأجرة أمام تانر كورت، المبنى السكني الأنيق للغاية الذي يعيش فيه. دفع للسائق وأضاف بقشيشًا سخيًا، ثم دخل.

اشترى الشقة بالأرباح التي جناها من قضية ماسة لودندورف(*)، وهي مؤلفة من غرفتَي نوم، وغرفة معيشة واسعة ومضيئة تطل على الميدان، والأهم من ذلك ردهة وغرفة مكتب، حيث كان يستطيع مقابلة العملاء. بينما هو يستقل المصعد إلى الطابق السابع، فكر أنه ليست لديه أي قضايا يبحثها في الوقت الحالي. بشكل عام، كان ذلك جيدًا.

- مرحبًا!

أتى الصوت من المكتب قبل أن يغلق بوند الباب الأمامي حتى، وبعد لحظة، خرج جيمس فريزر من المكتب بنشاط، وفي يده رزمة من الرسائل. كان ذا شعر أشقر، في أواخر العشرينيات من عمره، وهو المساعد والسكرتير الخاص الذي ذكره بوند للدكتور بينسون. تخرج في جامعة أكسفورد، وتمنى العمل ممثلًا. كان مفلسًا وعاطلًا عن العمل على الدوام، فأجاب إعلانًا في مجلة سبيكتيتور معتقدًا أنه سيبقى في الوظيفة بضعة أشهر. بعد ست سنوات، كان لا يزال هناك. سأل قائلًا:

- كيف سارت الأمور؟

سأله بوند بدوره:

- أي أمور؟

لم تكن لدى فريزر بالتأكيد أي فكرة عن مكان وجوده.

ابتسم جيمس ابتسامته الصبيانية تلك، وقال:

- لا أدري، أيًا ما كان الأمر الذي خرجت من أجله. على أي حال، اتصل المفتش سبينس من سكوتلاند يارد، وهو يريدك أن تتصل به. كما أن شخصًا من صحيفة التايمز يريد إجراء مقابلة معك. ولا تنسَ، لديك عميلة ستصل هنا في الثانية عشرة والنصف.

(*) انظر أتيكوس بوند يتولى القضية.

- عميلة؟

بحث فريزر في الرسائل التي يحملها، وقال:

- أجل، اسمها جوي ساندرلنج. لقد اتصلت بالأمس.

- لا أتذكر الحديث إلى امرأة تُدعى جوي ساندرلنج.

- لم تتحدث إليها، بل أنا من فعل. اتصلت من باث أو مكان ما، وبدت في حالة سيئة بعض الشيء.

- لماذا لم تسألني؟

بدت خيبة الأمل على وجه فريزر، وقال:

- هل كان عليَّ أن أفعل؟ أنا آسف جدًا. ليس لدينا أي شيء في الوقت الحالي، وظننت أنك ستكون ممتنًا لقضية جديدة.

تنهد بوند. دومًا ما يبدو متألمًا كان أحدهم يستغله - كان ذلك جزءًا من سلوكه العام - لكن في هذه المرة، كان التوقيت أسوأ ما يكون. مع ذلك، لم يرفع صوته. كان عقلانيًا، كما هي الحال دائمًا. قال:

- معذرة يا جيمس، لا يمكنني مقابلتها الآن.

- لكنها في طريقها بالفعل.

- إذن سيتعين عليك إبلاغها بأنها ضيعت وقتها.

تجاوز بوند سكرتيره ودخل غرفته الخاصة، وأغلق الباب خلفه.

٢

- قلت إنه سيراني.

- أعرف هذا، أنا آسف جدًا. لكنه مشغول للغاية اليوم.

- لكنني أخذت يوم إجازة من العمل. جئت بالقطار لمسافة بعيدة، من باث. لا يمكنك معاملة الناس بهذه الطريقة.

- أنت محقة تمامًا، لكنه لم يكن خطأ السيد بوند. لم ألقِ نظرة على دفتر

مواعيده. إذا أردتِ، فيمكنني سداد أجرة قطارك من المبلغ المخصص للمصروفات النثرية.

- لا يقتصر الأمر على أجرة القطار فحسب، إنها حياتي بأكملها. يجب أن اراه. لا أعرف اي شخص آخر يمكنه تقديم المساعدة.

سمع بوند الأصوات من خلف الباب المزدوج المؤدي إلى غرفة جلوسه. جلس على كرسي ذي ذراعين، يدخن سيجارة من ماركة «سوبراني» - سوداء بطرف ذهبي - التي يفضِّلها. أخذ يفكر في كتابه، وهو عمل عمره، وقد بلغ حجمه بالفعل أربعمائة صفحة، ولم يشارف الانتهاء منه. كان عنوانه: مشهد التحقيق الجنائي. كان فريزر قد كتب أحدث فصل على الآلة الكاتبة، فسحبه تجاهه. الفصل السادس والعشرون: الاستجواب والتفسير. لم يستطع قراءته الآن. اعتقد بوند أن الأمر سيستغرق عامًا آخر لإكمال الكتاب. لم يعد متاحًا له ذلك العام.

كان للفتاة صوت جميل. كانت شابة. أمكنه أن يميز، حتى على الجانب الآخر من حاجز خشبي، أنها على مشارف البكاء. فكر بوند في مرضه للحظة وجيزة. ورم داخل الجمجمة. أمهله الطبيب ثلاثة أشهر. هل حقًّا سيقضي ذلك الوقت جالسًا بمفرده هكذا، يفكر في كل الأشياء التي لا يستطيع فعلها؟ انزعج من نفسه، فسحق سيجارته بعناية، ونهض وفتح الباب.

وقفت جوي ساندرلنج في الممر، تتبادل الحديث مع فريزر. كانت فتاة ضئيلة، صغيرة بكل ما تحمله الكلمة من معنى، لها شعر أشقر يؤطر وجهًا جميلًا للغاية، بعينين زرقاوين طفوليتين. كانت قد تأنقت كي تأتي لزيارته. لم يكن المعطف الواقي من المطر ذو اللون الباهت، والذي يربطه وشاح عند الخصر، ضروريًّا في هذا الجو، لكنه بدا أنيقًا عليها، وساوره شك أنها اختارته لأنه يمنحها مظهرًا عمليًّا. تجاوزت فريزر بنظرها، ورأته.

- السيد بوند؟

أومأ ببطء.

- أجل.

- أنا آسفة لإزعاجك. أعلم كم أنت مشغول، لكن - رجاءً - هل بإمكانك منحي خمس دقائق من وقتك فحسب؟ سيعني ذلك الكثير جدًا.

خمس دقائق. على الرغم من أنها لم تكن تعرف هذا، فإن ذلك كان يعني الكثير جدًا لكليهما.

قال:

- حسنًا.

من خلفها، بدا الضيق على جيمس فريزر، كما لو أنه خيب الآمال بطريقة ما. لكن بوند اتخذ قراره في اللحظة التي سمع فيها صوتها. بدت ضائعة للغاية، وكان هناك ما يكفي من الحزن في هذا اليوم.

اصطحبها إلى غرفة المكتب، التي كانت مريحة على الرغم من بساطتها نوعًا ما. كان هناك مكتب وثلاثة مقاعد، ومرآة عتيقة، وصور منقوشة في إطارات مذهبة، كلها على طراز «بيدرماير» الذي يعود إلى القرن التاسع عشر في فيينا. تبعهما فريزر إلى الداخل، واتخذ مكانه في جانب الغرفة، وجلس واضعًا ساقًا فوق الأخرى، وقد وازن دفتر مذكرات على ركبته. لم يتعين عليه حقًا تدوين أي شيء. سيتذكر بوند، الذي لم يكن يغفل عن أي تفصيلة، كل كلمة قيلت.

- من فضلك، تابعي الحديث يا آنسة ساندرلنج.

أجابته الفتاة:

- أوه، رجاءً، نادِني باسم جوي. في الواقع، اسمي الأول هو جوزي، لكن الجميع ينادونني بجوي.

- وقد جئتِ كل هذه المسافة من مدينة باث.

- كنت سآتي من مسافة أبعد كثيرًا، كي أراك يا سيد بوند. لقد قرأت عنك في الصحف. يقولون إنك أفضل محقق على الإطلاق، وإنه لا يوجد شيء لا يمكنك فعله.

رمش أتيكوس بوند. دومًا ما كان مثل هذا الإطراء يشعره بالانزعاج إلى حدٍّ ما. بحركة عصبية بعض الشيء، عدل وضع نظارته، وابتسم نصف ابتسامة.

- هذا لطف بالغ منك، لكن ربما نستبق أنفسنا يا آنسة ساندرلنج. يجب أن تغفري لي، كنا في غاية الوقاحة. لم نقدم لك القهوة.

- لا أريد القهوة، شكرًا جزيلًا لك، كما لا أريد إضاعة الكثير من وقتك. لكنني في أمس الحاجة إلى مساعدتك.

- إذن لماذا لا تبدئين بإخبارنا ما الذي أتى بك إلى هنا؟

- أجل، بالطبع.

اعتدلت في مقعدها، وانتظر جيمس فريزر وقلمه في وضع الاستعداد. بدأت الحديث قائلة:

- لقد أخبرتك باسمي بالفعل. أعيش في مكان يُسمَّى لوير ويستوود مع والدَي وشقيقي، بول. من سوء الحظ، وُلد بمتلازمة داون، ولا يستطيع الاعتناء بنفسه، لكننا متقاربان للغاية. في الواقع، أنا أحبه بشدة.

توقفت عن الحديث، قبل أن تتابع قائلة:

- يقع منزلنا خارج باث مباشرة، لكنني أعمل في قرية تُدعى ساكسبي أون أيفون. لديَّ وظيفة في العيادة المحلية، حيث أساعد الدكتورة ريدوينج. إنها لطيفة جدًا، بالمناسبة. قضيت معها نحو عامين إلى الآن، وكنت سعيدة للغاية.

أومأ بوند برأسه. بدأ يميل إلى هذه الفتاة بالفعل. أعجبته ثقتها، والوضوح الذي عبرت به عن نفسها.

واصلت قائلة:

- التقيت بفتى قبل عام. جاء إلينا لأنه أصيب بشدة في حادث سيارة. كان يصلح السيارة، وكادت تسقط عليه. سقطت الرافعة على يده، وكسرت بضع عظام. اسمه روبرت بلاكيستون. انسجمنا معًا على الفور تقريبًا، وبدأت في مواعدته. أنا واقعة في حبه بدرجة كبيرة، والآن بتنا مخطوبين، وننوي الزواج.

- أقدم لكما تهنئتي.

- أتمنى لو كان الأمر بهذه السهولة. لم أعد متأكدة الآن ما إذا كان الزفاف سيقام على الإطلاق.

أخرجت منديلًا واستخدمته لمسح عينيها، لكن بطريقة عملية أكثر منها عاطفية مفرطة.

- قبل أسبوعين، تُوفيت والدته. دُفنت في نهاية الأسبوع الماضي. ذهبت أنا وروبرت إلى الجنازة معًا، وبالطبع كان الأمر مروعًا. لكن ما زاده سوءًا هو الطريقة التي شرع الناس ينظرون بها إليه... وكل الأشياء التي أخذوا يقولونها منذ ذلك الحين. المسألة يا سيد بوند، أنهم يعتقدون أنه فعل ذلك!

- هل تعنين... أنه قتلها؟

- أجل.

استغرق منها الأمر بضع لحظات كي تتماسك، ثم واصلت قائلة:

- لم يتمتع روبرت بعلاقة سعيدة للغاية مع والدته قَطُّ. كان اسمها ماري، وعملت مدبرة منزل. هناك مكان كبير - أعتقد أنه يمكنك القول إنه قصر مالك العزبة - يُدعى باي هول. يملكه رجل اسمه السير ماجنوس باي، وهو مملوك لعائلته منذ قرون. على أي حال، كانت تتولى الطهي، والتنظيف، والتسوق - كل الأشياء التي من ذلك القبيل - وكانت تعيش في الكوخ الخشبي عند البوابات. كان هذا حيث نشأ روبرت.

- لم تذكري أبًا.

- لا يوجد أب. لقد هجرهما إبان الحرب. الأمر برمته معقد جدًا، ولا يتحدث روبرت عنه مطلقًا. كما ترى، كانت هناك مأساة عائلية. هناك بحيرة كبيرة عند باي هول، ويُقال إنها عميقة جدًا. كان لروبرت شقيق أصغر اسمه توم، وكانا يسبحان معًا في البحيرة. كان روبرت في الرابعة عشرة من عمره، وتوم في الثانية عشرة. على أي حال، دخل توم منطقة أعمق مما يجب، وغرق. حاول روبرت إنقاذه، لكنه لم يستطع.

- أين كان الأب في ذلك الوقت؟

- كان ميكانيكيًا في بوسكومب داون، يعمل لصالح سلاح الجو الملكي البريطاني. لم يكن بعيدًا جدًا، وكثيرًا ما كان يوجد في المنزل، لكنه لم يكن هناك عندما حدث ذلك. وعندما اكتشف الأمر... حسنًا، عليك أن تسأل روبرت، على الرغم من أنني متأكدة أنه لا يتذكر الكثير عن الأمر. ما يهم هو أن والديه مزَّق أحدهما الآخر إربًا. ألقى اللوم عليها لعدم الاعتناء بالصبيين كما يجب، ولامته هي لكونه بعيدًا. لا يمكنني إخبارك الكثير، لأن روبرت لا يتحدث عن ذلك أبدًا، والباقي مجرد ثرثرة منتشرة في القرية. على أي حال، كانت النتيجة أنه انتقل إلى العيش بعيدًا، تاركًا إياهما للعيش بمفردهما في الكوخ الخشبي. حصلا على الطلاق لاحقًا، ولم أقابله قَطُّ. لم يكن موجودًا في الجنازة، أو لم أرَه إذا كان هناك. اسمه ماثيو بلاكيستون، لكن هذا هو كل ما أعرفه.

نشأ روبرت مع والدته، لكنهما لم يشعرا بالسعادة معًا قَطُّ. في الحقيقة، كان يتعين عليهما الانتقال إلى السكن في مكان آخر. ما كان يجب عليهما البقاء بالقرب من ذلك المكان الفظيع. لا أعرف كيف تمكنت من ذلك، وهي تمر بالبحيرة التي مات فيها ابنها، وتراها كل يوم. أعتقد أن ذلك سممها... ذكرها بالصبي الذي فقدته. وربما ألقى جزء منها اللوم على روبرت، على الرغم من أنه لم يكن في أي مكان قريب عندما حدث ذلك. يتصرف الناس على هذا النحو، أليس كذلك يا سيد بوند؟ إنه نوع من الجنون...

أومأ بوند قائلًا:

- من الصحيح أن لدينا طرقًا عديدة للتعامل مع الفقد، ولا يكون الحزن عقلانيًا أبدًا.

- قابلت ماري بلاكيستون عدة مرات فقط، على الرغم من أنني رأيتها في القرية كثيرًا بالطبع. كثيرًا ما كانت تأتي إلى العيادة، ليس لكونها مريضة، لكنها هي والدكتورة ريدوينج كانتا صديقتين مقربتين. بعد خطبتي أنا وروبرت، دعتنا

إلى الكوخ الخشبي لتناول الشاي، لكن الأمر كان مروعًا. لم تكن عدوانية بالتحديد، لكنها كانت شديدة البرودة، وطرحت عليَّ أسئلة كما لو أنني أتقدم إلى وظيفة أو شيء ما. تناولنا الشاي في غرفة الاستقبال، وما زلت أستطيع رؤيتها بكوبها وصحنها، جالسة على مقعدها بالزاوية. كانت مثل العنكبوت في شبكة. أعلم انه لا ينبغي لي التفوُّه بأشياء من هذا القبيل، لكن هذا هو ما ظننته. وكان روبرت المسكين في ظلها تمامًا. كان مختلفًا جدًا وهو بصحبتها، هادئًا وخجولًا. لا أعتقد أنه تفوَّه بكلمة واحدة. حدق إلى السجادة فحسب، كما لو أنه ارتكب شيئًا خاطئًا، وكان على وشك التعرض للتوبيخ. كان عليك رؤية طريقة معاملتها له! لم تكن لديها كلمة طيبة واحدة لتقولها عنه، وعارضت زواجنا بشدة. أوضحت ذلك بجلاء. وطوال الوقت، ظلت الساعة تدق. كانت هناك ساعة ضخمة ذات صندوق طويل في الغرفة، ولم يسعني الانتظار حتى تدق معلنة تمام الساعة كي نتمكن من المضي في طريقنا.

- ألم يعد خطيبك يعيش مع والدته، وقت وفاتها؟

- نعم. كان لا يزال في القرية نفسها، لكنه انتقل إلى شقة تعلو المرأب الذي يعمل به. أعتقد أن ذلك كان أحد أسباب توليه الوظيفة، كي يبتعد عنها.

طوت جوي المنديل، ووضعته في كمها.

- أنا وروبرت متحابان. أوضحت ماري بلاكيستون أنها لا تعتقد أنني جيدة بما فيه الكفاية بالنسبة إليه، لكن حتى لو لم تمُت، لم يكن ذلك ليشكل اي فرق. سوف نتزوج، وسنكون سعيدين معًا.

- إذا لم يزعجك ذلك يا آنسةساندرلنج، فسأكون مهتمًا بمعرفة المزيد عن وفاتها.

- حسنًا، كما ذكرت، حدث ذلك يوم الجمعة، قبل أسبوعين. كانت قد ذهبت إلى باي هول لتتولى التنظيف - كان السير ماجنوس والليدي باي غائبين - وبطريقة ما، تعثرت وهي تستخدم المكنسة الكهربائية، وسقطت على الدرج. رآها برينت، الذي يعمل في الأراضي المحيطة بالمنزل، وهي ملقاة هناك،

واتصل بالطبيبة، لكن لم يكن هناك ما يمكن أن يفعله أي شخص. كانت قد كُسرت عنقها.

- هل جرى إبلاغ الشرطة؟

- أجل، أتى مفتش مباحث من شرطة باث. لم أتحدث معه في الواقع، لكن يبدو أنه كان دقيقًا جدًا. كان سلك المكنسة الكهربائية معقودًا على شكل حلقة عند قمة الدرج، ولم يكن هناك أي شخص آخر في المنزل. كانت جميع الأبواب مغلقة. من الواضح أنه كان مجرد حادث.

- ومع ذلك تقولين إن روبرت بلاكيستون متهم بقتلها.

- هذه مجرد ثرثرة دائرة في القرية، ولهذا عليك مساعدتنا يا سيد بوند.

أخذت نفسًا.

- تجادل روبرت مع والدته. كثيرًا ما كانا يتجادلان. أعتقد أنهما في الحقيقة لم يفلتا قَطُّ من التعاسة الناتجة عما حدث منذ كل تلك السنوات الماضية، وبطريقة ما، كان ذلك يؤذي كليهما. حسنًا، اشتبكا في جدال كريه خارج الحانة، وسمعهما كثير من الناس. بدأ الأمر لأنها أرادته أن يصلح شيئًا ما في الكوخ. دومًا ما كانت تطلب منه أداء أعمال متفرقة لها، ولم يرفض قَطُّ. لكن هذه المرة، لم يسعده ذلك، وتبادلا كثيرًا من الشتائم، ثم قال شيئًا أعرف أنه لم يقصده، لكن الجميع سمعوه، لذا لا يهم ما إذا كان يعني ذلك أم لا. «أتمنى لو أنك سقطت ميتة».

خرج المنديل مرة أخرى.

- هذا هو ما قاله. وبعدها، كانت كذلك بالفعل.

صمتت، وجلس أتيكوس بوند وراء مكتبه ويداه معقودتان بعناية وملامحه جادة. كان جيمس فريزر يدوِّن الملاحظات. وصل إلى نهاية جملة، ووضع عدة خطوط تحت إحدى الكلمات. تدفق ضوء الشمس عبر النافذة. في الخارج، في ميدان تشارترهاوس، بدأ موظفو المكاتب في الظهور حاملين شطائر وقت الغداء في الهواء الطلق.

تمتم بوند قائلًا:

- من المحتمل أن خطيبك كان لديه سبب وجيه لقتل والدته. لم أقابله، ولا أريد أن أكون قاسيًا، لكن يجب على الأقل أن نفكر في هذا الاحتمال. لقد أردتما الزواج، ووقفت هي في طريقكما.

- لكنه لم يفعل!

بدت جوي ساندرلنج متحدية.

- لم نكن بحاجة إلى إذنها للزواج، ولم يكن الأمر كما لو أنها تمتلك المال أو أي شيء من هذا القبيل. على اي حال، فأنا أعلم أن روبرت لم تكن له اي علاقة بذلك.

- كيف يمكنك أن تكوني متأكدة إلى هذه الدرجة؟

أخذت جوي نفسًا عميقًا. بدا من الواضح أن هذا شيء لم ترغب في شرحه، لكنها كانت تعلم أنها ليس لديها خيار آخر.

- تقول الشرطة إن السيدة بلاكيستون توفيت نحو الساعة التاسعة صباحًا. اتصل برينت بالدكتورة ريدوينج قبل العاشرة بقليل، وعندما وصلت إلى المنزل، كانت الجثة لا تزال دافئة.

توقفت عن الحديث، ثم واصلت قائلة:

- يُفتح المرأب في الساعة التاسعة صباحًا - في نفس وقت فتح العيادة - وكنت مع روبرت حتى ذلك الحين. غادرنا شقته معًا. سيموت والداي إذا اكتشفا ذلك يا سيد بوند، على الرغم من كوننا مخطوبين. كان والدي رجل إطفاء، وهو يعمل في النقابة الآن. إنه شخص جاد جدًا، ومحافظ على نحو رهيب. كما أن الاضطرار إلى الاعتناء ببول طوال الوقت جعل والدَي يبالغان في الحماية بشدة. أخبرتهما بأنني سأذهب إلى المسرح في باث، وانني سوف أقضي الليلة مع صديقة. لكن الحقيقة أنني كنت مع روبرت طوال الليل، وتركته في التاسعة صباحًا، مما يعني انه لا يمكن أن تكون له أي علاقة بالأمر.

- إذا سمحتِ لي بالسؤال، كم يبعد المراب عن باي هول؟

- إنه يبعد نحو ثلاث أو أربع دقائق بدراجتي البخارية. أعتقد أنه يمكنك السير إلى هناك في غضون ربع ساعة تقريبًا، إذا قطعت الطريق عبر دينجل ديل. هذا هو ما نطلقه على المرج الكائن عند طرف القرية.

تجهمت وهي تقول:

- أنا أعرف ما الذي تفكر فيه يا سيد بوند. لكنني رأيت روبرت في ذلك الصباح. لقد أحضر لي الإفطار في الفراش. لا يمكنه فعل هذا، إذا كان يفكر في قتل شخص ما، أليس كذلك؟

لم يرد أتيكوس بوند، لكنه كان يعلم من واقع خبرته أن القتلة يمكنهم بالفعل الابتسام وإجراء محادثة لطيفة في لحظة، والضرب بعنف في اللحظة التالية. كما علمته تجاربه خلال الحرب الكثير عما أسماه «إضفاء الطابع المؤسسي على القتل»: إذا أحطت القتل بالصيغ والإجراءات الكافية، وإذا تمكنت من إقناع نفسك بأنه ضرورة مطلقة، فلن يكون جريمة قتل في النهاية على الإطلاق.

سألها:

- ما الذي تريدينني أن أفعله؟

- لا أملك الكثير من المال، وفي الحقيقة لا أستطيع حتى أن أدفع لك. أعرف أن هذا خطأ مني، وربما ما كان عليَّ المجيء إلى هنا. لكن هذا ليس صحيحًا، والأمر غير عادل على الإطلاق فحسب. كنت آمل أن تتمكن من الحضور إلى ساكسبي أون أيفون، يومًا واحدًا فقط. أنا متأكدة أن هذا سيكون كافيًا. إذا نظرت في الأمر، وأخبرت الناس بأنه كان حادثًا، وأنه لا يوجد أي شيء خبيث يدور، فأنا على ثقة بأن ذلك سيضع حدًا للموضوع. الجميع يعرفون من تكون، وسيستمعون إليك.

ساد الصمت فترة قصيرة. خلع أتيكوس بوند نظارته، ومسحها بمنديل. عرف فريزر ما سيأتي. قضى مع المحقق ما يكفي من الوقت للتعرف على سلوكياته. دومًا ما كان يلمع نظارته قبل أن ينقل أخبارًا سيئة.

قال:

- أنا آسف يا آنسةساندرلنج، لا يوجد ما يمكنني فعله.

رفع يده وأوقفها قبل أن تتمكن من مقاطعته، وتابع قائلًا:

- أنا محقق خاص. من الصحيح أن الشرطة طلبت مني مساعدتها في تحقيقاتها في كثير من الأحيان، لكن ليست لديَّ صفة رسمية في هذه البلاد. هذه هي المشكلة هنا. من الأصعب بكثير بالنسبة إليَّ فرض نفسي، ولا سيما في قضية مثل هذه، حيث لم تُرتكب اي جريمة على ما يبدو. عليَّ أن أسأل نفسي بأي ذريعة سأتمكن من دخول باي هول.

كما يجب أيضًا أن أعترض على اقتراحك الأساسي. أخبرتني بأن السيدة بلاكيستون قُتلت نتيجة حادث، ومن الواضح أن الشرطة تعتقد ذلك. لنفترض أنه كان حادثًا. كل ما يمكنني فعله حينها هو مواجهة ثرثرة بعض القرويين في ساكسبي أون أيفون ممن سمعوا محادثة مؤسفة، وفسروها تبعًا لأهوائهم. لكن لا يمكن مواجهة مثل هذا القيل والقال. إن الشائعات والثرثرة الخبيثة مثل نبات اللبلاب، لا يمكن اجتثاثهما حتى بسيف الحقيقة. ومع ذلك، يمكنني أن أقدم لك هذا العزاء. بمرور الوقت، سوف تذبلان وتموتان من تلقاء نفسيهما. هذا هو رأيي. لماذا ترغبين أنت وخطيبك في البقاء في هذه المنطقة من العالم، إذا كانت مزعجة لكما على هذا النحو؟

- لماذا يتعين علينا الرحيل؟

- أوافقكِ الرأي. إذا كنت ستأخذين بنصيحتي، فهي البقاء حيث أنتما، والزواج، والاستمتاع بحياتكما معًا. وقبل كل شيء، تجاهلا هذا... أعتقد أن الكلمة هي «اللغو». إن مواجهته تعني تغذيته، تجاهلاه وسوف يزول.

لم يكن هناك المزيد مما يمكن قوله. كما لو أنه يؤكد هذه النقطة، أغلق فريزر دفتر ملاحظاته. نهضت جوي ساندرلنج واقفة. قالت:

- شكرًا جزيلًا لك يا سيد بوند. شكرًا على مقابلتك لي.

أجابها بوند:

- أتمنى لك الأفضل يا آنسة ساندرلنج.

وكان يعني ذلك. أراد أن تكون هذه الفتاة سعيدة. طوال الوقت الذي أمضاه في الحديث معها، نسي ظروفه الخاصة، والأخبار التي سمعها في ذلك اليوم.

قادها فريزر إلى الخارج. سمع بوند بعض الهمهمات القصيرة، ثم انفتح الباب الأمامي وأُغلق. بعد لحظة، عاد إلى الغرفة.

تمتم قائلًا:

- أؤكد لك أنني آسف جدًا لهذا الشأن، كنت أحاول إخبارها بأنك لا تريد الإزعاج.

أجاب بوند:

- أسعدتني رؤيتها، لكن خبِّرني يا جيمس، ما الكلمة التي رأيتك تضع تحتها خطًّا عدة مرات خلال حديثنا؟

تخضب وجه فريزر.

- ماذا؟ أوه، في الحقيقة، لم يكن أي شيء مهمًا. لم تكن له صلة بالأمر حتى، حاولت أن أبدو مشغولًا فحسب.

- ظننت أن هذا قد يكون الأمر.

- أوه، كيف؟

- لأنه في تلك اللحظة، لم تكن الآنسة ساندرلنج تقول أي شيء ذي أهمية على وجه الخصوص. لكن الدراجة البخارية، لو كانت بأي لون غير الوردي، لربما كانت ذات أهمية.

ابتسم وتابع الحديث قائلًا:

- هل يمكنك أن تحضر لي فنجانًا من القهوة يا جيمس؟ لكن بعد ذلك، أعتقد أنني لا اريد أي إزعاج.

استدار وعاد إلى غرفته.

٣

عادت جوي ساندرلنج إلى محطة مترو أنفاق فارينجدون، وقادها طريقها إلى جانب سوق لحوم سميثفيلد. وقفت شاحنة خارج أحد المداخل العديدة، وعند مرورها، كان رجلان يرتديان معطفين أبيضين يخرجان جسد خروف كاملًا، نيئًا وملطخًا بالدماء. ارتجفت لرؤيته. لم تكن تحب لندن. وجدتها مقبضة، ولم تطِق الانتظار حتى تستقل القطار للعودة إلى المنزل.

أصابها اجتماعها مع أتيكوس بوند بخيبة الأمل، على الرغم من أنها (اعترفت بذلك الآن) لم تتوقع منه أي شيء على الإطلاق في الواقع. لماذا يهتم بها المحقق الأكثر شهرة في البلاد؟ لم تكن حتى لتتمكن من تحمل تكلفة أجره. كما أن ما قاله كان صحيحًا. لم تكن هناك قضية لحلها. كانت جوي تعلم أن روبرت لم يقتل والدته. كانت بصحبته ذلك الصباح، بالتأكيد كانت ستسمعه إذا غادر المنزل. يمكن لروبرت أن يصير متقلب المزاج، وكثيرًا ما كان ينفجر، قائلًا أشياء يندم عليها. لكنها قضت معه ما يكفي من الوقت لتعلم أنه لن يقدِم على إيذاء أحد أبدًا. ما حدث في باي هول كان حادثًا، لا أكثر. لن يكون جميع المحققين في العالم ندًا للألسنة الثرثارة في ساكسبي أون أيفون.

مع ذلك، كانت محقة في مجيئها. كانا يستحقان سعادتهما معًا، ولا سيما روبرت. كان ضائعًا للغاية حتى قابلها، ولن تسمح لأي شخص بتفريقهما. لن ينتقلا إلى مكان آخر. لن يعيرا أي اهتمام لرأي الناس فيهما، وسيردان بالقتال.

وصلت إلى المحطة، واشترت تذكرة من الرجل الذي في الكشك. أخذت فكرة تتشكل في عقلها بالفعل. كانت جوي فتاة خجولًا. نشأت في أسرة متقاربة جدًا (على الرغم من آراء والدها السياسية) ومحافظة. أصابتها الفكرة التي شرعت تفكر فيها الآن بالصدمة، لكنها لم تستطع رؤية أي طريقة أخرى. عليها أن تحمي روبرت. عليها حماية حياتهما معًا. لا شيء أكثر أهمية من ذلك.

قبل وصول مترو الأنفاق، عرفت ما ستفعله تحديدًا.

٤

في مطعم على الجانب الآخر من لندن، ألقت فرانسيس باي نظرة لامبالاة على قائمة الطعام، وطلبت السردين المشوي وسلطة، وكأسًا من النبيذ الأبيض. كان مطعم كارلوتا أحد المطاعم العائلية الإيطالية الواقعة خلف متجر هارودز: كان المدير متزوجًا بالطاهية، ومن بين النُدل أحد الأبناء، وابن أخ. تم تلقي الطلب، وأُزيلت قوائم الطعام. أشعلت سيجارة، واستندت إلى الوراء في مقعدها.

قال رفيقها على الغداء:

- عليك أن تهجريه.

كان جاك دارتفورد يصغرها بخمس سنوات، وهو رجل أسمر وسيم، له شارب وابتسامة لطيفة، يرتدي سترة مزدوجة الصدر وربطة عنق. أخذ ينظر إليها بقلق. منذ اللحظة التي التقيا فيها، لاحظ بها شيئًا من التوتر. حتى طريقة جلوسها الآن بدت متوترة ودفاعية، وهي تفرك ذراعها بيدها الأخرى. لم تخلع نظارتها الشمسية، وتساءل عما إذا كانت مصابة بكدمة في عينها.

أجابته قائلة:

- سيقتلني.

ابتسمت ابتسامة غريبة، وتابعت الحديث:

- في الواقع، لقد حاول قتلي بطريقة ما، بعد شجارنا الأخير.

- أنت لست جادة!

- لا تقلق يا جاك، فلم يؤذِني. كان الأمر كله مجرد تهديد. إنه يعلم أن ثمة ما يدور، مع كل هذه المكالمات الهاتفية، وأيام العطلات في لندن، والرسائل... قلت لك ألا تكتب إليَّ.

- هل قرأها؟

- لا، لكنه ليس غبيًا، كما أنه يتحدث إلى رجل البريد. في كل مرة تلقيت فيها رسالة مكتوبة بخط اليد من لندن، غالبًا ما علم بالأمر. على أي حال، فقد

انكشف كل شيء خلال العشاء، الليلة الماضية. اتهمني بصورة أو بأخرى بمعرفة شخص آخر.

- لم تخبريه بشأني!

- هل تخشى أن يأتي ساعيًا خلفك بسوط؟ لن أستبعد ذلك عنه. لكن لا يا جاك، لم أخبره بشأنك.

- هل أذاكِ؟

- لا.

خلعت نظارتها الشمسية. بدت مرهقة، لكن لم تكن هناك كدمات حول عينيها. تابعت قائلة:

- كان الأمر مزعجًا فحسب. دومًا ما يكون الأمر مزعجًا حينما يتعلق بماجنوس.

- لماذا لا تهجرينه؟

- لأنني لا أملك أي مال. عليك أن تفهم أن ماجنوس لديه نزعة انتقامية بحجم قناة بنما. إذا حاولت أن أهجره، فسيحيط نفسه بالمحامين، وسيتأكد من رحيلي عن باي هول، وأنا لا أحمل معي أكثر من الملابس التي أرتديها.

- أنا أملك المال.

- لا أعتقد ذلك يا عزيزي. بالتأكيد ليس بالقدر الكافي.

كان ذلك صحيحًا. انشغل دارتفورد بالعمل في سوق المال، الذي لم يكن عملًا على الإطلاق، بالمعنى الحقيقي. كان يسلي نفسه، وينشغل ببعض الاستثمارات. لكن في الآونة الأخيرة، صادفته سلسلة مستمرة من سوء الحظ، وتمنى بشدة الا تكون لدى فرانسيس باي أي فكرة عن مدى قربه من الحضيض. لم يكن بوسعه تحمُّل نفقات الزواج بها، ولم يكن بوسعه تحمُّل نفقات الهروب معها. وتبعًا لطريقة سير الأمور، كان بالكاد يستطيع تحمُّل نفقات الغداء.

غيَّر الموضوع، وسألها:

- كيف كان جنوب فرنسا؟

كان هذا هو المكان الذي التقيا فيه، وهما يلعبان التنس معًا.
- كان مملًا. كنت سأفضّله كثيرًا لو أنك كنت موجودًا هناك.
- أنا متأكد من ذلك. هل لعبتِ التنس؟
- في الحقيقة لا. لأكون صادقة، فقد سعدت جدًا بالرحيل. تلقينا رسالة في منتصف الأسبوع. تعثرت امرأة في باي هول في سلك كهربائي، وسقطت على الدرج وكُسرت عنقها.
- يا إلهي! هل كان فريدي هناك؟
- لا، كان يقيم لدى أصدقاء في هاستينجز. وهو لا يزال هناك، في الواقع. لا يبدو أنه يرغب في العودة إلى المنزل.
- أنا لا ألومه. مَن كانت، إذن؟
- مدبرة المنزل. امرأة تُدعى ماري بلاكيستون. كانت معنا منذ سنوات، وسيكون تعويضها من المستحيل تقريبًا. ولم تكن هذه نهاية الأمر. عندما عدنا أخيرًا السبت الماضي، اكتشفنا أننا تعرضنا للسطو.
- لا!
- أؤكد لك، كان ذلك بسبب خطأ الرجل المسؤول عن الحدائق، على الأقل هذا هو ما تعتقده الشرطة. كان قد حطم لوحًا زجاجيًا في مؤخرة المنزل. اضطر إلى فعل ذلك كي يسمح للطبيبة بالدخول.
- لماذا احتجتم إلى الطبيبة؟
- انتبه يا جاك. من أجل المرأة الميتة. رآها برينت، المسؤول عن الحدائق، من خلال النافذة، وهي مستلقية هناك فحسب. اتصل بالطبيبة، واقتحما المنزل لمعرفة ما إذا كان بوسعهما المساعدة. حسنًا، من الواضح أنه لم يكن هناك شيء يمكنهما فعله. لكن بعد ذلك، ترك الباب فحسب بلوحه المكسور، ولم يكلف نفسه حتى عناء إغلاقه بلوح من الخشب. كانت دعوة مفتوحة للصوص، وقد قبلها اللصوص، مع جزيل الشكر.
- هل فقدتِ الكثير؟

- ليس بشكل شخصي، لا. يحتفظ ماجنوس بمعظم مقتنياته الثمينة في خزنة، ولم يتمكنوا من فتحها. لكنهم نهبوا المكان، وتسببوا في كثير من الأضرار. فتحوا الأدراج، وبعثروا محتوياتها، وأشياء من هذا القبيل. استغرق التنظيف يوم الأحد بأكمله علاوة على الأمس.

مدت يدها بالسيجارة، ودفع دارتفورد منفضة سجائر أمامها. تابعت الحديث:

- تركت بعض المجوهرات بجانب الفراش، وفقدتها. يجعلك الأمر تشعر بعدم الارتياح، عندما تفكر أنه كان لديك غرباء في غرفة النوم.

- أوافقكِ تمامًا.

- كما فقد ماجنوس كنزه الثمين. لم يسعده ذلك قَطُّ.

- أي كنز هذا؟

- إنه روماني، معظمه من الفضة. ظل موجودًا في الأسرة منذ أجيال، منذ أن استخرجوه من أرضهم. أتى من موقع دفن من نوع ما. كانت هناك خواتم، وأساور لأعلى الذراع، وبعض الصناديق المزخرفة، والعملات المعدنية. احتفظنا بها في صندوق للعرض في غرفة الطعام. بالطبع، لم يؤمن عليها على الإطلاق، على الرغم من أنه كان من المفترض أنها تساوي ثروة. حسنًا، فات الأوان لذلك بعض الشيء الآن...

- هل أفادتكم الشرطة؟

- بالطبع لا. أتى رجل ما من باث، فتش المكان، وأهدر الكثير من مسحوق الكشف عن البصمات، وطرح أسئلة وقحة، ثم اختفى. كان عديم الفائدة تمامًا.

وصل النادل ومعه كأس النبيذ. كان دارتفورد يتناول شراب الكامباري بالصودا، وطلب واحدًا آخر. قال ما إن انصرف النادل:

- من المؤسف أنه لم يكن ماجنوس.

- ما الذي تعنيه؟

- المرأة التي سقطت على الدرج. من المؤسف أنه لم يكن هو.

- هذا قول مروع.

- أنا أتفوّه بما تفكرين فيه فحسب يا عزيزتي. أعرفكِ بما فيه الكفاية. أفترض أنك سترثين كل شيء، في حال موت ماجنوس.

نفثت فرانسيس دخان السيجارة، ونظرت إلى رفيقها بفضول.

- في الواقع، سيؤول المنزل والأراضي المحيطة به كلها إلى فريدي. هناك شرط ما متعلق بالتركة، يحدد التصرف في الميراث. ظل الأمر كذلك طوال أجيال.

- لكنك ستكونين على ما يرام.

- أوه، أجل. وبالطبع سيكون لي الحق في العيش في باي هول مدى الحياة. الشيء الوحيد الذي لا يحق لي فعله هو بيع المكان. لكن ذلك لن يحدث، إذ إن ماجنوس في أتم صحة، بالنسبة إلى سنه بكل تأكيد.

- أجل يا فرانسيس، لكن مع منزل كبير كهذا، وسلك ممدود عبر الدرج، لا تعرفين أبدًا ما قد يحدث. ربما يتمكن لصوصكم هؤلاء من العودة والقضاء عليه.

- أنت لست جادًا!

- إنها مجرد فكرة.

صمتت فرانسيس باي. لم يكن هذا نوع المحادثة التي يجب خوضها، خصوصًا في مطعم مزدحم. لكن كان عليها الاعتراف بأن جاك على حق. ستكون الحياة من دون ماجنوس أبسط كثيرًا، وأكثر متعة بدرجة كبيرة. من المؤسف فقط أن البرق لا يضرب المكان نفسه مرتين عادة.

لكن من جهة أخرى، لمَ لا؟

٥

كانت الدكتورة ريدوينج تحاول زيارة والدها مرة أسبوعيًا، على الرغم من أن ذلك لم يكن ممكنًا على الدوام. في حال ما إذا كانت العيادة مزدحمة، أو إذا تعين

عليها إجراء زيارات منزلية أو زيارات إلى المستشفى، أو إذا كانت هناك الكثير من المعاملات الورقية على مكتبها، كانت تضطر إلى تأجيل الأمر. بطريقة ما، كان من السهل اختلاق عذر على الدوام. دومًا ما كان هناك سبب وجيه لعدم الذهاب.

كانت تستمد قدرًا ضئيلًا للغاية من السعادة من تلك الزيارات. كان الدكتور إدجار رينارد في الثمانين من عمره عندما تُوفيت زوجته، وعلى الرغم من أنه استمر في العيش في منزله القريب في كينجز آبوت، فإنه في الواقع لم يعد على حاله كما كان قَطُّ. سرعان ما اعتادت إميليا المكالمات الهاتفية من الجيران: عُثر عليه وهو يتجول في الشارع، لم يكن يتناول الطعام كما يجب، كان مرتبكًا. في البداية، حاولت إقناع نفسها أنه يعاني ببساطة من الحزن المزمن والوحدة، لكن مع ظهور الأعراض، اضطرت إلى إجراء التشخيص الواضح. كان والدها يعاني خرف الشيخوخة، ولن تتحسن حالته. في الواقع، كان التشخيص أسوأ من ذلك بكثير. فكرت لفترة وجيزة في اصطحابه معها إلى ساكسبي أون أيفون، لكن ذلك لم يكن عادلًا بالنسبة إلى آرثر، وعلى أي حال لم يكن بوسعها أداء دور مقدم رعاية لرجل عجوز بدوام كامل. كانت لا تزال تتذكر الذنب، والإحساس بالفشل، اللذين شعرت بهما في المرة الأولى عندما اصطحبته إلى آشتون هاوس، وهو مستشفى حُوِّل إلى دار رعاية في وادي باث بعد الحرب مباشرة. لكن من الغريب أن إقناع والدها بالأمر كان أسهل من إقناعها هي.

لم يكن هذا يومًا مناسبًا للقيام بالمشوار البالغ خمس عشرة دقيقة بالسيارة إلى باث. كانت جوي ساندرلنج في لندن لزيارة شخص بشأن ما وصفته بأنه مسألة شخصية. أُقيمت جنازة ماري بلاكيستون قبل خمسة أيام فقط، وساد القرية شعور بالانزعاج يصعب تحديده، لكنها كانت تعرف من واقع الخبرة أنه قد يؤدي إلى انشغالها أكثر. كانت التعاسة تؤثر في الناس بطريقة تأثير الإنفلونزا نفسها، وخطر لها أن حتى عملية السطو في باي هول جزء من تلك العدوى العامة. لكنها لم تستطع تأجيل الزيارة أكثر من ذلك. في يوم الثلاثاء، تعثر إدجار رينارد، وقد زاره طبيب محلي، وأكد لها عدم وجود ضرر جسيم. مع

ذلك، كان يسأل عنها، وانقطع عن تناول طعامه. اتصلت بها كبيرة الممرضات في آشتون هاوس، وطلبت منها الحضور.

كانت بصحبته الآن. أقاموه من الفراش، حتى الكرسي المجاور للنافذة فقط. جلس هناك مرتديًا روبه، وهو ناحل ومتغضن للغاية، إلى درجة أن إميليا كادت تبكي. لطالما كان قويًا ونشيطًا. عندما كانت طفلة صغيرة، اعتقدت أن العالم بأسره يستقر على كتفيه. اليوم استغرق الأمر خمس دقائق قبل أن يتعرَّف عليها حتى. رأت كل هذا وهو يتسلل إليهما. لم يكن الأمر أن والدها يُحتضر، بل بالأحرى فقد الرغبة في الحياة.

قال:

- يجب أن أخبرها...

كان صوته أجش. واجهت شفتاه صعوبة في تشكيل الكلمات. كرر قوله هذا مرتين، لكنه مع ذلك لم يكن مفهومًا.

- عمن تتحدث يا أبي؟ ما الذي يجب أن تقوله؟

- يجب أن تعرف ما حدث... ما فعلتُه.

- ما الذي تقصده؟ ما الذي تتحدث عنه؟ هل هذا الأمر متعلق بأمي؟

- أين هي؟ أين أمك؟

- إنها ليست هنا.

انزعجت إميليا من نفسها. ما كان عليها أن تذكر والدتها أبدًا. لن يؤدي ذلك إلا إلى إرباك الرجل العجوز فحسب. قالت بلطف أكثر:

- ما الذي تريد أن تخبرني به يا أبي؟

- إنه أمر مهم. لم يعد لديَّ كثير من الوقت.

- هذا هراء. ستكون بخير. عليك فقط أن تحاول أكل شيء ما. يمكنني طلب شطيرة من كبيرة الممرضات، إذا شئت. أستطيع البقاء معك هنا، بينما تتناولها.

- ماجنوس باي...

كم من الغريب أنه تفوَّه بذلك الاسم. بالطبع كان يعرف السير ماجنوس، في أثناء عمله في ساكسبي أون أيفون. تولى علاج الأسرة بأكملها. لكن لماذا ذكره الآن؟ هل كانت للسير ماجنوس علاقة بما حدث بطريقة ما، بأي ما كان يريد والدها شرحه؟ المشكلة في الخرف هي أنه علاوة على كونه يترك فجوات كبيرة في الذاكرة، فقد كان يخلط الأمور معًا أيضًا. ربما يفكر في شيء حدث منذ خمس سنوات، أو خمسة أيام. بالنسبة إليه، كانا سيَّين.

سألته:

- ماذا عن السير ماجنوس؟

- مَن؟

- السير ماجنوس باي. لقد ذكرته. كان هناك شيء تريد إخباري به.

لكن النظرة الخاوية عادت إلى عينيه. انسحب إلى أيٍّ كان العالم الذي يسكنه. بقيت معه الدكتورة إميليا ريدوينج عشرين دقيقة إضافية، لكنه بالكاد لاحظ وجودها. بعد ذلك، تبادلت بضع كلمات مع كبيرة الممرضات، ثم رحلت.

قادت سيارتها عائدة إلى المنزل، وقد انتابها شعور مزعج بالقلق، لكن عندما أوقفت السيارة، أبعدت والدها عن ذهنها. كان آرثر قد قال إنه سيتولى طهي العشاء تلك الليلة. غالبًا ما سيشاهدان مسلسل الحياة مع آل ليون على التلفزيون، ثم يأويان إلى الفراش مبكرًا. كانت الدكتورة ريدوينج قد اطلعت بالفعل على قائمة مواعيد العيادة لليوم التالي، وعرفت أنه سيكون يومًا مزدحمًا.

فتحت الباب، وشمت رائحة شيء يحترق. شعرت بالقلق للحظة، لكن لم يكن هناك دخان، وكانت الرائحة بعيدة إلى حدٍّ ما، تشبه ذكرى حريق أكثر من كونه حريقًا حقيقيًا. دخلت المطبخ، ووجدت آرثر جالسًا إلى الطاولة - بل مستلقيًا هناك، في الواقع - وهو يشرب الويسكي. لم يكن حتى قد بدأ طهي العشاء، وعرفت على الفور أن هناك شيئًا ما ليس على ما يرام. لم يكن آرثر يحسن التعامل مع خيبة الأمل. من دون أن يتعمد ذلك، كان يحتفي به بطريقة ما. ماذا حدث إذن؟ تجاوزته الدكتورة ريدوينج بنظرها، ورأت لوحة متكئة على الحائط،

وإطارها الخشبي متفحم، وقد تآكل القماش بدرجة كبيرة. كانت صورة لامرأة. من الواضح أنه رسمها - تعرَّفت على أسلوبه على الفور - لكنها استغرقت لحظة أو لحظتين حتى تدرك مَن تكون.

غمغم مجيبًا سؤالها قبل أن تسنح لها الفرصة لطرحه:

- الليدي باي.

- ماذا حدث؟ أين عثرت عليها؟

- كانت ملقاة وسط نار مشتعلة بالقرب من حديقة الورد... عند باي هول.

- ماذا كنت تفعل هناك؟

- كنت أتمشى فحسب. قطعت الطريق عبر دينجل ديل، ولم يكن هناك أحد في الجوار، لذا فكرت في التمشية عبر الحدائق وصولًا إلى الطريق الرئيسي. لا أعرف ما الذي جذبني إليها. ربما كان ذلك مقدرًا.

تناول مزيدًا من الشراب. لم يكن ثملًا، بل استخدم الويسكي كما لو أنه نوع من الديكور المسرحي. واصل قائلًا:

- لم يكن برينت موجودًا، ولم يكن هناك أثر لأي شخص. مجرد اللوحة اللعينة، ملقاة مع بقية القمامة.

- آرثر...

- حسنًا، إنها ملكهما، وقد دفعا ثمنها. أعتقد أنهما يستطيعان فعل ما يريدانه بها.

تذكرت الدكتورة ريدوينج. كان السير ماجنوس قد كلفه برسم اللوحة لعيد ميلاد زوجته الأربعين، وأحست بالامتنان حينها، حتى عندما اكتشفت ضآلة المبلغ الذي ينوي السير ماجنوس دفعه. كان تكليفًا، وقد عنى ذلك الكثير بالنسبة إلى تقدير آرثر لذاته، وشرع في العمل بحماس. رسم فرانسيس باي خلال ثلاث جلسات في الحديقة، مع دينجل ديل في الخلفية. لم يُمنح ما يكفي من الوقت، ومنذ البداية كرهت الليدي باي الجلوس لتُرسَم. لكن حتى هي أُعجبت بالنتيجة: لوحة أبرزت كل ما هو جيد فيها، وأظهرتها مسترخية، بنصف ابتسامة،

ومسيطرة. رضي آرثر عن النتيجة بهدوء، كما رضي عنها السير ماجنوس حينها، وعلقها في مكان بارز في قاعته الكبيرة.

قالت:

- لا بد أنه خطأ. لماذا سيرغبان في التخلص منها؟

أجابها آرثر ببطء:

- لقد كانا يحرقانها.

أشار بغموض إلى اللوحة وتابع قائلًا:

- يبدو أنه مزَّقها إربًا أولًا.

- أيمكنك إنقاذها؟ هل هناك أي شيء يمكنك أن تفعله بها؟

كانت تعرف الجواب. نجت عينا المرأة المتغطرسة، والشعر الداكن المنسدل، وجزء من كتف واحدة، لكن معظم اللوحة تفحم. تمزقت اللوحة واحترقت، ولم ترغب حتى في وجودها في المنزل.

قال آرثر:

- أنا آسف، لم أُعِد العشاء.

أفرغ كأسه، وخرج من الغرفة.

٦

- هل رأيت هذا؟

كان روبن أوسبورن يقرأ نسخة من صحيفة باث ويكلي كرونيكل، ولم يسبق أن رأته هنريتا غاضبًا بشدة على هذا النحو من قبل. اعتقدت أن به شيئًا يبدو حقًّا كما لو أنه من العهد القديم، بشعره الأسود المنسدل على ياقته، ووجهه الأبيض، وعينيه الغاضبتين اللامعتين. كان موسى سيشبهه إلى حدٍّ بعيد، مع العجل الذهبي. أو يوشع بن نون وهو يقتحم أسوار أريحا.

- سوف يجتثون دينجل ديل!

- ما الذي تتحدث عنه؟

كانت هنريبتا قد أعدت كوبين من الشاي. وضعتهما، وتقدمت إلى داخل الغرفة.

- لقد باعها السير ماجنوس باي من أجل التطوير. سوف ينشئون طريقًا جديدًا، وثمانية منازل جديدة.

- أين؟

أشار الكاهن نحو النافذة.

- هنا بالضبط! عند طرف حديقتنا تمامًا! سيكون هذا هو المشهد الذي نراه من الآن فصاعدًا: صفًّا من المنازل الحديثة! لن يراها هو بالطبع، إذ سيكون على الجانب الآخر من البحيرة، وأنا متأكد أنه سيترك ما يكفي من الأشجار لتشكيل حاجز. أما أنا وأنت...

- لا يمكنه فعل ذلك، أليس كذلك؟

دارت هنريبتا كي تتمكن من قراءة العنوان. منازل جديدة لساكسبي أون أيفون. بدا كأنه تفسير متفائل للغاية لمثل هذا العمل التخريبي. أخذت يدا زوجها ترتجفان بوضوح وهو يمسك الصحيفة. تابعت قائلة:

- كما أن الأرض خاضعة للحماية!

- لا يهم ما إذا كانت خاضعة للحماية أم لا. يبدو أنه حصل على تصريح. الشيء نفسه يدور في جميع أنحاء البلاد. يقولون هنا إن العمل سيبدأ قبل نهاية الصيف. هذا يعني الشهر المقبل، أو الشهر الذي يليه. ولا يوجد ما يمكننا فعله.

- يمكننا الكتابة إلى الأسقف.

- لن يقدم الأسقف العون. لن يفعل أحد شيئًا.

- يمكننا المحاولة.

- لا يا هنريبتا، لقد فات الأوان.

في وقت لاحق ذلك المساء، بينما وقفا معًا لإعداد العشاء، كان لا يزال مستاءً.

- هذا الرجل البشع المروع، يجلس هناك في منزله الكبير ذاك، وينظر بتعالٍ

إلى بقيتنا، وليس الأمر كما لو أنه فعل شيئًا ليكون جديرًا بذلك. لقد ورثه من والده فحسب، وورثه والده من قبله. هذا عام ١٩٥٥ بحق السماء، وليس العصور الوسطى! بالطبع لا يساعد في شيء كون المحافظين الملاعين مستمرين في البقاء في السلطة، لكن المرء كان ليعتقد أننا ابتعدنا عن تلك الأيام التي كان الناس يُمنحون فيها المال والسلطة لمجرد حادث ميلاد.

متى فعل السير ماجنوس شيئًا لمساعدة أي شخص آخر؟ انظري إلى الكنيسة! لدينا ذلك السقف الذي يتسرب منه الماء، ونظام التدفئة الجديد الذي لا نستطيع تحمُّل تكلفته، في حين أنه لم يمد يده في جيبه قَطُّ للمشاركة ولو بمقدار شلن. نادرًا ما يأتي على الإطلاق لحضور القداس، في هذه الكنيسة نفسها التي جرى تعميده فيها. أوه! كما أن لديه قطعة أرض محجوزة في المقبرة. في رأيي، كلما عجل في الإقامة بها، كان ذلك أفضل.

- أنا متأكدة أنك لا تعني ذلك يا روبن.

- أنت على حق يا هن. كان التفوُّه بذلك أمرًا شريرًا، وكان خطأً مني تمامًا.

توقف أوسبورن وأخذ نفسًا. تابع قائلًا:

- أنا لا أعارض المساكن الجديدة في ساكسبي أون أيفون. على العكس من ذلك، فإن هذا مهم إذا كانت القرية ستحافظ على بقاء شبابها بها. لكن هذا التطوير لا علاقة له بذلك. أشك كثيرًا في أن أي شخص هنا سيكون قادرًا على شراء المنازل الجديدة. فلتذكري كلماتي هذه. ستكون منازل حديثة قبيحة، لا تتماشى مع القرية على الإطلاق.

- لا يمكنك الوقوف في طريق التقدم.

- هل هذا تقدم؟ محو آثار مرج جميل وغابة موجودة هنا منذ ألف عام؟ بصراحة، أنا مندهش من كونه يستطيع الإفلات بهذا الأمر. طوال فترة عيشنا هنا، أحببنا دينجل ديل. أنت تعرفين ما الذي تعنيه بالنسبة إلينا.

حسنًا، بعد عام من الآن، إذا مضى هذا الأمر قُدمًا، فسنكون عالقين هنا بجوار شارع في الضواحي.

وضع مقشرة الخضراوات، وخلع المئزر الذي كان يرتديه. أعلن قائلًا فجأة:

- سأذهب إلى الكنيسة.

- ماذا عن العشاء؟

- لست جائعًا.

- هل تريدني أن آتي معك؟

- لا، شكرًا لك يا عزيزتي، لكنني بحاجة إلى وقت للتفكير.

ارتدى سترته وقال:

- أنا بحاجة إلى طلب المغفرة.

- أنت لم تفعل شيئًا.

- لقد تفوَّهت ببعض الأشياء التي لم يكن ينبغي لي قولها. كما أن لديَّ في ذهني أفكارًا لا يجب وجودها هناك. أن تشعر بالكراهية حيال أخيك الإنسان... إنه أمر فظيع.

- بعض الناس يستحقون ذلك.

- هذا صحيح بالتأكيد. لكن السير ماجنوس إنسان مثل بقيتنا. سوف أصلي طلبًا لأن يغير رأيه.

غادر الغرفة. سمعت هنرييتا الباب الأمامي وهو يُفتح ويُغلق، ثم شرعت في ترتيب المطبخ. أحست بقلق بالغ تجاه زوجها، وكانت تعرف جيدًا ما ستعنيه خسارة دينجل ديل بالنسبة إليهما. هل كان هناك ما يمكنها فعله حيال ذلك؟ ربما إذا ذهبت بنفسها إلى زيارة السير ماجنوس باي...

في هذه الأثناء، كان روبن أوسبورن يقود دراجته عبر الشارع الرئيسي، في طريقه إلى الكنيسة. كانت دراجته بمنزلة موضوع للمزاح في القرية، إذ كانت قديمة ومزعجة للغاية، بعجلات ترتج وهيكل معدني يزن طنًا. كانت هناك سلة معلقة من المقود، تمتلئ عادة بكتب الصلوات، أو الخضراوات الطازجة

التي زرعها بنفسه والتي كان يحب توزيعها كهدايا على أفقر أفراد رعيته. هذا المساء، كانت فارغة.

عندما دخل ساحة القرية بدراجته، مر بجوني وايتهيد وزوجته اللذين كانا يسيران وقد شبكا ذراعيهما معًا، في طريقهما إلى حانة كوينز آرمز. لم يكن الزوجان وايتهيد يذهبان إلى الكنيسة كثيرًا، وبالتأكيد ليس بدرجة أكبر مما كان يتعين عليهما. بالنسبة إليهما، كما هي الحال مع معظم أمور حياتهما، كان الأمر يتعلق بالحفاظ على المظاهر، ومع أخذ ذلك في الحسبان، وجَّها التحية إلى الكاهن. تجاهلهما، وترك دراجته عند مدخل المقبرة، ثم أسرع واختفى عبر الباب الرئيسي.

تساءل جوني بصوت مرتفع:

- ما خطبه؟ لم يبدُ سعيدًا على الإطلاق.

اقترحت جيما وايتهيد قائلة:

- ربما كانت الجنازة. لا يمكن أن يكون من اللطيف للغاية الاضطرار إلى دفن شخص ما.

- لا، إن الكهنة يألفون الأمر. في الحقيقة، إنهم يستمتعون بذلك. تمنحهم الجنازات سببًا للشعور بأهميتهم.

نظر إلى نهاية الطريق. بجوار كنيسة سانت بوتولف، انطفأت أنوار المرأب. رأى جوني روبرت بلاكيستون وهو يعبر الفناء الأمامي. كان يغلق المرأب لتلك الليلة. ألقى نظرة خاطفة على ساعته. كانت السابعة تمامًا. قال:

- الحانة مفتوحة. دعينا ندخل هناك.

كان في حالة مزاجية جيدة. سمحت له جيما بالذهاب إلى لندن ذلك اليوم - حتى هي لم يكن بوسعها إجباره على قضاء حياته بأكملها في ساكسبي أون أيفون - وكان من اللطيف العودة إلى بعض الأماكن التي اعتاد ارتيادها، ورؤية بعض الأصدقاء القدامى. أما ما هو أكثر من ذلك، فقد استمتع بالفعل بالوجود في المدينة مع حركة المرور من حوله، والغبار والأوساخ في الجو. كان

يحب الضجيج، ويحب كون الناس في عجلة من أمرهم. بذل قصارى جهده كي يعتاد الريف، لكنه كان لا يزال يشعر بأنه يستمتع بالحياة هنا بنفس القدر الذي تستمتع به ثمرة من الكوسة المحشوة. كان اللحاق بما فاته من أخبار ديريك وكولين، وتناول بعض البيرة معًا، والتجول في شارع بريك بمنزلة إعادة اكتشاف نفسه، كما رحل وفي جيبه خمسون جنيهًا أيضًا. فاجأه الأمر تمامًا، لكن كولين لم يتردد.

- جميل جدًا يا جوني. من الفضة الخالصة، كما أنها قديمة نوعًا ما أيضًا. لقد حصلت عليها من متحف، أليس كذلك؟ عليك أن تكثر من زيارتنا بدرجة أكبر!

حسنًا، سيتولى شراء المشروبات الليلة، حتى لو كانت حانة كوينز آرمز مبهجة بنفس قدر المقبرة الكائنة إلى جوارها. كان هناك عدد قليل من السكان المحليين بالداخل، وتوني بينيت عند صندوق الموسيقى. فتح الباب لزوجته، ودخلا.

٧

كانت جوي ساندرلنج بمفردها في الصيدلية التي كانت أيضًا مكتبًا رئيسيًا في عيادة الدكتورة ريدوينج.

دخلت باستخدام مفتاحها الخاص. كانت لديها مفاتيح لكل جزء من المبنى، باستثناء الخزانة التي تحوي الأدوية الخطرة، وحتى هذه كان بإمكانها فتحها، إذ كانت تعلم أين تحتفظ الدكتورة ريدوينج بمفتاحها الاحتياطي. قررت ما ستفعله. مجرد التفكير في الموضوع جعل دقات قلبها تتسارع، لكنها ستمضي في الأمر قُدمًا على أي حال.

سحبت ورقة من الدرج، وأدخلتها في الآلة الكاتبة المحمولة، طراز «أوليمبيا إس إم ٢ ديلوكس»، التي زُودت بها عندما بدأت العمل. كانت تفضِّل شيئًا أثقل نوعًا ما لكل الكتابة التي يتعين عليها فعلها، لكن لم يكن من طبيعتها الشكوى. نظرت

إلى الصفحة البيضاء وهي تنحني باتجاهها، وللحظة فكرت في وصولها إلى تانر كورت، ولقائها مع أتيكوس بوند. خيب المحقق الشهير آمالها، لكنها لم تضمر له أي ضغينة. كان لطفًا منه أن يقابلها، خصوصًا أنه لم يبدُ على ما يرام على الإطلاق. اعتادت رؤية أشخاص مرضى، وأكسبها الوقت الذي قضته في العيادة حسًا داخليًا من نوع ما. كان بوسعها أن تستشعر الأمر على الفور عندما يكون هناك شيء خطير، حتى قبل أن يدخل المريض لرؤية الطبيبة، وقد عرفت على الفور أن بوند بحاجة إلى المساعدة. حسنًا، لم يكن ذلك شأنًا يخصها. الحقيقة أنه كان على صواب. الآن بعد أن فكرت في الأمر، بات بوسعها أن ترى أنه كان من المستحيل وقف موجة الثرثرة الخبيثة في القرية. لم يكن هناك ما يمكنه فعله.

لكن هناك ما يمكنها هي فعله.

اختارت كلماتها بعناية، وشرعت في الكتابة على الآلة الكاتبة. لم يستغرق الأمر وقتًا طويلًا جدًا. يمكن احتواء الأمر برمته في ثلاثة أو أربعة أسطر. عندما انتهت، تفحصت ما كتبته، وبعد أن صار مدونًا أمامها الآن، تساءلت عما إذا كان بإمكانها حقًا المضي قُدمًا في هذا الأمر. لم تستطع رؤية أي بديل.

كانت هناك حركة أمامها. رفعت رأسها، ورأت روبرت بلاكيستون يقف على الجانب الآخر من الطاولة، في منطقة الانتظار. كان يرتدي بدلة الورشة المغطاة بالزيت والأوساخ. انصب تركيزها بشدة على ما تفعله، إلى درجة أنه دخل من دون أن تسمعه. أحست بالذنب، وسحبت الورقة من الآلة الكاتبة، ووضعتها على المكتب ووجهها نحو الأسفل.

سألته:

- ماذا تفعل؟

قال:

- جئت لرؤيتك.

كان قد أغلق المرأب للتو بالطبع، ولا بد أنه جاء إلى هنا مباشرة. لم تخبره بأنها ذهبت إلى لندن. سيفترض أنها كانت هنا طوال اليوم.

سألته بمرح:

- كيف كان يومك؟

- لا بأس به.

ألقى نظرة سريعة نحو الرسالة المقلوبة، وقال:

- ما هذا؟

كانت نبرته متشككة، وأدركت أنها قلبتها بسرعة زائدة بعض الشيء.

قالت:

- مجرد شيء للدكتورة ريدوينج. إنها رسالة خاصة، أشياء طبية.

كرهت الكذب عليه، لكن كان من المُحال أن تخبره بما كتبته.

- هل تريدين الذهاب لتناول شراب؟

- لا، عليَّ العودة إلى أمي وأبي.

رأت نظرة ترتسم على وجهه، فانتابها القلق للحظة. سألته:

- هل هناك خطب ما؟

- ليس في الواقع. أردت أن أكون بصحبتك فحسب.

- عندما نتزوج، سنكون معًا طوال الوقت، ولن يتمكن أحد من فعل شيء حيال ذلك.

- أجل.

فكرت في تغيير رأيها. كان من الممكن أن تخرج معه، لكن والدتها أعدت عشاءً خاصًا، وينزعج بول، شقيقها، عندما تتأخر. وعدت بأن تقرأ له الليلة، قبل النوم. دومًا ما يستمتع بذلك. أخذت معها الرسالة، ونهضت، وعبرت من الباب الموصل بين المنطقتين. ابتسمت وقبَّلته على وجنته.

- سنصبح السيد والسيدة روبرت بلاكيستون، وسنعيش معًا، ولن نفترق مرة أخرى أبدًا.

فجأة، أمسك بها. أحاطها بكلتا يديه، وكانت القبضة قوية للغاية إلى درجة أنه كاد يؤلمها. قبَّلها، ورأت أن هناك دموعًا في عينيه. قال:

- لا يمكنني تحمُّل خسارتك. أنتِ كل شيء بالنسبة إليَّ. أعني ذلك يا جوي. كان لقاؤك هو افضل شيء حدث لي، ولن أسمح لأي شخص بمنعنا من الوجود معًا.

عرفت ما يقصده: القرية، والشائعات.

قالت له:

- لا يهمني ما يقوله الناس. وعلى أي حال، لا يتعين علينا البقاء في ساكسبي. يمكننا الذهاب إلى أي مكان نريده.

أدركت أن هذا بالضبط هو ما قاله بوند. تابعت الحديث قائلة:

- لكننا سنبقى هنا. سترى، سيصبح كل شيء على ما يرام.

سرعان ما افترقا بعد ذلك. عاد إلى شقته الصغيرة كي يستحم ويبدل ملابس عمله. لكنها لم تعد إلى والديها. ليس بعد. كانت الرسالة التي كتبتها لا تزال بحوزتها، وكان لا بد من توصيلها.

٨

في تلك اللحظة بالضبط، وعلى مسافة أبعد قليلًا عبر الطريق، سمعت كلاريسا باي شخصًا ما يرن جرس بابها الأمامي. كانت تعد عشاءها، وهو شيء جديد ظهر فجأة في متجر القرية: سمك مجمد مقطَّع على شكل أصابع متساوية، ومغطى بالبقسماط الناعم. صبت بعض زيت الطهي، لكن من حسن الحظ لم تكن قد وضعته في المقلاة بعد. رن جرس الباب مرة ثانية. وضعت العبوة المصنوعة من الورق المقوى على طاولة المطبخ، وذهبت لترى من الطارق.

كان يمكن رؤية هيئة خيال مشوَّه على الجانب الآخر من نوافذ الباب الأمامي التي لها زجاج محبب السطح. هل يمكن أن يكون بائعًا متجولًا في مثل هذا الوقت من الليل؟ عانت القرية مؤخرًا طاعونًا حقيقيًا منهم، يضاهي في سوئه الجراد الذي هبط على مصر. فتحت الباب بقلق، وقد سرها أن سلسلة الأمان

لا تزال في مكانها، وأطلت من خلال الشق. وقف أمامها شقيقها، ماجنوس باي. رأت سيارته، وهي جاجوار زرقاء شاحبة، متوقفة خلفه في وينزلي تيراس.

- ماجنوس؟

اندهشت بشدة، إلى درجة أنها لم تعرف ما تقوله تقريبًا. لم يسبق أن زارها هنا من قبل سوى مرتين فحسب، إحداهما عندما كانت مريضة. لم يحضر الجنازة، ولم ترَه منذ عودته من فرنسا.

- مرحبًا يا كلارا. هل يمكنني الدخول؟

كان كلارا هو الاسم الذي يناديها به دائمًا، منذ أن كانا طفلين. ذكَّرها الاسم بالصبي الذي كانه، والرجل الذي أصبح عليه. لماذا اختار أن يطلق تلك اللحية الفظيعة؟ ألم يخبره أحد بأنها لا تناسبه، وأنها تجعله يبدو كما لو أنه أرستقراطي مجنون من رسم كاريكاتوري؟ كانت عيناه تميلان إلى اللون الرمادي نوعًا ما، وكان بوسعها رؤية الأوردة في وجنتيه. بدا من الواضح أنه يفرط في تناول الشراب. وهيئة ملابسه كذلك! بدا كما لو أنه كان يلعب الجولف. ارتدى سروالًا فضفاضًا مدسوسًا في جوربيه، وسترة من الصوف المحبوك بلون أصفر زاهٍ. كان من المستحيل تقريبًا تخيل أنهما أخ وأخت، وما هو أكثر من ذلك، توأمان. ربما كان السبب هو المسارات المختلفة التي قادتهما فيها الحياة خلال سنوات عمرهما الثلاث والخمسين، لكن لم يعد أحدهما يشبه الآخر على الإطلاق، إذا سبق أن كانا كذلك من الأساس.

أغلقت الباب، وحلت سلسلة الأمان، ثم فتحته مرة أخرى. ابتسم ماجنوس - على الرغم من أن ارتعاشة شفتيه تلك كان يمكن أن تدل على أي شيء - ودخل إلى الردهة. كانت كلاريسا ستأخذه إلى المطبخ، لكنها تذكرت عبوة السمك المجمد الملقاة بجوار الموقد، وقادته في الاتجاه الآخر بدلًا من ذلك. تنعطف يسارًا أم يمينًا؟ لم يكن المنزل رقم ٤ في وينزلي تيراس مثل باي هول. في هذا المنزل، كان هناك عدد قليل جدًا من الخيارات.

دخلا غرفة المعيشة، التي كانت مكانًا نظيفًا ومريحًا به سجادة عليها نقوش

ملتفة كدوامات، وطقم جلوس من ثلاث قطع، ونافذة ناتئة من الحائط. كانت هناك مدفأة كهربائية، وجهاز تلفزيون. للحظة، وقفا هناك في ضيق.

سألها ماجنوس:

- كيف حالك؟

لماذا يريد أن يعرف؟ ولماذا يهتم؟ قالت كلاريسا:

- أنا بخير، شكرًا لك. كيف حالك أنت؟ وكيف حال فرانسيس؟

- أوه، إنها بخير. إنها في لندن... تتسوق.

ساد صمت حرج مرة أخرى. سألته كلاريسا:

- هل يمكنني أن أحضر لك شيئًا لتشربه؟

ربما كانت هذه زيارة اجتماعية. لم تستطع التفكير في أي سبب آخر لوجود شقيقها هنا.

- سيكون ذلك لطيفًا، أجل. ماذا لديكِ؟

- لديَّ بعض الشيري.

- شكرًا لكِ.

جلس ماجنوس. توجهت كلاريسا إلى الخزانة في الزاوية، وأخرجت زجاجة. كانت هناك منذ عيد الميلاد. هل يمكن أن يفسد الشيري؟ صبت كأسين، وتشممتهما، ثم حملتهما إليه. قالت:

- أسفت لسماع خبر السطو.

هز ماجنوس كتفيه، وقال:

- أجل، لم يكن من اللطيف العودة إلى المنزل لنجد مثل ما حدث.

- متى عدتما من فرنسا؟

- مساء يوم السبت. دخلنا ووجدنا المكان بأكمله مبعثرًا. كان ذلك الأحمق اللعين برينت هو السبب، إذ لم يصلح الباب الخلفي. أنا سعيد لأنني تخلصت منه. ظل يثير أعصابي منذ فترة. إنه ليس بستانيًا سيئًا، لكن لم يعجبني سلوكه قَطُّ.

- هل طردته من العمل؟

- أعتقد أنه حان الوقت كي يمضي قُدمًا.

احتست كلاريسا الشيري. علِق بشفتيها كما لو أنه يقاوم دخول فمها.

- سمعت أنك فقدت بعض الفضة.

- معظمها، في الواقع. لأقول لك الحقيقة، فقد كان وقتًا عصيبًا بعض الشيء، خصوصًا مع كل ما حدث.

- هل تقصد ماري بلاكيستون؟

- أجل.

- أسفت لعدم رؤيتك في الجنازة.

- أعلم هذا. إنه أمر مؤسف. لم أكن أعلم...

- ظننت أن الكاهن كتب إليك رسالة.

- لقد فعل، لكنني لم أتسلم رسالته إلا بعد فوات الأوان. البريد الفرنسي اللعين! في الواقع، هذا ما أردت التحدث إليك بشأنه.

لم يلمس الشيري. تجول بنظره في الغرفة، كما لو أنه يراها لأول مرة.

- هل تحبين المكان هنا؟

فاجأها السؤال. قالت:

- لا بأس به.

ثم أضافت بحسم أكثر:

- في الواقع، أنا سعيدة جدًا هنا.

- هل أنت سعيدة حقًا؟

جعل الأمر يبدو كما لو أنه لا يصدقها.

- حسنًا، أجل.

- الأمر كما ترين، هو أن الكوخ الخشبي صار خاليًا الآن.

- هل تعني الكوخ الخشبي في باي هول؟

- أجل.

- وهل تريدني أن أنتقل إلى السكن هناك؟

- فكرت في الموضوع على متن الطائرة العائدة إلى الوطن. إنه أمر مؤسف للغاية، فيما يتعلق بماري بلاكيستون. كنت أميل إليها بشدة، كما تعلمين. كانت طاهية ماهرة، ومدبرة منزل جيدة، لكن فوق كل شيء، كانت كتومًا. عندما سمعت بأمر هذا الحادث اللعين، علمت أنه سيكون من الصعب جدًا تعويضها. بعد ذلك، فكرت فيكِ...

شعرت كلاريسا بقشعريرة باردة تسري بطول جسدها.

- ماجنوس، هل تعرض عليَّ وظيفتها؟

- لمَ لا؟ لم تعملي بالكاد منذ عودتك من أمريكا. أنا متأكد أن المدرسة لا تدفع لك الكثير، وأنت بحاجة إلى المال على الأرجح. إذا انتقلت إلى الكوخ الخشبي، يمكنك بيع هذا المكان، وقد تستمتعين بالعودة إلى المنزل الريفي. هل تذكرين، عندما كنا نطارد بعضنا حول البحيرة؟ ونلعب الكروكيه على العشب؟ بالطبع عليَّ أن أتحدث مع فرانسيس بخصوص الأمر، فلم أذكر لها ذلك بعد. فكرت أن أعرف ما تعتقدينه أولًا. ما رأيك؟

- هل يمكنني التفكير في الأمر؟

- بالتأكيد. إنها مجرد فكرة، لكنها في الواقع قد تنجح بشكل جيد للغاية.

رفع كأسه، لكنه غيَّر رأيه، ووضعها مرة أخرى.

- يسعدني رؤيتك دومًا يا كلارا. سيكون من الرائع إذا انتقلت إلى السكن هناك مرة أخرى.

بطريقة ما، تمكنت من توصيله إلى الباب، ووقفت هناك تراقبه وهو يركب سيارته الجاجوار، ويقودها مبتعدًا. لم تستطع كلاريسا التنفس بسهولة. حتى الحديث إليه تطلب منها جهدًا هائلًا. شعرت بموجة تلو موجة من الغثيان تجتاحها. لم يكن هناك شعور في يديها. كانت قد سمعت عبارة «أصابه الخدر من شدة الغضب»، لكنها لم تدرك قَطُّ أنها يمكن أن تكون حقيقة واقعة.

عرض عليها وظيفة للعمل كخادمته، تنظف الأرضيات وتتولى الغسيل،

يا إلهي! كانت شقيقته، وولُدت في ذلك المنزل، وعاشت هناك حتى بلغت العشرينيات من عمرها، وتناولت الطعام نفسه مثله. لم تنتقل من المنزل إلا بعد وفاة والديهما، وزفاف ماجنوس، وقد تتالى الحدثان بسرعة مخزية، أحدهما وراء الآخر. منذ ذلك اليوم، لم تعد تمثل له أي شيء. والآن، هذا!

كانت هناك لوحة مستنسخة من عذراء الصخور لليوناردو دافنشي في الردهة. ربما أدارت مريم العذراء رأسها عن يوحنا المعمدان، ونظرت بقلق حينما صعدت كلاريسا باي إلى الطابق الأول وهي تضرب الأرض بقدميها بقوة، وفي عينيها نظرة انتقام.

بالتأكيد لم تكن ذاهبة هناك كي تصلي.

٩

في الساعة الثامنة والنصف، حل الظلام على ساكسبي اون أيفون.

قرر برينت العمل حتى وقت متأخر. بصرف النظر عن المسطحات الخضراء وكل الأعشاب الضارة التي يتعين إزالتها، كان هناك خمسون نوعًا من الورد التي يجب إزالة الزهور الذابلة منها، وأشجار الطقسوس بحاجة إلى التقليم. عندما وضع عربة اليد وأدواته المختلفة في الإسطبل، سار حول البحيرة وخرج عبر دينجل ديل، متتبعًا مسارًا من شأنه أن يوصله بالقرب من سكن الكاهن وحتى فيريمان، الحانة الثانية بالقرية، الواقعة عند مفترق الطريق السفلي.

ما إن وصل إلى حافة الغابة، حتى جعله شيء ما يلتفت خلفه. كان قد سمع شيئًا. جرى بعينيه سريعًا على المنزل نفسه، وهو يحدق إلى الظلام. كانت هناك بضعة أنوار مضاءة في الطابق الأرضي، من دون دليل على أي حركة. على حد علمه، كان السير ماجنوس باي بمفرده في الداخل. عاد بالسيارة من القرية قبل ساعة، لكن زوجته كانت لا تزال في لندن ذلك اليوم. كانت سيارتها غير موجودة في المراب.

رأى هيئة شخص يسير في الطريق من البوابة الرئيسية. كان رجلًا، بمفرده. كان برينت يتمتع بحدة النظر، والقمر بازغ، لكنه لم يكن متأكدًا ما إذا كان شخصًا من القرية. كان من الصعب معرفة ذلك، إذ إن الزائر ارتدى قبعة أخفت معظم وجهه. كان هناك شيء غريب نوعًا ما في طريقة سيره، وهو نصف منحنٍ ويحتمي بالظلال، كما لو أنه لا يريد أن يراه أحد تقريبًا. كان الوقت متأخرًا لزيارة السير ماجنوس. فكر برينت أن يستدير عائدًا. حدث ذلك السطو في يوم الجنازة نفسه، وكان الجميع في حالة تأهب. لن يستغرق الأمر دقيقة للعودة عبر العشب والتأكد أن كل شيء على ما يرام.

قرر ألا يفعل. في النهاية، لم يكن من شأنه مَن يزور باي هول، وبعد النقاش الذي أجراه مع السير ماجنوس عصر ذلك اليوم نفسه، وبعد ما قاله له السير ماجنوس، فمن المؤكد أنه لا يشعر بأي ولاء حيال رب عمله أو حيال زوجته. لم يكن الأمر كما لو أنهما اهتما به على الإطلاق. أخذاه كأمر مسلَّم به. عمل برينت منذ الثامنة صباحًا حتى منتصف الليل طوال سنوات وحتى الآن، من دون كلمة شكر مطلقًا، وبراتب مثير للضحك بصراحة. لم يكن يذهب لتناول البيرة في منتصف الأسبوع عادة، لكن تصادف أن بحوزته بعض النقود في جيبه، سينفقها على السمك والبطاطس المحمرة، وكوبين من البيرة. كانت حانة فيريمان تقع عند الطرف السفلي من القرية، وهي مكان رث متداعٍ، أقل أناقة بكثير من كوينز آرمز. كانوا يعرفونه هناك، ودومًا ما كان يجلس على المقعد نفسه بالقرب من النافذة. على مدى الساعتين المقبلتين، قد يتبادل كلمات قليلة مع ساقي الحانة، لكن بالنسبة إلى برينت كان ذلك بمنزلة محادثة. أبعد الزائر عن ذهنه، وواصل طريقه.

واجه لقاءً غريبًا آخر قبل أن يصل إلى الحانة بعد خمس وعشرين دقيقة. عندما خرج من الغابة، صادف امرأة وحيدة مشعثة بعض الشيء تسير نحوه، وتعرَّف على هنرييتا أوسبورن، زوجة الكاهن. لا بد أنها أتت من منزلها الواقع عبر الطريق، وغادرته على عجل. ارتدت سترة رجالية زرقاء شاحبة، كانت لزوجها على ما يبدو. كان شعرها غير مرتب، وبدت مشتتة.

رأته وقالت:

- أوه، مساء الخير يا برينت. لقد خرجتَ في وقت متأخر.

- أنا ذاهب إلى الحانة.

- حقًّا؟ كنت أتساءل فحسب... كنت أبحث عن الكاهن. لا أظن أنك رأيته؟

- لا.

هز برينت رأسه، متسائلًا عن سبب خروج الكاهن في مثل هذا الوقت من الليل. هل تشاجرا؟ ثم تذكر قائلًا:

- كان هناك شخص ما عند باي هول يا سيدة أوسبورن. أعتقد أنه ربما كان هو.

- باي هول؟

- كان على وشك الدخول.

- لا أستطيع أن أتخيل سبب رغبته في الذهاب إلى هناك.

بدت متوترة.

هز برينت كتفيه قائلًا:

- لا أعرف مَن كان.

- حسنًا، ليلة سعيدة.

استدارت هنرييتا وعادت من حيث أتت، متوجهة إلى منزلها.

بعد ساعة، جلس برينت مع السمك والبطاطس المحمرة خاصته، وهو يحتسي كوبه الثاني من البيرة. عبقت الغرفة بدخان السجائر. عزفت الموسيقى بصوت مرتفع من صندوق الموسيقى، لكن سادت فترة صمت بين الأسطوانات، وسمع الدراجة في أثناء مرورها متجهة نحو مفترق الطرق. ألقى نظرة خاطفة إلى الخارج، ورآها وهي تمر. لم يكن هناك لبس في الصوت الذي تصدره. لقد كان محقًّا، إذن. كان الكاهن عند باي هول، وهو الآن في طريقه إلى المنزل. بقي هناك فترة طويلة. فكر برينت بإيجاز في لقائه مع هنرييتا أوسبورن. بدت قلقة بشأن شيء ما. ما الذي يحدث؟ حسنًا، لم تكن له علاقة بالموضوع. استدار وأبعد كل شيء عن ذهنه. لكن سرعان ما سيُذكَّر بالأمر.

١٠

قرأ أتيكوس بوند الحكاية في صحيفة «التايمز» صباح اليوم التالي.

بارونيت يتعرض للقتل

استُدعيت الشرطة في قرية ساكسبي أون أيفون في ويلتشير عقب وفاة السير ماجنوس باي، وهو مالك أرض محلي ثري. أكد مفتش المباحث ريموند تشاب، متحدثًا نيابة عن شرطة باث، أن الوفاة تُعامل بوصفها جريمة قتل. وقد توفي السير ماجنوس عن زوجته، فرانسيس، الليدي باي، وابنه فريدريك.

كان في غرفة الجلوس في تانر كورت، يدخن سيجارة. كان جيمس فريزر قد أحضر له الصحيفة وكوبًا من الشاي، وعاد الآن، حاملًا منفضة سجائر.

سأله بوند:

- هل رأيت الصفحة الأمامية؟

- بالطبع! إنه أمر فظيع. الليدي مونتباتن المسكينة...

- معذرة؟

- سُرقت سيارتها! وفي وسط هايد بارك!

ابتسم بوند بحزن نوعًا ما.

- لم تكن تلك القصة التي أشرتُ إليها.

أدار الصحيفة كي يريها لمساعده.

قرأ فريزر الفقرات، وصاح قائلًا:

- باي! ألم يكن ذلك...

- كان هو بالفعل. أجل، كان رب عمل ماري بلاكيستون. ذُكر اسمه في هذه الغرفة منذ بضع ساعات فحسب.

- يا لها من مصادفة!

- هذا محتمل، نعم، المصادفات تحدث. لكن في هذه الحالة، لست متأكدًا تمامًا. نتحدث هنا عن الموت، عن حالتَي وفاة غير متوقعتين في المنزل نفسه. ألا تجد ذلك مثيرًا للفضول؟

- لن تذهب إلى هناك، أليس كذلك؟

فكر أتيكوس بوند في الموضوع.

من المؤكد أنه لم يكن في ذهنه تولي مزيد من العمل. ببساطة، لن يسمح الوقت المتبقي له بذلك. وفقًا للدكتور بينسون، كانت لديه في أفضل الأحوال ثلاثة أشهر من الصحة المعقولة، التي قد لا تكون كافية حتى للقبض على قاتل. على أي حال، فقد اتخذ بالفعل قرارات معينة. كان ينوي استغلال ذلك الوقت لترتيب شؤونه. كانت هناك مسألة وصيته، وتوزيع سكنه وممتلكاته. غادر ألمانيا من دون أي شيء خاص به تقريبًا، لكن كانت هناك مجموعة تماثيل خزف مايسن التي تعود إلى القرن الثامن عشر. كانت ملكًا لوالده، ونجت من الحرب بأعجوبة. كان يود رؤيتها في متحف، وقد كتب بالفعل إلى متحف فيكتوريا وألبرت في كنسينجتون. ستواسيه معرفة أن الموسيقي، والواعظ، والجندي، والخياطة، والآخرين من أفراد أسرته الصغيرة، سيظلون معًا بعد رحيله. ففي النهاية، كانوا هم الأسرة الوحيدة التي يمتلكها.

سيوصي بميراث لجيمس فريزر، الذي كان معه خلال القضايا الخمس الأخيرة له، والذي لم يخذله قَطُّ ولاؤه وحسه الفكاهي، حتى لو لم يساعده ذلك كثيرًا عندما يتعلق الأمر بالتحقيق في إحدى الجرائم. كانت هناك العديد من المؤسسات الخيرية التي يرغب في مساعدتها، ولا سيما صندوق العاصمة وشرطة المدينة المخصص للأيتام. وقبل كل شيء، كانت هناك الأوراق المتعلقة بعمله النفيس، مشهد التحقيق الجنائي. كان سيستغرق منه عامًا آخر لإنهائه. لم تكن هناك إمكانية لتقديمه إلى ناشر في صورته الحالية. لكنه فكر أنه قد يتمكن من جمع كل ملاحظاته، إلى جانب قصاصات الصحف، والرسائل، وتقارير

الشرطة، كي يتمكن طالب من طلاب علم الإجرام من تجميع الأمر برمته في وقت مستقبلي. سيكون من المؤسف أن يكون قد بذل كل هذا الجهد سدى.

كانت هذه خططه. لكن إذا كان ثمة شيء واحد علمته إياه الحياة، فهو عدم جدوى وضع الخطط. للحياة جدول أعمالها الخاص.

التفت إلى فريزر الآن قائلًا:

- أخبرت الآنسةساندرلنج بأنني لن أتمكن من مساعدتها، لأنه ليس لديَّ سبب رسمي للذهاب إلى باي هول. لكن ها قد ظهر سبب الآن، وأرى أن صديقنا القديم، مفتش المباحث تشاب، متورط في الأمر.

ابتسم بوند، وعاد الألق القديم إلى عينيه.

- احزم الحقائب يا جيمس، وأحضر السيارة. سوف نرحل في الحال.

ثلاثة

فتاة

١

لم يتعلم أتيكوس بوند القيادة قَطُّ. لم يتعمد أن يكون قديم الطراز. أبقى نفسه على اطلاع بجميع التطورات العلمية الأخيرة، ولم يكن ليتردد في استخدامها، في علاج مرضه على سبيل المثال. لكن شيئًا ما في وتيرة التغيير أثار قلقه، في الهجوم المفاجئ للآلات بكل أشكالها وأحجامها. مع انتشار أجهزة التلفزيون والآلات الكاتبة والثلاجات والغسالات، وحتى مع ازدحام الحقول بأبراج الكهرباء، أصبح يتساءل أحيانًا عما إذا كانت هناك تكاليف خفية للإنسانية، التي تعرضت بالفعل لاختبار شديد خلال فترة حياته. في النهاية، كانت النازية آلة في حد ذاتها. لم يكن في عجلة من أمره للانضمام إلى العصر التكنولوجي الجديد.

وهكذا، عندما رضخ للأمر المحتوم، ووافق على أنه بحاجة إلى سيارة خاصة، ترك الأمر برمته لجيمس فريزر، الذي خرج وعاد بسيارة فوكسهول فيلوكس ذات أربعة أبواب، كان على بوند الاعتراف بأنها خيار جيد، متينة ويُعتمد عليها، وبها مساحة كبيرة. بالطبع، تحمس فريزر حماسًا صبيانيًا. كان بها محرك ستة سلندرات، وتصل من سرعة الصفر إلى ستين ميلًا في الساعة خلال اثنتين وعشرين ثانية فقط. كما يمكن ضبط السخان لإزالة الجليد عن الزجاج الأمامي خلال الشتاء. كان بوند سعيدًا فقط لأنها ستوصله إلى حيث يريد الذهاب، وأنها بلون رمادي رصين غير مميز، لن يلفت الأنظار إلى أنه قد وصل.

توقفت السيارة الفوكسهول أمام باي هول، وجيمس فريزر خلف عجلة القيادة، بعد رحلة استغرقت ثلاث ساعات من لندن، قطعاها من دون توقف. كانت هناك سيارتا شرطة متوقفتين على الحصى. ترجل بوند وفرد ساقيه، ممتنًا للخروج من المكان الضيق. تجولت عيناه عبر واجهة المبنى، متأملًا فخامته وأناقته

وطابعه الإنجليزي. عرف على الفور أنه ظل ملكًا للأسرة نفسها لأجيال عديدة. بدا ذا طبيعة ثابتة، وبه حس بالديمومة.

تمتم فريزر:

- ها هو ذا تشاب.

ظهر الوجه المألوف لمفتش المباحث عند الباب الأمامي. كان فريزر قد اتصل به هاتفيًا قبل مغادرتهما، ويبدو أن تشاب انتظر وصولهما. كان سمينًا ومرحًا له شارب يشبه أوليفر هاردي، وكان يرتدي بدلة لا يلائمه مقاسها، وتحتها أحدث إبداعات زوجته في الحياكة، وهي سترة من الصوف المحبوك بلون بنفسجي مؤسف على نحو خاص. ازداد وزنه. كان هذا هو الانطباع الذي يعطيه دومًا. علق بوند ذات مرة قائلًا إنه يبدو كرجل انتهى للتو من تناول وجبة لذيذة على وجه الخصوص. أتى واثبًا عبر الدرجات الأمامية، وقد بدا من الواضح أنه سعيد لرؤيتهما.

صاح قائلًا:

- هير بوند!

دومًا ما كان يستخدم لقب «هير»، وبطريقة ما ألمح تشاب إلى أن هناك عيبًا في شخصية بوند، لكونه وُلد في ألمانيا. في النهاية، كان الأمر كما لو أنه يقول: «دعنا لا ننسَ مَن انتصر في الحرب».

- فوجئت بشدة عندما تلقيت اتصالًا منك. لا تقل لي إنه كانت لديك تعاملات مع الراحل السير ماجنوس.

أجاب بوند:

- لا، على الإطلاق. لم أقابله قَطُّ، ولم اعرف بوفاته إلا من الصحف هذا الصباح.

- إذن ما الذي أتى بك إلى هنا؟

انتقلت عيناه إلى جيمس فريزر، وبدا أنه لاحظه لأول مرة.

- إنها مصادفة غريبة.

في الواقع، كثيرًا ما سمع فريزر المحقق وهو يقول إنه لا وجود للمصادفات. كان هناك فصل في مشهد التحقيق الجنائي أعرب فيه عن اعتقاده بأن كل شيء في الحياة له نمط، وأن المصادفة ببساطة ما هي إلا اللحظة التي يصبح فيها ذلك النمط ظاهرًا فترة وجيزة.

- أتت سيدة شابة من هذه القرية لرؤيتي بالأمس، وأخبرتني عن وفاة وقعت في هذا المنزل نفسه قبل أسبوعين...

- هل تقصد مدبرة المنزل، ماري بلاكيستون؟

- أجل، كانت قلقة من أن بعض الناس يوجهون اتهامات كاذبة بشأن ما حدث.

- هل تعني أنهم يعتقدون أن السيدة العجوز قُتلت عمدًا؟

أخرج تشاب علبة من سجائر «بلايرز»، وهو النوع نفسه الذي يدخنه على الدوام، وأشعل واحدة. اصطبغت السبابة والإصبع الثالثة من يده اليمنى ببقع دائمة، مثل مفاتيح البيانو القديمة.

- حسنًا، يمكنني أن أريح ذهنك فيما يتعلق بهذا الشأن يا هير بوند. لقد نظرت في الأمر بنفسي، ويمكنني أن أخبرك بأنه كان مجرد حادث بكل بساطة. كانت تنظف باستخدام المكنسة الكهربائية أعلى الدرج، وتعثرت في السلك وسقطت بطول الدرج. من سوء حظها، ثمة بلاط حجري صلب في الأسفل! لم يكن لدى أي شخص سبب لقتلها، وعلى أي حال، كانت بمفردها في المنزل والأبواب مغلقة.

- وماذا عن وفاة السير ماجنوس؟

- حسنًا، هذا أمر مختلف تمامًا. يمكنك الدخول وإلقاء نظرة إذا شئت. يبدو الأمر أشبه بمذبحة، وهذه هي الكلمة المناسبة لوصفه. سأنتهي من هذه أولًا، إذا لم يكن لديك مانع. الوضع بالداخل مثير للغثيان بشدة.

ثبت السيجارة بين شفتيه بتأنٍّ، وأخذ نفسًا.

- في الوقت الحالي، نتعامل مع الأمر بوصفه عملية سطو اتخذت منحى خطأً. يبدو هذا هو أكثر استنتاج بديهي.

- الاستنتاجات الأكثر بديهية هي ما أحاول تفاديه.

- حسنًا، لديك أساليبك الخاصة يا هير بوند، ولن أدعي أنها لم تكن مفيدة في الماضي. ما لدينا هنا هو مالك أرض محلي، بقي في القرية طوال حياته. ما زال الوقت مبكرًا، لكنني لا اظن أن أحدًا يحمل له ضغينة. الآن، جاء شخص ما إلى هنا نحو الثامنة والنصف الليلة الماضية. في الواقع لمحه برينت، العامل المسؤول عن الحدائق، بينما كان ينهي عمله. لم يتمكن من إعطائنا وصفًا، لكن انطباعه الأول كان أنه ليس شخصًا من القرية.

سأل فريزر:

- كيف أمكنه معرفة ذلك؟

تعرض للتجاهل حتى هذه اللحظة، وشعر بالحاجة إلى تذكير الآخرين بأنه لا يزال موجودًا.

- حسنًا، أنت تعرف كيف يكون الأمر. من الأسهل التعرُّف على شخص ما، إذا كنت قد رأيته من قبل. حتى لو لم تتمكن من رؤية وجهه، فهناك شيء ما يتعلق بهيئة جسده، أو طريقة سيره. كان برينت متأكدًا تمامًا أن هذا شخص غريب. وعلى أي حال، فهناك شيء ما في الطريقة التي اقترب بها هذا الرجل من المنزل، كما لو أنه لا يريد أن يراه أحد.

قال بوند:

- أنت تعتقد أن هذا الرجل كان لصًا.

- تعرض المنزل للسطو مرة بالفعل قبل عدة أيام فحسب.

تنهد تشاب كما لو أنه منزعج لاضطراره إلى شرح الأمر برمته مرة أخرى، وتابع قائلًا:

- بعد وفاة مدبرة المنزل، اضطروا إلى تحطيم نافذة خلفية للدخول. كان عليهم تركيب زجاج جديد، لكنهم لم يفعلوا، وبعدها بعدة أيام اقتحم شخص ما المكان. أفلت بغنيمة صغيرة أنيقة من العملات والحلي العتيقة. كانت رومانية، هل تصدق ذلك؟ ربما ألقى نظرة على المكان في أثناء وجوده به.

هناك خزنة في غرفة مكتب السير ماجنوس، ربما لم يتمكن من فتحها، لكنه بات يعرف بوجودها، ويمكنه العودة والمحاولة مرة أخرى. ظن أن المنزل لا يزال خاليًا، وفاجأه السير ماجنوس، وها نحن أولاء.

- قلت إنه قُتل بعنف.

- هذا تهوين للأمر.

احتاج تشاب إلى دعم نفسه بنفَس آخر من الدخان.

- هناك بدلة مدرعة في القاعة الرئيسية، ستراها في غضون دقيقة، وهي كاملة بالسيف.

ازدرد ريقه وواصل قائلًا:

- هذا هو ما استخدموه. نزعوا رأسه تمامًا.

فكر بوند في هذا للحظة، ثم قال:

- مَن عثر عليه؟

- زوجته. كانت في رحلة تسوق بلندن، وعادت إلى المنزل في الساعة التاسعة والربع تقريبًا.

ابتسم بوند نصف ابتسامة، وقال:

- أغلقت المتاجر أبوابها متأخرًا.

- حسنًا، ربما تناولت العشاء أيضًا. على أي حال، عندما وصلت، رأت سيارة تبتعد. لم تكن متأكدة من طرازها، لكنها كانت خضراء، كما رأت حرفين من لوحة تسجيل السيارة، «ف ب». شاء الحظ أن تكون هي الأحرف الأولى من اسمها. دخلت ووجدته ممددًا عند أسفل الدرج، يكاد يكون في المكان نفسه بالضبط حيث كانت جثة مدبرة منزله في الأسبوع السابق، لكن ليس جسده بأكمله. تدحرج رأسه على الأرض، واستقر بالقرب من المدفأة. لست متأكدًا ما إذا كنت ستتمكن من الحديث معها بعض الوقت. إنها في المستشفى في باث، لا تزال تحت تأثير المهدئ. هي التي اتصلت بالشرطة، وقد سمعتُ تسجيلًا للمحادثة. السيدة المسكينة، بالكاد تستطيع إخراج الكلمات، وهي

تصرخ وتبكي. إذا كانت هذه جريمة قتل، فيمكنك بالتأكيد شطبها من قائمة المشتبه فيهم، إلا إذا كانت أعظم ممثلة في العالم.

- لم تعد الجثة موجودة، على ما أعتقد؟

- أجل، أزلناها الليلة الماضية. يمكنني أن أؤكد لك أن الأمر تطلب قدرة عالية على التحمل.

- هل اختفى أي شيء من هذا المنزل في المرة الثانية أيها المفتش؟

- من الصعب التأكد. سوف نحتاج إلى إجراء مقابلة مع الليدي باي، حينما تصير مستعدة لذلك. لكن من الوهلة الأولى، لا يبدو ذلك. يمكنك الدخول إذا شئت يا هير بوند. أنت لست هنا بأي صفة رسمية بالطبع، وربما عليَّ أن أتبادل حديثًا سريعًا مع معاون مفوض الشرطة، لكنني متأكد أنه لا ضرر من ذلك. وإذا تبادر أي شيء إلى ذهنك، فيمكنني الاعتماد عليك لإخباري بذلك.

قال بوند:

- بالطبع أيها المفتش.

وعلى الرغم من ذلك، كان فريزر يعلم أنه لن يفعل شيئًا من هذا القبيل. رافق بوند في خمسة تحقيقات مختلفة، وبات يعرف أن المحقق لديه عادة مثيرة للغيظ تتمثل في الحفاظ على سرية كل شيء، حتى يصبح من الملائم له الكشف عن الحقيقة.

صعدوا ثلاث درجات، لكن بوند توقف قبل أن يدخل من الباب الأمامي. جلس القرفصاء قائلًا:

- يبدو هذا غريبًا الآن.

نظر إليه تشاب بعدم تصديق، وسأله:

- هل ستخبرني بأنه فاتني شيء ما؟ ونحن لم نلج إلى الداخل بعد!

أجابه وهو يهدئه قائلًا:

- قد لا تكون لهذا أي صلة بالأمر على الإطلاق أيها المفتش، لكنك ترى حوض الزهور المجاور للباب...

ألقى فريزر نظرة سريعة نحو الأسفل. كانت هناك أحواض زهور تمتد بطول واجهة المنزل، تقسمها الدرجات المؤدية إلى الأعلى من ممر السيارات.

علق تشاب قائلًا:

- إنها زهور بيتونيا، إن لم أكن مخطئًا.

- لست متأكدًا من ذلك، لكن ألا ترى أثر اليد المطبوعة؟

نظر كلٌّ من تشاب وفريزر من كثب. كان ذلك صحيحًا. وضع أحدهما يده في الأرض اللينة على يسار الباب. من حجمها، كان فريزر سيقول إنها لرجل. كانت الأصابع ممدودة. اعتقد فريزر أن الأمر فائق الغرابة، إذ إن أثر قدم سيكون مألوفًا بدرجة أكبر.

قال تشاب:

- من المحتمل أن تكون للبستاني. لا أستطيع التفكير في أي تفسير آخر.

- ومن المحتمل أن تكون محقًّا.

وثب بوند على قدميه ثانية، ومضى قُدمًا.

قاد الباب مباشرة إلى غرفة كبيرة مستطيلة، بها درج أمامهم، وبابان آخران من جهتَي اليمين واليسار. رأى فريزر على الفور المكان الذي رقدت فيه جثة السير ماجنوس، وشعر بالغثيان المعتاد في أعماق معدته. كانت هناك سجادة فارسية داكنة تلتمع، لا تزال غارقة في الدماء. انتشرت الدماء على البلاط الحجري، وامتدت نحو المدفأة، وطوقت أرجل أحد الكراسي الجلدية الكائنة هناك. عبقت الغرفة بأكملها بالرائحة الكريهة. كان هناك سيف ملقى بشكل مائل، ومقبضه قريب من الدرج، والنصل موجه نحو رأس غزال ينظر إلى الأسفل بعينين زجاجيتين، ربما كان الشاهد الوحيد على ما حدث. وقفت بقية البدلة المدرعة، مثل فارس خاوٍ، بجوار أحد الأبواب، الذي تقع خلفه غرفة معيشة. حضر فريزر العديد من مسارح الجريمة مع رب عمله. كثيرًا ما شاهد جثثًا ملقاة هناك، مطعونة أو مضروبة بالرصاص أو غارقة أو أيًا ما كانت. لكن خطر له أن ثمة شيئًا مروعًا على نحو خاص في مسرح الجريمة

هذا، يكاد يبدو كما لو أنه من العصر اليعقوبي، في وجود الألواح الخشبية الداكنة، والشرفة الداخلية.

تمتم بوند:

- كان السير ماجنوس يعرف الشخص الذي قتله.

سأله فريزر:

- كيف يمكنك معرفة ذلك؟

- موقع البدلة المدرعة، وتصميم الغرفة.

أشار بوند بيده وتابع قائلًا:

- انظر بنفسك يا جيمس. إن المدخل خلفنا، بينما البدلة المدرعة والسيف في مكان أبعد داخل الغرفة. إذا أتى القاتل من الباب الأمامي وأراد مهاجمة السير ماجنوس، لكان من الضروري الالتفاف حوله للوصول إلى السلاح، وفي تلك اللحظة، إذا كان الباب مفتوحًا، كان من الممكن أن ينجح السير ماجنوس في الهروب. مع ذلك، فيبدو من الأرجح أن السير ماجنوس كان يوصل شخصًا ما إلى الباب. دخلا من غرفة المعيشة، السير ماجنوس أولًا، وقاتله خلفه. بينما هو يفتح الباب الأمامي، لم يرَ أن ضيفه قد سحب السيف. التفت، ورأى الضيف يتحرك نحوه، وربما توسل إليه. هاجمه القاتل، وها هو ذا كل شيء كما نراه.

- لا يزال من المحتمل أنه كان غريبًا.

- هل ستدعو شخصًا غريبًا داخل منزلك في وقت متأخر من المساء؟ لا أعتقد ذلك.

نظر بوند حوله وتابع قائلًا:

- هناك لوحة مفقودة.

تتبع فريزر عينيه، ورأى أن ذلك صحيح. كان هناك خطاف خالٍ على الجدار بجوار الباب، وبهت جزء من الخشب نوعًا ما في مستطيل واضح يصور على نحو جلي حدود العمل الفني المفقود.

سأله فريزر:

- هل تعتقد أن هذا يمكن أن يكون شأنًا ذا صلة؟

أجابه بوند:

- كل شيء له صلة.

ألقى نظرة أخيرة حوله، وقال:

- لا يوجد شيء آخر لأراه هنا. سيكون من المثير للاهتمام معرفة كيف اكتُشفت مدبرة المنزل بالضبط عند وفاتها قبل أسبوعين، لكننا سنصل إلى ذلك في الوقت المناسب. هل يمكننا التقدم إلى غرفة المعيشة؟

قال تشاب:

- بالطبع، يؤدي الباب إلى غرفة المعيشة، وتقع غرفة مكتب السير ماجنوس على الجانب الآخر. عثرنا هناك على رسالة قد تثير اهتمامك.

بدت غرفة المعيشة ذات طابع أنثوي أكثر بكثير من ردهة المدخل، وبها سجادة وردية بلون المحار، وستائر مخملية منقوشة بالزهور، وأرائك مريحة وطاولات متفرقة. تفرقت الصور الفوتوغرافية في كل مكان. التقط فريزر إحداها، وتفحص الأشخاص الثلاثة الواقفين معًا أمام المنزل. رجل مستدير الوجه بلحية، يرتدي بدلة قديمة الطراز، وبجانبه، أطول منه ببضع بوصات، امرأة تحدق إلى عدسة الكاميرا بنظرة تنم عن نفاد صبر، وصبي عابس يرتدي الزي المدرسي. بدا من الواضح أنها صورة عائلية، وإن لم تكن صورة سعيدة على وجه الخصوص: السير ماجنوس، والليدي باي، وابنهما.

وقف رجل شرطة يرتدي زيًا رسميًا، يحرس الباب على الجانب الآخر. دخلوا مباشرة إلى غرفة يهيمن عليها مكتب عتيق يقع مباشرة بين مكتبتين، مع نوافذ في الجهة المقابلة تطل على الحديقة الأمامية وصولًا إلى البحيرة. بدت الأرضية مصقولة، والألواح الخشبية مغطاة جزئيًا بسجادة أخرى. كان هناك كرسيان بمسندَي ذراعين يواجهان قلب الغرفة، وبينهما كرة أرضية قديمة. هيمنت مدفأة على الجدار البعيد، وبدا من الواضح من الرماد والخشب المتفحم أن شخصًا

ما أشعل النار مؤخرًا. فاحت من كل شيء رائحة خافتة من دخان السيجار. لاحظ فريزر وجود صندوق لحفظ السيجار، ومنفضة سجائر زجاجية ثقيلة على طاولة جانبية. امتدت الألواح الخشبية من ردهة المدخل مرة أخرى، مع عدد آخر من اللوحات الزيتية التي ربما كانت معلقة هنا منذ فترة بطول عمر المنزل نفسه. توجه بوند نحو إحداها: صورة حصان أمام إسطبل، تشبه إلى حدٍّ كبير أسلوب ستابس. لاحظها لأنها كانت عمودية على الحائط بعض الشيء، مثل باب نصف مفتوح.

قال تشاب:

- كانت على هذه الحال حينما دخلنا.

أخرج بوند قلمًا من جيبه، واستخدمه ليشبك اللوحة، وسحبها نحوه. كانت معلقة من جانب واحد، وتخفي خزنة ذات مظهر متين للغاية مثبتة في الحائط.

واصل تشاب الحديث قائلًا:

- لم نعرف الرقم السري. أنا متأكد أن الليدي باي سوف تخبرنا عندما تصير قادرة على ذلك.

أومأ بوند برأسه، وحوَّل انتباهه إلى المكتب. كان من المحتمل جدًّا أن السير ماجنوس جلس هنا في الساعات السابقة لوفاته، ومن ثَمَّ قد توضح الأوراق المتناثرة على سطح المكتب شيئًا بخصوص ما حدث بالفعل.

قال تشاب:

- هناك مسدس في الدرج العلوي. مسدس خدمة قديم. لم يُطلق منه، لكنه محمل بالرصاص. وفقًا لليدي باي، عادة ما كان يحتفظ به في الخزنة. ربما أخرجه بسبب حادث السطو.

- أو ربما كان لدى السير ماجنوس سبب دفعه إلى الشعور بالتوتر.

فتح بوند الدرج، وألقى نظرة على المسدس. كان بالفعل مسدس ويبلي عيار ٣٨، كما كان تشاب محقًّا، إذ لم يُستخدم.

أغلق الدرج وأدار انتباهه إلى سطح المكتب، بدءًا بسلسلة من الرسومات

والمخططات المعمارية من شركة تُدعى «لاركين جادوال»، مقرها في باث. أظهرت مجموعة من المنازل، اثني عشر في المجمل، تمتد في صفين من ستة منازل. تراكم بجوارها عدد من الرسائل: مراسلات مع المجلس المحلي، وسلسلة من الوثائق لا بد أنها تؤدي في النهاية إلى منح الإذن بالتخطيط للبناء. وها هو ذا الدليل على ذلك، كتيب أزرق أنيق بعنوان: «دينجل درايف، ساكسبي أون أيفون». احتل كل هذا أحد أركان المكتب، بينما قبع هاتف في الركن الآخر وبجواره مفكرة. كتب شخص ما، على الأرجح السير ماجنوس، بالقلم الرصاص، وكان القلم الرصاص نفسه في مكان قريب.

أشتون هـ
م و
فتاة

كُتبت الكلمات بدقة في أعلى الصفحة، لكن لا بد أن السير ماجنوس صار مضطربًا بعد ذلك، إذ كانت هناك عدة خطوط متقاطعة معًا، وخربشة غاضبة. ناول بوند الورقة إلى فريزر.

سأله فريزر:

- فتاة؟

اقترح بوند:

- يبدو أن هذه ملاحظات دُوِّنت من محادثة هاتفية. قد يرمز حرفا «م و» إلى شيء ما. لاحِظ أن حرف الـ«و» كُتب كحرف صغير. والفتاة؟ ربما كان هذا هو الموضوع الذي تحدثا عنه.

- حسنًا، لا يبدو أنه كان سعيدًا للغاية بذلك.

- بالتأكيد لا.

أخيرًا، التفت بوند إلى ظرف فارغ، وبجانبه الرسالة التي لا بد أن تكون هي

تلك التي أشار تشاب إليها، والتي كانت في منتصف المكتب تمامًا. لم يكن هناك أي عنوان، بل اسم فقط - السير ماجنوس باي - مكتوب بخط اليد بحبر أسود. تمزَّق الظرف وهو يُفتح بخشونة. أخرج بوند منديلًا، واستخدمه لالتقاط الظرف. تفحص ورقة الظرف بعناية، ثم أعادها، وبالقدر نفسه من الحرص، التقط الرسالة التي بجانبها. كانت هذه مطبوعة على الآلة الكاتبة، وموجهة إلى السير ماجنوس باي بتاريخ ٢٨ يوليو ١٩٥٥، اليوم الفعلي الذي وقعت فيه الجريمة. قرأ:

هل تعتقد أن بوسعك الإفلات بالأمر؟ كانت هذه القرية هنا من قبلك، وسوف تظل هنا من بعدك، وإذا كنت تعتقد أن في استطاعتك تدميرها بأبنيطك وسعيك إلى جني المال، فأنت مخطئ جدًّا جدًّا. فكِّر مرة أخرى، أيها الوغد، إذا كنت تريد أن تعيش هنا. إذا كنت تريد أن تعيش.

لم تكن الرسالة موقَّعة. أعادها إلى المكتب كي يتمكن فريزر من قراءتها.
علق فريزر قائلًا:
- أيًّا كان مَن كتب هذا، فهو لا يستطيع تهجئة كلمة «أبنيتك».
أضاف بوند بهدوء:
- كما قد يكون أيضًا قاتلًا مهووسًا. يبدو أن هذه الرسالة قد سُلِّمت بالأمس. قُتل السير ماجنوس في غضون ساعات من وصولها، وهو ما وُعد به.
التفت إلى مفتش المباحث وتابع قائلًا:
- أتصور أن هذا له علاقة بالمخططات، بطريقة ما.
وافقه تشاب قائلًا:
- هذا صحيح. لقد اتصلت بهؤلاء الأشخاص، لاركين جادوال. إنهم مطورون عقاريون في باث، ويبدو أنه كانت لديهم صفقة من نوع ما مع السير ماجنوس. سأتوجه إلى زيارتهم عصر اليوم، ويمكنك الانضمام إليَّ إذا شئت.

أومأ بوند برأسه قائلًا:

- هذا كرم بالغ منك.

كان انتباهه لا يزال مركزًا على الرسالة، وقال:

- هناك شيء ما بخصوص هذه الرسالة أجده غريبًا نوعًا ما.

ابتسم المفتش وهو معجب بنفسه، وقال:

- أعتقد أنني سبقتك هنا يا بوند. الظرف مكتوب بخط اليد، على الرغم من أن الرسالة مطبوعة على الآلة الكاتبة. يتوقع المرء أن هذا سيكون دليلًا فاضحًا، إذا كان المرسِل يرغب في إخفاء هويته أو هويتها. أعتقد أنه أغلق الرسالة أولًا، ثم أدرك أنه بحاجة إلى وضع الاسم على مقدمة الظرف، لكن حجمه لم يناسب الآلة الكاتبة. كثيرًا ما فعلت أنا الشيء نفسه.

- ربما تكون محقًا أيها المفتش، لكن هذا ليس الشيء الغريب الذي خطر لي.

انتظر منه تشاب أن يواصل الحديث، لكن جيمس فريزر، الواقف على الجانب الآخر من المكتب، أدرك أنه لن يفعل شيئًا من هذا القبيل، وقد كان محقًا. كان بوند قد حوَّل انتباهه بالفعل إلى المدفأة. أخرج القلم من جيب سترته، وبحث في الرماد حتى عثر على شيء ما، وفصله بعناية عن الباقي. ذهب فريزر ونظر إلى قصاصة الورق التي كانت بالكاد أكبر من البطاقات الدعائية الموجودة في علب السجائر، والتي تفحمت حوافها. كان هذا هو نوع اللحظات التي يحبها في عمله مع بوند. لم يكن ليخطر على بال تشاب قَطُّ أن يتفحص المدفأة. كان الشرطي سيلقي نظرة ظاهرية على الغرفة، ويطلب الطب الشرعي، ثم يمضي في طريقه. لكن ها هو ذا دليل قد يحل القضية برمتها. قد يكون هناك اسم مكتوب على القصاصة. حتى بضعة أحرف ستوفر عينة من خط اليد ربما تشير إلى مَن كان في الغرفة. لكن للأسف، في هذه الحالة، كانت الورقة فارغة، على الرغم من أن بوند لم يبدُ محبطًا، بل بالعكس تمامًا.

صاح قائلًا:

- كما ترى يا فريزر، هناك تغير طفيف في اللون، بقعة. وأعتقد أنه سيصير من الممكن تمييز جزء على الأقل من بصمة إصبع.

- بصمة؟

سمع تشاب الكلمة، وأتى نحوه.

نظر فريزر بتمعن اكبر، ورأى أن بوند كان على حق. كانت البقعة بنية داكنة اللون، وفكر على الفور في القهوة المنسكبة. لكن في الوقت نفسه، لم يستطع رؤية أي صلة واضحة. كان من الممكن أن يمزق أي شخص ورقة، ويلقي بها في النار. وربما فعل السير ماجنوس ذلك بنفسه.

قال تشاب:

- سأطلب من المعمل فحصها، ويمكنهم إلقاء نظرة على تلك الرسالة أيضًا. ربما أكون قد قفزت إلى الاستنتاجات عند التفكير في ذلك اللص.

أومأ بوند برأسه، ثم استقام واقفًا. أعلن فجأة:

- يجب أن نعثر على مكان للإقامة.

- هل تخطط للبقاء؟

- بعد إذنك، أيها المفتش.

- بكل تأكيد. اعتقد أن لديهم غرفًا في كوينز آرمز. إنها حانة بالقرب من الكنيسة، لكنهم يوفرون المبيت والإفطار ايضًا. إذا أردت فندقًا، فسوف تكون أفضل حالًا في باث.

أجاب بوند:

- سيكون من الأنسب البقاء في القرية.

تنهد فريزر داخليًا، وتخيل الأسِرَّة المتكتلة، والأثاث القبيح، وصنابير الحمَّام التي يتناثر منها رذاذ الماء، والتي تبدو مصاحبة على الدوام لأماكن الضيافة المحلية. لم يكن بحوزته مال إلا ما يدفعه له بوند، وكان هذا قليلًا بالفعل، لكن ذلك لم يمنعه من التمتع بذوق باهظ. سأل:

- هل تريدني أن أتفقد المكان؟

- يمكننا الذهاب إلى هناك معًا.

التفت إلى تشاب قائلًا:

- متى ستسافر إلى باث؟

- لديّ موعد في شركة لاركين جادوال في الساعة الثانية، ويمكننا الذهاب من هناك إلى المستشفى مباشرة لرؤية الليدي باي إذا أردت.

- هذا ممتاز، أيها المفتش. عليّ أن أقول إنه من دواعي سروري أن أعمل معك مرة أخرى.

- وأنا كذلك. أنا سعيد جدًا لرؤيتك يا هير بوند. جثث من دون راس، وما إلى ذلك! ما إن تلقيت المكالمة، حتى علمت أن هذا في مجال اختصاصك.

أشعل سيجارة أخرى، وعاد إلى سيارته.

٢

مما أثار استياء فريزر أن حانة كوينز آرمز كانت بها غرفتان شاغرتان، حجزهما بوند من دون الصعود حتى إلى الطابق العلوي لتفقدهما. كانت الغرفتان سيئتين بقدر ما تخيل، بأرضيات مائلة ونوافذ بالغة الصغر بالنسبة إلى الجدران التي تحتلها. أطلت غرفته على ساحة القرية، بينما أطلت غرفة بوند على المقبرة، لكنه لم يقدم أي شكوى. على العكس، كان هناك شيء ما في المشهد يبدو مسليًا بالنسبة إليه. كما لم يشكُ قلة الراحة. عندما بدأ العمل في تانر كورت لأول مرة، فوجئ فريزر باكتشاف أن المحقق ينام في فراش فردي، أشبه بسرير نقال في الواقع، له إطار معدني، والبطانيات مطوية بعناية. على الرغم من أن بوند كان متزوجًا في السابق، فإنه لم يتحدث عن زوجته قطُّ، ولم يُظهر اي اهتمام بالجنس الآخر بعد ذلك. لكن على الرغم من ذلك، فإن مثل هذا التقشف في شقة أنيقة بلندن بدا أكثر من مجرد غرابة أطوار.

تناولا الغداء معًا في الطابق السفلي، ثم خرجا. تجمع حشد صغير من

الناس حول موقف الحافلات في ساحة القرية، لكن فريزر تشكَّل لديه انطباع بأنهم لا ينتظرون الحافلة. من الواضح أن شيئًا ما أثار اهتمامهم. أخذوا يتحدثون بطريقة مفعمة بالحيوية. كان على يقين أن بوند سيرغب في الذهاب إلى هناك كي يرى سبب الجلبة، لكن في تلك اللحظة ظهر شخص في المقبرة، يسير نحوهما. كان الكاهن. بدا ذلك جليًا من ردائه الكهنوتي وطوقه الإكليريكي. كان طويلًا ونحيلًا، وله شعر أسود مشعث. راقبه فريزر وهو يرفع دراجة كانت متكئة على البوابة، ثم وجهها نحو الطريق والعجلات تصدر صريرًا مزعجًا مع كل دوران.

صاح بوند:

- الكاهن! إنه الرجل الوحيد في القرية الإنجليزية الذي يعرف الجميع.

أجاب فريزر:

- لا يذهب الجميع إلى الكنيسة.

- لا حاجة بهم إلى ذلك. إنه يجعل من شأنه معرفة حتى الملحدين واللاأدريين.

ذهبا نحوه واعترضا طريقه قبل أن يتمكن من الهرب. قدَّم بوند نفسه.

صاح الكاهن وهو يرمش في ضوء الشمس:

- أوه، أجل!

ثم عبس قائلًا:

- أنا متأكد أنني أعرف الاسم. المحقق؟ أنت هنا بالطبع بسبب السير ماجنوس باي. يا له من أمر فظيع، فظيع. لا يمكن أن يكون مجتمع صغير مثل ساكسبي أون أيفون مستعدًا بأي حال من الأحوال لحدث مثل هذا، وسيكون من الصعب جدًا بالنسبة إلينا أن نتقبل الوضع. لكن اعذرني، لم أخبرك باسمي، روبن أوسبورن. أنا الكاهن هنا، في كنيسة سانت بوتولف. حسنًا، غالبًا ما استنتجت ذلك بنفسك، بالنظر إلى مجال عملك!

ضحك، وخطر لبوند - حتى إنه خطر لفريزر أيضًا - أن هذا الرجل متوتر على نحو استثنائي، وأنه غير قادر على التوقف عن الحديث تقريبًا، والكلمات تنسال منه في محاولة للتستر على أيٍّ ما كان يدور في ذهنه بالفعل.

قال بوند:

- أتخيل أنك كنت تعرف السير ماجنوس جيدًا.

- بدرجة مقبولة، أجل. للأسف كنت أراه بدرجة أقل مما أتمنى. لم يكن رجلًا فائق التدين. نادرًا ما كان يحضر القداس.

جمع أوسبورن شتات نفسه، وقال:

- هل أنت هنا للتحقيق في الجريمة يا سيد بوند؟

رد بوند بالإيجاب.

- أنا مندهش بعض الشيء أن قوات شرطتنا بحاجة إلى أي مساعدة إضافية، وهذا لا يعني بالطبع أن ذلك غير مرحب به، بأي حال من الأحوال. لقد تحدثت بالفعل إلى المفتش تشاب صباح اليوم، واقترح عليَّ أنه ربما كان دخيلًا، أو لصوصًا. أنا متأكد أنك تدرك أن باي هول استُهدف مؤخرًا.

- يبدو أن باي هول نال أكثر من نصيبه العادل من سوء الحظ.

- هل تقصد موت ماري بلاكيستون؟

أشار أوسبورن وهو يتابع قائلًا:

- إنها ترقد هناك. لقد أقمت المراسم بنفسي.

- هل كان السير ماجنوس يتمتع بشعبية في القرية؟

فاجأ السؤال الكاهن، وكافح للعثور على الجواب المناسب.

- ربما كان هناك من يحسده. كانت لديه ثروة كبيرة، وبعد ذلك بالطبع، كانت هناك مسألة دينجل ديل. سيكون من الصحيح القول إنه تسبب في إثارة مشاعر قوية.

- دينجل ديل؟

- إنه شريط من الغابات. لقد باعه.

تدخل فريزر قائلًا:

- إلى لاركين جادوال.

- أجل، هؤلاء هم المطورون العقاريون، على ما أعتقد.

- هل ستُفاجأ إذا علمت يا سيد أوسبورن، أن السير ماجنوس تلقى تهديدًا بالقتل كنتيجة مباشرة لنياته؟

- تهديدًا بالقتل؟

ارتبك الكاهن أكثر من أي وقت مضى. واصل قائلًا:

- سيدهشني ذلك للغاية. أنا متأكد أنه لا يوجد أحد هنا سيرسل شيئًا كهذا. هذه قرية مسالمة جدًا. الناس الذين يعيشون هنا ليسوا هكذا أبدًا.

- مع ذلك، فقد تحدثت عن وجود مشاعر قوية.

- أحس الناس بالاستياء، لكن هذا ليس الشيء نفسه.

- متى آخر مرة رأيت فيها السير ماجنوس؟

كان روبن أوسبورن متلهفًا للمضي في طريقه. أمسك دراجته كما لو أنها حيوان يجذب المقود بقوة. كما أن هذا السؤال الأخير جعله يشعر بالاستياء. بدا ذلك واضحًا في عينيه. هل كان مشتبهًا فيه في شيء؟ أجاب قائلًا:

- لم أرَه منذ فترة. لم يتمكن من حضور دفن ماري بلاكيستون، مما كان مؤسفًا، لكنه كان في جنوب فرنسا. وقبل ذلك، كنت أنا نفسي غائبًا.

- أين؟

- في إجازة، مع زوجتي.

انتظر بوند المزيد، فتكرم أوسبورن بقطع الصمت وقال:

- قضينا أسبوعًا معًا في ديفونشاير. في الواقع، ستكون في انتظاري الآن، لذا إذا لم يكن لديك مانع...

شق طريقه بينهما بنصف ابتسامة، وصرير تروس دراجته يتعالى.

تمتم فريزر:

- أعتقد أنه كان متوترًا بشأن شيء ما.

- أجل يا جيمس، إنه بالتأكيد رجل لديه ما يخفيه.

بينما المحقق ومساعده يتجهان نحو سيارتهما، قاد روبن أوسبورن دراجته بأسرع ما يمكنه إلى مقر سكنه. كان يعلم أنه لم يكن صادقًا تمامًا: لم يكذب، بل أسقط جوانب معينة من الحقيقة. مع ذلك، كان صحيحًا أن هنرييتا في انتظاره، وتوقعت وصوله منذ فترة.

سألته بينما هو يجلس في مكانه في المطبخ:

- أين كنت؟

قدمت له فطيرة مصنوعة منزليًا، مع سلطة الفاصوليا، ثم جلست بجواره.

- أوه، كنت في القرية فحسب.

غمغم أوسبورن بصلاة صامتة، ثم واصل الحديث تاركًا بالكاد الوقت الكافي لقول كلمة «آمين»، وقال:

- قابلت ذلك المحقق، أتيكوس بوند.

- مَن؟

- لا بد أنك سمعت عنه، فهو مشهور للغاية. إنه محقق خاص. هل تذكرين تلك المدرسة في مارلبورو؟ كان هناك مدرس قُتل في أثناء عرض مسرحية. لقد عمل على تلك القضية.

- لكن لماذا نحتاج إلى محقق خاص؟ ظننت أنه لص.

- يبدو أن الشرطة كانت مخطئة.

تردد أوسبورن، ثم قال:

- يعتقد أن الأمر له علاقة بدينجل ديل.

- دينجل ديل!

- هذا هو ما يعتقده.

تناولا الطعام في صمت. لم يبدُ أن أيًا منهما يستمتع بالطعام. ثم تحدثت هنرييتا فجأة، وقالت:

- أين ذهبت الليلة الماضية يا روبن؟

- ماذا؟

- أنت تعرف ما أتحدث عنه. مقتل السير ماجنوس.

- لماذا بحق السماء توجهين إليَّ مثل هذا السؤال؟

وضع أوسبورن سكينه وشوكته، وتناول رشفة من الماء. أوضح قائلًا:

- شعرت بالغضب، وهو إحدى الخطايا المميتة. وكانت هناك أشياء في قلبي... لا ينبغي لها أن تكون فيه. شعرت بالاستياء بسبب الأخبار، لكن هذا ليس عذرًا. احتجت إلى قضاء بعض الوقت بمفردي، لهذا ذهبت إلى الكنيسة.

- لكنك غبت فترة طويلة للغاية.

- لم يكن الأمر سهلًا بالنسبة إليَّ يا هنرييتا. كنت بحاجة إلى بعض الوقت.

لم تكن تنوي الحديث، لكنها أعادت التفكير.

- روبن، قلقت عليك بشدة، وخرجت للبحث عنك. في الواقع، اصطدمت ببرينت، وقال إنه رأى شخصًا ذاهبًا في اتجاه باي هول.

- ما الذي تلمحين إليه يا هن؟ هل تعتقدين أنني ذهبت إلى باي هول وقتلته؟ قطعت رأسه بالسيف؟ هل هذا ما تقولينه؟

- لا، بالطبع لا. كل ما في الأمر أنك كنت غاضبًا جدًّا فحسب.

- إنك تتصرفين بسخافة. لم أذهب إلى أي مكان بالقرب من المنزل، ولم أرَ شيئًا.

كان هناك شيء آخر أرادت هنرييتا أن تقوله. بقعة الدماء على كُم زوجها. لقد رأتها بأم عينيها. في صباح اليوم التالي، أخذت القميص وغسلته بالماء المغلي والمبيض. كان على حبل الغسيل الآن، يجف في الشمس. أرادت أن تسأله لمَن تكون هذه الدماء، وأرادت أن تعرف كيف وصلت إلى هناك، لكنها لم تجرؤ. لم تستطع اتهامه. كان مثل ذلك الشيء مستحيلًا.

انتهى الاثنان من تناول غدائهما في صمت.

٣

بينما هو جالس على كرسي قبطان مستنسخ، بظهر مقوس ومقعد دوَّار، أخذ جوني وايتهيد أيضًا يفكر في جريمة القتل. في الواقع، لم يفكر في شيء آخر تقريبًا طوال الصباح، وهو يتخبط كالثور في متجر الخزف الخاص به، ويعيد ترتيب الأشياء من دون سبب، ويدخن من دون انقطاع. أخيرًا، فقدت جيما وايتهيد أعصابها بسببه عندما أسقط وكسر صحن صابون صغيرًا لطيفًا من صنع مايسن، كان سعره تسعة شلنات وستة بنسات، على الرغم من كون حافته مشطوفة.

سألته:

- ما خطبك؟ تبدو اليوم مثل دب مصاب بألم في الراس. كما أن هذه رابع سيجارة لك. لماذا لا تخرج وتستنشق بعض الهواء النقي؟

قال جوني بمزاج متعكر:

- لا أريد الخروج.

- ما الخطب؟

سحق جوني سيجارته في منفضة سجائر رويال دالتون على شكل بقرة، سعرها ستة شلنات، وقال بحدة:

- ما الذي تعتقدينه؟

- لا أعرف، لهذا أسألك.

- السير ماجنوس باي! هذا هو الخطب.

حدق إلى الدخان الذي لا يزال يتصاعد من عقب السيجارة الملتوي، وقال:

- لماذا ذهب شخص ما وقتله؟ ها نحن أولاء الآن، لدينا الشرطة في القرية، يطرقون الأبواب ويطرحون الأسئلة، وسرعان ما سيأتون إلى هنا.

- ماذا في ذلك؟ يمكنهم أن يسألونا عن أي شيء يريدونه.

ساد الصمت فترة ضئيلة، طالت بما يكفي لتصير محسوسة. تابعت قائلة:

- أليس كذلك؟

- بلى يمكنهم ذلك.
تفحصته وفي عينيها نظرة حادة.
- انت لم ترتكب أي شيء، أليس كذلك يا جوني؟
كانت هناك نبرة جريحة في صوته.
- ما الذي تتحدثين عنه؟ لماذا تطرحين ذلك السؤال حتى؟ بالطبع لم أرتكب أي شيء. ما الذي يمكنني التورط فيه، وأنا عالق هنا في الريف؟
كان هذا هو الجدال القديم: المدينة مقابل الريف، وساكسبي اون أيفون مقابل أي مكان آخر في العالم تقريبًا. كثيرًا ما خاضا ذلك الجدال. لكن حتى وهو يتفوَّه بتلك الكلمات، تذكر كيف واجهته ماري بلاكيستون مؤخرًا في هذا المبنى نفسه، وكيف عرفت الكثير عنه. ماتت فجأة، وكذلك مات السير ماجنوس، في غضون أسبوعين من وفاتها. لم يكن ذلك من قبيل المصادفة، وبالتأكيد لن تعتقد الشرطة ذلك. كان جوني يعرف أسلوب عملهم. كانوا بالفعل يسحبون الملفات ويتفحصون كل مَن يسكن بالحي. لن يمضي وقت طويل قبل أن يسعوا خلفه.

تقدمت منه جيما، وجلست بجواره، ووضعت يدها على ذراعه. وعلى الرغم من كونها أصغر حجمًا منه بكثير، وأضعف بشدة، فقد كانت هي التي تتمتع بالقوة، وكان كلاهما يعرف ذلك. وقفت إلى جانبه حينما واجها المشكلات في لندن. كتبت إليه كل أسبوع، رسائل طويلة مليئة بالتفاؤل والبهجة، عندما كان «غائبًا». وحينما عاد أخيرًا إلى المنزل، كان قرارها هو ما أتى بهما إلى ساكسبي أون أيفون. رأت إعلانًا عن متجر التحف في إحدى المجلات، واعتقدت أنه سيسمح لجوني بالحفاظ على بعض ممارسات حياته القديمة، مع توفير أساس ثابت وشريف للحياة الجديدة.

لم يكن الرحيل عن لندن سهلًا، خصوصًا بالنسبة إلى صبي عاش حياته بأكملها على مرمى السمع من أجراس كنيسة سانت ماري لو بو، لكن جوني رأى الحكمة في ذلك، ووافق على مضض. لكنها كانت تعرف أن ذلك أضعفه. إن جوني وايتهيد الصاخب، المرح، حسن الظن، سريع الغضب، لا يمكن أبدًا

أن يشعر بالراحة التامة في مجتمع يخضع فيه الجميع لإطلاق الأحكام طوال الوقت، وحيث يمكن أن تعني الإدانة النبذ التام. هل كان خطأً منها اصطحابه إلى هنا؟ كانت لا تزال تسمح له بالعودة في رحلات إلى المدينة، على الرغم من كونها تتسبب في شعورها بالتوتر دومًا. لم تسأله عما يفعله، ولم يخبرها هو. لكن هذه المرة، كان الأمر مختلفًا. ذهب إلى هناك منذ بضعة أيام فقط. هل يمكن أن تكون تلك الزيارة مرتبطة بما حدث؟

سألته:

- ماذا فعلت في لندن؟
- لماذا تريدين أن تعرفي؟
- كنت أتساءل فحسب.
- رأيت بعض الرفاق، ديريك وكولين. تناولنا الغداء، وبعض المشروبات. كان يجب ان تأتي.
- لن ترغب في وجودي هناك.
- لقد سألا عنكِ. مررت بالبيت القديم، وقد صار شققًا سكنية الآن. جعلني ذلك أستغرق في التفكير. استمتعت أنا وأنتِ بكثير من الأوقات السعيدة هناك.

ربت جوني على ظهر يد زوجته، ولاحظ كم أصبحت ناحلة. بدا أنها تتضاءل كلما تقدمت في السن.

سحبت يدها وقالت:

- لقد اكتفيت من لندن لمدى الحياة يا جوني. أما بالنسبة إلى ديريك وكولين، فلم يكونا صديقين لك على الإطلاق. لم يقفا إلى جانبك عندما تداعت الأمور. أنا مَن فعلت.

عبس جوني وقال:

- أنتِ على حق. سوف أخرج للتمشية، لنصف ساعة. سيساعدني هذا على الشعور بالانتعاش.

- سآتي معك، إذا شئت.

- لا، من الأفضل أن تهتمي بالمتجر.

لم يدخل أحد المتجر منذ أن فتحاه ذلك الصباح. كان هذا شيئًا آخر متعلقًا بجريمة القتل: ثبط الأمر من عزيمة السياح.

شاهدته وهو يغادر، وسمعت الجرس على الباب يصدر رنينه المألوف. اعتقدت جيما أنهما سيكونان بخير عند مجيئهما إلى هنا، تاركين حياتهما السابقة وراءهما. بصرف النظر عما قاله جوني حينها، فقد كان ذلك هو القرار الصائب. لكن حالتَي وفاة، الواحدة تلو الأخرى مباشرة، غيَّرتا كل شيء. كان الأمر كما لو أن تلك الظلال القديمة امتدت بطريقة ما، وعثرت عليهما.

أتت ماري بلاكيستون إلى هنا. للمرة الأولى منذ فترة طويلة جدًا، جاءت مدبرة المنزل إلى المتجر، وعند مواجهته، كذب جوني بشأن ذلك. ادعى أنها كانت تشتري هدية لشخص ما، لكن جيما كانت تعلم أن هذا ليس صحيحًا. إذا أرادت ماري هدية، كانت ستذهب إلى باث، إلى متجر وولورثس، أو صيدلية بوتس. وبعد أقل من أسبوع، ماتت. هل ثمة رابط بين الحدثين؟ وإذا كان الأمر كذلك، فهل هناك صلة أخرى أدت إلى وفاة السير ماجنوس باي؟

جاءت جيما وايتهيد إلى ساكسبي أون أيفون لاعتقادها بأنها ستكون آمنة. جلست بمفردها في المتجر الحقير، محاطة بمئات الأغراض غير الضرورية، من الحلي والديكورات التي بدا أن لا أحد يريدها، والتي لم يأتِ أحد اليوم على أي حال لشرائها، وتمنت من أعماق قلبها لو أنه من الممكن أن تكون هي وجوني في أي مكان آخر.

٤

اعتقد الجميع في القرية أنهم يعرفون مَن قتل السير ماجنوس باي. من سوء الحظ، لم تكن هناك نظريتان متطابقتان.

كان من المعروف أن السير ماجنوس والليدي باي على خلاف. نادرًا ما كانا

يُشاهدان معًا. وإذا حضرا إلى الكنيسة، كانا يبقيان مسافة بينهما. وفقًا لجاريث كايت، مالك حانة فيريمان، كان السير ماجنوس على علاقة مع مدبرة منزله، ماري بلاكيستون. قتلت الليدي باي كليهما، على الرغم من أنه لم يوضح كيف تمكنت من ارتكاب جريمة القتل الأولى بينما هي في إجازة في فرنسا.

لا، لا، كان روبرت بلاكيستون هو القاتل. ألم يهدد والدته قبل أيام فحسب من وفاتها؟ قتلها بسبب غضبه منها، ثم ذهب لقتل السير ماجنوس عندما اكتشف الحقيقة بطريقة ما. ثم إن هناك برينت. كان العامل المسؤول عن الحدائق يعيش بمفرده، وكان غريب الأطوار بكل تأكيد. انتشرت شائعات بأن السير ماجنوس طرده من العمل في نفس يوم وفاته. أو ماذا عن ذلك الغريب الذي حضر الجنازة؟ لا أحد يرتدي قبعة على هذا النحو، إلا إذا كان بهدف إخفاء هويته. حتى جوي ساندرلنج، تلك الفتاة اللطيفة التي تعمل لدى الدكتورة ريدوينج، كانت محل اشتباه. بكل تأكيد، أوضح ذلك الإعلان الغريب الذي ظهر على لوحة الإعلانات بجوار محطة الحافلات، أنها ليست كما يظهر لأول وهلة. اتخذت ماري بلاكيستون موقفًا معاديًا لها، لذلك ماتت. اكتشف السير ماجنوس باي الأمر، ومات هو أيضًا.

بعد ذلك، كان هناك موضوع تدمير دينجل ديل. على الرغم من أن الشرطة لم تنشر تفاصيل رسالة التهديد التي عُثر عليها في مكتب السير ماجنوس، فقد كان من المعروف جيدًا مدى الغضب الذي أثاره التطوير المقترح. كلما طالت مدة إقامتك في القرية، زاد على الأرجح شعورك بالغضب. وتبعًا لهذا المنطق، صار المشتبه الأول هو العجوز جيف ويفر البالغ من العمر ثلاثة وسبعين عامًا، والذي تولى العناية بساحة الكنيسة منذ أبعد فترة استطاع أي شخص العودة إليها بذاكرته. كان لدى الكاهن أيضًا الكثير ليخسره. كان موقع التطوير المقترح يقع خلف سكن الكاهن مباشرة، وقد لوحظ في كثير من الأحيان كيف أنه هو والسيدة أوسبورن يحبان التجول في الغابة.

من الغريب أن واحدة من السكان كان لديها كثير من الأسباب لقتل السير ماجنوس، استُبعد اسمها من تلك الحلقة، وهي كلاريسا باي. عانت الشقيقة

الفقيرة التجاهل والإذلال بالتناوب، لكن لم يخطر ببال أيٍّ من سكان القرية أن ذلك قد يجعلها قاتلة. ربما كان ذلك بسبب كونها امرأة عزباء، ومتدينة أيضًا. وربما كان بسبب مظهرها غريب الأطوار. بدا الشعر المصبوغ سخيفًا، يمكن رؤيته على بعد خمسين ياردة. كانت تبالغ في بذل الجهد، بالاعتناء بقبعاتها، وحليها المقلدة، وملابسها المستعملة التي كانت أنيقة في السابق، في حين أن ملابس حديثة أكثر بساطة كانت ستلائمها بدرجة أكبر في الواقع. كما لم تكن بنيتها الجسدية في صالحها أيضًا: لم تكن بدينة، ولا مسترجلة، ولا قصيرة، لكنها قريبة من الثلاث على نحو خطير. باختصار، كانت بمنزلة أضحوكة في ساكسبي أون أيفون، ولا ترتكب الأضحوكة جريمة قتل.

جلست كلاريسا في منزلها في وينزلي تيراس، وهي تحاول ألا تفكر فيما حدث. على مدى الساعة الماضية، استغرقتها الكلمات المتقاطعة في صحيفة دايلي تليجراف، على الرغم من أنها عادة ما تنتهي منها في نصف ذلك الوقت. أصابها دليل واحد على وجه الخصوص بالحيرة:

١٦. طلة لشجر أرز بلا نهاية حول بوبي

كان الجواب كلمة مؤلفة من تسعة أحرف، الحرف الثاني «ج»، والحرف الرابع «ا». كانت تعلم أن الكلمة واضحة، لكنها لسبب ما لم تهتدِ إليها. هل كان الحل مرادفًا لكلمة «شجر»، أم كان شخصًا شهيرًا، اسمه الأول «بوبي»؟ بدا الأمر بعيد الاحتمال للغاية. لا تتضمن الكلمات المتقاطعة بصحيفة التليجراف المشاهير عادة، إلا إذا كانوا كُتَّابًا أو فنانين كلاسيكيين. في هذه الحالة، هل يمكن أن يكون لكلمة «بوبي» معنى آخر استعصى عليها؟ قضمت فترة وجيزة قلم «باركر» الذي خصصته للكلمات المتقاطعة. ثم اتضح لها الأمر فجأة. بدا الجواب واضحًا جدًا! كان أمامها طوال الوقت. «طلة لشجر أرز بلا نهاية»، لذا أسقطت حرف الـ«ز» عند نهاية الكلمة. «حول»، تدل على جناس القلب. وماذا

عن «بوبي»(*)؟ ربما كان استخدام حرف الألف الذي تعلوه همزة غير عادل بعض الشيء. أدخلت الأحرف الناقصة... رجل الشرطة. وبالطبع ذكرها ذلك بماجنوس، وبسيارات الشرطة التي شاهدتها تتحرك عبر القرية، وبرجال الشرطة بزيهم الرسمي الذين سيكونون في باي هول الآن. ماذا سيحدث للمنزل بعد وفاة شقيقها؟ من المفترض أن تستمر فرانسيس في العيش هناك. لم يكن مسموحًا لها ببيعه. كان ذلك كله جزءًا من الشروط التي تحدد التصرف في الميراث، تلك الوثيقة المعقدة التي حددت ملكية باي هول على مر القرون. سينتقل المنزل الآن إلى ابن شقيقها، فريدي، وهو التالي في الدور. كان في الخامسة عشرة من العمر فقط، وفي المرة الأخيرة التي رأته فيها كلاريسا، خطر لها أنه سطحي ومتغطرس، مثل والده نوعًا ما. وها قد أصبح مليونيرًا الآن!

بالطبع، إذا مات هو ووالدته، إذا - على سبيل المثال - وقع حادث سيارة مروع، فسوف يتعين حينها أن تنتقل إلى الشخص التالي ملكية المنزل، لكن ليس اللقب. كانت هذه فكرة مثيرة للاهتمام. غير مرجح حدوثها، لكنها مثيرة للاهتمام. في الواقع، لم يكن هناك أي سبب يمنع حدوث ذلك. في البداية ماري بلاكيستون، ثم السير ماجنوس، وأخيرًا...

سمعت كلاريسا مفتاحًا يدور في الباب الأمامي، فطوت الصحيفة بسرعة ونحّتها جانبًا. لم ترغب في أن يظن أحد أنها تضيع الوقت، وليس لديها ما تفعله. نهضت واقفة بالفعل، وتحركت نحو المطبخ، عندما انفتح الباب ودخلت ديانا ويفر. كانت زوجة آدم ويفر الذي يتولى أداء أعمال متفرقة في أرجاء القرية، ويساعد في الكنيسة، وهي امرأة تعدت منتصف العمر ذات سلوك جدي وابتسامة ودود. اشتغلت عاملة نظافة: ساعتين يوميًا في عيادة الطبيبة، وبقية الأسبوع مقسم بين منازل مختلفة في ساكسبي أون ايفون، مع عصر يوم واحد فقط في الأسبوع هنا. عند رؤيتها وهي تسرع في الدخول وبحوزتها الكيس البلاستيكي

(*) «بوبي»: تعني رجل الشرطة بالعامية البريطانية. (المترجمة).

الضخم الذي تحمله على الدوام، بينما هي تفتح أزرار المعطف الذي لم تكن في حاجة إليه بكل تأكيد في مثل هذا اليوم الدافئ، خطر ببال كلاريسا أن هذه عاملة تنظيف حقيقية، أي أنها امرأة يناسبها هذا العمل تمامًا، بل كان في الواقع ضروريًا لها. كيف استطاع ماجنوس أن يضعها في الفئة نفسها؟ هل كان جادًا بالفعل أم أتى إلى هنا لمجرد إهانتها؟ لم تشعر بالأسف لوفاته، بل العكس تمامًا.

قالت:

- مساء الخير يا سيدة ويفر.

- مرحبًا يا آنسة باي.

علمت كلاريسا على الفور أن ثمة شيئًا ليس على ما يرام. كانت عاملة النظافة حزينة، وبدت متوترة.

- هناك بعض الأشياء التي بحاجة إلى الكي في غرفة النوم الإضافية، كما اشتريت زجاجة جديدة من منظف «أجاكس».

دخلت كلاريسا في الموضوع مباشرة. لم يكن من عادتها الانخراط في المحادثة. لم تكن مجرد مسألة لياقة، بل كانت بالكاد قادرة على تحمُّل تكاليف الساعتين كل أسبوع، ولن تضيعهما بالثرثرة في صغائر الأمور. لكن على الرغم من أن السيدة ويفر خلعت معطفها، فإنها لم تتحرك، ولم تبدُ في عجلة من أمرها لبدء العمل. سألتها كلاريسا:

- هل هناك خطب ما؟

- حسنًا... إنه ذلك الأمر في المنزل الكبير.

- شقيقي؟

- أجل يا آنسة باي.

بدت عاملة النظافة منزعجة أكثر مما ينبغي لها بكثير. لم يكن الأمر كما لو أنها عملت هناك. على الأرجح تبادلت الحديث مع ماجنوس مرة أو مرتين طوال حياتها. واصلت الحديث قائلة:

- إن ما حدث أمر فظيع، في قرية كهذه. أعني، إن الناس يمرون بتقلبات،

لكنني عشت هنا أربعين عامًا، ولم أعرف شيئًا كهذا من قبل. في البداية ماري المسكينة، والآن هذا.

وافقتها كلاريسا قائلة:

- أنا أيضًا كنت أفكر في الأمر للتو. أشعر بالخزي، إذ لم أكن أنا وشقيقي مقربَين، لكن على الرغم من ذلك فقد كانت لا تزال تربطنا صلة الدم.

الدم.

سرت فيها الرعدة. هل كان يعلم أنه على وشك الموت؟

تابعت ديانا ويفر:

- والآن لدينا الشرطة هنا، يطرحون الأسئلة ويزعجون الجميع.

هل كان ذلك هو ما يقلقها؟ الشرطة؟

- هل تعتقدين أن لديهم أي فكرة عمَّن فعل ذلك؟

- أشك في هذا. وقع الأمر الليلة الماضية فحسب.

- أنا متأكدة أنهم فتشوا المنزل. تبعًا لآدم زوجي...

توقفت للحظة، وهي غير متأكدة ما إذا كان عليها الإفصاح عن الأمر، ثم قالت:

- ... انتزع شخص ما رأسه تمامًا من فوق كتفيه.

- أجل، هذا ما سمعته.

- هذا أمر فظيع.

- لقد كان صادمًا للغاية بالفعل. هل ستتمكنين من العمل اليوم أم ترغبين في العودة إلى المنزل؟

- لا، لا، أُفضِّل أن أبقي نفسي مشغولة.

ذهبت عاملة التنظيف إلى المطبخ. ألقت كلاريسا نظرة خاطفة على الساعة. بدأت السيدة ويفر العمل متأخرة دقيقتين. ستتأكد أنها عوضت ذلك الوقت قبل رحيلها.

٥

لم يكن الاجتماع في لاركين جادوال مفيدًا على وجه الخصوص. عُرض على اتيكوس بوند الكتيب الخاص بالمشروع الجديد، وكل شيء مرسوم بالألوان المائية مع عائلات مبتسمة، رُسموا مثل الأشباح تقريبًا، وهم يتحركون عبر فردوسهم الجديد. تمت الموافقة على إذن التخطيط، وكان من المقرر أن يبدأ البناء في الربيع التالي. أصر فيليب جادوال، الشريك الرئيسي، على أن دينجل ديل مساحة غير مميزة من الغابات، وأن المنازل الجديدة سوف تفيد الحي.

- إن المجلس مهتم للغاية بأن نجدد قرانا. نحن بحاجة إلى منازل جديدة للعائلات المحلية، إذا أردنا الحفاظ على حياة القرى.

استمع تشاب إلى كل هذا في صمت. خطر له أن العائلات المرسومة في الكتيب، بملابسها الأنيقة وسياراتها الجديدة، لم تبدُ محلية قَطُّ. كان سعيدًا للغاية عندما أعلن بوند أنه ليس لديه المزيد من الأسئلة، وتمكنوا من العودة إلى الشارع.

اتضح أن فرانسيس باي غادرت المستشفى بالفعل، وأصرت على العودة إلى المنزل، لذا كان هذا هو المكان التالي الذي توجه إليه الرجال الثلاثة، بوند وفريزر وتشاب. كانت سيارات الشرطة قد رحلت عن باي هول بالفعل عندما وصلوا. في أثناء مرور السيارة أمام الكوخ الخشبي، عبر الممر الممهد بالحصى، خطر لبوند أن كل شيء يبدو طبيعيًا مع شمس ما بعد الظهيرة التي أخذت تغيب خلف الأشجار بالفعل.

أشار فريزر إلى الكوخ الخشبي الصامت عند مرورهما به، وقال:

- لا بد أن هذا هو المكان الذي عاشت فيه ماري بلاكيستون.

قال بوند:

- فيما مضى، مع ابنيها روبرت وتوم. دعنا لا ننسَ أن الطفل الأصغر مات أيضًا.

نظر من النافذة، وقد تجهم وجهه فجأة، وتابع الحديث:

- لقد شهد هذا المكان الكثير من الموت.

أوقفا السيارة. كان تشاب قد سبقهما بسيارته، ووقف ينتظرهما عند الباب الأمامي. أحاط مربع مرتخٍ من شريط الشرطة بأثر اليد المطبوعة في التربة، وتساءل فريزر عما إذا كان قد جرى ربطها بالبستاني، برينت، أو بأي شخص آخر. دخلوا المنزل مباشرة. كان شخص ما قد انشغل بالعمل: أُزيلت السجادة الفارسية، وغُسل البلاط الحجري، كما اختفت البدلة المدرعة أيضًا. كانت الشرطة ستحتفظ بالسيف، فهو في النهاية سلاح الجريمة. أما باقي البدلة المدرعة، فكانت بمثابة تذكار مروع للغاية لما حدث. كان المنزل بأكمله صامتًا. لم يكن هناك أي أثر لليدي باي. تردد تشاب، وهو غير واثق بكيفية التصرف.

ثم انفتح باب، وظهر رجل خارجًا من غرفة المعيشة. كان في أواخر الثلاثينيات من العمر، بشعر داكن وشارب، يرتدي سترة زرقاء لها شارة على الجيب الأمامي. سار ببطء، وإحدى يديه في جيبه، وفي الأخرى سيجارة. فكر فريزر على الفور أنه من السهل النفور من هذا الرجل. لم يكن يثير الشعور بالبغض فحسب، بل بدا تقريبًا كما لو أنه يكاد ينمي هذا الشعور.

فوجئ الوافد الجديد بوجود ثلاثة زوَّار في الردهة، ولم يحاول إخفاء ذلك. سألهم:

- من أنتم؟

أجابه تشاب وهو متحفز بالفعل:

- كنت على وشك أن أسألك الشيء نفسه. أنا مع الشرطة.

بدت خيبة الأمل على وجه الرجل.

- أوه، حسنًا، أنا صديق فرانسيس، الليدي باي. جئت من لندن كي أعتني بها، إذ إنها ساعة الشدة، وما إلى ذلك. اسمي دارتفورد، جاك دارتفورد.

مدَّ يده على نحو غامض، ثم سحبها، وتابع الحديث:

- إنها مستاءة جدًا، كما تعلم.

تقدم بوند قائلًا:

- انا متأكد من ذلك. سأكون مهتمًا بمعرفة كيف سمعتَ بالأخبار يا سيد دارتفورد؟

- بخصوص ماجنوس؟ لقد اتصلت بي.

- اليوم؟

- لا، في الليلة الماضية. بعد أن اتصلت بالشرطة مباشرة. في الواقع، كانت في حالة هستيرية للغاية. كنت سآتي على الفور، لكن الوقت كان متأخرًا للسفر، وكانت لديَّ اجتماعات صباح اليوم، لذا قلت إنني سأصل في وقت الغداء تقريبًا، وهو ما فعلته. اصطحبتها من المستشفى، وأحضرتها إلى هنا. ابنها فريدي معها، بالمناسبة. كان مقيمًا مع أصدقاء في الساحل الجنوبي.

- اعذرني للسؤال، لكنني أتساءل لماذا اختارتك أنت من بين جميع أصدقائها كي تتصل بك في أثناء ما تطلق عليه أنت ساعة شدتها؟

- حسنًا، إن توضيح ذلك سهل بما يكفي يا سيد...؟

- بوند.

- بوند؟ هذا اسم ألماني، كما أن لديك اللكنة التي تتماشى معه. ما الذي تفعله هنا؟

قاطعه تشاب بفظاظة:

- إن السيد بوند يساعدنا.

- أوه، حسنًا. ماذا كان السؤال؟ لماذا طلبت العون مني أنا؟

على الرغم من كل تبجحه، كان من الواضح أن جاك دارتفورد يبحث عن جواب آمن.

- حسنًا، أعتقد أن هذا لأننا كنا قد تناولنا الغداء معًا للتو. في الواقع، رافقتها إلى المحطة، وأركبتها القطار العائد إلى باث. كنت أحتل مرتبة الصدارة في ذهنها.

سأله بوند:

- هل كانت الليدي باي معك في لندن يوم ارتكاب الجريمة؟

أطلق دارتفورد نصف تنهيدة، كما لو أنه أفصح عن معلومات أكثر مما كان ينتوي، وقال:

- أجل، تناولنا غداء عمل. أقدم لها المشورة بخصوص الأسهم والسندات والاستثمارات... أشياء من هذا القبيل.

- وماذا فعلتما بعد الغداء يا سيد دارتفورد؟

- لقد أخبرتك للتو...

- لقد أخبرتنا بأنك رافقت الليدي باي إلى المحطة، لكننا نعلم أنها جاءت إلى باث في قطار، في وقت متأخر من المساء. وصلت إلى المنزل في الساعة التاسعة والنصف تقريبًا. لذا أعتقد أنكما قضيتما فترة ما بعد الظهيرة معًا.

أخذ الانزعاج يظهر على دارتفورد بصورة متزايدة.

- أجل، لقد فعلنا. قتلنا بعض الوقت.

فكَّر للحظة، وتابع قائلًا:

- ذهبنا إلى صالة عرض، الأكاديمية الملكية.

- ما الذي رأيتماه؟

- مجرد بعض اللوحات. أشياء كئيبة.

- قالت الليدي باي إنها ذهبت للتسوق.

- ذهبنا للتسوق أيضًا. لكنها لم تشترِ أي شيء... على حسب ما أتذكر. في الواقع، لم تكن في حالة مزاجية مناسبة.

- لديَّ سؤال أخير لك، إذا سمحت لي يا سيد دارتفورد. تقول إنك صديق لليدي باي، فهل تصف نفسك بأنك كنت صديقًا للراحل، السير ماجنوس أيضًا؟

- لا، ليس في الواقع. أعني، كنت أعرفه بالطبع، وكنت أميل إليه نوعًا ما. كان رجلًا لطيفًا بما فيه الكفاية. لكنني أنا وفرانسيس كنا نلعب التنس معًا، وهكذا التقينا. لذا كنت أراها بقدر أكبر مما أراه هو، ولم يكن يمانع! لكنه لم يكن رياضيًا على وجه الخصوص، هذا كل ما في الأمر.

سأله تشاب:

- أين الليدي باي؟

- في غرفتها بالطابق العلوي. إنها في الفراش.

- نائمة؟

- لا أعتقد ذلك. لم تكن نائمة عندما أطللت منذ بضع دقائق.

- نود أن نراها إذن.

- الآن؟

رأى دارتفورد الجواب في وجه المحقق الصارم، وقال:

- حسنًا، سأصطحبكم إلى الأعلى.

٦

استلقت فرانسيس باي على فراشها، وقد التفَّت برداء نوم وهي نصف غارقة بين موجة من أغطية الفراش المجعدة. كانت تتناول الشمبانيا، وقبعت على الطاولة بجوارها كأس نصف فارغة، مع زجاجة مائلة من دلو ثلج. هل كان ذلك بمثابة مهدئ أم على سبيل الاحتفال؟ تبعًا لنظرة فريزر، كان من الممكن أن يكون أيهما، وبدا تفسير النظرة المرتسمة على وجهها عند دخولهما على القدر نفسه من الصعوبة. انزعجت من المقاطعة، لكنها في الوقت نفسه كانت تتوقع ذلك. لم ترغب في الحديث، لكنها استعدت بالفعل للإجابة عن الأسئلة التي لا بد أن تعترض طريقها.

لم تكن بمفردها. كان هناك فتى في سن المراهقة يرتدي ملابس بيضاء كما لو أنه سيلعب الكريكت، مسترخيًا على مقعد، واضعًا إحدى ساقيه فوق الأخرى. بدا من الواضح أنه ابنها. كان لديه نفس الشعر الداكن مصففًا إلى الوراء عبر جبينه، ونفس العينين المليئتين بالغطرسة. كان يأكل تفاحة. لم يبدُ الحزن بوضوح على الأم ولا الابن بسبب ما حدث. كان من الممكن أن تكون في الفراش بسبب تأثير الإنفلونزا، وهو في زيارتها.

قدمهما جاك دارتفورد.

- فرانسيس... هذا هو مفتش المباحث تشاب. إنه من شرطة باث.

ذكَّرها تشاب قائلًا:

- التقينا بإيجاز ليلة حدوث الأمر. كنت هناك عندما نُقِلت في سيارة الإسعاف.

- اوه، أجل.

كان الصوت أجش، لا مباليًا.

- وهذا هو السيد باند.

أومأ بوند برأسه قائلًا:

- بوند. أساعد الشرطة، وهذا مساعدي، جيمس فريزر.

- يريدون أن يطرحوا عليك بعض الأسئلة.

تعمد دارتفورد محاولة التسلل إلى الغرفة. واصل قائلًا:

- سأبقى، إذا شئتِ ذلك.

أجاب تشاب السؤال نيابة عنها قائلًا:

- لا بأس، شكرًا لك يا سيد دارتفورد. سوف نطلبك إذا احتجنا إليك.

- لا اعتقد حقًّا أن عليَّ ترك فرانسيس بمفردها.

- لن نستبقيها فترة طويلة للغاية.

- لا بأس يا جاك.

استندت فرانسيس باي إلى كومة الوسائد المكدسة خلفها، والتفتت إلى الزوَّار الثلاثة غير المرغوب فيهم.

- اعتقد أن علينا الانتهاء من هذا الأمر.

مرت لحظة وجيزة من الحرج، بينما دارتفورد يحاول التفكير فيما يتعين عليه فعله بعد ذلك، وحتى فريزر كان يستطيع رؤية ما يدور بذهنه. أراد إخبارها بما قاله عن زيارة لندن، وأراد التأكد أن حكايتها ستتوافق مع حكايته. لكن كان من المُحال أن يسمح بوند بحدوث ذلك. افصل المشتبه فيهم، وحرِّض بعضهم ضد بعض. كان هذا أسلوب عمله.

غادر دارتفورد. أغلق تشاب الباب، وجذب فريزر ثلاثة كراسي. كان هناك الكثير

من الأثاث في غرفة النوم، التي كانت فسيحة وبها ستائر منسدلة، وسجاد سميك، وخزانات مصممة تبعًا لمقاسات الغرفة، ومائدة زينة عتيقة بدت أرجلها المقوسة كأنها تتحمل بالكاد وزن جميع الزجاجات والصناديق والأوعية والفرش المكدسة على سطحها. على الفور، فكر فريزر، الذي يحب قراءة تشارلز ديكنز، في الآنسة هافيشام في رواية آمال عظيمة. بدت الغرفة بأكملها مبهرجة، ذات طابع فيكتوري إلى حدٍّ ما. كان الشيء الوحيد المفقود هو خيوط العناكب.

جلس بوند، وشرع قائلًا:

- أخشى أنه يتعين عليَّ طرح بعض الأسئلة عليك، بخصوص زوجك.

- أتفهم هذا تمامًا. إنه أمر مروع. مَن عساه يفعل مثل ذلك الشيء؟ فلتواصل، رجاءً.

- ربما تفضِّلين أن تطلبي من ابنك الرحيل.

احتج فريدي قائلًا:

- لكنني أرغب في البقاء! لم أقابل محققًا حقيقيًّا من قبل!

كان هناك نوع من الغطرسة في صوته، بدا في غير محله بدرجة أكبر نظرًا إلى كونه لم يزدد خشونة بعد بفعل البلوغ. حدق إلى بوند بوقاحة وواصل قائلًا:

- لماذا تحمل اسمًا أجنبيًّا؟ هل تعمل لصالح سكوتلاند يارد؟

قالت والدته:

- لا تكن وقحًا يا فريدي. يمكنك البقاء، لكن فقط في حال ما إذا لم تقاطع.

ترددت عيناها في اتجاه بوند، وقالت:

- فلتبدأ!

خلع بوند نظارته ولمعها، ثم ارتداها مرة أخرى. خمن فريزر أنه لن يشعر بالارتياح للحديث أمام الفتى. لم يحسن بوند التعامل مع الأطفال قَطُّ، ولا سيما الإنجليز الذين نشأوا على الاعتقاد بأنه لا يزال العدو.

- حسنًا، هل لي أن أسأل أولًا عما إذا كنت على دراية بأن زوجك تلقى أي تهديدات خلال الأسابيع الأخيرة؟

- تهديدات؟

- هل تلقى أي رسائل أو مكالمات هاتفية قد توحي بأن حياته في خطر؟

كان هناك هاتف أبيض كبير على الطاولة المجاورة للفراش، بجانب دلو الثلج. ألقت عليه فرانسيس نظرة سريعة، قبل أن تجيب قائلة:

- لا، لماذا يتلقاها؟

- على ما أعتقد، فقد تورط في أمر عقار ما. المشروع العقاري الجديد...

- أوه! أنت تقصد دينجل ديل!

تمتمت الاسم بازدراء. تابعت الحديث:

- حسنًا، لا أعرف شيئًا عن ذلك. كان لا بد أن يصير هناك بعض الغضب في القرية. الناس هنا ضيقو الأفق بدرجة كبيرة، وقد توقع ماجنوس بعض الاحتجاجات. لكن تهديدات بالقتل؟ لا أعتقد ذلك.

تدخل تشاب قائلًا:

- وجدنا رسالة على مكتب زوجك. كانت غير موقَّعة، ومكتوبة على الآلة الكاتبة، ولدينا كل الأسباب للاعتقاد بأن مَن كتبها كان غاضبًا جدًّا بالفعل.

- ما الذي يجعلك تعتقد ذلك؟

- لقد وجهت الرسالة تهديدًا محددًا للغاية يا ليدي باي. هناك أيضًا السلاح الذي عثرنا عليه، مسدس الخدمة الذي في مكتبه.

- حسنًا، لا أعرف شيئًا بخصوص ذلك. كان المسدس في الخزنة عادة. ولم يذكر لي ماجنوس أي رسالة تهديد.

بدا بوند آسفًا وهو يقول:

- هل لي أن أسأل يا ليدي باي... ماذا كانت تحركاتك في لندن بالأمس؟ لا أرغب في التطفل.

تابع في عجل قائلًا:

- لكن من الضروري بالنسبة إلينا تحديد مكان جميع المتورطين.

سأل فريدي بلهفة:

- هل تعتقد أن أمي متورطة؟ هل تعتقد أنها فعلت ذلك؟
- فريدي، فلتبقَ هادئًا!

نظرت فرانسيس باي إلى ابنها بازدراء، ثم أدارت عينيها إلى بوند مرة أخرى وقالت:

- هذا تطفل بالفعل. وقد سبق أن أخبرت مفتش المباحث بما فعلته تحديدًا، لكن إذا كان من الضروري أن تعرف، فقد تناولت الغداء في مطعم كارلوتا بصحبة جاك دارتفورد. امتد الغداء فترة طويلة جدًا. تحدثنا بخصوص العمل. لا افهم شيئًا حقًّا بشأن المال، وجاك مفيد للغاية.
- متى غادرت لندن؟
- ركبت قطار الساعة السابعة وأربعين دقيقة.

توقفت، وقد ادركت ربما أن هناك فاصلًا زمنيًا طويلًا يجب تفسيره. تابعت قائلة:

- ذهبت للتسوق بعد الغداء. لم أشترِ شيئًا، لكنني تمشيت في شارع بوند، ودخلت متجر فورتنام آند ميسون.

وافق بوند قائلًا:

- من اللطيف جدًا تمضية الوقت في لندن. هل دخلت معرضًا فنيًا ربما؟
- لا، ليست هذه المرة. كان هناك شيء ما في معهد كورتولد للفنون، على ما أظن، لكنني لم أكن في حالة مزاجية ملائمة في الواقع.

كان دارتفورد يكذب إذن. حتى جيمس فريزر اكتشف التناقض الواضح بين الحكايتين المتعلقتين بعصر ذلك اليوم، لكن قبل أن يتمكن أيٌّ منهم من التعليق على ذلك، رن جرس الهاتف، ليس في غرفة النوم، بل في الطابق السفلي. ألقت الليدي باي نظرة سريعة على سماعة الهاتف الكائن على الطاولة بجوارها، وتجهمت. سألت قائلة:

- هل يمكنك الذهاب للرد على ذلك رجاءً يا فريدي؟ أيًا كان، أخبرهم بأنني أستريح، ولا أريد إزعاجًا.

- ماذا لو كان الاتصال من أجل أبي؟

- فلتخبرهم بأننا لا نتلقى اي مكالمات فحسب. يا لك من فتى طيب.

- حسنًا.

انزعج فريدي بعض الشيء لطرده من الغرفة. انزلق من فوق المقعد، وخرج من الباب. استمع الثلاثة إلى الرنين وهو يتردد من الطابق السفلي. بعد أقل من دقيقة، توقف.

أوضحت فرانسيس باي قائلة:

- الهاتف معطل هنا بالأعلى. هذا منزل قديم، وثمة خطب ما على الدوام. في الوقت الحالي، يتعلق الأمر بالهواتف. في الشهر الماضي، كانت الكهرباء. كما أن لدينا أيضًا أعمالًا تتعلق بالنجارة وتسوس الخشب. قد يشكو الناس بشأن دينجل ديل، لكن على الأقل ستكون المنازل الجديدة حديثة وعلى درجة من الكفاءة. ليست لديك فكرة عن طبيعة العيش في منزل ريفي قديم. خطر ببال فريزر أنها غيَّرت الموضوع ببراعة، وابتعدت عما فعلته - أو لم تفعله - في لندن. لكن بوند لم يبدُ مكترثًا بدرجة كبيرة. سألها:

- في أي وقت عدتِ إلى باي هول ليلة مقتل زوجك؟

- حسنًا، دعني أرَ. وصل القطار في الساعة الثامنة والنصف تقريبًا. كان بطيئًا جدًّا. كنت قد تركت سيارتي في محطة قطار باث، ولا بد أن الوقت شارف التاسعة والثلث تقريبًا عند وصولي إلى هنا.

توقفت قبل أن تتابع قائلة:

- انطلقت سيارة مبتعدة بمجرد وصولي.

أومأ تشاب برأسه وقال:

- لقد ذكرتِ لي ذلك يا ليدي باي. هل تمكنت من رؤية السائق؟

- ربما أكون قد لمحته. لا أدري لماذا أقول ذلك. لست متأكدة حتى ما إذا كان رجلًا. كانت سيارة خضراء. سبق أن أخبرتك بالفعل. كان هناك حرفا «ف ب» على لوحة تسجيل السيارة. أخشى أنني لا أستطيع إخبارك بماركة السيارة.

- هل كان بها شخص واحد فقط؟

- أجل، في مقعد السائق. رأيت كتفيه ومؤخرة رأسه. كان يعتمر قبعة.

قال بوند:

- لقد رأيت السيارة وهي تغادر. كيف تصفين طريقة قيادتها؟

- كان السائق في عجلة من أمره. انزلق بالسيارة وهو ينعطف إلى الطريق الرئيسي.

- هل كان يقود متجهًا إلى باث؟

- لا، في الاتجاه الآخر.

- بعد ذلك توجهتِ إلى الباب الأمامي، وكانت الأنوار مضاءة.

- أجل. فتحت الباب بنفسي.

ارتجفت وتابعت قائلة:

- رأيت زوجي على الفور، واتصلت بالشرطة.

ساد صمت طويل. بدت الليدي باي منهكة حقًا. عندما بادر بوند بالحديث مرة أخرى، كان صوته لطيفًا. سألها:

- هل هناك أي احتمال لكونك تعرفين الأرقام السرية لفتح خزنة زوجك؟

- أجل، أعرفها. أحتفظ هناك ببعض مجوهراتي الأغلى ثمنًا. لم تتعرض للفتح، أليس كذلك؟

أكد لها بوند قائلًا:

- بلى يا ليدي باي، على الإطلاق. على الرغم من أنه من المحتمل أن تكون فُتحت في وقت ما مؤخرًا، لأن اللوحة التي تختفي الخزنة خلفها لم تكن محاذية للجدار تمامًا.

- ربما كان ماجنوس هو مَن فتحها. كان يحتفظ هناك بالمال، والأوراق الشخصية.

سألها تشاب:

- ماذا عن الرقم السري؟

هزت كتفيها وقالت:

- سبعة عشر جهة اليسار، تسعة جهة اليمين، سبعة وخمسون جهة اليسار، ثم أدِر القرص مرتين.

ابتسم بوند بتعاطف قائلًا:

- شكرًا لك. أنا متأكد أنك متعبة يا ليدي باي، ولن نستبقيك فترة أطول من هذا. هناك سؤالان آخران فقط أريد طرحهما عليك. يتعلق الأول بملاحظة وجدناها أيضًا على مكتب زوجك، يبدو أنها مكتوبة بخط يده.

كان تشاب قد أحضر المفكرة، التي باتت مغلفة الآن بكيس بلاستيكي للأدلة. ناولها إلى الليدي باي التي تفحصت سريعًا الأسطر الثلاثة المكتوبة بالقلم الرصاص.

أشتون هـ
م و
فتاة

قالت:

- هذا خط ماجنوس. ولا يوجد في الأمر شيء فائق الغموض. كانت لديه عادة تدوين الملاحظات عندما يتلقى مكالمة هاتفية. دومًا ما كان ينسى الأشياء. لا أعرف مَن أو ماذا يكون «آشتون هـ». «م و»؟ أعتقد أن هذا يمكن أن يكون الأحرف الأولى من اسم شخص ما.

أشار بوند قائلًا:

- حرف الـ«م» كبير، لكن حرف الـ«و» صغير.

- ربما تكون كلمة إذن. اعتاد فعل ذلك أيضًا. إذا طلبت منه شراء صحف الأخبار عند خروجه، كان يكتب «ص أ».

- هل يمكن أن يكون هذا الـ«م و» قد أثار غضبه بطريقة ما؟ لم يدوِّن أي

ملاحظات أخرى، لكن هناك عدة خطوط. يمكنك رؤية أنه كاد يمزق الورقة بالقلم الرصاص.

- ليست لديَّ أي فكرة.

تدخل تشاب قائلًا:

- وماذا عن هذه الفتاة؟ مَن يمكن أن تكون؟

- لا يمكنني إخبارك بذلك أيضًا. من الواضح أننا كنا بحاجة إلى مدبرة منزل جديدة. أعتقد أنه من الممكن أن يكون شخص ما قد أوصى بفتاة.

شرع بوند قائلًا:

- مدبرة منزلكم السابقة، ماري بلاكيستون...

- أجل، كانت هذه فترة مروعة، مروعة جدًا. كنا بعيدين عندما حدث ذلك، في جنوب فرنسا. بقيت ماري لدينا منذ فترة طويلة. كان ماجنوس قريبًا منها للغاية، وكانت تعبده! منذ اللحظة التي انتقلت فيها إلى الكوخ الخشبي، باتت مدينة له بالفضل، كما لو أنه ملك من نوع ما، وقد طُلب منها الانضمام إلى الحرس الملكي. عن نفسي، وجدتها مضجرة إلى حدٍّ ما، على الرغم من أنني لا يجب أن أتحدث بسوء عن الأموات. ماذا تريد أن تعرف أيضًا؟

- لاحظت أن هناك لوحة مفقودة من الجدار في القاعة الكبرى حيث عُثر على زوجك. كانت معلقة بجوار الباب.

- ما علاقة ذلك بأي شيء؟

- كل التفاصيل تهمني يا ليدي باي.

بدت فرانسيس باي غير راغبة في الإجابة.

- كانت صورة لي. لم تعجب ماجنوس، لذا تخلص منها.

- مؤخرًا؟

- أجل، لا يمكن أن يكون قد مضى اكثر من اسبوع، في الواقع. لا اتذكر متى تحديدًا.

غاصت فرانسيس باي إلى الخلف في وسائدها، مشيرة إلى أنها تحدثت بما فيه الكفاية. أومأ بوند برأسه، وتبع فريزر وتشاب إشارته فوقفا، ورحل ثلاثتهم.

سأل تشاب بينما هم يغادرون الغرفة:

- ما رأيكما في ذلك؟

قال فريزر:

- لقد كذبت بشأن لندن، قطعًا. إذا طلبت رأيي، فقد قضت هي وذلك الرجل المدعو دارتفورد فترة ما بعد الظهيرة معًا، ولم يتسوقا بكل تأكيد!

وافق بوند قائلًا:

- من الواضح أن الليدي باي وزوجها لم يعودا يتشاركان الفراش.

- كيف عرفت ذلك؟

- بدا هذا واضحًا من ديكور غرفة النوم، والوسائد المطرزة. كانت غرفة من دون أي أثر لرجل.

تمتم تشاب قائلًا:

- إذن هناك شخصان لديهما سبب وجيه لقتله. أقدم دافع معروف. يقتلان الزوج، ويهربان معًا بالغنيمة.

- ربما تكون على حق أيها المفتش. قد نعثر على نسخة من وصية السير ماجنوس باي في خزنته. لكن عائلته بقيت في هذا المنزل سنوات طويلة، ومن المرجح على ما أعتقد أنه سوف ينتقل مباشرة إلى وريثه وابنه الوحيد.

علق تشاب قائلًا:

- يا له من شخص بغيض هو الآخر.

في الواقع، احتوت الخزنة على قليل مما يثير الاهتمام. كانت هناك عدة قطع من المجوهرات، وخمسمائة جنيه تقريبًا من عملات متنوعة، ووثائق متعددة، بعضها حديث، وبعضها الآخر يعود إلى عشرين سنة مضت. أخذها تشاب معه.

افترق هو وبوند عند الباب، وعاد تشاب إلى منزله في هامسويل، حيث ستكون

زوجته هارييت في انتظاره. سيعرف حالتها المزاجية على الفور. أسر لبوند ذات مرة أنها تُظهر ذلك من خلال سرعة حركة إبر حياكتها.

صافحه بوند وفريزر، ثم عادا إلى وسائل الراحة المشكوك في أمرها في كوينز آرمز.

٧

تجمع مزيد من الناس حول محطة الحافلات على الجانب الآخر من ساحة القرية، وبدا جليًا أنهم رأوا شيئًا ما أثار انزعاجهم. لاحظ فريزر حشدًا منهم في ذلك الصباح عندما استأجرا غرفتين في الحانة، ومن الواضح أنهم نشروا الخبر. حدث شيء ما، وكانت القرية بأكملها بحاجة إلى أن تعرف.

سأل بينما هو يوقف السيارة:

- ما الأمر، في اعتقادك؟

أجاب بوند:

- ربما يجب علينا اكتشاف ذلك.

ترجلا وسارا عبر الساحة. كان متجر تحف الزوجين وايتهيد ومتجر الأجهزة الكهربائية مغلقين بالفعل، وفي هدوء المساء، مع غياب حركة المرور العابر، كان من السهل سماع ما يقوله الحشد الصغير.

- يا لها من وقاحة!

- عليها أن تشعر بالخجل.

- تتباهى بنفسها على هذا النحو!

لم يلحظ سكان القرية بوند وفريزر إلا بعد فوات الأوان، ثم افترقوا ليسمحوا للرجلين بالوصول إلى أيِّ ما كانوا يتناقشون بشأنه. شاهداه في الحال. كانت هناك واجهة عرض زجاجية مثبتة بجوار محطة الحافلات، وبها إشعارات مختلفة معلقة بالداخل: محضر اجتماع المجلس الأخير، وخدمات الكنيسة،

والأحداث المقبلة. ومن بين هذه، أُضيفت ورقة واحدة عليها رسالة مكتوبة على الآلة الكاتبة.

إلى مَن يهمه الأمر

سرت في القرية شائعات كثيرة بخصوص روبرت بلاكيستون. اقترح بعض الناس أنه ربما كانت له علاقة بالموت المأساوي لوالدته، ماري بلاكيستون، في الساعة التاسعة صباحًا من يوم الجمعة. هذه الأكاذيب مؤذية، وتفتقر إلى الدقة، وغير صحيحة. كنتُ برفقة روبرت في ذلك الوقت في شقته أعلى المرأب، كما كنت برفقته طوال الليل. إذا لزم الأمر، سأقسم على هذا في المحكمة. أنا وروبرت مخطوبان، وسوف نتزوج. رجاءً إظهار بعض اللطف حيالنا، والتوقف عن نشر هذه الشائعات الخبيثة.

جوي ساندرلنج

أصيب جيمس فريزر بالصدمة. كان هناك جانب من طبيعته، شيء عمقته فيه سنواته التي قضاها في نظام المدارس الإنجليزية الخاصة، يشعر بالاستياء بسهولة من أي عرض علني للعواطف، حتى إن إمساك شخص بيد آخر في الطريق بدا له أمرًا غير ضروري، وقد تجاوزت هذه الخطبة - إذ إنها بدت له لا أقل من ذلك - جميع الحدود بدرجة كبيرة.

هتف بينما كانا يبتعدان:

- فيمَ كانت تفكر؟

أجاب بوند:

- هل كان فحوى الإعلان هو أكثر ما صدمك؟ ألم تلحظ شيئًا آخر؟

- ماذا؟

- التهديد الذي أُرسل إلى ماجنوس باي، وهذا الاعتراف من جوي ساندرلنج، طبعتهما الآلة الكاتبة نفسها.

رمش فريزر قائلًا:

- يا إلهي! هل انت متأكد؟

- أنا واثق. لقد تلاشى طرف حرف «I»، كما أن حرف «t» يميل قليلًا نحو اليسار. إنه ليس الموديل نفسه فحسب، بل هي الآلة الكاتبة نفسها.

- هل تعتقد أنها كتبت الرسالة إلى السير ماجنوس؟

- هذا محتمل.

سارا بضع خطوات في صمت، ثم شرع بوند في الحديث مرة أخرى، وقال:

- اضطرت الآنسة ساندرلنج إلى اتخاذ هذا الإجراء لأنني رفضت مساعدتها. إنها على استعداد للتضحية بسمعتها الطيبة، وهي تعلم جيدًا أن خبرًا كهذا قد يصل إلى والديها اللذين سينزعجان من سلوكها، كما أوضحت لنا. هذه مسؤوليتي.

توقف عن الحديث، ثم تابع قائلًا:

- هناك شيء ما في قرية ساكسبي أون أيفون يثير قلقي. لقد تحدثت إليك من قبل عن طبيعة شر الإنسان، يا صديقي، كيف أنه عبارة عن الأكاذيب والمراوغات الصغيرة التي لا يراها أحد أو يكتشفها، لكن يمكنها أن تجتمع وتخنقك مثل الدخان في حريق أحد المنازل.

استدار وتفحص المباني المحيطة والساحة الظليلة. واصل الحديث قائلًا:

- إنهم حولنا في كل مكان. لقد وقع حادثا وفاة بالفعل، وثلاثة إذا أضفت الطفل الذي مات في البحيرة منذ تلك السنوات البعيدة الماضية. جميعها متصلة. يجب أن نتحرك بسرعة، قبل وقوع حادث رابع.

عبر الساحة، ودخل الفندق. خلفه، كان سكان القرية لا يزالون يهمهمون بهدوء ويهزون رؤوسهم.

أربعة

فتى

ا

استيقظ أتيكوس بوند وهو مصاب بالصداع.

أدرك وجوده من قبل أن يفتح عينيه، وفي اللحظة التي فتحهما فيها، اشتد الصداع كما لو كان ينتظره، منبطحًا في كمين. سلبته شدة الصداع أنفاسه تمامًا، وكان أقصى ما بوسعه أن يمد يده نحو الأقراص التي أعطاه إياها الدكتور بينسون، والتي تركها في الليلة السابقة بجانب الفراش. بطريقة ما، عثرت عليها يده والتقطتها، لكنه لم يتمكن من العثور على كوب الماء الذي أعده أيضًا. لم يكن ذلك مهمًا. وضع الأقراص في فمه، وابتلعها وهي جافة، شاعرًا بمرورها القاسي عبر حلقه. بعد بضع دقائق فقط، عندما استقرت في معدته بأمان، وشرعت تذوب بالفعل وتبث المواد الخافضة للحرارة التي بها من خلال مجرى دمه إلى دماغه، عثر على الكوب وتناول الماء ليغسل الطعم المر من فمه.

ظل مستلقيًا في مكانه فترة طويلة، وكتفاه ملتصقتان بالوسائد، محدقًا في الظلال إلى الجدران. جزءًا تلو جزء، عادت الغرفة لتتضح مرة أخرى: خزانة الملابس المصنوعة من خشب البلوط التي كانت كبيرة بعض الشيء بالنسبة إلى المساحة التي تحتلها، والمرآة بزجاجها المبقع، والصورة المعلقة داخل إطار - مشهد لمبنى الهلال الملكي في باث - والستائر المتدلية التي يمكن سحبها إلى الوراء للكشف عن منظر المقابر. حسنًا، كان ذلك ملائمًا. في انتظار أن يهدأ الألم، فكر أتيكوس بوند في موته الذي يقترب سريعًا.

لن تكون هناك جنازة. رأى في حياته كثيرًا من الموت، إلى درجة أنه لم يرغب في تزيينه بالطقوس، واحترامه كما لو أنه شيء أكثر مما هو عليه بالفعل... مجرد انتقال. كما أنه لم يكن يؤمن بالرب. كان هناك مَن خرجوا من المعسكرات

وإيمانهم لم يُمس، وقد احترمهم لذلك. قادته تجربته الشخصية إلى عدم الإيمان بأي شيء. الإنسان حيوان معقد، قادر على الخير الاستثنائي، والشر العظيم، لكنه بمفرده بكل تأكيد. في الوقت نفسه، لم يكن يخشى أن يَثبتَ أنه على خطأ. إذا حدث أن وجد نفسه بعد حياة طويلة من العقل المدروس، قد دُعي إلى الحساب في قاعة من نوع ما مرصعة بالنجوم، كان متأكدًا أنه سيُغفر له. تبعًا لما فهمه، كان الرب من النوع المتسامح.

وعلى الرغم من ذلك، خطر له أن الدكتور بينسون كان متفائلًا بدرجة زائدة بعض الشيء. ستقع المزيد من هذه النوبات، وستزيد من عجزه بدرجة أشد بينما ذلك الشيء الكائن برأسه يحرز تقدمه غير القابل للعلاج. كم سيمضي من الوقت قبل أن يصبح غير قادر على العمل؟ كانت هذه هي أكثر فكرة مثيرة للخوف، أن التفكير نفسه قد يصير غير ممكن. بينما هو مستلقٍ بمفرده في غرفته في كوينز آرمز، قطع بوند عهدين على نفسه: الأول أنه سوف يحل قضية مقتل السير ماجنوس باي، ويسوي الدَّين الذي يدين به إلى جوي ساندرلنج.

أما الثاني، فقد رفض التلفظ به.

بعد ساعة، عندما نزل إلى غرفة الطعام وهو مهندم كالعادة، مرتديًا بدلة مكوية بأناقة وقميصًا أبيض وربطة عنق، كان من المستحيل معرفة كيف بدأ يومه، وبالتأكيد لم يدرك جيمس فريزر على الإطلاق أن ثمة خطبًا ما، لكن الشاب كان ضعيف الملاحظة إلى حدٍّ كبير. تذكر بوند قضيتهما الأولى معًا، عندما فشل فريزر في ملاحظة أن رفيقه في السفر على متن قطار الساعة 3.50، المنطلق من بادينجتون، كان في الواقع ميتًا. أحس كثير من الناس بالدهشة لكونه تمكن من الحفاظ على وظيفته مساعدًا لمحقق. في الواقع، وجده بوند مفيدًا بسبب بلادته تحديدًا. كان فريزر بمثابة صفحة خالية، يمكن لبوند أن يخربش عليها نظرياته الخاصة، أو لوح زجاج شفاف قد يرى فيه انعكاس أفكاره. كما أنه كان كفئًا. كان قد طلب بالفعل القهوة السوداء والبيضة المسلوقة اللتين يحب بوند تناولهما على الإفطار.

تناولا الطعام في صمت. طلب فريزر لنفسه وجبة إفطار إنجليزية كاملة، وهي كمية من الطعام لطالما وجدها بوند مذهلة. لم يوضح خطط اليوم التي تنتظرهما، إلا بعد انتهائهما من الطعام. أعلن قائلًا:

- يجب علينا زيارة الآنسة ساندرلنج مرة أخرى.

- بالتأكيد. ظننت أنك ربما ترغب في البدء بها. ما زلت لا أصدق أنها قد تعلق إشعارًا كهذا. والكتابة إلى السير ماجنوس...

- أعتقد أنه من غير المحتمل أنها وجهت التهديدات بنفسها. لكنها كانت الآلة الكاتبة نفسها. لا شك في ذلك.

- ربما تمكن شخص آخر من الوصول إليها.

- إنها تعمل في عيادة الطبيبة. هذا هو المكان الذي سنجدها فيه. عليك معرفة متى تفتح.

- بالتأكيد. هل تريدني أن أبلغها أننا قادمان؟

- لا، أعتقد أنه سيكون من الأفضل أن نذهب على حين غِرة.

صب بوند لنفسه مقدار بوصة أخرى من القهوة. تابع الحديث:

- أنا مهتم أيضًا بمعرفة المزيد عن وفاة مدبرة المنزل، ماري بلاكيستون.

- هل تعتقد أن وفاتها لها صلة بالأمر؟

- لا شك في ذلك. إن موتها، وعملية السطو، ومقتل السير ماجنوس، هي بالتأكيد ثلاث خطوات في الرحلة نفسها.

- أتساءل عما سيكتشفه تشاب من خلال ذلك الدليل الذي عثرتَ عليه، قصاصة الورق في المدفأة. كانت عليها بصمة. ربما يخبرنا ذلك بشيء ما.

قال بوند:

- لقد أخبرتني بالكثير بالفعل. ليست البصمة نفسها هي ما يهم. لن تفيد، ما لم يكن صاحبها شخصًا له سجل جنائي، وأنا أشك في ذلك. لكن كيف وُجدت هناك، ولماذا أُحرقت الورقة، هذان هما في الواقع السؤالان اللذان قد يمسان صميم الموضوع.

- وحيث إنني أعرفك، فلديك الإجابات بالفعل. في الواقع، أراهن أنك حللت الموضوع برمته يا رجل!

- ليس بعد يا صديقي. لكننا سنلحق بمفتش المباحث تشاب لاحقًا، وسنرى...

أراد فريزر طرح مزيد من الأسئلة، لكنه علم أن بوند سيرفض أن يُستدرج. اطرح عليه سؤالًا، وسيكون أفضل ما تحصل عليه جوابًا يحمل قليلًا من المعنى، أو لا معنى له، وسيكون في حد ذاته أكثر إزعاجًا من عدم وجود جواب على الإطلاق. انتهيا من إفطارهما، وغادرا الفندق بعد عدة دقائق. عند خروجهما إلى ساحة القرية، كان أول ما لاحظاه هو أن واجهة العرض المجاورة لمحطة الحافلات باتت خاوية. أُزيل اعتراف جوي ساندرلنج.

٢

- في الواقع، لقد أزلته بنفسي. فعلت ذلك هذا الصباح. لست نادمة على وضعه هناك. اتخذت القرار عندما زرتك في لندن. كان عليَّ فعل شيء ما. لكن بعد ما حدث هنا - أعني، مع السير ماجنوس، وطرح الشرطة للأسئلة، وكل شيء - لم يبدُ مناسبًا فحسب. على أي حال، فقد أدى المهمة. بمجرد أن يقرأه شخص واحد، ستعرف القرية بأكملها. هكذا هي الحال هنا. أؤكد لكما أن الناس باتوا يوجهون إليَّ بعض النظرات الغريبة، ولا أعتقد أن الكاهن كان مسرورًا بدرجة كبيرة. لكنني لا أكترث. أنا وروبرت سوف نتزوج. ما نفعله هو شأننا الخاص، ولن أتحمل تلفيق الناس للأكاذيب عنه أو عني.

جلست جوي ساندرلنج بمفردها في العيادة الحديثة المكونة من طابق واحد، الواقعة في شمال ساكسبي أون أيفون، محاطة بالمنازل والأكواخ التي بُنيت جميعها في الوقت نفسه تقريبًا. كان مبنى غير جذاب، مشيدًا على نحو رخيص بتصميم عملي. قارنه والد الدكتورة ريدوينج وقت إنشائه بمرحاض عمومي، على الرغم من أنه كان يمارس عمله من منزله بالطبع. ظنت الدكتورة ريدوينج

نفسها أنه ليس من السيئ أن تتمكن من فصل عملها عن حياتها الشخصية. صار عدد الأشخاص الذين يعيشون في القرية أكثر بكثير مما كانوا عليه في زمن إدجار ريـنارد.

كان المرضى يدخلون من خلال باب زجاجي يفتح مباشرة على منطقة انتظار بها بعض الأرائك المصنوعة من الجلد الصناعي، وطاولة قهوة، ومجموعة متناثرة من المجلات: نسخ قديمة من مجلة بانش، ومجلة كانتري لايف. كانت هناك بعض الألعاب للأطفال، التي تبرعت بها الليدي باي منذ فترة طويلة، وصارت حقًا بحاجة إلى استبدالها. جلست جوي في مكتب مجاور - الصيدلية - به نافذة تنزلق جانبًا كي تتمكن من التحدث إلى المرضى مباشرة. كان أمامها دفتر مواعيد، وهاتف، وآلة كاتبة في أحد الجوانب. وخلفها أرفف، وخزانة مليئة بالإمدادات الطبية، وخزائن لحفظ الملفات تحوي سجلات المرضى، وثلاجة صغيرة كانت تحوي أحيانًا بعض الأدوية أو العينات المختلفة التي يلزم إرسالها إلى المستشفى. كان هناك بابان، واحد على كل جانب، يقود الواقع على يسارها إلى منطقة الاستقبال، ويقود الواقع على يمينها إلى مكتب الدكتورة ريدوينج. كان هناك مصباح بجوار الهاتف، يومض عندما تصير الطبيبة مستعدة لرؤية مريضها التالي.

كان جيف ويفر، حفَّار القبور، هناك الآن يرافق حفيده لإجراء فحص نهائي. تعافى بيلي ويفر، البالغ من العمر تسعة أعوام، من سعاله الديكي تمامًا، ودخل العيادة متقافزًا وهو عازم على الخروج منها في أسرع وقت ممكن. لم يكن ثمة مرضى آخرون على قائمة الانتظار، وقد فوجئت جوي عندما انفتح الباب ودخل أتيكوس بوند مع مساعده ذي الشعر الأشقر. كانت قد سمعت أنهما في القرية، لكنها لم تتوقع رؤيتهما هنا.

سأل بوند:

- هل اطلع أحد والديك على ما كتبتِه؟

قالت جوي:

- ليس بعد، على الرغم من أنني متأكدة أنه سرعان ما سيبلغهما شخص ما.
هزت كتفيها وتابعت قائلة:
- إذا اكتشفا، فما الذي يهم في ذلك؟ سأنتقل إلى الإقامة مع روبرت، وهذا ما أريده على أي حال.

بدا لفريزر أنها تغيرت خلال الفترة القصيرة منذ لقائهما في لندن. أحس ساعتها بالإعجاب حيالها، وأصابته خيبة الأمل في صمت عندما رفض بوند مساعدتها. كانت الشابة على الجانب الآخر من النافذة لا تزال جذابة للغاية، بالتحديد مثل ذلك النوع من الأشخاص الذين قد ترغب في الحديث إليهم إذا لم تكن على ما يرام. لكن صار لديها أيضًا جانب أشد جمودًا. لاحظ أنها لم تأتِ لاستقبالهما، مفضلة البقاء في الغرفة الأخرى.

قالت:
- لم أتوقع رؤيتك يا سيد بوند. ماذا تريد؟
- قد تشعرين بأنني لم أكن منصفًا معك عندما أتيت لزيارتي في لندن يا آنسة ساندرلنج، وربما ينبغي لي تقديم الاعتذار. كنت صادقًا معك فحسب. في ذلك الوقت، لم أعتقد أن بوسعي مساعدتك في الموقف الذي وجدت نفسك فيه. ومع ذلك، عندما قرأت عن وفاة السير ماجنوس باي، شعرت بأنه ليس لديَّ خيار سوى التحقيق في الأمر.
- هل تعتقد أن الموضوع له علاقة بما قلته لك؟
- قد يكون الأمر كذلك.
- حسنًا، لا أرى كيف يمكنني مساعدتك، إلا إذا كنت تظن أنني فعلت ذلك.
- هل لديك سبب كي تتمني موته؟
- لا، بالكاد كنت أعرفه حتى. كنت أراه من حين إلى حين، لكن لم تكن لي علاقة به.
- وماذا عن خطيبك، روبرت بلاكيستون؟
- أنت لا تشك فيه، أليس كذلك؟

توهج شيء ما في عينيها، وواصلت الحديث:

- لم يعامله السير ماجنوس قَطُّ إلا بلطف. ساعد روبرت على الحصول على عمله، ولم يتشاجرا قَطُّ. نادرًا ما كان يرى أحدهما الآخر. هل هذا سبب وجودك هنا؟ لأنك تريد تأليبي ضده؟

- لا يمكن أن يكون هناك ما هو أكثر بعدًا عن الحقيقة.

- ماذا تريد إذن؟

- في الواقع، أنا هنا لرؤية الدكتورة ريدوينج.

- إنها بصحبة مريض في الوقت الحالي، لكنني أتوقع أنها ستنتهي قريبًا.

- شكرًا لكِ.

لم يستأ بوند من عداء الفتاة، لكن بدا لفريزر أنه ينظر إليها بحزن نوعًا ما. تابع قائلًا:

- عليَّ أن أحذرك أنه سيكون من الضروري بالنسبة إليَّ أن أتحدث إلى روبرت.

- لماذا؟

- لأن ماري بلاكيستون كانت والدته، ومن المحتمل دومًا أنه قد يعتبر السير ماجنوس مسؤولًا بصورة جزئية عن وفاتها، وهذا وحده من شأنه ان يوفر له دافعًا إلى القتل.

- الانتقام؟ أشك في هذا بشدة.

- على اي حال، فقد عاش في باي هول فيما مضى، وهناك علاقة بينه وبين السير ماجنوس، أحتاج إلى استكشافها. أقول لكِ هذا لأنه خطر لي أنك قد ترغبين في أن تكوني حاضرة عندما نتحدث.

أومأت جوي برأسها.

- أين تريد رؤيته؟ ومتى؟

- ربما يتمكن من القدوم إلى فندقي عندما يلائمه ذلك؟ أنا مقيم في كوينز آرمز.

- سأحضره عقب انتهائه من العمل.

- شكرًا لكِ.

انفتح باب مكتب الدكتورة ريدوينج، وخرج جيف ويفر ممسكًا بيد صبي صغير يرتدي سروالًا قصيرًا وسترة مدرسية. انتظرت جوي حتى رحلا، ثم توجهت نحو باب عند جانب مكتبها. قالت:

- سأبلغ الدكتورة ريدوينج بوجودكما.

غابت عن الأنظار. كانت هذه هي الفرصة التي ينتظرها بوند تحديدًا. أشار إلى فريزر الذي سحب ورقة بسرعة من جيب سترته، وانحنى عبر النافذة، وأدخلها في الآلة الكاتبة بشكل مقلوب. انحنى فوق الآلة الكاتبة وضغط عدة مفاتيح بصورة عشوائية، ثم سحب الورقة وناولها إلى بوند الذي تفحص الحروف، وأومأ برأسه مظهرًا رضاه قبل أن يعيدها مرة أخرى.

سأله فريزر:

- هل هي نفسها؟

- إنها هي.

عادت جوي ساندرلنج إلى مكتب الاستقبال. قالت:

- يمكنكما الدخول. الدكتورة ريدوينج غير منشغلة حتى الساعة الحادية عشرة.

قال بوند:

- شكرًا.

ثم اضاف تقريبًا كما لو أن ذلك طرأ على باله:

- هل أنت وحدك مَن يستخدم هذا المكتب يا آنسة ساندرلنج؟

أجابت جوي:

- تدخله الدكتورة ريدوينج من وقت إلى آخر، لكن لا أحد غيرها.

- هل أنت متأكدة تمامًا من ذلك؟ لا يتمكن أي شخص آخر من الوصول إلى هذه الآلة؟

أشار إلى الآلة الكاتبة.

- لماذا تريد أن تعرف؟

لم يقل بوند شيئًا، لذا واصلت:

- لا أحد يأتي إلى هنا باستثناء السيدة ويفر. إنها والدة ذلك الصبي الصغير الذي رحل للتو، وهي تنظف العيادة مرتين أسبوعيًا. لكنني أشك بشدة في أنها ستستخدم الآلة الكاتبة، وبالتأكيد ليس من دون استئذان.

- بينما أنا موجود هنا، يهمني أيضًا رأيك في المنازل الجديدة التي كان السير ماجنوس ينتوي بناءها. كان يخطط لقطع الغابة المعروفة باسم دينجل ديل...

- هل تعتقد أن هذا هو سبب مقتله؟ أخشى أنك تفتقر إلى الفهم العميق للقرى الإنجليزية، يا سيد بوند. كانت فكرة غبية. لا تحتاج ساكسبي أون أيفون إلى منازل جديدة، وهناك كثير من الأماكن الأفضل لبنائها. أكره رؤية قطع الأشجار، وجميع مَن في القرية تقريبًا لديهم التفكير نفسه. لكن لم يكن أحد ليقدم على قتله بسبب ذلك. أسوأ ما كانوا سيفعلونه هو الكتابة إلى الصحيفة المحلية، أو الشكوى من ذلك في الحانة.

اقترح بوند:

- ربما لن يمضي التطوير قُدمًا الآن، بعد أن لم يعد موجودًا للإشراف عليه.

- أعتقد أن هذا محتمل.

كان بوند قد أثبت وجهة نظره. ابتسم وتوجه نحو باب المكتب. تبعه فريزر، الذي طوى الورقة إلى نصفين ودسها في جيبه.

٣

كان المكتب صغيرًا مربع الشكل، ويطابق تمامًا ما قد يتوقعه أي شخص من عيادة طبيب، إلى درجة أنه ربما يكاد يكون قد ألهم رسمًا كاريكاتوريًا في إحدى مجلات بانش القديمة الموضوعة على طاولة غرفة الاستقبال. كان هناك مكتب

عتيق موضوع في المنتصف مع كرسيين مواجهين له، وخزانة خشبية لحفظ الملفات، ورف مكدس بالمجلدات الطبية. على أحد الجوانب، كان يمكن سحب ستارة لإنشاء حجيرة منفصلة بها كرسي آخر وسرير مرتفع. تدلى معطف أبيض فوق خطاف. اللمسة الوحيدة غير المتوقعة في الغرفة كانت لوحة زيتية تُظهر صبيًا أسود الشعر مستندًا إلى جدار. بدا من الواضح أنه عمل أحد الهواة، لكن فريزر، الذي درس الفن في أكسفورد، ظن أنها جيدة نوعًا ما.

جلست الدكتورة ريدوينج نفسها منتصبة، تدوِّن ملاحظات على ملف حالة أمامها، وهي امرأة صارمة إلى حدٍّ ما، في أوائل الخمسينيات من عمرها. بدا كل شيء فيها مدببًا: خط كتفيها المستقيم، وعظام وجنتيها، وذقنها. كان يمكن للمرء رسم صورتها باستخدام مسطرة. لكنها كانت مهذبة بما يكفي، وأشارت إلى ضيفيها بالجلوس. انتهت مما كانت تدوِّنه، وأعادت الغطاء فوق قلمها، وابتسمت.

- اخبرتني جوي بأنكما مع الشرطة.

أوضح بوند قائلًا:

- نحن هنا بصفة شخصية. لكن من الصحيح أننا عملنا مع الشرطة في بعض الأحيان، ونساعد المفتش تشاب الآن. اسمي أتيكوس بوند، وهذا مساعدي، جيمس فريزر.

- لقد سمعت عنك يا سيد بوند. تبعًا لما فهمت، فإنك فائق البراعة. أتمنى أن تتمكن من سبر أغوار هذا الموضوع. إنه لأمر مروع أن يحدث هذا في قرية صغيرة، وأن يأتي في أعقاب موت ماري المسكينة بفترة قصيرة جدًا... حقًّا لا اعرف ماذا اقول.

- فهمت انك أنت والسيدة بلاكيستون كنتما صديقتين.

- لن أتمادى إلى ذلك الحد، لكن أجل، كنا نرى بعضنا كثيرًا نوعًا ما. أعتقد أن الناس بخسوها حقها. كانت امرأة ذكية للغاية. لم تنعم بحياة سهلة، إذ فقدت طفلًا، وربَّت الآخر بمفردها. لكنها تعاملت مع الأمر بصورة جيدة للغاية، وساعدت الكثير من الناس في القرية.

- وأنتِ مَن عثرت عليها بعد الحادث الذي تعرضَت له.
- في الواقع، كان برينت، المسؤول عن الحدائق في باي هول.
امسكت عن الحديث، ثم تابعت:
- لكنني افترضت أنك ترغب في الحديث معي عن السير ماجنوس.
- أنا مهتم بكلا الحادثين يا دكتورة ريدوينج.
- حسنًا، اتصل بي برينت من الإسطبل. كان قد رآها عبر النافذة، ملقاة في الردهة، وخشي وقوع الأسوأ.
- ألم يدخل؟
- لم يكن بحوزته مفتاح. في النهاية، اضطررنا إلى كسر الباب الخلفي. كانت ماري قد تركت مفاتيحها الخاصة في القفل على الجانب الآخر. كانت عند أسفل الدرج، وبدا كما لو أنها تعثرت في سلك مكنستها الكهربائية التي كانت عند قمة الدرج. كانت عنقها مكسورة. لا أعتقد أنه مرت فترة طويلة على وفاتها. كانت لا تزال دافئة حينما عثرت عليها.
- لا بد أن الأمر كان مؤلمًا جدًا بالنسبة إليك يا دكتورة ريدوينج.
- كان كذلك بالفعل. أنا معتادة على الموت، بالطبع، وقد رأيته مرات عديدة. لكن الأمر دومًا ما يكون أكثر صعوبة عندما يكون شخصًا تعرفه بصورة شخصية.
ترددت للحظة، ومرت سلسلة من الأفكار المتضاربة عبر عينيها الداكنتين الجادتين، ثم وصلت إلى قرار.
- كما أن هناك شيئًا آخر.
- أجل؟
- فكرت في ذكر هذا للشرطة حينها، وربما كان عليَّ فعل ذلك. وقد أكون مخطئة في إخباركما الآن. الأمر هو أنني أقنعت نفسي أن هذا لم يكن ذا صلة. ففي النهاية، لم يكن أحد يلمح بأن موت ماري ما هو إلا حادث مأساوي. لكن نظرًا إلى ما حدث، وبما أنك هنا...

- من فضلك، تابعي الحديث.

- حسنًا، قبل أيام قليلة من وفاة ماري، تعرضنا لحادث هنا في العيادة. كنا مشغولين جدًا في ذلك اليوم - كان لدينا ثلاثة مرضى على التوالي - واضطرت جوي إلى الخروج مرتين. طلبت منها أن تشتري لي بعض الغداء من متجر القرية. إنها فتاة طيبة، ولا تمانع في فعل مثل هذا النوع من الأشياء. كما أنني تركت بعض الأوراق في منزلي، وخرجَت وجلبتها لي. على أي حال، في نهاية اليوم، عندما كنا نرتب المكان، لاحظنا اختفاء زجاجة من الصيدلية. كما يمكنك أن تتخيل، فنحن نراقب جميع أدويتنا من كثب، ولا سيما تلك الأكثر خطورة من بينها، وشعرتُ بالقلق على نحو خاص من اختفائها.

- ماذا كان ذلك الدواء؟

- فيسوستجمين. إنه في الواقع علاج لتسمم البيلادونا، واضطررت إلى الحصول على بعض منه لهنرييتا أوسبورن، زوجة الكاهن. وطئت أجمة من نبات ست الحسن القاتل في دينجل ديل، وأنا متأكدة أنك تعلم، يا سيد بوند، أن الأتروبين عنصر نشط في ذلك النبات تحديدًا. الفيسوستجمين فعَّال بجرعات صغيرة، لكن يمكن لكمية أكبر أن تقتلك بسهولة.

- وتقولين إن أحدهم أخذه.

- لم أقل ذلك. لو كان لديَّ أي سبب يدفعني إلى الاعتقاد بذلك، لتوجهت مباشرة إلى الشرطة. لا، من الممكن أن يكون قد وُضع في غير محله. لدينا الكثير من الأدوية هنا، وعلى الرغم من أننا نتوخى الحذر بشدة، فقد حدث ذلك من قبل. أو يمكن أن تكون السيدة ويفر، التي تقوم بالتنظيف هنا، قد أسقطتها وكسرتها. إنها ليست امرأة غير أمينة، لكن سيكون من شيمها تمامًا تنظيف الفوضى وعدم ذكر أي شيء بخصوص الأمر.

تجهمت الدكتورة ريدوينج، وتابعت قائلة:

- لكنني ذكرت ذلك لماري بلاكيستون. لو كان شخص ما من القرية قد

سرقها لأي سبب، كانت ستتمكن بالتأكيد من معرفة ذلك. كانت تشبهك بعض الشيء، بطريقة ما، أيها المحقق. كانت لديها طريقة في استخلاص الأشياء من الناس. وفي الواقع، قد أخبرتني بأن لديها فكرة أو فكرتين.

- وبعد عدة أيام من هذا الحادث، ماتت.

- يومين يا سيد بوند. يومين بالضبط.

ساد صمت مفاجئ، حيث تُركت دلالة الأمر - غير المنطوقة - معلقة في الهواء. بدا على الدكتورة ريدوينج عدم الارتياح بدرجة متزايدة. تابعت الحديث:

- أنا متأكدة أن موتها لا علاقة له بذلك. كان حادثًا. وليس الأمر كما لو أن السير ماجنوس قد تسمم. لقد ضُرب بسيف!

سأل بوند:

- في ذلك اليوم الذي اختفى فيه الفيسوستجمين، هل يمكنك أن تتذكري مَن أتى إلى العيادة؟

- أجل، رجعت إلى دفتر المواعيد للتحقق من الأمر. كما قلت للتو، جاء ثلاثة أشخاص في ذلك الصباح. لقد ذكرت السيدة أوسبورن بالفعل. يمتلك جوني وايتهيد متجرًا للتحف في ساحة القرية. أصيب في يده بجرح مزعج للغاية، صار متقيحًا. كما أتت كلاريسا باي - إنها شقيقة السير ماجنوس - وهي تعاني اضطرابًا في المعدة. لم تكن مصابة بشيء يُذكر، كي أصدقك القول. إنها تعيش بمفردها، وهي مصابة بوسواس المرض إلى حدٍّ ما. في الواقع، إنها تحب الدردشة فحسب. لا أعتقد أن هذه الزجاجة المفقودة لها أي علاقة بما حدث، لكن الأمر كان يثقل ضميري، وأظن أنه سيكون من الأفضل أن تكون على دراية بكل الحقائق.

ألقت نظرة سريعة على ساعتها، وسألت:

- هل هناك شيء آخر؟ لا أقصد أن أكون وقحة، لكن عليَّ القيام بجولاتي.

- لقد كنتِ مفيدة جدًّا يا دكتورة ريدوينج.

نهض بوند واقفًا على قدميه، وبدا أنه يلاحظ اللوحة الزيتية للمرة الأولى، سأل:

- مَن الصبي؟

- في الواقع، هذا ابني، سيباستيان. رُسمت تلك اللوحة قبل أيام قليلة من عيد ميلاده الخامس عشر. إنه في لندن الآن، ولا نراه كثيرًا.

قال فريزر بحماس حقيقي:

- إنها جيدة جدًا.

أحست الطبيبة بالسرور.

- رسمها زوجي، آرثر. أعتقد أنه فنان استثنائي للغاية، وأعظم ما يؤسفني ان موهبته لم يُعترف بها. لقد رسمني مرتين، ورسم لوحة جميلة جدًا لليدي باي...

قطعت حديثها. اندهش فريزر من مدى غضبها المفاجئ. قالت:

- لم تسألني عن أي شيء بخصوص السير ماجنوس باي.

- هل هناك شيء تودين إخباري به؟

- أجل.

توقفت كما لو أنها تتحدى نفسها لمواصلة الحديث. عندما تكلمت مرة أخرى، كان صوتها باردًا ومدروسًا.

- كان السير ماجنوس باي رجلًا أنانيًا، لا مباليًا، ومغرورًا. كانت منازله الجديدة تلك ستدمر ركنًا جذابًا للغاية من القرية، لكن هذه ليست نهاية الأمر. لم يفعل أي شيء لطيف لأي شخص قَطُّ. هل لاحظت الألعاب في غرفة الانتظار؟ منحتنا إياها الليدي باي، لكن نتيجة لذلك فهي تتوقع منا الانحناء ولمس جباهنا في كل مرة تقترب فيها. ستتسبب الثروة الموروثة في خراب هذا البلد، يا سيد بوند. هذه هي حقيقة الأمر. كانا زوجين بغيضين، وفي رأيي فإنك ستواجه مهمة شاقة.

ألقت نظرة أخيرة على اللوحة، وقالت:

- الحقيقة أن نصف القرية سعدوا لموته، وإذا كنت تبحث عن مشتبهٍ فيهم، حسنًا، فربما يتعين عليهم الوقوف في صف.

٤

كان الجميع يعرفون برينت، المسؤول عن الحدائق في باي هول، لكن في الوقت نفسه لم يكن أحد يعرفه على الإطلاق. عندما يسير عبر القرية، أو يجلس في مقعده المعتاد في حانة فيريمان، قد يقول الناس: «ها هو ذا برينت العجوز»، لكن لم تكن لديهم فكرة عن عمره، وحتى اسمه كان به شيء من الغموض. هل كان هذا اسمه الأول أم لقبه؟ كان هناك قليل ممن قد يتذكرون والده. كان اسمه برينت هو أيضًا، وتولى أداء الوظيفة نفسها، وفي الواقع فقد عمل الاثنان معًا فترة من الوقت. برينت العجوز، وبرينت الشاب، يدفعان العربة اليدوية إلى الخارج ويحفران التربة. توفي والداه، ولم يكن أحد متأكدًا تمامًا كيف أو متى حدث هذا، لكنه وقع في منطقة أخرى من البلاد، في ديفونشاير على حد قول بعض الناس. كان حادث سيارة. لذا صار برينت الشاب هو برينت العجوز، وبات يعيش الآن في الكوخ الصغير الذي وُلد فيه في شارع دافني. كان جزءًا من صف من المنازل، لكن جيرانه لم يُدعوا إلى الدخول قَطُّ، وظلت الستائر مسدلة على الدوام.

في مكان ما بالكنيسة، ربما كان يمكن العثور على سجل لميلاد نيفيل جون برينت، في مايو من عام ١٩١٧. لا بد أنه كان هناك وقت ما، كان اسمه فيه نيفيل: في المدرسة، أو كمتطوع في الدفاع المحلي (استثناه وضعه بوصفه عامل مزرعة من القتال في الحرب). لكنه كان رجلًا من دون ظل، أو ربما ظلًّا من دون رجل. كان بارزًا، وغير ملحوظ على حد سواء، مثل دوَّارة الرياح الكائنة على برج كنيسة سانت بوتولف. السبب الوحيد الذي قد يدفع أي شخص إلى ملاحظتها هو إذا حدث أن استيقظ ذات يوم ليكتشف أنها غير موجودة هناك.

تعقبه أتيكوس بوند وجيمس فريزر وعثرا عليه في الأراضي المحيطة بباي هول، حيث كان يواصل عمله في إزالة الأعشاب الضارة والزهور الذابلة، كما لو

لم يحدث اي شيء خارج عن المألوف. اقنعه بوند بالتوقف نصف ساعة، وجلس ثلاثتهم معًا في حديقة الورد، محاطين بألف زهرة. لف برينت سيجارة بيدين قذرتين للغاية، إلى درجة أنه من المؤكد أن السيجارة بأكملها ستكون بنكهة الأوساخ ما إن يشعلها. بدا كما لو أنه صبي عجوز، متجهم ومنزعج، يتململ بحرج في ملابس أكبر من مقاسه، وشعره المجعد مهدل فوق جبينه. شعر فريزر بعدم الارتياح للجلوس بجانبه. كان برينت يتمتع بسمة غريبة وبغيضة إلى حدٍّ ما، إذ يوحي بالإحساس بسر ما يرفض مشاركته.

- ما مدى معرفتك بماري بلاكيستون؟

بدأ بوند بأول حالة وفاة، على الرغم من أنه خطر لفريزر أن المسؤول عن الحدائق كان شاهدًا رئيسيًا في كلا الحادثين. في الواقع، ربما كان آخر شخص شاهد كلًا من مدبرة المنزل ورب عملها وهما على قيد الحياة.

- لم أعرفها. لم تكن تريد معرفتي.

بدا برينت مستاءً من السؤال. واصل الحديث:

- اعتادت أن تصدر لي الأوامر. افعل هذا، وافعل ذاك. حتى إنها جعلتني انقل الأثاث في منزلها، واصلح آثار الرطوبة. لم يكن هذا من حقها. كنت أعمل لدى السير ماجنوس، وليس لديها هي. هذا ما كنت اقوله لها. لست متفاجئًا من أن أحدهم قد دفعها إلى أسفل ذلك الدرج، مع تلك الطريقة التي كانت تتصرف بها. دومًا ما كانت تتدخل فيما لا يعنيها. أنا متأكد انها أثارت استياء عدد غير قليل من الناس.

أصدر شخيرًا مرتفعًا، وواصل قائلًا:

- لن أسيء الحديث عن الموتى، لكنها كانت متطفلة حقًا، لا شك في ذلك.

- هل تفترض أنها دُفعت؟ تعتقد الشرطة أنه كان حادثًا، وأنها سقطت.

- ليس لي أن أقول هذا يا سيدي. حادث؟ شخص ما قتلها؟ لن أندهش في كلتا الحالتين.

- أنت مَن رأيتها، مستلقية في الردهة.

أوما برينت براسه.

- كنت أعمل على الأحواض المجاورة للباب الأمامي. نظرت عبر النافذة، وكانت هناك، مستلقية عند أسفل الدرج.

- ألم تسمع شيئًا؟

- لم يكن هناك شيء لأسمعه. كانت ميتة.

- ولم يكن هناك أي شخص آخر في المنزل.

- لم أرَ أحدًا. كان من الممكن أن يكون هناك، على ما أظن، لكنني أمضيت بضع ساعات هناك، ولم أشاهد أي شخص يخرج.

- ماذا فعلت إذن؟

- نقرت على النافذة لأرى ما إذا كانت ستستيقظ، لكنها لم تكن تتحرك، لذا في النهاية ذهبت إلى الإسطبل، واستخدمت الهاتف الخارجي للاتصال بالدكتورة ريدوينج. جعلتني أكسر زجاج الباب الخلفي. لم يسعد السير ماجنوس كثيرًا لذلك. في الواقع، ألقى عليَّ اللوم لذلك الاقتحام الذي حدث لاحقًا. لم يكن خطئي. لم أرغب في كسر أي شيء. نفذت ما قيل لي فحسب.

- هل تجادلت مع السير ماجنوس؟

- لا يا سيدي. لم أكن لأفعل ذلك. لكنه لم يكن سعيدًا، وحينما لم يكن سعيدًا، كان من الأفضل أن تبتعد، أؤكد لك هذا.

- كنت موجودًا هنا ليلة مقتل السير ماجنوس.

- أنا موجود هنا كل مساء. في هذا الوقت من العام، لا يمكنني الانصراف أبدًا قبل الساعة الثامنة، وكانت الساعة الثامنة والربع تقريبًا تلك الليلة، على الرغم من أنني لا أتقاضى أي أجر إضافي.

بدا الأمر غريبًا، لكن كلما استفاض برينت في الحديث، ازداد فصاحة. تابع قائلًا:

- لم يكن هو والليدي باي متحمسين لوضع أيديهما في جيوبهما. كان

بمفرده في تلك الليلة، وهي في لندن. رأيته يعمل حتى وقت متأخر. كان هناك نور مضاء في غرفة المكتب، ولا بد أنه كان يتوقع مجيء شخص ما، لأن هناك زائرًا وصل فور رحيلي.

كان برينت قد ذكر هذا بالفعل لمفتش المباحث تشاب، من سوء الحظ، لم يتمكن من تقديم وصف للزائر الغامض. قال بوند:

- حسب ما فهمت، فأنت لم تتمكن من رؤية وجهه.

- لم أرَه، ولم أتعرَّف عليه. لكن عندما فكرت في الأمر في وقت لاحق، عرفت مَن يكون.

جاء هذا الإعلان بمنزلة مفاجأة لبوند، الذي انتظر ان يواصل المسؤول عن الحدائق حديثه.

- كان في الجنازة. عندما دفنوا السيدة بلاكيستون، كان هناك. عرفت أنني رأيته من قبل. لاحظته واقفًا في مؤخرة الحشد، لكن في الوقت نفسه لم ألحظه تقريبًا، إذا كنت تعرف ما أعنيه. بقي منعزلًا بمفرده، كما لو أنه لا يرغب في أن يلحظه أحد، ولم أرَ وجهه قَطُّ. لكنني أعرف أنه كان الرجل نفسه. أنا متأكد أنه الرجل نفسه، بسبب القبعة.

- كان يعتمر قبعة؟

- هذا صحيح. كانت واحدة من تلك القبعات عتيقة الطراز، مثل تلك التي انتشرت منذ عشر سنوات، وقد جذبها على نحو منخفض فوق وجهه. كان هو الرجل نفسه الذي جاء إلى باي هول في الثامنة والربع. أنا واثق بذلك.

- هل يمكنك إخباري بأي شيء إضافي عنه؟ كم يبلغ عمره؟ وطول قامته؟

- كان يعتمر قبعة. هذا كل ما يمكنني إخبارك به. كان هنا، ولم يتحدث إلى أحد، ثم رحل.

- ماذا حدث عندما جاء إلى المنزل؟

- لم أنتظر لأرى. ذهبت إلى حانة فيريمان لتناول فطيرة وبعض البيرة. كان

بحوزتي بعض المال في جيبي، مما أعطاني إياه السيد وايتهيد، ولم أطِق الانتظار حتى أستطيع المضي في طريقي.

- السيد وايتهيد. إنه يمتلك متجر التحف...

ضاقت عينا برينت في ريبة، وقال:

- ماذا عنه؟

- لقد دفع لك بعض المال.

- لم اقل ذلك قَطُّ!

أدرك برينت أنه تحدث بحرية أكثر مما ينبغي له، وبحث عن مخرج.

- دفع لي خمسة جنيهات كان يدين لي بها فحسب، هذا هو كل ما في الأمر. لذا ذهبت لتناول البيرة.

ترك بوند الموضوع يسقط. سيكون من السهل جدًا إثارة استياء رجل مثل برينت، وبمجرد أن يشعر بالاستياء، فلن يتفوّه بكلمة أخرى. قال بوند:

- لذا غادرت باي هول في الساعة الثامنة والربع تقريبًا. ربما كان ذلك قبل دقائق فقط من مقتل السير ماجنوس. أتساءل عما إذا كان بمقدورك أن تفسر لنا أمر أثر اليد الذي اكتشفناه في حوض الزهور المجاور للباب الأمامي؟

- سألني رجل الشرطة ذاك عن هذا الأمر، وقد أخبرته بالفعل. لم يكن أثر يدي. لماذا سألصق يدي بالتربة؟

منحهما ابتسامة من نوع غريب.

حاول بوند بطريقة ثانية.

- هل رأيت أي شخص آخر؟

- في الواقع، لقد فعلت.

نظر برينت بمكر إلى المحقق ومساعده. طوال هذا الوقت، كان يمسك بالسيجارة التي لفها، لكنه وضعها الآن بين شفتيه، وأشعلها.

- ذهبت إلى حانة فيريمان، كما أخبرتكما. وكنت في طريقي عندما صادفت

السيدة أوسبورن، زوجة الكاهن. الرب وحده يعلم ما الذي كانت تفعله بالخارج في منتصف الليل، كما كانت تبحث بلهفة أيضًا. على أي حال، سألتني إذا كنت قد رأيت زوجها. كانت مستاءة بشأن شيء ما، ربما حتى خائفة. كان عليك رؤية النظرة المرتسمة على وجهها! حسنًا، أخبرتها بأنه قد يكون هو مَن رأيته عند باي هول، والحقيقة أنه ربما كان هناك بالفعل...

تجهم بوند، وقال:

- الشخص الذي رأيته في باي هول، الرجل ذو القبعة، لقد قلت للتو إنه كان في الجنازة.

- أعرف أنني قلت ذلك يا سيدي، لكن كليهما كان هناك، هو والكاهن. كما ترى، كنت أتناول البيرة، ورأيت الكاهن يمر راكبًا دراجته. حدث ذلك بعد فترة من الوقت.

- كم يبلغ طول تلك الفترة؟

- ثلاثين دقيقة. ربما ساعة. سمعتها وهي تمر. يمكنك سماع تلك الدراجة من أحد طرفَي القرية حتى طرفها الآخر، بكل طقطقتها وصريرها، ومن المؤكد أنها مرت بالحانة حينما كنت هناك. من أين كان يمكنه القدوم، إلا من باي هول؟ بالقطع لم يأتِ راكبًا الدراجة من باث.

تطلع برينت إلى المحقق من فوق سيجارته، متحديًا إياه أن يجرؤ على مخالفته.

قال بوند:

- لقد كنت مفيدًا للغاية. لديَّ سؤال واحد آخر فقط. إنه يتعلق بالكوخ، حيث عاشت السيدة بلاكيستون. لقد ذكرت لي أنك كنت تؤدي لها بعض الأعمال هناك بين الحين والحين، وأتساءل عما إذا كان لديك مفتاح؟

- لماذا تريد أن تعرف؟

- لأنني أريد الدخول.

تمتم المسؤول عن الحدائق قائلًا:

- لست متأكدًا من ذلك.

أدار السيجارة بين شفتيه وتابع قائلًا:

- إذا أردت الدخول، فمن الأفضل أن تتحدث مع الليدي باي.

تدخل فريزر قائلًا:

- هذا تحقيق للشرطة. يمكننا الذهاب إلى حيث نشاء، وقد يعني ذلك حدوث مشكلات بالنسبة إليك إذا لم تتعاون.

بدا برينت متشككًا، لكنه لم يكن على استعداد للجدال.

- يمكنني أن آخذكما إلى هناك الآن.

أومأ برأسه نحو الورد وتابع الحديث:

- لكن بعد ذلك، يجب أن أعود إلى هذا.

تبع بوند وفريزر برينت إلى الإسطبل، حيث استعاد مفتاحًا مثبتًا في قطعة كبيرة من الخشب، ثم سارا معه عبر الممر حتى الكوخ الخشبي الكائن عند نهايته بارتفاع طابقين، وله أسطح مائلة، ومدخنة ضخمة، ونوافذ على الطراز الجورجي، وباب أمامي صلب. كان هذا هو المكان الذي عاشت فيه ماري بلاكيستون في أثناء عملها مدبرة لمنزل السير ماجنوس باي. في البداية، كان هناك زوج وصبيان، لكن عائلتها تركتها واحدًا تلو واحد، حتى صارت وحدها في النهاية. ربما كان السبب هو موقع الشمس، أو أشجار البلوط والدردار التي تحيط بالمكان، لكنه بدا كما لو أنه ملقى في ظلال دائمة. كان من الواضح أنه خالٍ، وبدا شكله مهجورًا، كما أوحى بذلك الإحساس.

فتح برينت الباب الأمامي بالمفتاح الذي استعاده، وسأل قائلًا:

- هل تريدني أن أدخل؟

أجاب بوند:

- سيكون من المفيد إذا تمكنت من البقاء فترة أطول بعض الشيء. لن نأخذ كثيرًا من وقتك.

دخل ثلاثتهم إلى ردهة صغيرة بها بابان، وممر، ودرج يؤدي إلى الطابق العلوي. كان ورق الحائط قديم الطراز، منقوشًا بالزهور، وكانت الصور مناظر لطيور إنجليزية وبوم. كانت هناك طاولة عتيقة، وحامل للمعاطف، ومرآة كاملة الطول. بدا كل شيء كما لو أنه هناك منذ فترة طويلة جدًا.

سأل برينت:

- ما الذي ترغب في رؤيته؟

أجاب بوند:

- لا أستطيع إخبارك بهذا. ليس بعد.

لم تقدم غرف الطابق السفلي إلا القليل. كان المطبخ يحوي الأساسيات، وغرفة المعيشة رثة تهيمن عليها ساعة ذات صندوق طويل عتيقة الطراز. تذكر فريزر كيف وصفتها جوي ساندرلنج، وهي تدق بينما هي تحاول إثارة إعجاب والدة روبرت. بدا كل شيء نظيفًا للغاية، كما لو أن شبح ماري كان موجودًا للتو، أو ربما لم يرحل على الإطلاق. تسلم شخص ما البريد، وكومه على طاولة المطبخ، لكنه كان قليلًا جدًا، ولم يكن به ما يثير الاهتمام.

صعدوا إلى الطابق العلوي. كانت غرفة نوم ماري في نهاية الرواق، مع حمَّام مجاور. نامت في الفراش نفسه الذي لا بد أنها تشاركت فيه مع زوجها فيما مضى. كان ثقيلًا ومزعجًا للغاية، إلى درجة أنه كان من الصعب تخيل أن يأتي به أي شخص إلى هنا بعد رحيل زوجها. أطلت غرفة النوم على الطريق. في الواقع، لم تكن لأيٍّ من الغرف الرئيسية إطلالة على باي هول، كما لو صُمم المنزل عن عمد بحيث لا تنظر الخادمة أبدًا إلى اتجاه أرباب عملها. اجتاز بوند بابين انفتحا على غرفتَي نوم. لم ينَم بهما أحد منذ زمن. كانت الأسِرَّة عارية، وقد بدأت آثار العفن تظهر على المراتب بالفعل. كُسر باب ثالث مقابلهما، وقد فُتح القفل عنوة.

أوضح برينت قائلًا:

- لقد فعلت الشرطة ذلك.

لم يبدُ مسرورًا بالأمر، وتابع قائلًا:

- أرادوا الدخول، لكنهم لم يتمكنوا من العثور على مفتاح.

- هل أبقته السيدة بلاكيستون مغلقًا؟

- لم تدخل قَطُّ.

- كيف علمت بذلك؟

- أخبرتك بالفعل، لقد جئت إلى هنا مرات عديدة. أصلحت آثار الرطوبة، ووضعت السجاد بالطابق السفلي، وكانت تستدعيني دومًا. لكن ليس إلى هذه الغرفة. رفضت فتح الباب. لست متأكدًا حتى ما إذا كان بحوزتها مفتاح. لهذا السبب كسرته الشرطة.

دخلوا، وكانت الغرفة مخيبة للآمال. مثل بقية المنزل، كانت مجردة من الحياة تمامًا، وبها فراش واحد، وخزانة للملابس، ونافذة تقطع إفريز السطح، وتحتها طاولة للعمل. توجه بوند نحوها، وأطل إلى الخارج. كان هناك مشهد من بين الأشجار، واستطاع بالكاد أن يلمح حافة البحيرة، وخلفها الغابة المهددة، دينجل ديل. لاحظ درجًا واحدًا في منتصف الطاولة، وفتحه. رأى فريزر بالداخل شريطًا من الجلد الأسود يشكل دائرة بقرص صغير متصل. كان طوق كلب. مد يده وأخرجه.

قرأ قائلًا:

- بيلا.

كُتب الاسم بأحرف كبيرة.

قال برينت من دون داعٍ:

- كانت بيلا هي الكلبة.

أحس فريزر بالانزعاج نوعًا ما. كان بوسعه تخمين ذلك.

سأل بوند:

- كلبة مَن؟

- الطفل الأصغر، الذي مات. كانت لديه كلبة، لكنها لم تبقَ فترة طويلة.

- ماذا حدث لها؟
- هربت، وفقدوها.
أعاد فريزر طوق الكلبة إلى مكانه. كان صغيرًا جدًّا. لا بد أنه كان يخص جروًا فحسب. كان هناك شيء محزن في الأمر بشكل لا يوصف، وهو يقبع في الدرج الفارغ. غمغم فريزر قائلًا:
- كانت هذه غرفة توم إذن.
- يبدو هذا ممكنًا، اجل.
- أعتقد أن هذا يفسر سبب إغلاقها للباب. لم تتحمل المرأة المسكينة الدخول إلى هنا. أتساءل لماذا لم تنتقل للسكن إلى مكان آخر.
- ربما لم يكن لديها خيار.
تحدث كلاهما بصوت خفيض، كما لو أنهما يخشيان إزعاج ذكريات قديمة. في هذه الأثناء، كان برينت يجرجر قدميه في أرجاء المكان، متلهفًا إلى المضي في طريقه. لكن بوند تمهل قبل مغادرة المنزل. كان فريزر يعرف أنه لا يبحث عن أدلة، بقدر ما كان يستشعر الأجواء. كثيرًا ما سمعه يتحدث عن ذكرى الجريمة، والأصداء الخارقة للطبيعة التي يخلفها الحزن والموت العنيف. حتى إنه كان هناك فصل في كتابه ذاك، بعنوان «المعلومات والحدس»، أو شيء من هذا القبيل.
لم يتحدث إلا عندما صاروا بالخارج.
- سيكون تشاب قد أزال أي شيء مثير للاهتمام. انا مهتم بمعرفة ما عثر عليه.
ألقى نظرة سريعة على برينت الذي أخذ يجرجر قدميه مبتعدًا بالفعل، يشق طريقه عائدًا إلى منزل مالك العزبة. واصل بوند الحديث:
- كما أخبرنا ذلك الشخص أيضًا بالكثير.
نظر حوله، نحو الأشجار التي تحيطهما، وقال:
- لن أرغب في العيش هنا. لا يوجد أي منظر.

وافقه فريزر قائلًا:

- إنه مقبض نوعًا ما.

- يجب أن نعرف من السيد وايتهيد مقدار المال الذي دفعه لبرينت، ولأي سبب. كما يجب علينا ان نتحدث مرة أخرى مع الكاهن أوسبورن. لا بد أنه كان لديه سبب للمجيء إلى هنا ليلة الجريمة. ثم إن هناك مسألة زوجته...

- قال إن السيدة أوسبورن كانت خائفة.

- أجل، أتساءل ممَّ كانت تشعر بالخوف.

ألقى نظرة أخيرة إلى الوراء، وتابع قائلًا:

- هناك شيء ما في جو هذا المنزل يا جيمس، يخبرني بأن هناك الكثير جدًا مما يثير الخوف.

٥

لم يكن ريموند تشاب يحب جرائم القتل. أصبح شرطيًا لأنه يؤمن بالنظام، واعتبر مقاطعة سومرست بقراها الأنيقة، وسياجاتها الشجرية، وحقولها العتيقة، واحدة من أكثر المناطق نظامًا وتحضرًا في البلاد، إن لم يكن في العالم. غيَّر القتل كل شيء. كسر إيقاع الحياة الهادئ، وقلب الجار ضد الجار. فجأة، لم يعد من الممكن الوثوق بأحد، وصارت الأبواب، التي عادة ما كانت تُترك مفتوحة ليلًا، تُغلق. كان القتل عملًا من أعمال التخريب، مثل طوبة تُلقى على نافذة كبيرة، وبطريقة ما، كانت مهمته تجميع القِطع.

بينما هو جالس في مكتبه بمركز شرطة أورانج جروف في باث، انشغل بالتفكير في التحقيق الحالي الذي يعمل عليه. بدأت قضية السير ماجنوس باي هذه على نحو مشؤوم. من الممكن أن يتعرض المرء للطعن في منزله، لكن أن يُقطع رأسه في منتصف الليل بسيف من العصور الوسطى كان ببساطة أمرًا

يتجاوز الحد. كانت ساكسبي أون أيفون مكانًا هادئًا للغاية! أجل، كانت هناك تلك القضية المتعلقة بعاملة النظافة، المرأة التي تعثرت وسقطت أسفل الدرج، لكن هذا الأمر كان مختلفًا. هل يمكن حقًّا أن يكون أحد سكان القرية، الذي يعيش في منزل على الطراز الجورجي ربما، ويذهب إلى الكنيسة، ويلعب لصالح فريق الكريكت المحلي، ويجز عشب حديقته صباح أيام الآحاد، ويبيع مربى البرتقال المصنوعة منزليًا في مهرجان القرية، هل يمكن أن يكون قاتلًا مهووسًا؟ كانت الإجابة أجل، هذا محتمل للغاية. وقد يدل على هويته هذا الكتاب القابع على المكتب أمامه الآن.

لم يعثر على أي شيء مثير للاهتمام في خزنة السير ماجنوس. وبدا الأمر كما لو أن الكوخ الخشبي سيكون مضيعة للوقت هو أيضًا. وبعد ذلك، عثر الشرطي الشاب وينتربروك، الذي له عينان كعينَي الصقر، على اكتشافه بين كتب الطهي في مطبخ ماري بلاكيستون. سيصل هذا الفتى إلى مراتب عالية، لكنه فقط بحاجة إلى إظهار سلوك أكثر جدية، وطموح أكثر بعض الشيء، وسرعان ما سيصبح مفتشًا. هل أخفته هناك عن عمد؟ هل خشيت دخول شخص ما إلى المنزل، ربما ابنها، أو السير ماجنوس نفسه؟ بالتأكيد لم يكن هذا شيئًا ترغب في تركه ملقى في الجوار، حيث يحوي ملاحظات خبيثة حول كل شخص في القرية تقريبًا. كان هناك السيد تيرنستون (الجزار) الذي يتعمد عدم رد باقي مال زبائنه كاملًا، وجيفري ويفر (متعهد دفن الموتى) الذي يعامل كلبه بقسوة على ما يبدو، وإدجار رينارد (الطبيب المتقاعد) الذي يأخذ الرشاوى، والآنسة دوتريل (متجر القرية) التي تتناول الشراب. لم يبدُ أن هناك أحدًا قد افلت من انتباهها.

استغرق الأمر منه بالفعل يومين كاملين كي يتصفحه كله، وبنهاية تلك الفترة، أحس كما لو أنه قد تلوث تقريبًا. تذكر رؤية ماري بلاكيستون، بعينين فارقتهما الحياة أسفل الدرج في باي هول، وقد صارت باردة ومتيبسة بالفعل. أحس بالشفقة حيالها ساعتها. الآن، بات يتساءل عما حفزها وهي تجرجر

قدميها في أرجاء القرية شاعرة بالارتياب على الدوام، وباحثة عن المتاعب باستمرار. ألم يكن بوسعها العثور على شيء جيد، ولو مرة واحدة؟ كان خط يدها متلاصقًا وذا خطوط طويلة وزوايا كسيقان العناكب، ومع ذلك بدا بالغ الأناقة، كما لو كانت محاسبًا للشر من نوع ما. أجل! سيعجب بوند بهذا. كان هذا تحديدًا من نوعية ما قد يتفوَّه به. تم تأريخ كل تدوينة. غطى هذا المجلد ثلاث سنوات ونصف السنة، وكان تشاب قد أرسل وينتربروك بالفعل إلى المنزل مرة ثانية كي يرى ما إذا كان بوسعه العثور على أي نسخ سابقة، على الرغم من أنه كان لديه ما يكفي للتعامل معه.

كان لدى السيدة بلاكيستون اثنان أو ثلاثة أشخاص مفضلين، ظهروا على صفحة تلو صفحة. من الغريب أنه على الرغم من حدة الخلاف بينهما، لم يكن ابنها روبرت واحدًا منهم. لكن جوزي، أو جوي، صارت محل ازدراء في اللحظة التي قدِّمت فيها. كانت حقًّا تكره المسؤول عن الحدائق، برينت. ظل اسمه يظهر. كان وقحًا، وكسولًا، ويصل متأخرًا، ويختلس، ويتجسس على فتيان الكشافة عندما يخيمون في دينجل ديل، ويتناول البيرة، ويكذب، ولا يغتسل أبدًا. بدا أنها شاركت أفكارها تلك مع السير ماجنوس باي، أو على الأقل هذا ما ألمحت إليه في واحدة من تدويناتها الأخيرة.

٢٨ يوليو

أخيرًا، بعض التعقل! طلب السير م. من برينت ترك العمل لديه. حدث ذلك الليلة الماضية في باي هول. برينت ليس سعيدًا على الإطلاق. كان متجهمًا هذا الصباح، ودعس عامدًا وسط حوض من زهور الأنقولية. رأيته بأم عينَي، وذكرت ذلك للسير م. العزيز، الذي أخبرني بأن الأمر لا يهم، لأنه سيرحل على أي حال. أخيرًا آن الأوان. قلت له ذلك كثيرًا بما فيه الكفاية. لم يذكر السير م. سببًا، لكن يمكن أن تكون هناك أسباب كثيرة للغاية. قلت إن هناك الكثير من الشباب يبحثون عن عمل في المنطقة،

وهذا أيضًا شيء جيد. اقترحت إعلانًا في مجلة «ذا ليدي». لكن السير م. يفضّل وكالة، باعتبارها أكثر سرية. وأكثر تكلفة أيضًا. لكن لا أعتقد أن هذا يهمه.

بعد يوم واحد، ماتت. وبعد ذلك بأسبوع، مات السير م. أيضًا. هل كان الأمر مصادفة؟ من المؤكد ان كليهما لم يُقتل بسبب مجموعة من الزهور المدهوسة.

وضع تشاب علامة على سبع تدوينات أخرى، ظن انها قد تتعلق بالقضية بطريقة ما. كانت كلها حديثة باستثناء واحدة، لذا من المرجح أكثر أن تكون ذات صلة بمقتل السير ماجنوس. تصفحها مرة أخرى، وقرأها بالترتيب الذي يبدو أكثر منطقية.

١٣ يوليو

تبادلت محادثة مثيرة للاهتمام مع الدكتورة ريدوينج. كم عدد اللصوص الذين يمكن وجودهم في قرية واحدة؟ هذا أمر خطير للغاية. سُرق دواء من عيادتها. كتبت لي الاسم. فيسوستجمين. تقول إن جرعة كبيرة منه من المحتمل أن تكون قاتلة. أخبرتها بأن عليها التوجه إلى الشرطة، لكنها بالطبع لا تريد ذلك، لأنها تعتقد أنه سيُلقَى اللوم عليها. أُحب الدكتورة ر. لكن أحيانًا أشك في حسن تقديرها. وجود تلك الفتاة التي تعمل هناك، على سبيل المثال. كما أنها ليست حريصة تمامًا كما تظن. ذهبت إلى العيادة مرات كثيرة، وكنت أستطيع الدخول ببساطة وأخذ ما أريده. متى حدث ذلك؟ أعتقد أن الدكتورة ر. مخطئة. ليس في اليوم الذي ذكرته، بل اليوم السابق له. رأيتها تخرج، وعرفت أن هناك خطبًا ما. رأيت ذلك على وجهها، والطريقة التي كانت تمسك بها حقيبة يدها. كانت العيادة خالية (لم يكن هناك أي أثر للفتاة على الإطلاق)، عندما دخلتُ. من المؤكد أنها كانت هناك بمفردها، وقد تُركت خزانة الأدوية مفتوحة، لذا كان بوسعها أخذ محتوياتها بسهولة. لماذا تريده؟ لتضعه

في شاي شقيقها، للانتقام ربما. لا يمكن أن تكون سعيدة نظرًا إلى كونها رقم اثنين! لكن عليّ توخي الحذر. لا يمكنني توجيه الاتهامات. هذا شيء بحاجة إلى التفكير.

٩ يوليو

آرثر ريف مستاء بدرجة تمنعه من الحديث. اختفت مجموعة ميدالياته! يا له من شيء مروع هذا الذي حدث. اقتحم اللص نافذة المطبخ، وجرح نفسه بفعل الزجاج. كان المرء ليظن أن هذا دليل ضخم بما يكفي، لكن الشرطة لم تهتم بالطبع. قالوا إنه لا بد أنهم كانوا أطفالًا، لكنني لا أعتقد هذا. عرف اللصوص ما يريدونه بالضبط. كانت الميدالية الإغريقية وحدها تساوي مبلغًا ضخمًا. بات من المألوف عدم وجود مَن يكترث بعد الآن. دخلت وتناولت معه كوبًا من الشاي. تساءلت ما إذا كان صديقنا متورطًا في الموضوع، لكنني لم أقل شيئًا. سأنظر في الأمر، وسوف أرى، لكن بحذر. لا يمكن للنمر تغيير رقطه! من المؤسف وجود شخص كهذا يعيش في القرية. وهل هو خطير؟ كان عليّ حقًّا إبلاغ السير ماجنوس. لم تبدُ هيلدا ريف مهتمة حتى. لا تساعد زوجها، وتقول إنها لا ترى سبب كل هذه الجلبة. امرأة غبية. لا أستطيع التفكير في السبب الذي دعاه إلى الزواج بها.

١١ يوليو

زرت وايتهيد في متجره، بينما كانت زوجته في الخارج، وأخبرته بما أعرفه. أنكر كل شيء بالطبع. حسنًا، من الطبيعي أن يفعل، أليس كذلك؟ أريته الخبر الذي عثرت عليه في الصحيفة، وقال إن كل ذلك وراءه، وفي الواقع اتهمني بمحاولة إثارة المتاعب له. قلت له: «أوه، لا، أنت الذي تثير المتاعب هنا». قال إنه لم يذهب إلى أي مكان قريب من منزل آرثر على الإطلاق. لكن متجره مكدس بكل أشكال التحف المتنوعة، وعليك

أن تتساءل من أين يحصل عليها. تحداني أن أُعلن الأمر، وقال إنه سوف يقاضيني. حسنًا، سوف نرى!

ربما كان تشاب سيتجاهل هاتين التدوينتين. كان آرثر ريف وزوجته مسنين، عملا في السابق على إدارة حانة كوينز آرمز. سيكون من الصعب تخيل أي شخص أقل إمكانية للتورط في موت السير ماجنوس. وكيف يمكن أن تكون لسرقة ميدالياته أي صلة محتملة؟ لم يكن للقاء وايتهيد أي معنى. لكن في الجزء الخلفي من دفتر اليوميات، عثر على قصاصة مدسوسة من صحيفة باهتة وهشة، أجبرته على إعادة التفكير.

إطلاق سراح تاجر مسروقات من عالم العصابات من السجن

نال الشهرة فترة وجيزة بوصفه جزءًا من عصابة القصر، وهي شبكة من اللصوص المحترفين الذين استهدفوا المباني السكنية في كنسينجتون وتشيلسي. بعد القبض عليه لتلقي البضائع المسروقة، أُطلق سراح جون وايتهيد من سجن بينتونفيل عقب قضاء أربع سنوات فقط من العقوبة البالغة سبع سنوات. يُعتقد أن السيد وايتهيد، المتزوج، قد رحل عن لندن.

لم تكن هناك صورة، لكن تشاب كان قد تأكد بالفعل أن هناك حقًا شخصًا يُدعى «جوني وايتهيد» يعيش مع زوجته في القرية، وأنه هو نفسه جوني وايتهيد الذي سبق أن أُلقي القبض عليه في لندن. كانت هناك الكثير من العصابات المنظمة التي تعمل في المدينة في أثناء الحرب وبعدها، وقد اشتهرت عصابة القصر. كان وايتهيد هو مَن يبيع مسروقاتهم، وبات الآن يدير متجرًا للتحف، لا أقل! نظر مرة أخرى إلى الكلمات التي بخط يد ماري بلاكيستون. وهل هو خطير؟ كانت

علامة الاستفهام في محلها، بكل تأكيد. إذا كان وايتهيد مجرمًا سابقًا، وحاولت هي فضحه، فهل يمكن أن يكون مسؤولًا عن وفاتها؟ وإذا كانت قد تحدثت مع السير ماجنوس بشأنه، فهل من المحتمل أن يكون قد اضطر إلى توجيه ضربة مرة أخرى؟ نحّى تشاب المقال الصحفي جانبًا بعناية، وعاد إلى دفتر اليوميات.

٧ يوليو
الأمر مثير للصدمة. لطالما عرفت أن هناك شيئًا ما بخصوص الكاهن أوسبورن وزوجته، لكن هذا!!! أتمنى لو أن العجوز مونتاجو كان قد بقي. حقًّا، حقًّا، لا أدري ماذا أقول أو أفعل. لا شيء، على ما أظن. مَن عساه يصدقني؟ هذا مروع.

٦ يوليو
عادت الليدي باي من لندن، مرة أخرى. مع كل هذه الرحلات التي تقوم بها، فإن الجميع يعرفون ما يدور. لكن لن يقول أحد أي شيء. أعتقد أن هذه هي طبيعة العصر الذي نعيش فيه. أشعر بالشفقة حيال السير ماجنوس. يا له من رجل طيب. دائمًا ما يتصرف معي بلطف. هل يعلم؟ هل يجب أن أقول شيئًا؟

كُتبت التدوينة الأخيرة التي اختارها تشاب قبل اربعة اشهر تقريبًا. كتبت ماري بلاكيستون عدة تدوينات عن جوي ساندرلنج، لكن هذه جاءت بعد لقائهما الأول. كانت قد كتبتها بالحبر الأسود، باستخدام سن قلم أكثر سمكًا بكثير. تناثرت الحروف على الصفحة، وكاد تشاب يستشعر الغضب والاشمئزاز بينما قلمها يتحرك عبر الورقة. ظلت ماري دومًا مراقبة محايدة نوعًا ما، وهذا يعني أنها حملت القدر نفسه من الحقد والبغض لكل مَن قابلتهم. لكن يبدو أنها حملت مخزونًا خاصًّا لجوي.

١٥ مارس

تناولت الشاي مع تلك الصغيرة، الآنسة ساندرلنج. تقول إن اسمها جوزي، لكن «نادِني باسم جوي». لن أناديها بذلك الاسم. لا توجد أي بهجة في هذا الزواج. لماذا لا تستطيع فهم ذلك؟ لن أسمح بحدوث هذا. منذ اثني عشر عامًا، فقدت ابني الأول. لن أدعها تأخذ مني روبرت. قدمت لها الشاي والبسكويت، وجلست هي هناك فحسب مع تلك الابتسامة الحمقاء المرتسمة على وجهها. يا لها من صغيرة جدًّا، وجاهلة جدًّا. ظلت تثرثر بشأن والديها وأسرتها. لديها أخ مصاب بمتلازمة داون! لماذا كان عليها إخباري بذلك؟ جلس روبرت هناك فحسب، من دون أن يقول شيئًا، وطوال الوقت كنت أفكر في هذا المرض الفظيع وإصابته لأسرتها، وكم كنت أريدها أن ترحل. كان عليَّ أن أخبرها في التو واللحظة. لكن من الواضح أنها من ذلك النوع من الفتيات اللاتي لن ينصتن إلى أمثالي. سأتحدث مع روبرت لاحقًا. لن أسمح بهذا. حقًّا، لن أسمح. لماذا تعين على هذه الفتاة الحمقاء القدوم إلى ساكسبي؟

لأول مرة، أحس تشاب بنفور حقيقي من ماري بلاكيستون، وشعر تقريبًا بأنها تستحق الموت. لم يكن ليقول ذلك عن أي شخص قَطُّ في الواقع، لكن كان عليه الاعتراف بأن دفتر اليوميات بأكمله بمنزلة سم خالص، وهذه التدوينة لا تُغتفر. كانت الإشارة إلى متلازمة داون هي أكثر ما أزعجه. وصفته ماري بأنه «مرض فظيع»، في حين أنه ليس كذلك. إنها حالة، وليست مرضًا. أي نوع من النساء يمكنها أن تراه تهديدًا لسلالتها؟ هل حقًّا قطعت الطريق على زواج ابنها لمجرد حماية أحفادها المستقبليين من تلوث من نوع ما؟ بدا ذلك عصيًّا على التصديق.

كان هناك جزء منه يأمل أن يكون هذا هو المجلد الوحيد من يوميات ماري بلاكيستون. خشي الاضطرار إلى خوض أي صفحات أخرى من البؤس والاستياء. ألم يكن لديها أي شيء جيد لتقوله عن أي شخص؟ لكن في الوقت نفسه، كان

يعلم أنه عثر على مورد ثمين للغاية، بحيث لا يمكن تجاهله. سيضطر إلى أن يريه كله لأتيكوس بوند.

أحس بالسرور لأن المحقق أتى إلى سومرست. كانا قد عملا معًا على تلك القضية في مارلبورو، الخاصة بمدير المدرسة الذي قُتل خلال عرض مسرحية. كانت لهذه القضية العديد من السمات المميزة نفسها: مجموعة متشابكة من المشتبه فيهم والدوافع المختلفة، وليست حالة وفاة واحدة، بل حالتين، قد تكونان مرتبطتين، أو قد لا تكونان كذلك. وسط خصوصية منزله، كان تشاب سيعترف بالحقيقة، وهي أنه عاجز عن فهم الأمر. كانت لدى بوند طريقة لرؤية الأشياء بشكل مختلف. ربما كان ذلك من سمات شخصيته. لم يسع تشاب إلا الابتسام. نشأ طوال حياته على التفكير في الألمان بوصفهم أعداءه. كان من الغريب وجود واحد منهم في صفه.

كان من الغريب بالقدر نفسه أن جوي ساندرلنج قد أحضرته إلى هنا في الواقع. خطر ببال تشاب بالفعل انها هي وخطيبها، روبرت بلاكيستون، لديهما اقوى سبب للرغبة في رؤية ماري بلاكيستون ميتة. كانا شابين واقعين في الحب، وأرادت هي منع الزفاف لأسوأ الأسباب وأكثرها كراهية. للحظة وجيزة، شاركهما هو نفسه مشاعرهما. لكن إذا كانا قد خططا لقتلها، فلماذا حاولا إشراك بوند في الموضوع؟ هل يمكن أن يكون ذلك عبارة عن ستار دخاني متقن؟

قلب ريموند تشاب هذه الأفكار في ذهنه، وأشعل سيجارة، وتصفح الصفحات مرة أخرى.

٦

في عمله المهم، مشهد التحقيق الجنائي، كتب أتيكوس بوند: «يمكن للمرء التفكير في الحقيقة بوصفها منخفضًا، واديًا عميقًا من نوع ما قد لا يكون مرئيًا من بعيد، لكنه سيعترض طريقك فجأة. هناك طرق عديدة للوصول

إلى هناك. إن خط الاستجواب الذي يتضح أنه غير ذي صلة بالموضوع، لا يزال بمقدوره تقريبك من هدفك. لا توجد رحلات مهدرة في الكشف عن الجريمة. بعبارة أخرى، لم يكن من المهم كونه لم يطلع على يوميات ماري بلاكيستون بعد، وكونه ليست لديه أي فكرة عن محتوياتها. على الرغم من أنه هو والمفتش تشاب كانا يتبعان نهجين مختلفين للغاية، فإنه كان من المحتم أن يلتقيا في النهاية.

بعد مغادرتهما الكوخ الخشبي، سار هو وفريزر المسافة القصيرة المؤدية إلى سكن الكاهن، واتبعا الطريق بدلًا من استخدام الطريق المختصر عبر دينجل ديل، واستمتعا بدفء ما بعد الظهيرة. بات فريزر معجبًا بساكسبي أون أيفون نوعًا ما، وأحس بالحيرة بعض الشيء لأن المحقق بدا محصنًا ضد مفاتنها. في الواقع، خطر له أن بوند لم يكن على طبيعته تمامًا منذ أن غادرا لندن، إذ صار يستغرق في الصمت فترات طويلة، سارحًا في أفكاره. جلسا الآن في غرفة المعيشة، حيث أحضرت لهما هنرييتا الشاي والبسكويت المصنوع منزليًا. كانت غرفة مشمسة ومبهجة، بها زهور مجففة على المدفأة، ونوافذ فرنسية تطل على حديقة معتنى بها، وراءها غابة. كان هناك بيانو قائم، وعدة أرفف من الكتب، وستائر للأبواب يمكن إغلاقها شتاءً. بدا الأثاث مريحًا، ولم يكن شيء منه يتماشى مع الآخر.

جلس روبن وهنرييتا أوسبورن جنبًا إلى جنب على أريكة، ولم يكن من الممكن أن يبدو عليهما الحرج، ولا الذنب بصراحة، بدرجة أكبر من ذلك. بالكاد بدأ بوند استجوابه، لكنهما صارا في موقف دفاعي بالفعل، وهما يخشيان بوضوح ما قد يأتي بعد ذلك. تفهم فريزر ما يمران به. كان قد شاهد ذلك من قبل. يمكن أن تكون بريئًا تمامًا ومحترمًا، لكن في اللحظة التي تتحدث فيها إلى المحقق، تصير مشتبهًا فيه، ولا يمكن أخذ أي شيء تتفوَّه به على علاته. كان كل ذلك جزءًا من اللعبة، ويدا له أن الزوجين أوسبورن لا يلعبانها جيدًا.

- في الليلة التي قُتل فيها السير ماجنوس باي، غادرتِ منزلك يا سيدة أوسبورن. كان ذلك في حدود الساعة الثامنة والربع.

انتظر منها بوند إنكار هذا، وعندما لم تفعل، أضاف قائلًا:

- لماذا؟

أجابته هنرييتا قائلة:

- هل لي أن أسأل مَن أخبرك بذلك؟

هز بوند كتفيه، وقال:

- صدقيني، ليست لهذا أهمية يا سيدة أوسبورن. مهمتي هي تحديد مكان وجود الجميع ساعة الوفاة، لتجميع قطع الأحجية، إذا جاز القول. أطرح الأسئلة، وأتلقى الإجابات، هذا هو كل ما في الأمر.

- الأمر هو أنني لا أحب فكرة وجود مَن يتجسس عليَّ. هذه هي مشكلة العيش في قرية. دومًا ما ينظر إليك الجميع.

ربت الكاهن يدها برفق، وتابعت قائلة:

- أجل، كنت في الخارج أبحث عن زوجي في ذلك الوقت تقريبًا. الحكاية هي...

ترددت في الحديث، ثم قالت:

- كنا مستائين إلى حدٍّ ما، بسبب بعض الأخبار التي سمعناها للتو، وكان قد خرج بمفرده. عندما حل الظلام ولم يعد إلى المنزل، بدأت أتساءل عن مكان وجوده.

- وأين كنت في الواقع يا سيد أوسبورن؟

- ذهبت إلى الكنيسة. هذا هو المكان الذي أتوجه إليه، كلما احتجت إلى ترتيب أفكاري. أنا متأكد أنك تتفهم هذا.

- هل مشيت أم ذهبت راكبًا دراجتك؟

- من الطريقة التي تطرح بها هذا السؤال يا سيد بوند، أعتقد أنك تعرف الإجابة بالفعل. لقد ركبت الدراجة.

- في أي وقت عدت إلى المنزل؟

- أعتقد أنها كانت الساعة التاسعة والنصف تقريبًا.

تجهم بوند. تبعًا لبرينت، فقد سمع الكاهن يمر بدراجته متجاوزًا حانة فيريمان بعد نصف ساعة تقريبًا من وصوله. كان ذلك نحو الساعة التاسعة، أو التاسعة والربع. كان هناك تناقض، وخمس عشرة دقيقة على الأقل مفقودة. سأله:

- هل أنت متأكد من ذلك الوقت؟

تدخلت هنرييتا قائلة:

- أنا متأكدة تمامًا. لقد أخبرتك بالفعل: شعرت بالقلق. من المؤكد أنني كنت أراقب الساعة، وكانت الساعة التاسعة والنصف بالضبط عندما وصل زوجي. احتفظت له بعشائه، وجلست معه بينما هو يتناوله.

لم يتابع بوند الموضوع. كانت هناك ثلاثة احتمالات. الأول والأكثر وضوحًا أن الزوجين أوسبورن كانا يكذبان. بدت المرأة متوترة بالتأكيد، كما لو أنها تحاول حماية زوجها. والثاني أن برينت كان مخطئًا، على الرغم من أنه بدا محل ثقة على نحو مثير للدهشة. والثالث...؟ قال:

- أعتقد أن الإعلان عن التطوير العقاري الجديد هو ما أزعجكما.

- بالضبط.

أشار أوسبورن نحو النافذة، والمنظر خلفها. تابع قائلًا:

- هذا هو المكان الذي سيصير فيه. هناك عند طرف حديقتنا. حسنًا، بالطبع فإن هذا المنزل ليس ملكًا لنا. إنه ملك للكنيسة، ولن أبقى أنا وزوجتي هنا إلى الأبد. لكن يبدو مثل هذا الشيء مدمرًا للغاية، ولا داعي له.

قال فريزر:

- قد لا يحدث على الإطلاق، مع وفاة السير ماجنوس وما إلى ذلك.

- حسنًا، لن أحتفل بموت أي شخص. سيكون ذلك خاطئًا للغاية. لكنني سأعترف لك أنه حينما سمعت الخبر، فكرت في تلك الفكرة تحديدًا. كان ذلك خطأً مني. لا ينبغي لي السماح لمشاعري الشخصية بأن تسمم حسن تقديري.

تدخلت هنريتا في الحديث، وقالت:

- يجب أن تلقي نظرة على دينجل ديل. إذا لم تكن قد ذهبت للتمشية هناك، فلن تفهم لماذا تعني لنا الكثير إلى هذا الحد. هل تريدني أن أريك إياها؟

أجاب بوند:

- سيسرني ذلك كثيرًا.

كانوا قد انتهوا من تناول الشاي. تناول فريزر قطعة أخرى من البسكويت بهدوء، وخرجوا جميعًا من خلال النوافذ الفرنسية. امتدت حديقة منزل الكاهن إلى عشرين ياردة تقريبًا، وانحدرت نحو الأسفل، مع أحواض زهور على كلا جانبَي العشب الذي صار بريًا ومهملًا بدرجة أكبر كلما ابتعدوا عن المنزل. صُمم المنظر الطبيعي على هذا النحو عمدًا. لم يكن هناك سياج أو حاجز بين ممتلكات الزوجين أوسبورن والغابة خلفها، مما يجعل من المستحيل تحديد أين ينتهي أحدهما ويبدأ الآخر.

فجأة، صاروا في دينجل ديل. أحاطت بهم الأشجار - البلوط، والمران، والدردار - من دون سابق إنذار، وحاصرتهم وقطعتهم عن العالم الخارجي. كان مكانًا جميلًا. أصبحت شمس ما بعد الظهيرة المتأخرة، المائلة من بين الأوراق والأغصان، ذات لون أخضر ناعم، وتراقصت الفراشات وسط الأشعة. غمغمت هنريتا قائلة:

- فراشات هيرستريك أرجوانية.

كانت الأرض ناعمة تحت الأقدام: أعشاب وبقع من الطحالب، مع مجموعات من الزهور. كان هناك شيء غريب بشأن الغابة. لم تكن غابة على الإطلاق، بل كانت واديًا أصغر كثيرًا، ومع ذلك بعد أن صاروا بداخلها، لم يبدُ أن هناك وجودًا لأي حدود، ولا مخرجًا واضحًا. كان كل شيء هادئًا للغاية. على الرغم من أن بعض الطيور كانت ترفرف حول الأشجار، فإنها فعلت ذلك من دون إصدار أي صوت. لم يزعج الصمت سوى طنين نحلة، وقد رحلت بنفس سرعة مجيئها.

قال أوسبورن:

- بعض هذه الأشجار موجودة هنا منذ مائتين أو ثلاثمائة عام.

نظر حوله، وقال:

- هل تعلم أن السير ماجنوس عثر على كنزه الدفين هنا؟ عملات معدنية رومانية وحلي، دُفنت هنا للحفاظ عليها على الأرجح. في كل مرة نسير هنا، يختلف الأمر. يظهر فطر رائع في وقت لاحق من العام. وجميع أنواع الحشرات المختلفة، إذا كنت مهتمًا بمثل هذا النوع من الأشياء...

وصلوا إلى مجموعة شتلات من الثوم البري، وقد تفجرت الزهور البيضاء كالنجوم، وخلفها نبات آخر عبارة عن مجموعة متشابكة من الأوراق الشائكة الممتدة عبر الطريق.

قال بوند:

- اتروبا بيلادونا، نبات ست الحسن القاتل. فهمت يا سيدة أوسبورن، أنك من سوء الحظ دُست على عينة منه، وتسممت.

- أجل، كان ذلك غباءً شديدًا مني، وسوء حظ أيضًا، أنني جرحت قدمي بطريقة ما.

ضحكت بتوتر، وواصلت الحديث:

- لا أعرف ما الذي دفعني إلى الخروج من دون حذائي. أعتقد أنني أحب الشعور بالطحالب تحت باطن قدمَي. على أي حال، فقد تعلمت الدرس بكل تأكيد. سأبتعد عنه من الآن فصاعدًا.

سأل أوسبورن:

- هل تريد الاستمرار؟ باي هول على الجانب الآخر مباشرة.

أجاب بوند:

- أجل، سيكون من المثير للاهتمام رؤيته مرة أخرى.

لم يكن هناك مسار فعلي. واصلوا الطريق عبر الضباب الأخضر، ووصلوا إلى طرف الغابة البعيد على نحو غير متوقع كما دخلوها. تباعدت الأشجار فجأة، وكانت البحيرة أمامهم هناك، ساكنة وسوداء، والعشب ينحدر تجاهها إلى الأسفل

من ناحية باي هول. كان فريدي في الخارج يركل كرة قدم في أرجاء المكان، بينما برينت راكع أمام حوض زهور مع زوجين من مقصات التقليم. لم يلحظ أيٌّ منهما الجماعة الصغيرة عند وصولها. من مكان وقوفهم، كان الكوخ الخشبي بعيدًا عن الأنظار تمامًا، وقد اختفى خلف ستار غابته الخاصة.

قال أوسبورن:

- حسنًا، ها نحن أولاء.

أحاط زوجته بذراعه، ثم فكر في الأمر على نحو أفضل، وترك ذراعه تسقط.

تابع الحديث:

- إن باي هول رائع للغاية، حقًا. كان ديرًا للراهبات في مرحلة ما. بقي في العائلة نفسها طوال قرون. على الأقل هذا شيء واحد لا يمكنهم فعله: العمل على هدمه!

علق بوند قائلًا:

- إنه منزل شهد قدرًا كبيرًا من الموت.

- نعم، أعتقد أن هذا ينطبق على العديد من المنازل الريفية...

- لكن ليس حتى عهد قريب إلى هذا الحد. كنت غائبًا عندما ماتت ماري بلاكيستون.

- لقد أخبرتك بذلك بالفعل، عندما التقينا خارج الكنيسة.

- ذكرت أنك كنت في ديفونشاير.

- هذا صحيح.

- أين بالتحديد؟

بدا الكاهن مضطربًا. أشاح برأسه، وتدخلت زوجته في الحديث بغضب قائلة:

- لماذا تطرح علينا هذه الأسئلة يا سيد بوند؟ هل تعتقد حقًا أنني أنا وروبن اختلقنا الأمر بشأن غيابنا؟ هل تعتقد أننا تسللنا عائدين، ودفعنا السيدة بلاكيستون المسكينة أسفل الدرج؟ ما السبب المحتمل الذي قد يكون لدينا؟ وأعتقد أننا قطعنا رأس السير ماجنوس للحفاظ على دينجل ديل،

على الرغم من أن ذلك قد لا يُحدث ذرة من الاختلاف. ربما يمضي ابنه البغيض قُدمًا في ذلك، على أي حال.

فرد أتيكوس بوند كفيه، وتنهد.

- يا سيدة أوسبورن، أنت لا تفهمين متطلبات عمل رجال الشرطة والمحققين. بالطبع لا أصدق الأشياء التي اقترحتِها، ولا أستمد أي سعادة من طرح هذه الأسئلة عليكما. لكن يجب أن يصير كل شيء في محله. يجب التحقق من جميع الأقوال، وفحص كل التحركات. قد لا ترغبان في إخباري عن مكان وجودكما، لكن في النهاية سيتعين عليكما إخبار المفتش. أنا آسف إذا كنتما تعتبران هذا تطفلًا.

نظر روبن أوسبورن إلى زوجته التي أجابت قائلة:

- بالطبع لا نمانع في إخبارك، لكن ليس من اللطيف فحسب أن نُعامل معاملة المشتبه فيهم. إذا تحدثت إلى مدير فندق شيبلي كورت، فسيخبرك بأننا كنا هناك طوال الأسبوع. إنه بالقرب من دارتموث.

- شكرًا لكِ.

استداروا عائدين عبر دينجل ديل، وبوند وروبن أوسبورن في المقدمة، بينما هنرييتا وجيمس في الخلف. قال بوند:

- كنت أنت بالطبع من ترأست جنازة السيدة بلاكيستون.

- هذا صحيح. من حسن الحظ أننا عدنا في الوقت المناسب، على الرغم من أنني أعتقد أنه كان بوسعي دومًا قطع إجازتي.

- أتساءل عما إذا كنت لاحظت شخصًا غير معروف في القرية. كان يقف بمفرده، على ما أعتقد، بعيدًا عن باقي المعزين. قيل لي إنه كان يعتمر قبعة عتيقة الطراز.

فكر روبن قائلًا:

- كان هناك شخص ما يرتدي قبعة فيدورا، على ما أعتقد. غادر على نحو مفاجئ تمامًا، حسب ما أتذكر. لكن أخشى أنني لا أستطيع إخبارك بما

هو أكثر من ذلك بكثير. كما يمكنك أن تتخيل، كان عقلي منشغلًا بأشياء أخرى. من المؤكد أنه لم يأتِ لتناول المشروبات في حانة كوينز آرمز.

- هل حدث أن لاحظت روبرت بلاكيستون خلال المراسم؟ سأكون مهتمًا بمعرفة انطباعاتك عن كيفية سلوكه.

- روبرت بلاكيستون؟

كانوا قد وصلوا إلى أجمة البيلادونا، وحرص أوسبورن على تفاديها. واصل قائلًا:

- أتساءل لماذا تسأل عنه. إذا كان يجب أن تعرف، فأنا أشعر بالشفقة حياله نوعًا ما. سمعت بأمر الجدال الذي خاضه مع والدته. امتلأت القرية بالشائعات عقب وفاتها. رفضت قبول أي شيء من ذلك. أعتقد أن الناس يمكنهم أن يكونوا في منتهى القسوة، أو الاستهتار على أي حال. كثيرًا ما يكون الاثنان الشيء نفسه. لا أستطيع القول إنني أعرف روبرت جيدًا. لم ينعم بحياة سهلة، لكنه عثر لنفسه الآن على امرأة شابة، ولا يمكنني أن أكون أكثر سعادة من أجله. تعمل الآنسةساندرلنج في عيادة الطبيبة، وأنا واثق بأنها سوف تساعده على الاستقرار. لقد طلبا مني تزويجهما في كنيسة سانت بوتولف، وأتطلع إلى ذلك بشدة.

توقف، ثم واصل الحديث:

- لقد تشاجر هو ووالدته، هذه معلومات معروفة للجميع. لكنني كنت أراقبه طوال المراسم - وقف هو وجوزي على مقربة كبيرة مني - وكنت سأقول إنه حزين بالفعل. عندما وصلت إلى الفقرة الأخيرة من خطابي، شرع يبكي وغطى عينيه لإخفاء الدموع، واضطرت جوزي إلى الإمساك بذراعه. من الصعب على الفتى فقدان والدته، مهما كانت طبيعة المشاعر بينهما، وأنا متأكد أنه ندم بمرارة على ما تفوَّه به. تكلم على عجل، واندم وقت الفراغ، كما يقول المثل القديم.

- ماذا كان رأيك في ماري بلاكيستون؟

لم يُجِب أوسبورن على الفور. واصل السير، حتى خرجا مرة أخرى إلى حديقة منزل الكاهن. كل ما قاله هو:

- كانت جزءًا مهمًا من القرية، سنفتقدها.

قال بوند:

- تهمني رؤية خطاب الجنازة، هل يمكن أن تكون لديك نسخة منه؟

التمعت عينا الكاهن. كان قد بذل كثيرًا من الجهد في كتابة الخطاب.

- حقًا؟ في الواقع، لقد احتفظت به. إنه لديَّ بالداخل. هل ستدخل مرة أخرى؟ لا عليك، سوف أجلبه لك.

أسرع للدخول عبر النوافذ الفرنسية. استدار بوند في الوقت المناسب لرؤية فريزر وهو يخرج من دينجل ديل بصحبة زوجة الكاهن، والضوء ينحدر مائلًا نحو الأسفل خلفهما. فكر أن الأمر صحيح، كانت الغابة مكانًا خاصًا للغاية. مكانًا يستحق الحماية.

لكن مقابل أي ثمن؟

٧

عصر ذلك اليوم، وقعت حالة وفاة أخرى.

كانت الدكتورة ريدوينج قد عادت بالسيارة إلى آشتون هاوس، ورافقها زوجها هذه المرة. جاءت المكالمة الهاتفية من كبيرة الممرضات عصر ذلك اليوم، وعلى الرغم من أنها لم تقل شيئًا محددًا، فلم يكن من الممكن أن يخطئ المرء نبرة صوتها.

- ربما من الأفضل أن تكوني هنا. أعتقد بالفعل أنكِ يجب أن تأتي.

كانت الدكتورة ريدوينج قد أجرت بنفسها اتصالات مشابهة. في النهاية، لم يتعافَ العجوز إدجار رينارد من أثر السقطة الطفيفة التي تعرض لها في الأسبوع الماضي. على العكس من ذلك، يبدو أن ذلك تسبب في ارتجاج أو كسر

شيء ما، ومنذ ذلك الحين بدأ التدهور السريع. كان قد استيقظ بالكاد منذ زيارة ابنته الأخيرة. لم يأكل شيئًا، وتناول بضع رشفات من الماء فقط. أخذت الحياة تتسرب منه بوضوح.

جلس آرثر وإميليا على الأثاث غير المريح في الغرفة شديدة الإضاءة، وهما يراقبان صعود وهبوط صدر الرجل العجوز تحت البطانيات. كان كلاهما يعرف ما يفكر فيه الآخر، لكنهما لم يودًا صياغة ذلك في كلمات. كم من الوقت سيضطران إلى الجلوس هنا؟ متى سيكون من المعقول الاكتفاء بذلك القدر من الوقت، والعودة إلى المنزل؟ هل سيلومان نفسيهما إذا لم يكونا موجودين هناك عند حلول النهاية؟ في نهاية المطاف، هل سيشكِّل ذلك أي فرق؟

أخيرًا، قالت إميليا:

- يمكنك الرحيل إذا أردت.

- لا، سوف أبقى معك.

- هل انت متأكد؟

- أجل، بالطبع.

فكر للحظة، ثم قال:

- هل تريدين فنجانًا من القهوة؟

- سيكون ذلك لطيفًا.

كان من المستحيل إجراء أي نوع من الحديث في غرفة بها رجل يُحتضر. نهض آرثر ريدوينج، وجرجر قدميه نحو المطبخ الصغير في نهاية الممر. بقيت إميليا بمفردها.

حينها فتح إدجار رينارد عينيه، بشكل غير متوقع تمامًا، كما لو أنه غفا أمام التلفزيون فحسب. رآها في الحال، ولم يبدُ عليه أدنى قدر من الشعور بالمفاجأة. ربما اعتقد أنها لم ترحل قَطُّ، إذ إنه عاد على الفور تقريبًا إلى الموضوع الذي أثاره في المرة الأخيرة التي كانا فيها معًا. سألها:

- هل أخبرتِه؟

- أخبرتُ مَن يا أبي؟

تساءلت عما إذا كان عليها أن تنادي آرثر كي يعود، لكنها خشيت رفع صوتها، أو فعل أي شيء قد يزعج الرجل المحتضر.

- هذا ليس عدلًا، يجب ان أخبرهم. يجب أن يعرفوا.

- هل تريدني أن أنادي الممرضة يا أبي؟

- لا!

أصبح غاضبًا فجأة، كما لو انه يعلم انه لم تتبقَّ سوى دقائق، وانه لا يوجد وقت للتأخير. في اللحظة نفسها، ظهر في عينيه نوع من الصفاء. في وقت لاحق، ستقول الدكتورة ريدوينج إنه مُنح هذه الهبة الأخيرة في نهاية حياته. تراجع الخرف أخيرًا، تاركًا إياه في وضع المتحكم. كان صوته أكثر شبابًا وأقوى، وقال:

- كنت هناك عند ولادة الطفلين. أشرفت على ولادتهما في باي هول. كانت الليدي سينثيا باي، امرأة جميلة، ابنة إيرل، لكنها لم تكن قوية البنية، ولا يتحمل جسدها ولادة توأمين. خشيت أن أفقدها. في النهاية، سار كل شيء على ما يرام. وُلد طفلان، بفارق اثنتي عشرة دقيقة بينهما، ولد وفتاة، كلاهما بصحة جيدة.

لكن بعد ذلك، قبل أن يعرف أحد ما حدث، جاءني السير ميريل باي. السير ميريل لم يكن رجلًا طيبًا. كان الجميع يخافونه. ولم يكن سعيدًا، لأنه، كما ترين، وُلدت الفتاة أولًا. كانت التركة موقوفة لتؤول إلى المولود البكر... كان الأمر غير اعتيادي، لكن هذا هو واقع الحال. لم تكن التركة تؤول إلى المولود الذكر الأكبر سنًا. لكنه أرادها أن تؤول إلى الصبي. كان قد ورث المنزل من والده، الذي ورثه من والده من قبله، لطالما كانوا صبية. هل تفهمين؟ كره فكرة انتقال التركة برمتها إلى فتاة، لذا أجبرني... قال لي... جاء الصبي أولًا.

نظرت إميليا إلى والدها ورأسه مستلقٍ على الوسادة، وشعره الأبيض يشكل هالة حوله، وعيناه تتألقان بجهد الشرح. سألته:

- ماذا فعلت يا أبي؟

- ماذا تعتقدين أنني فعلت؟ لقد كذبت. كان السير ميريل مستبدًا بعض الشيء. كان يمكنه أن يجعل حياتي بائسة. وحينها، قلت لنفسي: ما أهمية الأمر؟ ففي النهاية، كانا مجرد رضيعين. لم يكونا يعرفان شيئًا، وسينشآن في المنزل معًا. لم يكن الأمر كما لو أنني أُوذي أحدًا. هذا ما ظننته.

انسالت دمعة من ركن عينه، وشقت طريقها نزولًا على جانب وجهه. واصل قائلًا:

- لذا ملأت النموذج على النحو الذي أراده. في الساعة الثالثة وثمانٍ وأربعين دقيقة صباحًا، فتى، وفي الساعة الرابعة صباحًا، فتاة. هذا ما كتبته.

- أوه، يا أبي!

- كان ذلك خطأً مني. أرى ذلك الآن. حصل ماجنوس على كل شيء، ولم تحصل كلاريسا على أي شيء، وكثيرًا ما ظننت أنه يجب عليَّ إخبارها، وإخبار كليهما بالحقيقة. لكن ما فائدة ذلك؟ لن يصدقني أحد. لقد رحل السير ميريل منذ زمن بعيد، والليدي سينثيا. كلاهما صار طي النسيان! لكن الأمر طاردني. لطالما طاردني. كان ما كتبته كذبة. فتى! قلت إنه فتى!

عندما عاد آرثر ريدوينج ومعه القهوة، كان الدكتور رينارد قد لفظ أنفاسه الأخيرة. وجد زوجته جالسة في حالة من الصدمة، وافترض بصورة بديهية أن ذلك بسبب الخسارة. مكث معها ريثما تُستدعى كبيرة الممرضات، واتخاذ الترتيبات اللازمة. كان الدكتور رينارد قد حصل على تأمين للجنازة مع شركة لانر وكرين المعروفة، وسيتم إبلاغهم أول شيء في الصباح، إذ كان الوقت قد تأخر الآن. في هذه الأثناء، سيُنقَل إلى كنيسة صغيرة داخل آشتون هاوس، محجوزة لمثل هذه المناسبات. كان من المقرر دفنه في المقبرة في كينجز آبوت، بالقرب من المنزل الذي عاش فيه. اتخذ هذا القرار عندما تقاعد.

لم تكرر إميليا ريدوينج ما قاله لها والدها، إلا وهما عائدان بالسيارة إلى المنزل. كان آرثر خلف عجلة القيادة، وأحس بالصدمة. صاح قائلًا:

- يا إلهي! هل أنت متأكدة أنه كان يعي ما يقوله؟

- كان الأمر مذهلًا. كان واعيًا تمامًا، فقط لمدة الدقائق الخمس التي غبت خلالها.

- أنا آسف يا عزيزتي. كان يجدر بك أن تناديني.

- لا يهم. أتمنى فقط لو كنت هناك لتسمع ذلك.

- كان بإمكاني أن أكون شاهدًا.

لم تكن الدكتورة ريدوينج قد فكرت في ذلك، لكنها أومأت برأسها الآن.

- أجل.

- ماذا ستفعلين؟

لم ترد الدكتورة ريدوينج. راقبت وادي باث وهو ينزلق مارًا، والأبقار متناثرة هنا وهناك، ترعى على الجانب الآخر من خط السكة الحديد. لم تكن شمس الصيف قد غربت، لكن الضوء كان خافتًا، والظلال تطوي نفسها على جوانب التلال. أخيرًا، قالت:

- لا أدري. بطريقة ما، أتمنى لو لم يخبرني. كان سره الآثم، والآن بات سري أنا.

تنهدت وواصلت قائلة:

- أعتقد أنه سيتعين عليَّ إخبار شخص ما. لست متأكدة أنه سيشكِّل أي فرق. حتى لو كنت موجودًا هناك، فلا يوجد أي دليل.

- ربما عليكِ إخبار ذلك المحقق.

- السيد بوند؟

انزعجت من نفسها. لم يخطر ببالها على الإطلاق أنه قد تكون ثمة صلة، لكن بالطبع كان عليها الإبلاغ عما عرفته. تعرض السير ماجنوس باي، المنتفع بتركة ضخمة، للقتل على نحو عنيف، وقد اتضح الآن أن التركة لم تكن ملكه قَطُّ في المقام الأول. هل يمكن ان يكون هذا هو سبب مقتله؟ واصلت قائلة:

- أجل، أعتقد انه من الأفضل أن أخبره بذلك.

واصلا الطريق في صمت، ثم قال زوجها:

- وماذا عن كلاريسا باي؟ هل ستخبرينها؟
- هل تعتقد أن عليَّ فعل ذلك؟
- لا أدري. حقًّا لا أدري.

وصلا إلى القرية. وحين مرا بالسيارة متجاوزين محطة الإطفاء، ثم حانة كوينز آرمز، والكنيسة خلفها مباشرة، لم يكونا على دراية بأن كليهما يفكر في الفكرة نفسها.

ماذا لو كانت كلاريسا تعرف بالفعل؟

٨

في تلك اللحظة بالتحديد، داخل حانة كوينز آرمز، كان جيمس فريزر يحمل صينية عليها خمسة مشروبات إلى طاولة هادئة في الزاوية البعيدة. كانت هناك ثلاثة أكواب من البيرة له هو وروبرت بلاكيستون والمفتش تشاب، ومشروب دوبونيه بالليمون المر من أجل جوي ساندرلنج، وكأس صغيرة من الشيري لأتيكوس بوند. كان يود إضافة كيسين من رقائق البطاطس، لكن شيئًا ما جعله يشعر بأن ذلك سيكون غير ملائم. عندما جلس، تفحص الرجل الذي كان السبب في حضورهم إلى هناك. كان روبرت بلاكيستون، الذي فقد والدته ومرشده في غضون أسبوعين، قد جاء من العمل مباشرة. بدَّل ملابس العمل، وارتدى سترة، لكن يديه كانتا لا تزالان يغطيهما الشحم والزيت. تساءل فريزر عما إذا كان ذلك سيزول على الإطلاق. كان شابًا غريب المظهر، لا يفتقر إلى الجاذبية، لكنه يكاد يشبه تقريبًا لوحة رديئة لنفسه، بشعره المقصوص على نحو سيئ، وعظام وجنتيه البارزة بدرجة زائدة على الحد، وبشرته الشاحبة. جلس بجوار جوي، ومن المحتمل جدًا أنه كان يمسك يدها تحت الطاولة. كانت عيناه مسكونتين، وبدا من الواضح أنه يفضِّل الوجود في أي مكان آخر إلا هنا.

قالت جوي:

- لا داعي للقلق يا روب، السيد بوند يريد المساعدة فحسب.

- مثلما ساعدكِ عندما ذهبت إلى لندن؟

لم يتقبل روبرت أيًا من ذلك. واصل قائلًا:

- هذه القرية لن تدعنا وشأننا. في البداية قالوا إنني أنا مَن قتلت والدتي، لكنني لم أكن لأمسها قَطُّ. أنت تعرفين ذلك. كأن هذا لم يكن كافيًا بالنسبة إليهم، شرعوا بعدها في همسهم بشأن السير ماجنوس.

التفت إلى أتيكوس، وقال:

- هل هذا سبب وجودك هنا يا سيد بوند؟ هل هذا لأنك تشتبه فيَّ؟

سأله بوند:

- هل كان لديك سبب يدفعك إلى أن تتمنى إصابة السير ماجنوس بالأذى؟

- لا، لم يكن رجلًا سهل الطباع، سأعترف لك بهذا. لكنه لطالما كان طيبًا للغاية معي. لم أكن لأحصل على وظيفة، لولاه هو.

واصل بوند قائلًا:

- يجب أن أسألك عن أشياء كثيرة في حياتك يا روبرت. هذا ليس لأنك موضع شك أكثر من أي شخص آخر في القرية، لكن حادثتَي الوفاة وقعتا في باي هول، ومن الصحيح القول إن لديك ارتباطًا وثيقًا بهذا المكان.

- لم أختَر أن تكون الأمور على هذا النحو.

- بالطبع لا، لكن ربما يمكنك إخبارنا الكثير عن تاريخه، وعن الأشخاص الذين عاشوا هناك.

التفَّت يد روبرت الوحيدة الظاهرة حول كوب البيرة خاصته. رفع عينيه إلى بوند بتحدٍّ، وقال:

- أنت لست شرطيًا. لماذا يتعين عليَّ إخبارك بأي شيء؟

تدخل تشاب قائلًا:

- أنا شرطي.

كان على وشك إشعال سيجارة، وتوقف والكبريت على بعد بوصات من وجهه. واصل الحديث:

- والسيد بوند يعمل معي. عليك أن تراعي سلوكك ايها الشاب. إذا كنت لا ترغب في التعاون، فسوف نرى ما تفعله ليلة خلف القضبان حتى تغير رأيك. لن تكون المرة الأولى التي تدخل فيها السجن، حسب ما فهمت.

أشعل السيجارة، وأطفأ عود الثقاب.

وضعت جوي يدها على ذراع خطيبها.

- أرجوك يا روبرت...

تجاهلها قائلًا:

- ليس لديَّ ما اخفيه. يمكنك ان تسألني عما تريد.

اقترح بوند قائلًا:

- إذن دعنا نبدأ من البداية. إذا لم يزعجك ذلك، ربما يمكنك أن تصف لنا طفولتك في باي هول.

أجاب روبرت:

- لا يزعجني هذا، على الرغم من أنني لم أنعم هناك قَطُّ بالسعادة البالغة. لا يكون الأمر لطيفًا للغاية عندما تهتم والدتك برب عملها أكثر من اهتمامها بوالدك، لكن هذا ما كانت عليه الحال منذ يوم انتقالنا إلى الكوخ الخشبي تقريبًا. السير ماجنوس هذا، والسير ماجنوس ذاك! أعارته اهتمامًا فائقًا، على الرغم من أنها لم تكن قَطُّ اكثر من مجرد خادمته. لم يكن والدي أيضًا سعيدًا بذلك. لم يكن الأمر سهلًا بالنسبة إليه على الإطلاق، أن يعيش في منزل شخص آخر، على أرض شخص آخر. لكنهما تحملا ذلك بعض الوقت. لم يحصل والدي على الكثير من العمل قبل الحرب. كان مكانًا للعيش، ودخلًا منتظمًا، لذا فقد تحمل الوضع.

كنت في الثانية عشرة من عمري عندما انتقلنا إلى السكن هناك. كنا نعيش في مزرعة شيبرد، التي كانت ملكًا لجدي. كانت متهالكة للغاية، لكننا أحببنا المكان هناك، حيث تُركنا لنفعل ما نشاء. وُلدت أنا وتوم في ساكسبي أون أيفون، ولطالما عشنا هنا. بالنسبة إليَّ، لم يكن هناك أي مكان آخر في

العالم. احتاج السير ماجنوس إلى شخص ما للعناية بالمكان عقب رحيل مدبرة المنزل القديمة، وكانت أمي تعمل بالفعل في أرجاء القرية، لذا كان خيارًا بديهيًا في الواقع.

كان العام الأول تقريبًا على ما يرام. لم يكن الكوخ الخشبي مكانًا سيئًا للغاية، وصار لدينا متسع كبير بعد مزرعة شيبرد. كانت لكلٍّ منا غرفة خاصة، مما كان أمرًا لطيفًا، وغرفة أمي وأبي عند نهاية الممر. اعتدت التفاخر بذلك في المدرسة، نظرًا إلى سكننا في مثل هذا العنوان الفخم، على الرغم من أن الأطفال الآخرين سخروا مني لذلك فحسب.

- إلى أي مدى انسجمت علاقتك أنت وشقيقك؟

- اعتدنا الشجار، مثل جميع الصبية الصغار، لكننا كنا مقربين للغاية أيضًا. كنا نطارد بعضنا في جميع أرجاء العزبة. كنا قرصانين، وصائدَي كنوز، وجنديين، وجاسوسين. اعتاد توم اختلاق جميع الألعاب. كان أصغر مني سنًا، لكنه كان أذكى بكثير أيضًا. اعتاد أن ينقر لي على الجدار ليلًا باستخدام شفرة، كان قد اخترعها بنفسه. لم أفهم كلمة واحدة من ذلك، لكنني كنت أسمعه ينقرها في حين كان من المفترض أن نخلد إلى النوم.

ابتسم نصف ابتسامة للذكرى، وخف بعض التوتر من وجهه للحظة.

- كانت لديكما كلبة، على ما أعتقد. كان اسمها بيلا.

عاد التجهم على الفور. تذكر فريزر طوق الكلبة الذي عثروا عليه في غرفة النوم في الكوخ الخشبي، لكنه تساءل عن صلة هذا بالموضوع.

قال روبرت:

- كانت بيلا كلبة توم. أحضرها له أبي وقت رحيلنا عن مزرعة شيبرد تقريبًا.

ألقى نظرة سريعة على جوي، كما لو أنه غير متأكد ما إذا كان عليه مواصلة الحديث. تابع قائلًا:

- لكن بعد انتقالنا، لم... لم ينتهِ الأمر على خير.

- ماذا حدث؟

- لم نكتشف ذلك قَطُّ في الواقع، لكنني سأخبرك بهذا: لم يكن السير ماجنوس يريدها على أرضه. كان ذلك واضحًا. قال إن بيلا تطارد الأغنام. قال على الفور إنه يريدنا أن نتخلص منها، لكن توم أحب تلك الكلبة حقًّا، لذا رفض أبي. على أي حال، اختفت ذات يوم. بحثنا عنها في كل مكان، لكنها اختفت فحسب. وبعد ذلك بأسبوعين تقريبًا، وجدناها في دينجل ديل.

توقف عن الحديث، ونظر نحو الأسفل، وتابع قائلًا:

- كان أحدهم قد قطع حلقها. لطالما قال توم إنه برينت. لكنْ إذا كان الأمر كذلك، فقد تصرف فقط بناءً على أوامر السير ماجنوس.

ساد صمت طويل. عندما تحدث بوند مرة أخرى، كان صوته خفيضًا. قال:

- يجب أن أسألك عن حالة وفاة أخرى. أنا متأكد أن هذا سيكون مؤلمًا بالنسبة إليك، لكنك تفهم...

- أنت تتحدث عن توم.

- أجل.

أومأ روبرت برأسه:

- عندما بدأت الحرب، ذهب والدي إلى بوسكومب داون، حيث عمل على الطائرات، وكثيرًا ما كان يبقى هناك طوال الأسبوع، لذا كنا نراه فقط بين الحين والحين. ربما لو كان موجودًا هناك، ربما لو كان قد اهتم بنا أكثر من ذلك، لما حدث هذا أبدًا. هذا ما قالته أمي دومًا. ألقت عليه اللوم بسبب غيابه.

- هل يمكنك إخباري بما حدث؟

- لن أنسى ذلك أبدًا يا سيد بوند، ما دمت حيًا. في ذلك الوقت، اعتقدت أنه خطئي. هذا ما قاله كثير من الناس، وربما كان هذا هو ما اقتنع به أبي. لم يتحدث معي بخصوص ذلك قَطُّ. لم يتحدث معي مرةٍ أخرى إلا فيما ندر، ولم أرَه منذ سنوات. حسنًا، ربما كان لديه حق. كان توم

يصغرني بعامين، وكان من المفترض أن أعتني به. لكنني تركته بمفرده، وفجأة وجدتهم يسحبونه من البحيرة وقد غرق. كان في الثانية عشرة من العمر فقط.

قالت جوي:

- لم يكن خطأك يا روبرت.

أحاطته بذراعيها واحتضنته بقوة، وتابعت الحديث:

- كان حادثًا. لم تكن موجودًا هناك حتى...

- أنا الذي اقتدته إلى الحديقة، وتركته بمفرده.

حدق إلى بوند بعينين التمعتا بالدموع فجأة، وتابع قائلًا:

- كان فصل الصيف، في يوم مثل هذا. كنا في رحلة للبحث عن الكنز. دومًا ما كنا نبحث عن أشياء متفرقة - ذهب وفضة - إذ كنا نعرف أن السير ماجنوس عثر على كومة كاملة من الأشياء في دينجل ديل. كنز دفين! كان هذا هو نوع الأشياء التي يحلم بها كل صبي. كنا نقرأ الحكايات في صحف الأولاد، ذا ماجنيت، وذا هوتسبير، ثم نحاول أن نجعلها حقيقة. اعتاد السير ماجنوس تشجيعنا أيضًا. في الواقع، كان يضع لنا بعض التحديات. لذا ربما كان مسؤولًا بصورة جزئية عما حدث. لا أدري. دومًا ما يتعلق الأمر باللوم، أليس كذلك؟ تحدث لك هذه الأشياء، ويتعين عليك العثور على طريقة ما كي تجعلها منطقية.

غرق توم في البحيرة، وحتى يومنا هذا، لا نعرف كيف حدث ذلك. كان يرتدي كامل ملابسه، لذا لم يكن الأمر كما لو أنه ذهب للسباحة. ربما سقط. ربما صُدم رأسه. كان برينت هو مَن عثر عليه وأخرجه. سمعته يصيح، وعدت راكضًا عبر العشب. ساعدت في إيصاله إلى أرض جافة، وحاولت إنعاشه بالطريقة التي أرونا إياها في المدرسة. لكن لم يكن هناك ما يمكنني فعله. عندما أتت والدتي ووجدتنا، كان الأوان قد فات.

سأل تشاب:

- هل كان نيفيل برينت يعمل هناك بالفعل؟ لا بد أنه هو نفسه كان في سن المراهقة.

- أجل، كان صغيرًا في السن جدًا، لكنه كان يساعد والده. في الواقع، قد تولى الوظيفة بعد وفاة والده.

قال بوند:

- لا بد أن الأمر كان بمنزلة صدمة كبيرة بالنسبة إليك، ومزعجًا للغاية، أن ترى شقيقك على هذا النحو.

- ألقيت نفسي في الماء، وأمسكت به. أخذت أصرخ، وأبكي، وحتى الآن لا أستطيع إجبار نفسي على النظر إلى ذلك المكان اللعين. لم أرغب في البقاء في الكوخ الخشبي على الإطلاق، ولو كان الأمر بيدي لرحلت عن ساكسبي أون أيفون تمامًا، والآن، مع كل ما حدث، ربما أفعل. على أي حال، عاد والدي في تلك الليلة. صرخ في والدتي، وصرخ في وجهي. لم يقدم لنا أي دعم قَطُّ. كل ما نلناه منه هو الغضب. وبعد عام، تركنا. قال إن الزيجة انتهت. لم نَرَه مرة أخرى قَطُّ.

- كيف كان رد فعل والدتك تجاه ما حدث؟

- ظلت تعمل لدى السير ماجنوس. هذا هو أول شيء. لم تكن لتفكر في تركه قَطُّ، مهما حدث. هذا هو مدى تقديرها له. كانت تمر بتلك البحيرة كل يوم في طريقها إلى العمل. قالت لي إنها لم تنظر إليها قَطُّ، وإنها أبقت رأسها في الاتجاه الآخر، لكنني لا أعرف كيف فعلت ذلك.

- هل كانت لا تزال تتولى العناية بك؟

- حاولَت ذلك يا سيد بوند. أعتقد أن عليَّ الاعتراف بهذا، على الرغم من أنني لم أشكرها على ذلك قَطُّ. لم يكن أي شيء سهلًا على الإطلاق، بعد وفاة توم. سارت الأمور في المدرسة على نحو سيئ. يمكن أن يكون الأطفال الآخرون في منتهى القسوة. وكانت تخاف عليَّ. لم تتركني أخرج من المنزل على الإطلاق! شعرتُ أحيانًا كما لو أنني سجين. دومًا ما كانت تراقبني.

أحسست بالرعب من أن يحدث لي شيء ما، وتبقى هي بمفردها. أعتقد أن هذا هو السبب الحقيقي لعدم رغبتها في زواجي بجوي، لأنني سأتركها. كانت تخنقني، وهكذا ساءت الأمور بيننا. عليَّ الاعتراف بهذا، انتهى بي الأمر إلى كرهها.

رفع كوبه وتناول بضع رشفات من البيرة.

قالت جوي بهدوء:

- أنت لم تكرهها. لم تكن الأمور بينكما على ما يرام، هذا هو كل ما في الأمر. كنتما تعيشان في ظل ما حدث، ولم تدركا مدى الضرر الذي يلحقه بكما ذلك.

علق المفتش تشاب قائلًا:

- لقد هددتها قبل وفاتها مباشرة.

كان قد انتهى من تناول بيرته بالفعل.

- لم أفعل ذلك قَطُّ يا سيدي. لم أفعل ذلك قَطُّ.

قال بوند:

- سنصل إلى كل ذلك في الوقت المناسب. لقد غادرت باي هول في النهاية. أخبرنا أولًا عن الوقت الذي قضيته في بريستول.

بدا روبرت متجهمًا الآن.

- لم يدُم ذلك طويلًا. رتب لي السير ماجنوس الأمر. بعد رحيل أبي، تولى المسؤولية نوعًا ما، وحاول المساعدة قدر استطاعته. لم يكن رجلًا سيئًا، ليس سيئًا تمامًا على أي حال. حصل لي على تدريب مهني مع فورد للسيارات، لكن كل شيء سار على غير ما يرام. سأعترف بأنني أفسدت كل شيء تمامًا. لم أكن سعيدًا بمفردي في مدينة غريبة. أفرطت في تناول الشراب، وتورطت في شجار في الحانة المحلية، ذا بلو بور. كان كل ذلك بسبب تفاهات.

أومأ برأسه نحو تشاب، وواصل قائلًا:

- لكنك على حق. قضيت بالفعل ليلة في السجن، وربما واجهتني متاعب أسوأ من ذلك، لولا تدخل السير ماجنوس مرة أخرى. تحدث إلى الشرطة، ووافقوا على إطلاق سراحي مع توجيه إنذار إليَّ، لكن هذه كانت نهاية الأمر بالنسبة إليَّ. عدت إلى ساكسبي، ورتب لي الوظيفة التي لديَّ الآن. لطالما أحببت العبث بالسيارات. أعتقد أنني ورثت ذلك عن أبي، على الرغم من أن هذا فقط هو كل ما أورثني إياه.

سأله بوند:

- ما الذي دفعك إلى الجدال مع والدتك في أسبوع وفاتها؟

- لم يكن شيئًا ذا بال. أرادتني أن أصلح مصباحًا مكسورًا. هذا كل ما في الأمر. هل تعتقد حقًّا أنني قتلتها بسبب ذلك يا سيد بوند؟ أقسم لك إنني لم أقترب منها، ولا يمكن أن أكون فعلت. لقد أخبرتك جوي. كنت معها ذلك المساء! طوال المساء، وطوال الليل. غادرنا الشقة معًا، لذا إذا كنت أكذب، فهي تكذب، ولماذا تفعل ذلك؟

- فلتسامحني، لكن ليست هذه هي الحال بالضرورة.

التفت بوند إلى جوي ساندرلنج، التي بدت كما لو أنها تستعد تقريبًا لما هو قادم. واصل الحديث قائلًا:

- عندما زرتِني في لندن، أخبرتني بأنكما كنتما معًا طوال الوقت. لكن هل أنتِ متأكدة أن أحدكما كان تحت نظر الآخر باستمرار؟ ألم تأخذي دشًّا؟ ألم تحضري الإفطار؟

تضرج وجه جوي بالحمرة، وقالت:

- لقد فعلت كليهما يا سيد بوند. ربما مرت عشر أو خمس عشرة دقيقة لم أرَ خلالها روبرت...

- وكانت دراجتك البخارية متوقفة خارج الشقة يا آنسة ساندرلنج. على الرغم من أن المسافة بعيدة للغاية سيرًا على الأقدام، فإن الأمر لم يكن ليستغرق من روبرت أكثر من دقيقتين أو ثلاث للوصول إلى باي هول،

باعترافك أنت. ليس من المستحيل أن يكون قد قاد الدراجة البخارية إلى هناك، وقتل الأم التي سببت له كل هذا العذاب، والتي وقفت معارضة زواجكما بشدة، ثم عاد، وكل هذا في الوقت الذي كنت فيه في المطبخ أو الحمَّام.

ترك الاقتراح معلقًا في الهواء، ثم التفت إلى روبرت مرة أخرى. واصل قائلًا:

- وماذا عن السير ماجنوس؟ هل يمكنك أن تخبرني أين كنت في الساعة الثامنة والنصف مساء وفاته؟

غاص روبرت في مقعده، منهزمًا.

- لا يمكنني أن أفيدك هنا. كنت في شقتي، أتناول العشاء بمفردي. أي مكان آخر كان يمكنني الوجود فيه؟ لكن إذا كنت تعتقد أنني قتلت السير ماجنوس، فربما يمكنك إخباري بالسبب. لم يفعل أي شيء ليؤذيني قَطُّ.

- توفيت والدتك في باي هول، ولم يكترث بما يكفي حتى لحضور جنازتها!

صاحت جوي:

- كيف يمكنك أن تكون بهذه القسوة؟ أنت تغزل الأوهام من الفراغ، لمجرد توجيه الاتهام إلى روبرت. لم يكن لديه سبب لقتل أيٍّ منهما. أما بالنسبة إلى الدراجة البخارية، فلم أسمعها ترحل على الإطلاق. انا متأكدة أنني كنت سأفعل، حتى لو كنت في الحمَّام.

سأل روبرت:

- هل انتهيت؟

نهض واقفًا على قدميه، تاركًا ما تبقى من بيرته من دون مساس.

قال بوند:

- ليس لديَّ مزيد من الأسئلة.

- إذا كنت لا تمانع إذن، فسأعود إلى المنزل.

قالت جوي:

- سآتي معك.

نظر تشاب إلى بوند، كما لو أنه يتأكد أنه لم يتبقَّ المزيد مما يود السؤال عنه. أومأ بوند برأسه إيماءة خفيفة للغاية، ورحل الشابان معًا.

سأله فريزر بمجرد رحيلهما:

- هل تعتقد حقًّا أنه ربما قتل والدته؟

- أعتقد أن هذا من غير المحتمل يا جيمس. عند سماعه وهو يتحدث عن والدته للتو... تحدث بغضب، وضيق، وربما حتى خوف. لكن لم تكن هناك أي كراهية. كما لا أعتقد أنه ذهب إلى باي هول راكبًا دراجة خطيبته البخارية، على الرغم من أن اقتراح الفكرة كان مثيرًا للاهتمام. ولماذا؟ بسبب لونها. ألا تتذكر؟ إنه شيء علقت لك بشأنه، عندما زارتنا الآنسة ساندرلنج أول مرة. إن الرجل الذي يرغب في المرور بسرعة عبر القرية لارتكاب جريمة قتل قد يستعير دراجة بخارية، لكن ليس، على ما أعتقد، دراجة بخارية ذات لون وردي زاهٍ. سيكون من السهل جدًّا ملاحظتها. هل من الممكن أن يكون لديه دافع إلى قتل السير ماجنوس باي؟ هذا محتمل، لكنني سأعترف بأنه غير واضح في الوقت الحالي.

اختتم تشاب الحديث قائلًا:

- إذن كل هذا مضيعة للوقت نوعًا ما.

ألقى نظرة خاطفة على كوبه الفارغ، وتابع الحديث:

- ومع ذلك، فإن حانة كوينز آرمز تقدم بيرة جيدة. كما أن لديَّ شيئًا لك يا هير بوند.

مد يده إلى الأسفل، وأظهر يوميات ماري بلاكيستون. شرح بإيجاز كيف عُثر عليها، وقال:

- بها شيء عن جميع مَن في القرية تقريبًا. يا لها من فاضحة للأسرار! عملت على جمعها بالجملة!

اقترح فريزر قائلًا:

- هل تعتقد أنها استغلت تلك المعلومات لابتزاز الناس؟ في النهاية، قد يمنح ذلك أحدهم سببًا جيدًا للغاية لدفعها أسفل الدرج.

قال تشاب:

- لديك وجهة نظر جيدة هنا. بعض التدوينات غامضة نوعًا ما. كانت حريصة بشأن ما كتبته. لكن إذا اكتشف الناس مدى ما تعرفه عنهم، فمن الممكن أن تكون قد اكتسبت الكثير من الأعداء. تمامًا مثل السير ماجنوس ودينجل ديل. تلك هي مشكلة هذه القضية. يوجد مشتبه فيهم بدرجة زائدة على الحد! لكن السؤال، هل الشخص نفسه هو الذي قتل كليهما؟

نهض المفتش واقفًا على قدميه، وتابع قائلًا:

- فلتسمح لي باستعادة هذا في الوقت المناسب يا هير بوند. يجب أن أعود إلى المنزل. إن السيدة تشاب تطهو يخنة "الدجاج على الطريقة" الكلاسيكية، فليساعدني الرب. سأراكما غدًا، أيها السيدان.

رحل، وصار فريزر وبوند بمفردهما.

قال بوند:

- إن المفتش محق تمامًا.

- هل تعني أن عدد المشتبه فيهم زائد على الحد؟

- سأل عما إذا كان الشخص نفسه قد قتل السير ماجنوس باي ومدبرة منزله. كل شيء يتوقف على ذلك. من الواضح أن ثمة علاقة بين حالتَي الوفاة، لكننا لم نقترب من اكتشاف ماهيتها. وحتى ذلك الحين، سنبقى في الظلام. لكن ربما تكمن الإجابة بين يدَي الآن.

نظر إلى الصفحة الأولى وابتسم، وتابع قائلًا:

- خط اليد معروف بالنسبة إليَّ بالفعل.

- كيف؟

لكن بوند لم يرد. كان قد شرع في القراءة.

خمسة

الفضة

١

أحب مفتش المباحث تشاب مركز شرطة أورانج جروف في باث بدرجة كبيرة. كان بناءً مثاليًا على الطراز الجورجي، صلبًا ورصينًا، ولكنه في الوقت نفسه مشرق وأنيق بما يكفي ليوحي بالشعور بالترحاب، على الأقل إذا كنت في صف القانون. لم يستطع دخوله من دون الشعور بأن عمله مهم، وأنه بحلول نهاية اليوم ربما يصير العالم مكانًا أفضل بعض الشيء. كان مكتبه في الطابق الأول، ويطل على المدخل الرئيسي. بينما هو جالس إلى مكتبه، كان بوسعه النظر من نافذة تمتد بكامل ارتفاع الغرفة، وقد منحه هذا أيضًا شعورًا بالراحة. فقد كان، في النهاية، عين القانون. كان من الصواب أن تتوفر له زاوية رؤية متسعة إلى هذا الحد.

أحضر جون وايتهيد إلى هذه الغرفة. كانت خطوة متعمدة، لإخراج الرجل من القوقعة الزائفة التي زودته بها ساكسبي أون أيفون، ولتذكيره بمَن المتحكم في مقاليد الأمور. لا تُروى أي أكاذيب هنا. في الواقع، كان هناك أربعة أشخاص يواجهونه: وايتهيد، وزوجته، وأتيكوس بوند، ومساعده الشاب فريزر. عادة ما كان يحتفظ بصورة فوتوغرافية للسيدة تشاب على المكتب، لكنه وضعها في درج قبل دخولهم مباشرة. لم يكن متأكدًا تمامًا من السبب.

بدأ الحديث قائلًا:

- اسمك جوني وايتهيد؟

- هذا صحيح.

كان تاجر التحف متجهمًا ومكتئبًا، وهو يعلم أن اللعبة انتهت. لم يحاول إخفاء ذلك.

- منذ متى أتيت إلى ساكسبي أون أيفون؟

- منذ ثلاث سنوات.

تدخلت جيما وايتهيد قائلة:

- لم نرتكب اي خطأ.

كانت امرأة ضئيلة للغاية، وبدا المقعد كبيرًا جدًّا بالنسبة إليها. احتضنت حقيبة يد في حجرها، وبالكاد لامست قدماها الأرض. تابعت الحديث:

- أنت تعرف مَن يكون، وما الذي ارتكبه، لكنه ترك كل ذلك وراءه. أمضى مدة عقوبته، وأُخلي سبيله لحسن السلوك. انتقلنا من لندن، لمجرد أن نكون معًا في مكان هادئ، وهذا الموضوع الخاص بالسير ماجنوس برمته لم تكن له \ي علاقة بنا.

أجاب تشاب:

- أعتقد أنه يجب ان تتركي لي الحكم على ذلك.

كانت يوميات ماري بلاكيستون ملقاة على المكتب أمامه، وللحظة بدا له الأمر مغريًا بفتحها، لكن لم تكن هناك حاجة إلى ذلك. كان يعرف بالفعل بما فيه الكفاية المحتويات التي لها صلة بالموضوع. تابع الحديث:

- في التاسع من يوليو، تعرض منزل شخص يُدعى آرثر ريف للاقتحام. عمل السيد ريف على إدارة حانة كوينز آرمز، وقد تقاعد الآن ويعيش مع زوجته. تحطمت إحدى النوافذ، وحزن حزنًا شديدًا لاكتشاف أن مجموعة ميدالياته، بما في ذلك ميدالية يونانية نادرة لجورج السادس، قد سُرقت من غرفته الأمامية. قُدر ثمن المجموعة بأكملها بمائة جنيه أو أكثر، على الرغم من أنها بالطبع كانت ذات قيمة عاطفية كبيرة أيضًا.

انتصب وايتهيد في جلسته، لكن زوجته شحبت بجواره. كانت تسمع هذا لأول مرة. سأل قائلًا:

- لماذا تخبرني بهذا؟ لا أعرف أي شيء عن أي ميدالية.

قال تشاب:

- لقد جرح اللص نفسه بسبب النافذة.

اضاف بوند:

- بعد ذلك بيوم واحد، في العاشر من يوليو، عالجتك الدكتورة ريدوينج. احتجت إلى غرز جراحية لجرح مزعج في يدك.

ابتسم لنفسه للحظة وجيزة. في مشهد هذه الجريمة تحديدًا، وصل طريقان فرعيان ثانويان إلى تقاطع طرق.

قال جوني:

- قطعت يدي في المطبخ.

ألقى نظرة سريعة على زوجته، التي لم تبدُ مقتنعة، وواصل قائلًا:

- لم أذهب إلى أي مكان بالقرب من السيد ريف أو ميداليته على الإطلاق. هذه مجموعة من الأكاذيب.

- ما الذي يمكنك أن تخبرنا إياه بخصوص زيارة ماري بلاكيستون لك في الحادي عشر من يوليو، قبل أربعة أيام من وفاتها؟

- مَن قال لك هذا؟ هل كنت تراقبني؟

- هل تنكر ذلك؟

- ماذا هناك لأنكره؟ أجل، لقد دخلت المتجر. كثير من الناس يدخلون المتجر. لم تقل شيئًا قَطُّ عن أي ميداليات.

- إذن ربما تحدثت إليك عن المال الذي دفعته لبرينت.

تحدث بوند بهدوء وعقلانية، لكن أشار شيء ما في نبرته إلى أنه يعرف كل شيء، وأنه لا جدوى من الجدال. في الواقع، كان فريزر يعلم أن هذا ليس صحيحًا. بذل الرجل المسؤول عن الحدائق قصارى جهده لإخفاء آثاره. قال إن الجنيهات الخمسة مستحقة له، ربما مقابل عمل أداه. كان بوند يخمن من دون دليل واضح. على الرغم من ذلك، ظهر لكلماته تأثير فوري.

اعترف وايتهيد قائلًا:

- حسنًا، لقد دخلت لتدس أنفها في أرجاء المكان، وطرحت عليَّ أسئلة، مثلك تمامًا. ما الذي تحاول قوله؟ إنني دفعتها أسفل الدرج كي أخرسها؟

أطلقت جيما وايتهيد صيحة غضب:

- جوني!

- لا بأس يا عزيزتي.

مد إليها يده، لكنها أشاحت بعيدًا عنه. تابع الحديث:

- لم أرتكب أي خطأ. دخل برينت المتجر بعد يومين من جنازة ماري، وبحوزته شيء ليبيعه: مشبك حزام روماني، من الفضة. كانت قطعة صغيرة لطيفة، منذ القرن الرابع قبل الميلاد، على حد تقديري. أراد عشرين جنيهًا مقابلها. أعطيته خمسة.

- متى كان هذا؟

- لا أستطيع التذكر. يوم الاثنين! كان الأسبوع التالي للجنازة.

سأل تشاب:

- هل قال برينت من أين حصل عليها؟

- لا.

- هل سألته؟

- لماذا يتعين عليَّ ذلك؟

- لا بد أنك كنت على دراية بحدوث عملية سطو في باي هول قبل أيام قليلة فحسب. سُرقت مجموعة من الحلي والعملات الفضية من السير ماجنوس. كان ذلك في نفس يوم جنازة ماري بلاكيستون.

- لقد سمعت عن ذلك، نعم.

- ألم تربط بين الأمرين؟

أخذ وايتهيد نفسًا، وقال:

- يأتي كثير من الناس إلى متجري، وأشتري الكثير من الأشياء. اشتريت من

السيدة ريف مجموعة فناجين قهوة من إنتاج ورسستر، وساعة عربة نحاسية من آل فينش، وهذا في الأسبوع الماضي فقط. هل تعتقد أنني سألتهم من أين حصلوا عليها؟ إذا عاملت الجميع في ساكسبي معاملة المجرمين، فسوف أصبح عاطلًا عن العمل في غضون اسبوع.

أخذ تشاب نفسًا، وقال:

- لكنك مجرم يا سيد وايتهيد. لقد قضيت ثلاث سنوات في السجن لتلقي بضائع مسروقة.

تمتمت جيما:

- لقد وعدتني! وعدتني أنك لن تعود إلى كل ذلك.

- فلتبقي خارج الموضوع يا عزيزتي. إنهما يحاولان إثارتي فحسب.

ألقى وايتهيد نظرة حاقدة نحو تشاب، وقال:

- لقد أخطأت فهم الأمر برمته يا سيد تشاب. أجل، اشتريت مشبك حزام فضيًا من برينت. أجل، أعرف أن باي هول تعرض للسطو. لكن هل ربطت بين الأمرين؟ لا، لم أفعل. فلتصفني بالغباء إذا شئت، لكن الغباء ليس جريمة، وعلى حد علمي كان من الممكن أن يكون ملكًا لأسرته منذ عشرين عامًا. إذا كنت تقول إنه سُرق من السير ماجنوس، إذن خلافك مع برينت، وليس معي.

- أين مشبك الحزام الآن؟

- بعته إلى صديق في لندن.

- انا متأكد أنك بعته بمبلغ أكبر بكثير من خمسة جنيهات.

- هذا شأني يا سيد تشاب. هذا ما أعمله.

استمع أتيكوس بوند إلى كل هذا في صمت. عدل نظارته الآن، وعلق قائلًا بهدوء:

- زارتك ماري بلاكيستون قبل وقوع السطو على باي هول. كانت سرقة الميدالية هي ما يهمها. هل هددتك؟

- كانت بقرة فضولية، تطرح أسئلة حول أشياء لا علاقة لها بها.
- هل اشتريت أي سلع أخرى من برينت؟
- لا، كان هذا هو كل ما لديه. إذا أردت العثور على بقية كنز السير ماجنوس الدفين، فربما يجب عليك تفتيش منزله، بدلًا من إضاعة وقتك معي.

تبادل بوند وتشاب نظرة سريعة. بدا من الواضح أنه لم يعد هناك ما يمكن الفوز به من المقابلة. مع ذلك، صمم مفتش المباحث على أن تكون له الكلمة الأخيرة، وقال:

- وقع عدد من السرقات الصغيرة في ساكسبي أون أيفون منذ وصولك. حُطمت نوافذ، واختفت التحف والمجوهرات. أعدك أننا سوف ننظر في كل قضية منها. وسوف أحتاج إلى سجل بكل شيء اشتريته وبعته خلال السنوات الثلاث الماضية أيضًا.
- أنا لا أحتفظ بسجلات.
- قد يستاء مكتب الضرائب من ذلك. آمل ألا تخطط للذهاب إلى أي مكان خلال الأسابيع القليلة المقبلة، يا سيد وايتهيد. سنكون على اتصال، مرة أخرى.

نهض تاجر التحف وزوجته، وغادرا الغرفة، وفتحا الباب لنفسيهما. كانت أمامهما بسطة سلم علوية، ثم درج يقود إلى الطابق السفلي. واصلا طريقهما في صمت، لكن بمجرد أن صارا في الهواء الطلق، انفجرت جيما قائلة:

- أوه يا جوني! كيف أمكنك الكذب عليَّ؟

أجاب جوني ببؤس:

- لم أكذب عليكِ.
- بعد كل ما تحدثنا بشأنه. وكل الخطط التي كانت لدينا!

بدا الأمر كما لو أنها لم تسمعه. تابعت قائلة:

- مَن رأيت عندما كنت في لندن؟ ومشبك حزامك الفضي هذا، لمَن بعته؟
- لقد أخبرتكِ.

- تقصد ديريك وكولين. هل أخبرتهما بشأن ماري؟ هل قلت لهما إنها كشفت أمرك؟

- ما الذي تتحدثين عنه؟

- أنت تعرف ما أقصده. في الأيام الخوالي، حينما كنت جزءًا من العصابة، إذا تجاوز الناس الحد، كانت تقع بعض الأشياء. لم نتحدث عن ذلك قَطُّ، وأعلم أنك لم تكن جزءًا من ذلك، لكن كلينا يعرف ما أتحدث عنه. كان الناس يختفون.

- ماذا؟ هل تعتقدين أنني دفعت مالًا لقتل ماري بلاكيستون، حتى تدعني وشأني؟

- حسنًا، هل فعلت؟

لم يبادر جوني وايتهيد بالجواب. سارا إلى سيارتهما في صمت.

٢

لم ينتج عن تفتيش منزل برينت أي شيء له علاقة بجريمة القتل أو الكنز المسروق.

كان برينت يعيش بمفرده في منزل بصف من المنازل المتصلة في شارع دافني. كان منزلًا بسيطًا به غرفتان بالطابق السفلي، وغرفتان بالطابق العلوي، يشترك في شرفة مع جيرانه، حيث يلتقي البابان الأماميان في زاوية. من الخارج، بدا للمبنى سحر معين كالأكواخ المرسومة على علب الشوكولاتة. كان مسقوفًا بالقش، وأشجار الوستارية وأحواض الزهور معتنى بها جيدًا. أما الداخل فيروي حكاية مختلفة. ظهر حس من الإهمال على كل شيء، بداية من الأطباق غير المغسولة في الحوض، إلى الفراش غير المرتب، والملابس الملقاة على الأرض بإهمال. عبق الجو برائحة معينة، صادفها تشاب مرات عديدة من قبل، ودومًا ما كانت تجعله يتجهم: رائحة رجل يعيش بمفرده.

لم يكن هناك في المنزل شيء جديد أو فاخر، وبدا على كل شيء أنه جرى إصلاحه كي يفي بالغرض، بعد سنوات من فقدان تلك الكلمات لشعبيتها. كانت حواف الأطباق مكسورة، والكراسي مثبتة بالخيط. عاش والدا برينت هنا فيما مضى، ولم يفعل هو شيئًا بالمكان منذ وفاتهما، حتى إنه كان ينام في نفس الفراش الفردي مع نفس البطانية واللحاف المحشو بالريش، التي لا بد أنها كانت ملكًا له في صباه. كما كانت هناك أيضًا مجلات كاريكاتورية على أرضية غرفة النوم، ومجلات الكشافة. بدا الأمر كما لو أن برينت لم يكبر تمامًا على الإطلاق، وإذا كان قد سرق كنز السير ماجنوس بأكمله من الفضة الرومانية، فمن الواضح أنه لم يبعه بعد. كانت لديه مائة جنيه فقط في حسابه المصرفي. لم يكن هناك شيء مخفي في المنزل، لا تحت ألواح الأرضية، ولا في غرفة العلية، أو أعلى المدخنة. فتشت الشرطة تفتيشًا شاملًا.

- لم آخذه. لم أرتكب ذلك. لم يكن أنا.

أُعيد برينت من باي هول إلى منزله في سيارة شرطة، وجلس وقد ارتسمت على وجهه نظرة مصدومة، محاطًا برجال الشرطة الذين اقتحموا حرمة منزله المتهالك. كان من بينهم أتيكوس بوند وجيمس فريزر.

سأل تشاب:

- إذن كيف وجدت مشبك الحزام الفضي الذي بعثه إلى جون وايتهيد؟

- لقد عثرت عليه!

واصل برينت الحديث بسرعة، بينما التمعت عينا المفتش بعدم التصديق.

- إنها الحقيقة. كان ذلك في اليوم التالي للجنازة، في يوم الأحد. لا أعمل في عطلة نهاية الأسبوع، ليس كقاعدة عامة. لكن السير ماجنوس والليدي باي كانا قد عادا للتو من إجازتهما، واعتقدت أنهما قد يحتاجان إليَّ. لذا ذهبت إلى باي هول كي أُظهر استعدادي فحسب. وكنت في الحديقة عندما رأيته، يلتمع على العشب. لم تكن لديَّ أدنى فكرة عن ماهيته، لكنه بدا قديمًا، ومحفورًا عليه صورة رجل، واقفًا من دون ملابس.

ابتسم بسخرية للحظة وجيزة، كما لو أنه يشارك نكتة وقحة، وواصل قائلًا:

- وضعته في جيبي، ثم أخذته إلى السيد وايتهيد يوم الاثنين، وأعطاني مقابله خمسة جنيهات. كان ذلك ضعف ما توقعته.

فكر تشاب في نفسه: «أجل، ونصف قيمته»، ثم قال:

- استُدعيت الشرطة إلى باي هول في ذلك اليوم. أبلغ السير ماجنوس عن عملية سطو. ما أقوالك بخصوص ذلك؟

- غادرت قبل وقت الغداء. لم أرَ أي شرطة.

- لكن لا بد أنك سمعت بأمر السطو.

- لقد سمعت، لكن الأوان كان قد فات حينها. بعت ما عثرت عليه بالفعل إلى السيد وايتهيد، وربما باعه هو أيضًا. نظرت إلى نافذة المتجر، ولم يكن موجودًا هناك.

هز برينت كتفيه وتابع قائلًا:

- لم أقترف اي خطأ.

كان ذلك محل شك، لكن حتى تشاب تعين عليه الاعتراف بأن جريمة برينت كانت صغيرة للغاية، هذا إذا كان يقول الحقيقة. سأله تشاب:

- أين عثرت على مشبك الحزام؟

- كان على العشب، أمام المنزل.

ألقى تشاب نظرة سريعة نحو بوند، كما لو أنه يطلب منه الإرشاد. قال بوند:

- أعتقد أنه سيكون من المثير للاهتمام رؤية المكان المحدد.

وافقه تشاب، فغادر الأربعة معًا، وبرينت يجأر بالشكوى طوال الوقت وهم يعودون به إلى باي هول. مروا بالسيارة عبر الكوخ الخشبي مرة أخرى، وبدا أن تمثالَي الغرفين الكائنين هناك يتهامسان معًا. وللحظة، تذكر فريزر اللعبة التي لعباها معًا خلال الليل، الصبيان روبرت وتوم بلاكيستون، والكلمات المشفرة التي نقراها لبعضهما وهما في الفراش. خطر له فجأة أن اللعبة لها أهمية كان قد أغفلها، لكنهم وصلوا قبل أن يتمكن من ذكرها لبوند. دعاهم برينت إلى الوقوف، وتوقفوا في منتصف الطريق تقريبًا، قبالة البحيرة.

- كان هنا!

قادهم عبر العشب، وامتدت البحيرة أمامهم، رطبة ومزيتة، ووراءها الغابة. ربما كان السبب هو الحكاية التي قصها عليهم روبرت في وقت سابق، لكن كان بها شيء خبيث، لا جدال في ذلك. كلما ازدادت الشمس إشراقًا، ظهر الماء أكثر سوادًا. توقفوا على بعد خمس عشرة أو عشرين قدمًا من الحافة تقريبًا، وأشار برينت إلى الأسفل كما لو أنه يتذكر المكان بالضبط.

- كان هنا.

- ملقى هنا فحسب؟

بدا تشاب غير مقتنع.

- التمعت عليه الشمس، هكذا تمكنت من رؤيته.

فكر تشاب في الاحتمالات.

- حسنًا، أفترض أنه إذا حمل شخص ما كومة كاملة من هذه الأشياء، وإذا كان يسير على قدميه، وفي عجلة من أمره، فربما يكون قد أسقط قطعة من دون أن يلحظها.

- هذا محتمل.

شرع بوند بالفعل يدرس نواحي المكان. نظر إلى الوراء نحو الطريق، والكوخ الخشبي، والباب الأمامي، وتابع قائلًا:

- ومع ذلك، فالأمر غريب أيها المفتش. لماذا يسلك اللص هذا الطريق؟ هل اقتحم المنزل من الخلف؟

- هذا صحيح.

- إذن للوصول إلى البوابة، كان من الأسرع الاستمرار عبر الجانب الآخر من الطريق.

- ما لم يكونوا متجهين إلى دينجل ديل...

تفحص المفتش خط الأشجار، ومنزل الكاهن في مكان ما على الجانب الآخر من البحيرة، وواصل قائلًا:

- لا توجد فرصة لرؤيتهم، إذا خرجوا عبر الغابة.

وافقه بوند قائلًا:

- هذا صحيح. مع ذلك، سامحني أيها المفتش. أنت لص، تحمل قطعًا كثيرة من الحلي والعملات الفضية. هل سترغب في شق طريقك عبر غابة كثيفة في منتصف الليل؟

استقرت عيناه على السطح الأسود، وواصل قائلًا:

- هذه البحيرة تضم كثيرًا من الألغاز. أعتقد أن لديها مزيدًا من الحكايات لترويها، وأتساءل عما إذا كان بمقدورك ترتيب الأمر حتى يفتشها غواصون تابعون للشرطة. لديَّ شك، فكرة ما...

هز رأسه كما لو أنه يطرد الفكرة.

هز تشاب رأسه.

- غواصون؟ سيتكلف هذا مبلغًا كبيرًا من المال. ما الذي تأمل في العثور عليه تحديدًا؟

- السبب الحقيقي لتعرض باي هول للسطو في نفس مساء جنازة ماري بلاكيستون.

أومأ تشاب قائلًا:

- سأتولى الموضوع.

سأله برينت:

- هل تريد أي شيء آخر؟

- سأعطلك بضع دقائق إضافية فقط يا سيد برينت. أود أن ترينا الباب الذي كان مكسورًا عندما وقعت عملية السطو.

شعر برينت بالارتياح لأن التحقيق بدا كما لو أنه يبتعد عنه، وقال:

- نعم يا سيدي. يمكننا العبور من خلال حديقة الورد.

قال بوند:

- هناك سؤال آخر أود طرحه عليك.

في أثناء سيرهم، لاحظ فريزر أن المحقق يتكئ بشدة على عصاه. تابع بوند الحديث:

- حسب ما فهمت، فقد أوضح لك السير ماجنوس أنه يريد الاستغناء عن خدماتك.

جفل برينت كما لو أنه أصيب بلدغة، وقال:

- مَن أخبرك بذلك؟

- هل هذا صحيح؟

- أجل.

بات المسؤول عن الحدائق متجهمًا الآن، وبدا أن جسده كله قد انحنى، وشعره المجعد ينسدل على جبينه.

- لماذا لم تذكر لي هذا عندما التقينا؟

- أنت لم تسألني قَطُّ.

أومأ بوند برأسه. كان هذا عادلًا بما فيه الكفاية.

- لماذا طلب منك الرحيل؟

- لا أدري. لكنه دومًا ما كان ينتقدني. اعتادت السيدة بلاكيستون الشكوى مني. هذان الاثنان! كانا مثل... مثل بوب وجلاديس جروف.

سمعه فريزر وقال:

- إنه برنامج تلفزيوني. عائلة جروف.

كان هذا بالضبط نوع الأشياء التي قد يعرفها فريزر، ولا يعرفها بوند.

- متى أخبرك؟

- في يوم وفاة السير ماجنوس.

بعبارة أخرى، قبل وفاته مباشرة.

- لا بد أنه أعطاك سببًا.

- لم يعطِني أي سبب. لا يوجد سبب وجيه. ظللت آتي إلى هنا منذ صباي.

كان والدي هنا من قبلي. وقد خرج هو إلى هنا، وقال إن هذه هي نهاية الأمر فحسب.

وصلوا إلى حديقة الورد. كانت محاطة بجدار له مدخل عبارة عن تعريشة مشكَّلة من أوراق الأشجار الخضراء الداكنة. وراءها كان هناك ممر مرصوف بأحجار غير منتظمة، وتمثال لملاك طفل، وكل الوردات المختلفة، ومقعد.

وعلى المقعد، جلست فرانسيس باي وجاك دارتفورد، وأيديهما متشابكة، ويتبادلان قُبلة حارة.

٣

في الواقع، لم يُفاجأ أحد حقًا بدرجة كبيرة. بدا من الواضح بالنسبة إلى بوند - وحتى بالنسبة إلى فريزر - أن الليدي باي وشريكها السابق في لعب التنس كانا على علاقة غرامية. فما الذي كان يمكنهما فعله في لندن يوم جريمة القتل خلاف ذلك؟ كان تشاب أيضًا يعرف ذلك، وحتى الطرفان المذنبان بدا عليهما الانزعاج بدرجة طفيفة فحسب لضبطهما متلبسين. كان ذلك سيحدث عاجلًا أو آجلًا، فما المانع من حدوثه الآن؟ كانا لا يزالان على المقعد، جالسين متباعدين بدرجة صغيرة فقط، في مواجهة الرجال الثلاثة الواقفين أمامهما. صرفوا برينت في طريقه، وهو يبتسم ابتسامة ساخرة.

قال تشاب:

- أعتقد أنه يجب عليكِ توضيح موقفك يا ليدي باي.

أجابت ببرود:

- لا يوجد ما أوضحه، في الواقع. ألتقي أنا وجاك منذ عامين تقريبًا. ذلك اليوم في لندن... كنت برفقته طوال الوقت. لكن لم يكن هناك أي تسوق أو معارض فنية. بعد الغداء، حصلنا على غرفة في فندق دورشيستر. بقي معي

جاك حتى الخامسة والنصف تقريبًا. رحلت في الساعة السابعة. يمكنك أن تسألهم إذا كنت لا تصدقني.

- لقد كذبت عليَّ يا ليدي باي.

- كان هذا خطأً مني، أيها المفتش، وأنا آسفة. لكن الحقيقة أن هذا لا يشكِّل أي فرق، أليس كذلك؟ كانت بقية قصتي حقيقية: العودة إلى المنزل على متن القطار، والوصول في الساعة التاسعة والثلث، ورؤية السيارة الخضراء. هذه هي النقاط البارزة.

- لقد مات زوجك، وكنتِ تخدعينه. سأقول إن هذه أيضًا نقاط بارزة، يا ليدي باي.

تدخل جاك دارتفورد قائلًا:

- لم يكن الأمر على هذا النحو. لم تكن تخدعه. لم أرَ الأمر هكذا، على أي حال. ليست لديك أدنى فكرة كيف كانت طبيعة ماجنوس. كان الرجل وحشًا. كانت طريقة معاملته لها وغضبه الطفولي أمرين مقززين للغاية. وقد تخلت عن مستقبلها المهني من أجله!

سأل بوند:

- ماذا كان ذلك المستقبل المهني؟

- في المسرح! كانت فرانسيس ممثلة بارعة. رأيتها على المسرح قبل فترة طويلة من لقائها.

قاطعته فرانسيس:

- هذا يكفي يا جاك.

سأل تشاب:

- هل هذا حيث التقى بك زوجك؟ في المسرح؟

- لقد أرسل زهورًا إلى غرفة ملابسي. شاهدني في دور الليدي ماكبث.

حتى تشاب كان يعرف هذا العمل: مسرحية تقنع فيها امرأة قوية رجلًا بارتكاب جريمة قتل. سألها:

- هل نعمتما بالسعادة معًا؟

هزت رأسها قائلة:

- عرفت سريعًا أنني ارتكبت خطأً، لكنني كنت أصغر سنًا حينذاك، وأعتقد أنني كنت أكثر كبرًا من الاعتراف بذلك. المشكلة في ماجنوس أنه لم يكن يكفيه الزواج بي، بل كان عليه أن يتملكني. سرعان ما أوضح ذلك. كان الأمر كما لو أنني جزء من الصفقة: المنزل، والأراضي المحيطة به، والغابة، والزوجة. كان رجعيًا بشدة، في طريقة نظرته إلى العالم.

- هل تعامل معكِ بعنف؟

- لم يضربني في الواقع قَطُّ، أيها المفتش، لكن العنف يمكن أن يتخذ أشكالًا عديدة. كان صاخبًا، وبوسعه أن يكون مصدر تهديد. كانت لديه طريقة في التحرك بعنف، جعلتني أشعر بالخوف في كثير من الأحيان.

أصر دارتفورد قائلًا:

- أخبريهم عن السيف!

- أوه يا جاك!

سأل تشاب:

- ماذا حدث مع السيف يا ليدي باي؟

- كان مجرد شيء حدث قبل يومين من ذهابي للقاء جاك. يجب أن تفهم أن وراء كل هذا، كان ماجنوس مجرد طفل كبير. إذا طلبت رأيي، فإن موضوع دينجل ديل هذا برمته كان يتعلق بإزعاج الناس أكثر مما كان في الواقع وسيلة لكسب المال. كان يعاني نوبات الغضب، وإذا لم يحصل على ما يريد، فكان يمكنه أن يصير بغيضًا للغاية.

تنهدت وواصلت قائلة:

- كان يعرف جيدًا أنني أقابل شخصًا آخر: كل تلك الرحلات إلى لندن. كما كنا ننام منفصلين، بالطبع. لم يعد يرغب فيَّ، ليس بالطريقة التي يرغب بها الزوج زوجته، لكن كبرياءه انجرحت من كوني ربما أكون عثرت على شخص آخر.

تشاجرنا في ذلك الصباح. لا أستطيع حتى أن أتذكر ما الذي أثار الأمر. لكن بعد ذلك، بدأ بالصراخ في وجهي: كيف أنني ملكه، ولن يسمح لي بالرحيل أبدًا. سمعت كل ذلك من قبل، لكنه في هذه المرة كان أكثر جنونًا من أي وقت مضى. لاحظتَ أن هناك لوحة مفقودة في القاعة الكبرى. كانت صورة لي، طلب رسمها كهدية لي في عيد ميلادي الأربعين. في الواقع، رسمها آرثر ريدوينج.

التفتت نحو بوند وقالت:

- هل قابلته؟

- هل هو زوج الطبيبة؟

- أجل.

- رأيت عملًا آخر له، لكننا لم نلتقِ بعد.

- حسنًا، أعتقد أنه موهوب جدًا. وقد أحببت اللوحة التي رسمها لي. لقد تمكن في الواقع من التقاط لحظة من السعادة الحقيقية، وأنا واقفة في الحديقة بالقرب من البحيرة، وأستطيع أن أؤكد لك أن هذا شيء نادر للغاية. كان صيفًا رائعًا في ذلك العام. رسم آرثر اللوحة على مدى أربع أو خمس جلسات، وعلى الرغم من أن ماجنوس لم يدفع له أي شيء مقابل ذلك تقريبًا - كان البخل الشديد طبعًا مألوفًا بالنسبة إليه - لكنني أعتقد أنها كانت رائعة جدًا. تحدثنا عن تقديمها إلى المعرض الصيفي، كما تعلم، في الأكاديمية الملكية. لكن ماجنوس رفض عرض صورتي. سيعني ذلك مشاركتي مع الآخرين! لذا ظلت على الجدار في القاعة الرئيسية.

ثم خضنا ذلك الشجار، وسأعترف بأنني أستطيع أن أكون بغيضة للغاية عندما أشاء، وقد صارحته ببعض الحقائق القاسية بكل تأكيد. تخضب وجه ماجنوس بشدة، كما لو أنه على وشك الانفجار. لطالما عانى المشكلات فيما يتعلق بضغط دمه. كان يفرط في تناول الشراب، ويستثير نفسه

بسهولة شديدة، حتى يصاب بنوبات الغضب هذه. أخبرته بأنني ذاهبة إلى لندن، ورفض منحي الإذن. ضحكت منه، وأخبرته بأنني لست بحاجة إلى إذنه، أو إذن أي شخص آخر. فجأة، توجه إلى تلك البدلة المدرعة الغبية، وسحب السيف بصرخة عظيمة...

- السيف نفسه الذي قُتل به لاحقًا؟

- أجل يا سيد بوند. اقترب مني، ساحبًا إياه خلفه، وللحظة ظننت أنه سيهاجمني به. لكن بدلًا من ذلك، أداره فجأة نحو اللوحة، وطعنها مرارًا وتكرارًا أمام عينَي. كان يعلم أن فقدانها سيؤلمني. وفي الوقت نفسه، كان يخبرني بأنني ملك له، وأنه يستطيع فعل الشيء نفسه معي في أي وقت.

- ماذا حدث بعد ذلك يا ليدي باي؟

- واصلت الضحك فحسب. هل هذا أقصى ما يمكنك فعله؟ أتذكر أنني صرخت في وجهه بهذه الكلمات. أعتقد أنني كنت في حالة هستيرية بعض الشيء. ثم صعدت إلى غرفتي، وصفقت الباب.

- واللوحة؟

- حزنت لذلك. لم يكن من الممكن إصلاحها. أو ربما كان يمكن ذلك، لكن التكلفة كانت ستصير باهظة للغاية. أعطاها ماجنوس لبرينت كي يلقي بها في النار.

صمتت عن الكلام.

تمتم جاك دارتفورد فجأة:

- أنا سعيد لأنه مات. كان وغدًا تمامًا. لم يعامل أي شخص بلطف قَطُّ، وجعل حياة فرانسيس بائسة. كنت سأقتله بنفسي، إذا امتلكت الجرأة. لكنه رحل الآن، ويمكننا أن نبدأ من جديد.

مد يده وأخذ يدها وتابع قائلًا:

- لا مزيد من الاختباء، ولا مزيد من الكذب. يمكننا أن ننعم أخيرًا بالحياة التي نستحقها.

أومأ بوند برأسه إلى تشاب، وابتعد ثلاثتهم عن حديقة الورد، وعادوا عبر العشب. لم يكن هناك اي أثر لبرينت. ظل جاك دارتفورد والليدي باي في مكانهما. قال فريزر:

- اتساءل اين كان ليلة وقوع الجريمة.

- هل تشير إلى السيد دارتفورد؟

- لا نملك دليلًا على أنه بقي في لندن، سوى كلامه فحسب. غادر الفندق في الساعة الخامسة والنصف. من شأن هذا أن يمنحه متسعًا من الوقت للحاق بالقطار قبل الليدي باي. إنها مجرد فكرة...

- هل تعتقد أنه قادر على القتل؟

- أعتقد أنه انتهازي. يمكنك معرفة ذلك بمجرد النظر إليه. لقد صادف امرأة جذابة يسيء زوجها معاملتها، ويبدو لي أنه إذا كنت ستقطع رأس شخص ما، فلا بد أن يكون هناك سبب أفضل من إنقاذ غابة محلية، وهذان الاثنان لديهما سبب أفضل من أي شخص آخر.

وافق بوند قائلًا:

- هناك شيء من الحقيقة فيما تقوله.

كانت سيارتهم متوقفة على بعد مسافة قصيرة من مقدمة المنزل، وتحركوا نحوها ببطء. لاحظ تشاب أيضًا أن بوند يتكئ على عصاه بقوة أكثر. اعتقد فيما مضى أن المحقق يحملها كإكسسوار مكمل للأزياء، لكن بدا من الواضح اليوم أنه بحاجة إليها.

تمتم قائلًا:

- هناك شيء نسيت أن أخبرك به يا سيد بوند.

كانت هذه المرة الأولى التي يصيران فيها بمفردهما منذ المقابلة مع روبرت بلاكيستون مساء اليوم السابق.

- سأهتم بسماع أي شيء تريد قوله أيها المفتش.

- هل تذكر قصاصة الورق التي عثرنا عليها في المدفأة في غرفة مكتب السير ماجنوس؟ اعتقدت أنه ربما تكون عليها بصمة جزئية.

- أتذكر ذلك جيدًا.

- كانت هناك بصمة. الخبر السيئ هو أنه لم يتبقَّ منها ما يكفي ليكون مفيدًا لنا. من المؤكد أنه لا يمكن تعقبها، وعلى الأرجح لن نتمكن حتى من مطابقتها مع أيٍّ من المشتبه فيهم المعروفين لدينا.

- هذا مؤسف.

- مع ذلك، فهناك شيء ما. اتضح أن الورقة نفسها ملطخة بالدماء. فصيلة دم السير ماجنوس نفسها، إذا كانت لذلك أي قيمة، على الرغم من أننا لا نستطيع التأكد بنسبة مائة في المائة أنها دماؤه.

- هذا ذو أهمية كبيرة.

- هذا بمثابة صداع شديد، في رأيي. ما علاقة كل هذا ببعضه؟ لدينا ظرف مكتوب بخط اليد، وتهديد بالقتل مكتوب على الآلة الكاتبة. من الواضح أن قصاصة الورق هذه لا تنتمي إلى أيٍّ منهما، وليست لدينا طريقة لمعرفة المدة التي قضتها بالفعل في حاجز المدفأة الحديدي. يوحي الدم بأنها أُلقيت في المدفأة بعد جريمة القتل.

- لكن من أين أتت في المقام الأول؟

- بالضبط. على أي حال، إلى أين تريد الذهاب بعد ذلك؟

- كنت آمل أن تخبرني أنت أيها المفتش.

- في الواقع، كنت على وشك تقديم اقتراح. تلقيت مكالمة هاتفية مثيرة للاهتمام للغاية من الدكتورة ريدوينج، قبل أن أغادر المكتب في الليلة الماضية. هل علمت أن والدها تُوفي؟ لأسباب طبيعية، مما يمثل تغييرًا لطيفًا. حسنًا، يبدو أنه كانت لديه بعض الحكايات ليرويها، وأعتقد في الواقع أننا بحاجة إلى التحدث مع كلاريسا باي.

٤

دخلت كلاريسا باي غرفة المعيشة حاملة صينية عليها ثلاثة أكواب من الشاي، وبعض البسكويت المرتب بدقة فوق صحن، كما لو أن التناسق سيجعله مرغوبًا فيه أكثر بطريقة ما. بدت الغرفة صغيرة للغاية مع وجود كل هذا العدد من الناس بها. جلس أتيكوس بوند ومساعده متجاورين على الأريكة المصنوعة من الجلد الصناعي، وركبتاهما تكادان تتلامسان. احتل مفتش المباحث القادم من باث ذو الوجه المستدير المقعد المقابل. أحست بالجدران وهي تطوقهم. لكن منذ أن أعلمتها الدكتورة ريدوينج بالخبر، لم يعد المنزل كما هو. لم يكن منزلها، ولم تكن هذه حياتها. كان الأمر كما لو استُبدل شخص آخر بها في واحدة من تلك الروايات الفيكتورية التي طالما استمتعت بها.

بدا صوتها وقورًا بعض الشيء، وشرعت قائلة:

- أعتقد أنه من المفهوم أن تخبرك الدكتورة ريدوينج بما قاله والدها، على الرغم من أنه ربما كان يمكنها مراعاتي وإبلاغي أنها ستجري تلك المكالمة.

قال تشاب:

- أنا متأكد أنها ظنت أن تصرفها من أجل الصالح يا آنسة باي.

- حسنًا، أعتقد أنه كان من الصواب إبلاغ الشرطة بذلك. في النهاية، وبصرف النظر عما قد يكون رأيك في الدكتور رينارد، فقد ارتكب جريمة.

وضعت الصينية، وتابعت الحديث:

- لقد كذب في شهادة الميلاد. أشرف على ولادة كلينا، لكنني كنت الأولى. يجب حقًّا أن يُحاكم.

- لقد رحل إلى مكان ما بعيدًا عن متناول القانون.

- متناول القانون البشري، بكل تأكيد.

علق بوند قائلًا بلطف:

- لم يسنح لكِ سوى القليل جدًا من الوقت لاعتياد كل هذا.

- أجل، عرفت بالأمس فقط.
- أتصور أن الأمر كان بمنزلة صدمة تامة لكِ.
- صدمة؟ لست متأكدة تمامًا ما إذا كانت هذه هي الكلمة التي سأستخدمها يا سيد بوند. إنه أشبه بالزلزال. أتذكر إدجار رينارد جيدًا للغاية. كان محبوبًا جدًا في القرية، وكثيرًا ما كان يأتي إلى المنزل في أثناء نشأتي أنا وماجنوس. لم يترك لديَّ انطباعًا قَطُّ أنه رجل شرير، ومع ذلك فإن ما فعله شنيع للغاية. سلبتني كذبته حياتي بأكملها. وماجنوس! أتساءل عما إذا كان يعلم بذلك؟ لطالما عاملني بتعالٍ، كما لو أن هناك نكتة رائعة، وأنا الوحيدة التي ليست على دراية بها. لقد طردني من منزلي، كما تعلم. اضطررت إلى إعالة نفسي في لندن ثم في أمريكا. وطوال الوقت، لم تكن هناك حاجة إلى ذلك.

تنهدت وقالت:

- لقد تعرضت للخداع بشدة.
- ماذا ستفعلين؟
- سأطالب بما هو ملكي. لمَ لا؟ لديَّ الحق في ذلك.

بدا على المفتش تشاب عدم الارتياح، وقال:

- قد لا يكون هذا بالسهولة التي تعتقدينها يا آنسة باي. حسب ما فهمت، كانت الدكتورة ريدوينج بمفردها في الغرفة حينما أخبرها والدها بما فعله. لم يكن هناك شهود على المحادثة. أعتقد أن هناك دومًا احتمالًا بأن تعثري على شيء في أوراقه. ربما يكون قد دوَّن شيئًا ما. لكن في الوقت الحالي، ستكون كلمتك فقط.
- ربما أخبر شخصًا آخر.

تدخل بوند قائلًا:

- من شبه المؤكد أنه أخبر السير ماجنوس.

التفت إلى مفتش المباحث وواصل الحديث:

- أنت تتذكر المفكرة التي وجدناها على مكتبه، في اليوم التالي لمقتله.

آشتون هـ، م و، فتاة. كل شيء واضح الآن. لقد تلقى المكالمة من آشتون هاوس. عرف إدجار رينارد أنه يُحتضر، وبدافع من الشعور بالذنب، اتصل بالسير ماجنوس ليوضح أنه عندما أشرف على ولادة التوأمين، كان المولود الأول في الواقع فتاة. احتوت المفكرة أيضًا على عدد من الأشياء المشطوبة. من الواضح أن السير ماجنوس انزعج مما سمعه.

قالت كلاريسا، وهناك غضب حقيقي في صوتها:

- حسنًا، يمكن أن يفسر هذا شيئًا ما. لقد جاء إلى هذا المنزل، وجلس حيث تجلسون الآن، في نفس يوم وفاته، وعرض عليَّ وظيفة في باي هول! أرادني أن أنتقل إلى الكوخ الخشبي، وأتولى العمل مكان ماري بلاكيستون. هل يمكنكم تخيل ذلك! ربما خشي أن الحقيقة على وشك الظهور. ربما أراد السيطرة عليَّ في الواقع. لو كنت قد انتقلت للإقامة هناك، ربما قُطع رأسي أنا من فوق كتفَي.

قال تشاب:

- أتمنى لك التوفيق يا آنسة باي. من الواضح أنه ارتُكِب ظلم فادح، وإذا تمكنت من العثور على أي شهود آخرين، فسوف يساعد ذلك قضيتك بكل تأكيد. لكن إذا لم يزعجك ذلك، فسأقدم لك هذه النصيحة. قد يكون من الأفضل لكِ قبول الوضع كما هو فحسب. لديك هنا منزل لطيف بما يكفي. أنت معروفة، وتحظين بالاحترام في القرية. هذا ليس من شأني، لكن في بعض الأحيان يمكنك قضاء الكثير جدًا من الوقت في مطاردة شيء ما، حتى تفقدي كل شيء آخر خلال فعل ذلك.

بدت الحيرة على كلاريسا باي.

- شكرًا لك على نصيحتك أيها المفتش تشاب. ومع ذلك، فقد افترضت أن سبب هذه الزيارة هو أنك أتيت لمساعدتي. ارتكب الدكتور رينارد جريمة، وليس لدينا سوى كلام ابنته فقط بأنه في الواقع لم يتقاضَ أجرًا مقابل جهده. على أي حال، افترض أنها مسألة قد ترغب في التحقيق فيها.

- يجب أن أكون صادقًا. لم يخطر ذلك على بالي في الواقع.
انزعج تشاب فجأة، والتفت إلى بوند بحثًا عن المساعدة.
قال بوند:
- يجب أن تتذكري أن هناك حالتَي وفاة لم تُفسرا قد وقعتا في القرية يا آنسة باي. أتفهم رغبتك في أن تحقق الشرطة في الأحداث التي وقعت وقت ولادتك، ومع ذلك فنحن هنا بشأن مسألة أخرى. لا أريد أن أزعجك أكثر في وقت يبدو من الواضح أنه صعب بالنسبة إليك، لكن أخشى أنه يتعين عليَّ أن أطرح عليك سؤالًا يتعلق بحالتَي الوفاة: السير ماجنوس، وماري بلاكيستون. يتعلق الأمر بقنينة سائل فُقدت من عيادة الدكتورة ريدوينج مؤخرًا. احتوت القنينة على سم الفيسوستجمين. هل تعرفين أي شيء بخصوص ذلك؟

مرت على وجه كلاريسا باي مجموعة من المشاعر، وقد ارتسم كل واحد منها بوضوح تام، إلى درجة أنه كان من الممكن تعليقها معًا كسلسلة من اللوحات. في البداية، صُدمت. كان السؤال غير متوقع تمامًا. كيف يمكن أن يكونوا قد عرفوا؟ ثم ظهر الخوف. هل ستكون هناك عواقب؟ ثم أتى الغضب، الذي ربما كان مصطنعًا. غضبت لاشتباههم فيها في مثل ذلك الشيء! وأخيرًا، وكل ذلك في جزء من الثانية، جاء القبول والاستسلام. حدث الكثير بالفعل، ولا جدوى من إنكار الأمر. قالت:
- أجل، لقد أخذتها.
- لماذا؟
- كيف عرفت أنني المسؤولة؟ إذا كنت لا تمانع سؤالي...
- رأتك ماري بلاكيستون وأنت تغادرين العيادة.
أومأت كلاريسا قائلة:
- أجل، شاهدتها تراقبني. كانت ماري تتمتع بقدرة استثنائية على الوجود في المكان الخطأ، في الوقت الخطأ. لا أدري كيف تمكنت من ذلك.

توقفت للحظة، ثم تابعت الحديث:

- مَن أيضًا يعرف؟

- كان لديها دفتر يوميات، يحتفظ به المفتش تشاب في حوزته. على حد علمنا، لم تخبر أحدًا آخر.

جعل هذا الأمور أسهل. قالت:

- أخذته من دون سابق تفكير. تصادف أن وجدت نفسي في العيادة بمفردي، ورأيت الفيسوستجمين على الرف. عرفت ماهيته بالتحديد. تلقيت بعض التدريب الطبي قبل الذهاب إلى أمريكا.

- لماذا أردتِه؟

- يخجلني إخبارك يا سيد بوند. أعرف أنه كان خطأً مني، وربما أكون قد فقدت عقلي بعض الشيء. لكن في ضوء ما قلناه للتو، فسوف تتفهم أنت دونًا عن الآخرين أن القليل جدًا في حياتي سار على النحو الذي أردته. الأمر ليس ماجنوس والمنزل فقط. لم أتزوج على الإطلاق، ولم أحظَ بأي حب حقيقي، ولا حتى في شبابي. أوه، أجل، لديَّ الكنيسة ولديَّ القرية، لكن مرت أوقات وجدت نفسي أطالع فيها المرآة وتساءلت، ما الهدف؟ ما الذي أفعله هنا؟ لماذا حتى أرغب في الاستمرار؟

الكتاب المقدس واضح جدًا فيما يتعلق بالانتحار. إنه المعادل الأخلاقي للقتل. «الرب أعطى والرب أخذ، فليكن اسم الرب مباركًا». هذا من سفر أيوب. ليس لدينا الحق في أن نأخذ مقاليد الأمور بأيدينا.

توقفت، وظهر الجمود في عينيها فجأة، ثم تابعت قائلة:

- لكن مرت أوقات غمرتني خلالها الظلال بدرجة كبيرة، ونظرت في وادي الموت وتمنيت... وتمنيت أن أتمكن من الدخول. كيف كان الوضع برأيك بالنسبة إليَّ وأنا أشاهد ماجنوس وفرانسيس وفريدي؟ كنت أعيش في ذلك المنزل! كل تلك الثروة والراحة كانتا لي ذات يوم! فلتنسَ حقيقة أنهما في الواقع قد سُرقتا مني، ما كان يجب عليَّ العودة إلى ساكسبي أون أيفون على

الإطلاق! كان جنونًا مني أن أذل نفسي بالعودة إلى مائدة الإمبراطور. لذا فإن الجواب هو: نعم، فكرت في قتل نفسي. أخذت الفيسوستجمين لأنني كنت أعرف أنه سيؤدي المهمة سريعًا ومن دون ألم.

- أين هو الآن؟

- في الطابق العلوي، في الحمَّام.

- أخشى أن عليَّ أن أطلب منك أن تعطيني إياه.

- حسنًا، أنا لست بحاجة إليه الآن بالتأكيد يا سيد بوند.

نطقت الكلمات بخفة، وفي عينيها لمعة تقريبًا. واصلت قائلة:

- هل ستقاضيني بتهمة السرقة؟

قال تشاب:

- لن تكون هناك حاجة إلى ذلك يا آنسة باي. سنتأكد فقط من إعادته إلى الدكتورة ريدوينج.

رحلوا بعد بضع دقائق، وأغلقت كلاريسا باي الباب الأمامي، وهي سعيدة لكونها بمفردها. وقفت ساكنة تمامًا، وصدرها يرتفع وينخفض، وهي تفكر فيما قيل للتو. لم تكن هناك أهمية لمسألة السُم. لم يعد ذلك مهمًا الآن. لكن من الغريب أن مثل تلك السرقة الصغيرة أحضرتهم إلى هنا، في حين سُرق منها الكثير للغاية. هل ستتمكن من إثبات أن باي هول ملك لها؟ ماذا لو فرض أن مفتش المباحث كان على حق؟ كل ما لديها هو كلمات رجل مريض يُحتضر، من دون وجود شهود في الغرفة، ومن دون دليل أنه كان عاقلًا بالفعل حينما تفوَّه بها. قضية قانونية تتوقف على اثنتي عشرة دقيقة مرت منذ أكثر من خمسين عامًا.

من أين يمكنها أن تبدأ؟

وهل تريد ذلك بالفعل؟

كان الأمر في غاية الغرابة، لكن كلاريسا أحست فجأة كما لو أن ثقلًا قد رُفع عن كاهلها. كانت حقيقة أن بوند أخذ السُم معه جزءًا من الأمر بكل تأكيد. أثقل الفيسوستجمين ضميرها لأسباب عدة، وعرفت منذ البداية أنها ندمت لأخذه.

لكن كان هناك ما هو أكثر من ذلك. تذكرت ما قاله تشاب. قد يكون من الأفضل لكِ قبول الوضع كما هو فحسب. لديك هنا منزل لطيف بما يكفي. أنت معروفة، وتحظين بالاحترام في القرية.

كانت تحظى بالاحترام بالفعل. هذا صحيح. كانت لا تزال مُدرِّسة ذات شعبية في مدرسة القرية. دومًا ما كان كشكها يحقق أكبر قدر من الأرباح في مهرجان القرية. أحب الجميع تنسيقها للزهور في قداس الأحد، وفي الواقع، كثيرًا ما قال روبن أوسبورن إنه لا يعرف كيف سيتصرف من دونها. هل يمكن ربما وقد عرفت الحقيقة الآن، أن باي هول لم يعد يمتلك القدرة على إخافتها؟ كان ملكًا لها، ولطالما كان كذلك. وفي النهاية، لم يكن ماجنوس هو من سرقه منها، ولم يكن القدر. بل كان والدها، الرجل الذي تذكرته دائمًا بمحبة، لكن تبين أنه رجعي، ومتوحش! هل تريد قتاله حقًا، وإعادته إلى حياتها، بعد مضي كل هذا الوقت على وفاته؟

لا.

يمكنها التسامي فوق ذلك. قد تزور فرانسيس وفريدي في باي هول، وستكون هي من يعرف هذه المرة، وسيكونان هما محل السخرية.

دخلت المطبخ بما يقارب الابتسامة. كانت هناك كفتة سلمون معلب، وبعض الفاكهة المطهية في الثلاجة. ستلائمان الغداء بصورة جيدة للغاية.

٥

قالت إميليا ريدوينج:

- اعتقد أنها تقبلت الأمر بصورة جيدة للغاية. لم نكن متأكدين حتى في البداية ما إذا كان علينا إخبارها. لكنني سعيدة الآن لأننا فعلنا.

أومأ بوند برأسه. جاء هو وفريزر إلى هنا بمفردهما، بعد أن عاد المفتش تشاب إلى باي هول لمقابلة الغواصين التابعين للشرطة اللذين استُدعيا من

بريستول، أقرب مدينة لديها مثل هذا المورد. سيتفحصان البحيرة في ذلك اليوم نفسه، على الرغم من أن بوند كانت لديه بالفعل فكرة جيدة عما سيعثران عليه. جلس في المكتب الخاص بالطبيبة، وكان آرثر ريدوينج حاضرًا أيضًا. بدا عليه عدم الارتياح، كما لو أنه يفضِّل أن يكون في أي مكان آخر.

وافق بوند قائلًا:

- أجل، إن الآنسة باي بالتأكيد شخص مثير للإعجاب.

سأل آرثر ريدوينج:

- إذن كيف تسير عملية التحقيق؟

كانت هذه هي المرة الأولى التي التقى فيها بوند بزوج الدكتورة ريدوينج، الرجل الذي رسم لوحة فرانسيس باي، ومن الواضح تمامًا أنه رسم أيضًا لوحة الفتى الشاب المعلقة على الحائط خلفه الآن. لا بد أن الفتى ابنه. كان له نفس المظهر الوسيم بسماره، والملامح الإنجليزية تمامًا، المغضنة بعض الشيء. ومع ذلك، كانا على خلاف. ثارت بينهما بعض المتاعب. لطالما كان بوند مهتمًا بالعلاقة الفريدة الموجودة بين الرسَّام والشخص الذي يرسمه، وكيف أنه لا يمكن أن تكون هناك أسرار على الإطلاق. كان ذلك صحيحًا هنا. طريقة رسم الصبي، بوقفته، واللامبالاة الظاهرة في كتفيه المستندتين إلى الحائط، وإحدى ركبتيه مثنية، ويداه في جيبيه... أوحى كل هذا بالحميمية، بل والحب. لكن آرثر ريدوينج التقط أيضًا شيئًا مظلمًا ومريبًا في عينَي الصبي. أراد أن يكون بعيدًا.

سأل:

- هل هذا ابنك؟

أجاب آرثر:

- أجل، سيباستيان. إنه في لندن.

احتوت الكلمات الثلاث بطريقة ما على خيبة أمل عمر بأكمله.

أضافت إميليا ريدوينج قائلة:

- أخشى أننا لا نراه كثيرًا. رسم آرثر تلك اللوحة عندما كان سيباستيان في الخامسة عشرة من عمره.

قال فريزر:

- إنها جيدة جدًا.

حينما يتعلق الأمر بالفن، كان هو الخبير، وليس بوند، وأسعده كونه محط الانتباه للحظة. واصل قائلًا:

- هل تعرض أعمالك؟

تمتم آرثر:

- أود أن...

قاطعته إميليا ريدوينج قائلة:

- كنت على وشك إخبارنا عن التحقيق.

ابتسم بوند قائلًا:

- نعم، بالتأكيد يا دكتورة ريدوينج. لقد أوشك أن يكتمل تمامًا. لا أتوقع قضاء أكثر من ليلتين إضافيتين في ساكسبي أون أيفون.

أصاخ فريزر أذنيه عندما سمع ذلك. لم تكن لديه أدنى فكرة أن بوند اقترب إلى هذا الحد، وتساءل عمن قال ماذا، ومتى، ليمنحه هذا التقدم المهم. تحمس لسماع حل الجريمة، كما أنه لن يأسف أيضًا للعودة إلى الراحة في تانر كورت.

- هل تعرف مَن قتل السير ماجنوس؟

- قد يمكنك القول إن لديَّ نظرية. هناك قطعتان فقط ناقصتان من الأحجية، بمجرد العثور عليهما، ستؤكدان ظنوني.

- وما هما، إذا كنت لا تمانع في أن نسأل؟

أصبح آرثر ريدوينج مفعمًا بالحيوية فجأة.

- ليس لديَّ مانع في أن تسأل على الإطلاق يا سيد ريدوينج. أولاهما تحدث في الوقت نفسه الذي نتحدث فيه تقريبًا. تحت إشراف المفتش تشاب، يعمل اثنان من غواصي الشرطة على تمشيط البحيرة في باي هول.

- ما الذي تتوقع أن يعثرا عليه؟ جثة أخرى؟

- آمل ألا يكون شيئًا مشؤومًا إلى هذا الحد.

بدا من الواضح أنه لن يسهب في الحديث أكثر من ذلك. سألت الدكتورة ريدوينج:

- ماذا عن القطعة الأخرى من الأحجية؟

- هناك شخص أريد التحدث إليه. قد لا يعرف ذلك، لكنني أعتقد أنه يحمل مفتاح كل ما حدث هنا في ساكسبي أون أيفون.

- ومَن يكون؟

- أنا أشير إلى ماثيو بلاكيستون. كان زوج ماري بلاكيستون، وبالطبع والد الابنين، روبرت وتوم.

- هل تبحث عنه الآن؟

- طلبت من المفتش تشاب إجراء بعض الاستفسارات.

بدت الدكتورة ريدوينج كما لو أنها مستمتعة تقريبًا، وقالت:

- لكنك تعلم أنه كان هنا! لقد رأيته بنفسي في القرية. حضر جنازة زوجته.

- لم يخبرني روبرت بلاكيستون بذلك.

- ربما لم يرَه. لم أتعرَّف عليه في البداية. كان يعتمر قبعة، أبقاها منخفضة للغاية على وجهه. لم يتحدث إلى أي شخص، وظل في المؤخرة تمامًا. كما أنه غادر أيضًا قبل النهاية.

- هل أخبرت أي شخص بهذا؟

بدت الدكتورة ريدوينج مندهشة من السؤال، وقالت:

- حسنًا، لا. بدا من الطبيعي تمامًا أن يكون هناك. ظل هو وماري بلاكيستون متزوجين فترة طويلة، ولم تكن الكراهية هي ما فرقت بينهما، بل الحزن. لقد فقدا طفلًا. شعرت بالأسف بعض الشيء أنه اختار ألا يتحدث إلى روبرت. وكانت بوسعه مقابلة جوي في أثناء وجوده هناك. إنه أمر مؤسف للغاية حقًّا. كان من الممكن لموت ماري أن يجمع بينهما بكل سهولة.

صاح آرثر ريدوينج:

- ربما يكون هو مَن قتلها!

التفت إلى بوند وتابع قائلًا:

- ألهذا ترغب في رؤيته؟ هل هو مشتبه فيه؟

أجاب بوند بدبلوماسية:

- من المستحيل قول ذلك، حتى أتحدث إليه. حتى الآن، لم يتمكن المفتش تشاب من تحديد مكانه.

قالت الدكتورة ريدوينج:

- إنه في كارديف.

فوجئ بوند هذه المرة.

- ليس لديَّ عنوانه، لكن يمكنني مساعدتك كي تعثر عليه بسهولة. تلقيت رسالة قبل بضعة أشهر، من ممارس عام في كارديف. كان الأمر روتينيًا تمامًا. أراد بعض الملاحظات بخصوص إصابة قديمة تعرض لها أحد مرضاه. كان ماثيو بلاكيستون. أرسلت إليه ما أراد، ونسيت كل شيء عن الموضوع.

- هل تذكرين اسم الممارس العام؟

- بالطبع. إنه محفوظ في الملف. سأجلبه لك.

لكن قبل أن تتمكن من التحرك، ظهرت امرأة فجأة، وفتحت لنفسها الباب، ودخلت العيادة من الباب الرئيسي. كان باب مكتب الدكتورة ريدوينج مفتوحًا، ورأوها جميعًا: امرأة في الأربعينيات من عمرها، تفتقر إلى الجمال، ولها وجه مستدير. كان اسمها ديانا ويفر، وقد جاءت إلى العيادة لتنظيفها كما تفعل كل يوم. كان بوند يعرف موعد وصولها بالضبط. في الواقع، كان قد أتى لرؤيتها هي.

من جانبها، فوجئت بوجود شخص هنا في وقت متأخر جدًا من اليوم. نادت قائلة:

- أوه، أنا آسفة يا دكتورة ريدوينج! هل تريدين مني العودة غدًا؟

- لا، من فضلك ادخلي يا سيدة ويفر.

ولجت المرأة المكتب الخاص. نهض أتيكوس بوند واقفًا، وعرض عليها مقعده، فجلست وهي تنظر حولها بتوتر. شرع قائلًا:

- سيدة ويفر، اسمحي لي بأن أُقدِّم نفسي...

قاطعته قائلة:

- أنا أعرف مَن تكون.

- إذن ستعرفين لماذا أرغب في التحدث إليك.

توقف عن الحديث. لم تكن لديه رغبة في إزعاج هذه المرأة، ومع هذا كان لا بد من فعل ذلك. واصل الحديث:

- في يوم وفاته، تلقى السير ماجنوس رسالة تتعلق بالمنازل الجديدة التي اعتزم بناءها. كان هذا من شأنه أن يتسبب في تدمير دينجل ديل. أتساءل ما إذا كان يمكنك إخباري، هل كتبت تلك الرسالة؟

لم تقل شيئًا، لذا تابع قائلًا:

- اكتشفت أن الرسالة كُتبت على الآلة الكاتبة الموجودة في هذه العيادة، وأن ثلاثة أشخاص فقط يمكن أن يكونوا قد وصلوا إليها: جوي ساندرلنج، والدكتورة ريدوينج، وأنتِ.

ابتسم وواصل الحديث:

- يجب أن أضيف أنه ليس هناك ما تقلقين بشأنه. لا يعتبر إرسال خطاب احتجاج جريمة، حتى لو كانت اللغة متطرفة إلى حدٍ ما. كما لا أشك دقيقة واحدة في أنك نفذت التهديدات الموجهة في تلك الرسالة. أريد ببساطة أن أعرف كيف وصلتِ هناك، ولهذا أسألك مرة أخرى. هل كتبتِها؟

أومأت السيدة ويفر برأسها. تجمعت الدموع في عينيها، وقالت:

- أجل يا سيدي.

- شكرًا لكِ. أستطيع أن أتفهم أنك شعرت بالاستياء بخصوص خسارة الغابة، وهذا مبرر تمامًا.

- كرهنا فقط رؤية القرية وهي تُدمر من دون سبب وجيه. تحدثت مع زوجي

ووالده بخصوص ذلك. لقد قضيا حياتهما بأكملها في ساكسبي، كما فعلنا جميعًا. وهي مكان خاص جدًا. لسنا بحاجة إلى منازل جديدة هنا. لا داعي لها. والغابة! إذا بدأت هناك، أين سينتهي الأمر؟ انظر إلى تابوري وماركت بيسنج: الطرق، وإشارات المرور، ومحال السوبرماركت الجديدة. لقد أُفرِغت تمامًا، وصار الناس الآن يمرون بالسيارات من خلالها فحسب، و...

توقفت عن الحديث، ثم قالت:

- أنا آسفة يا دكتورة ريدوينج. كان يجب أن أطلب منك الإذن. تصرفت في لحظة انفعال.

قالت إميليا ريدوينج:

- لا يهم. أنا لا أمانع حقًا. في الواقع، أنا أتفق معكِ.

سأل بوند:

- متى سلمتِ الرسالة؟

- كان عصر يوم الخميس. تقدمت من الباب فحسب، ودفعت الخطاب من خلاله.

خفضت السيدة ويفر رأسها، وتابعت:

- في اليوم التالي، عندما سمعت بما حدث... قُتل السير ماجنوس... لم أعرف فيمَ أفكر. تمنيت حينها لو أنني لم أرسلها. لم يكن من عادتي أن أتصرف باندفاع على هذا النحو. أعدك يا سيدي، أنا حقًا لم أقصد بها أي شر.

أكد لها بوند قائلًا:

- مرة أخرى، لا علاقة للرسالة بما حدث. لكن هناك شيئًا يجب أن أسألك عنه، ويجب أن تفكري مليًا قبل الإجابة. يتعلق الأمر بالظرف الذي وضعتِ فيه الرسالة، وبالتحديد، العنوان...

- أجل يا سيدي؟

لكن بوند لم يتحدث. حدث شيء غريب جدًا. كان يقف في منتصف الغرفة، متكئًا جزئيًا على عصاه، لكن مع استمراره في المقابلة مع السيدة ويفر، بدا

من الملاحظ أن اعتماده عليها يتزايد أكثر فأكثر. الآن، بدأ يسقط جانبًا ببطء شديد. لاحظ فريزر الأمر أولًا، ووثب ليمسك به قبل أن يصطدم بالأرض. لحقه في الوقت المناسب تمامًا. عندما وصل إليه، انثنت ساقا المحقق، وانزلق جسده بأكمله. كانت الدكتورة ريدوينج قد نهضت من مقعدها بالفعل، وحدقت السيدة ويفر في ذعر.

كانت عينا أتيكوس بوند مغلقتين، ووجهه شاحبًا. لم يبدُ أنه يتنفس على الإطلاق.

٦

كانت الدكتورة ريدوينج معه عندما استفاق.

تمدد بوند على السرير المرتفع الذي تستخدمه الطبيبة لفحص المرضى. فقد الوعي لأقل من خمس دقائق. وقفت بجانبه، وحول رقبتها سماعة طبية. بدا عليها الارتياح لرؤيته وقد استيقظ.

قالت:

- لا تتحرك، لقد أُصبت بوعكة.

سأل بوند:

- هل فحصتِني؟

- فحصت قلبك، ونبضك. ربما كان مجرد إرهاق.

- لم يكن إرهاقًا.

كان هناك ألم ناخز في صدغه، لكنه تجاهله. واصل الحديث:

- لا داعي لأن تشغلي نفسك يا دكتورة ريدوينج. أعاني حالة شرحها لي طبيبي في لندن، كما أعطاني دواءً. إذا أمكن لي الاستراحة هنا لبضع دقائق إضافية، فسأكون ممتنًا لك. لكن لا يوجد شيء آخر يمكنك فعله من أجلي.

قالت الدكتورة ريدوينج:

- بالطبع يمكنك البقاء هنا.

كانت لا تزال تنظر إلى عينَي بوند، وسألت:

- هل الأمر غير قابل للتدخل الجراحي؟

ابتسم بوند بحزن بعض الشيء، وقال:

- أنت ترين ما لا يراه الآخرون. في عالم الطب، أنت المحققة. قيل لي إنه لا يمكن فعل اي شيء.

- هل حصلت على رأي آخر؟

- لست بحاجة إلى رأي آخر. أعرف أنه لم يتبقَّ لي الكثير من الوقت. يمكنني الشعور بذلك.

- انا آسفة جدًا لسماع ذلك يا سيد بوند.

فكرت للحظة، وتابعت قائلة:

- لم يبدُ أن زميلك على دراية بالمشكلة.

- لم أخبر فريزر، وأفضِّل أن يظل الأمر على هذا النحو.

- لا حاجة بك إلى القلق. طلبت منه الرحيل. ذهبت معه السيدة ويفر، وزوجي. أخبرته بأنني سأمشي معك إلى كوينز آرمز بمجرد ان تشعر بالتحسن بدرجة كافية.

- أشعر بالتحسن بعض الشيء بالفعل.

بمساعدة الدكتورة ريدوينج، نهض بوند في وضع الجلوس، وتحسس بحثًا عن الأقراص التي يحملها في جيب سترته. ذهبت الدكتورة ريدوينج لتجلب كوبًا من الماء. كانت قد لاحظت الاسم على العبوة: ديلوديد. قالت:

- هذا هيدرومورفين. إنه خيار جيد، سريع المفعول للغاية. مع ذلك، عليك التزام الحرص. يمكن أن يصيبك بالإرهاق، وقد تعاني تغيرات مزاجية أيضًا.

وافق بوند قائلًا:

- أنا متعب. لكنني وجدت أن مزاجي لم يتغير على نحو ملحوظ. في الواقع، سأكون صادقًا معك: أنا مبتهج للغاية.

- ربما كان تحقيقك هو السبب. على الأرجح، كان من المفيد للغاية أن يكون لديك شيء لتصب عليه تركيزك. وكنت تقول لزوجي إنه سار على ما يرام.

- هذا صحيح.

- وعندما ينتهي، ماذا إذن؟

- عندما ينتهي يا دكتورة ريدوينج، لن يتبقى لي شيء أفعله.

نهض بوند على قدميه متعثرًا، ومد يده إلى عصاه. واصل قائلًا:

- أود العودة إلى غرفتي الآن، إذا تكرمتِ.

غادرا معًا.

٧

على الجانب الآخر من القرية، كان غواصا الشرطة يخرجان من البحيرة. وقف ريموند تشاب على الشاطئ المكسو بالعشب، يراقبهما بينما هما يلقيان أمامه الأشياء التي عثرا عليها. أخذ يتساءل كيف عرف بوند أنها ستكون موجودة هناك.

كانت هناك ثلاثة أطباق مزينة بحوريات البحر وترايتون، وطبق ذو حافة بارزة عليه قنطور يطارد امرأة عارية، وبعض الملاعق التي لها يد طويلة، ووعاء لرش الفلفل، أو إناء للفلفل، ربما كان يُستخدم في الواقع لحفظ التوابل الثمينة، وعملات معدنية متناثرة، وتمثال صغير لنمر، أو مخلوق مشابه، وسِواران. عرف تشاب ماهية ما يطالعه بالضبط. كان هذا هو الكنز الدفين الذي سُرق من السير ماجنوس باي. كان قد وصف كل قطعة عندما استدعى الشرطة. لكن لماذا سرق شخص ما الكنز، كي يتخلص منه فحسب؟ فهم الآن أنهم لا بد أن أسقطوا إحدى القطع - مشبك الحزام الذي عثر عليه برينت - وهم يشقون طريقهم عبر العشب. وصلوا بعد ذلك إلى حافة البحيرة، وألقوا فيها الباقي. هل تعرضوا للمباغتة في أثناء محاولتهم الهرب؟ هل من الممكن أن يكونوا قد خططوا للعودة واسترداد المسروقات في وقت آخر؟ لم يكن للأمر أي معنى.

نادى أحد الغواصين قائلًا:

- أعتقد أن هذا كل شيء.

نظر تشاب إلى القطع المنفصلة، كلها من الفضة... الكثير من الفضة المتلألئة تحت شمس الأصيل.

ستة

الذهب

ا

كان المنزل قريبًا من حديقة كايدلين في كارديف، ويطل الجزء الخلفي منه على خط السكة الحديد الممتد من وايت تشرتش حتى ريوبينا. كان يقع في منتصف صف قصير من المنازل، تحيطه ثلاثة منازل متطابقة من كلا الجانبين، جميعها رثة وبحاجة إلى التجديد: سبع بوابات، وسبع حدائق مليئة بالنباتات المتربة التي تكافح من أجل البقاء، وسبعة أبواب أمامية، وسبع مداخن. بدت متطابقة نوعًا ما، لكن السيارة الخضراء من طراز «أوستن A40»، برقم تسجيلها «ف ب ج ٢٤٧»، المتوقفة أمام المنزل الأوسط، أخبرت بوند على الفور أين عليه أن يتوجه.

كان هناك رجل في انتظارهما. من طريقة وقوفه هناك، بدا من الممكن أنه ظل منتظرًا طيلة حياته. عند اقترابهما، رفع إحدى يديه، ليس للترحيب بقدر ما كان اعترافًا بوصولهما. كان في أواخر الخمسينيات من عمره، لكنه بدا أكبر سنًّا بكثير، وقد أنهكه صراع خسره في الواقع منذ فترة طويلة. كان خفيف الشعر، ذا شارب غير مشذب، وعينين حزينتين لونهما بني داكن. ارتدى ملابس دافئة جدًّا بالنسبة إلى عصر ذلك اليوم الصيفي، وكانت بحاجة إلى الغسيل. لم يسبق لفريزر أن رأى أي شخص يبدو أشد وحدة منه.

سأل بمجرد نزولهما من السيارة:

- السيد بوند؟

- إنه لمن دواعي سروري أن أقابلك يا سيد بلاكيستون.

- رجاءً، فلتدخلا.

قادهما إلى ممر ضيق ومعتم، يقع المطبخ عند طرفه البعيد. من هنا، كان

بوسعهم أن يطلوا على حديقة نصف مهملة، تنحدر بشدة نحو خط السكة الحديد عند نهايتها. كان المنزل نظيفاً، لكنه يفتقر إلى الجاذبية. لم يكن به أي شيء شخصي بدرجة زائدة: لا صور عائلية، ولا رسائل على طاولة الردهة، ولا اثر لوجود اي شخص آخر يعيش هنا. شقَّ قدر ضئيل للغاية من ضوء الشمس طريقه إلى الداخل. كان المنزل يشترك في هذا مع الكوخ الخشبي في ساكسبي أون أيفون. أحاطت الظلال بكل شيء.

قال:

- لطالما عرفت أن الشرطة سترغب في التحدث إليَّ. هل تشربان بعض الشاي؟

وضع الغلاية على الموقد، وتمكن من إشعال اللهب بضغطة ثالثة على المفتاح.

قال له بوند:

- نحن لسنا من الشرطة، بالمعنى الدقيق للكلمة.

- لا، لكنكما تحققان في أمر حالتَي الوفاة.

- زوجتك والسير ماجنوس باي، نعم.

اومأ بلاكيستون، ثم مرر يده على ذقنه. كان قد حلق ذقنه ذلك الصباح، لكن بشفرة استخدمها مرات عديدة أكثر مما يجب. نبت الشعر في الشق الكائن تحت شفته، وكان هناك جرح صغير في ذقنه. قال:

- لقد فكرت بالفعل في الاتصال بشخص ما. كنت هناك، كما تعلم، ليلة وفاته. لكن بعد ذلك فكرت، لماذا أكلف نفسي العناء؟ لم أرَ أي شيء، ولا أعرف شيئاً. لا علاقة لي بالأمر.

- قد لا تكون هذه هي الحال على الإطلاق يا سيد بلاكيستون. كنت اتطلع الى لقائك.

- حسناً، اتمنى الا تصاب بخيبة الأمل.

أفرغ إبريق الشاي الذي كان لا يزال مليئاً بأوراق الشاي القديمة، وغسله بالماء المغلي، وأضاف اوراق شاي جديدة. أخرج زجاجة حليب من الثلاجة، التي لم

يكن بداخلها سوى القليل خلاف الحليب. عند طرف الحديقة السفلي، أصدر القطار ضجيجًا في أثناء مروره، والبخار يتصاعد منه، وعبق الهواء للحظة برائحة الرماد. لم يبدُ أنه لاحظ ذلك. انتهى من إعداد الشاي، وأحضره إلى الطاولة، حيث جلس ثلاثتهم.

- حسنًا؟

قال بوند:

- أنت تعرف سبب وجودنا هنا يا سيد بلاكيستون. لماذا لا تقص علينا حكايتك؟ ابدأ من البداية، ولا تغفل عن أي شيء.

أومأ بلاكيستون برأسه. صب الشاي، ثم شرع في الحديث.

كان في الثامنة والخمسين من العمر، وقد عاش في كارديف منذ أن ترك ساكسبي أون أيفون قبل اثني عشر عامًا. كان لديه أفراد من أسرته هنا: عم يمتلك متجرًا لبيع الأدوات الكهربائية، يقع على مسافة غير بعيدة، على الطريق الشرقي. مات العم الآن، لكنه ورث المتجر، الذي وفر له لقمة العيش، على الأقل لنوعية الحياة التي يعيشها. كان بمفرده، وقد كان فريزر محقًّا في ذلك.

قال:

- لم أطلق ماري قَطُّ، في الواقع. لا أعرف لمَ لا. بعد ما حدث مع توم، لم يكن هناك أي احتمال لأن نبقى معًا. لكن في الوقت نفسه، لم يكن أيٌّ منا سيتزوج مرة أخرى، لذا فما فائدة الأمر؟ لم تبالِ بالمحامين وكل تلك الأشياء. اعتقد أن هذا يجعلني أرملًا بصفة رسمية.

سأل بوند:

- ألم ترَها مرة أخرى قَطُّ بعد رحيلك؟

- لقد بقينا على اتصال. كتب أحدنا إلى الآخر، واتصلت بها هاتفيًا بين الحين والحين، لسؤالها عن روبرت، ومعرفة ما إذا كان هناك أي شيء تحتاج إليه. لكن إذا احتاجت إلى أي شيء، فلم تكن لتطلب مني قَطُّ.

أخرج بوند سجائره من ماركة «سوبراني». كان من غير المألوف بالنسبة إليه

التدخين في أثناء عمله على إحدى القضايا، لكن مؤخرًا، لم يعد هناك شيء على حاله تمامًا فيما يتعلق بالمحقق، وبات فريزر قلقًا للغاية منذ إصابته بوعكة في عيادة الدكتورة ريدوينج. رفض بوند أن يقول أي شيء بخصوص ذلك، وفي طريقهما إلى هنا بالسيارة، لم يتبادلا الحديث إلا بالكاد.

اقترح بوند قائلًا:

- لنعد إلى الوقت الذي تقابلت فيه أنت وماري. أخبرني عن الوقت الذي قضيته في مزرعة شيبرد.

قال بلاكيستون:

- كانت ملكًا لوالدي، وقد ورثها من والده هو، وظلت في العائلة منذ فترة أطول مما يستطيع أي شخص أن يتذكر. أنحدر من سلالة طويلة من المزارعين، لكنني لم أولع بها قَطُّ، في الواقع. اعتاد والدي القول إنني الخروف الأسود بالعائلة، مما كان مضحكًا، لأن هذا هو ما كنا نمتلكه بالفعل: مائتا فدان، وكثير من الخِرفان. أشعر بالشفقة حياله، عندما أسترجع ذلك. كنت ابنه الوحيد، ولم أكن مهتمًا فحسب، لذا كانت هذه هي نهاية الأمر. لطالما كنت بارعًا في الرياضيات والعلوم في المدرسة، وراودتني أفكار بخصوص الذهاب إلى أمريكا لأصبح مهندس صواريخ، وهو أمر يبعث على الضحك نوعًا ما لأنني عملت ميكانيكيًا لمدة عشرين عامًا، ولم أذهب قَطُّ إلى أبعد من ويلز. لكن هذه هي طبيعة الحال عندما تكون طفلًا، أليس كذلك؟ تراودك كل هذه الأحلام، وما لم تكن محظوظًا، فهي لا تتحقق أبدًا. مع ذلك، لا يمكنني الشكوى. عشنا جميعًا هناك، ونعمنا بما يكفي من السعادة. حتى ماري أحبتها في البداية.

سأل بوند:

- في أي ظروف قابلت زوجتك؟

- كانت تعيش في توبري، التي على بعد خمسة أميال تقريبًا. ارتادت والدتها ووالدتي المدرسة معًا. جاءت مع والديها لتناول الغداء في أحد أيام الآحاد،

وهكذا التقينا. كانت ماري في العشرينيات من عمرها، وجميلة بقدر ما يمكنك أن تتخيل. وقعت في حبها بمجرد أن رأيتها، وتزوجنا في غضون عام.

- أتساءل، ماذا كان رأي والديك فيها؟

- لقد أحباها بما فيه الكفاية. في الواقع، كان هناك وقت سأقول إن كل شيء فيه كان مثاليًا بدرجة كبيرة. كان لدينا ولدان: روبرت أولًا، ثم توم. لقد نشأ على الأرض، ولا تزال بإمكاني رؤيتهما وهما يتسابقان في الأرجاء، ويساعدان والدي عقب عودتهما من المدرسة. أعتقد أننا ربما نعمنا بالسعادة هناك أكثر مما نعمنا بها في أي مكان آخر على الإطلاق. لكن لم يكن من الممكن أن يدوم ذلك. غرق والدي في الديون، ولم أكن أساعده. حصلت على وظيفة في مطار وايت تشرتش، الذي كان على بعد ساعة ونصف الساعة، بالقرب من بريستول. كان هذا في نهاية الثلاثينيات. عملت في الصيانة الدورية لطائرات الحرس الجوي المدني، والتقيت عديدًا من الطيارين الشباب القادمين للتدريب. كنت أعلم أن هناك حربًا قادمة في الطريق، لكن في مكان مثل ساكسبي أون أيفون، كان من السهل نسيان ذلك. كانت ماري تؤدي الأعمال في القرية وما حولها، وأخذ كلٌّ منا يمضي في طريقه المنفصل بالفعل. لهذا ألقت عليَّ اللوم لما حدث، وربما كانت على حق.

قال بوند:

- أخبرني عن ولديكما.

- لقد أحببت هذين الولدين. صدِّقني، لا يمر يوم من دون أن أفكر فيما حدث.

اختنقت كلماته، واضطر إلى التوقف للحظة كي يتعافى، ثم واصل الحديث:

- لا أعرف كيف سار كل شيء على غير ما يرام إلى هذا الحد يا سيد بوند. حقًا لا أعرف. عندما كنا في مزرعة شيبرد، لن أقول إن الأمور كانت مثالية، لكننا كنا نستمتع على الأقل. كان يمكنهما التصرف كوغدين صغيرين، يتشاجران على الدوام، ويتجادلان طوال الوقت. لكن هذا ينطبق على أي صبية، أليس كذلك؟

حدق إلى بوند كما لو أنه بحاجة إلى التأكيد، وعندما لم يأتِ، واصل الحديث:

- كان يمكنهما أن يكونا مقربين أيضًا، كأفضل الأصدقاء.

كان روبرت هو الهادئ بينهما. دومًا ما كان يعطيك الانطباع أنه منشغل بالتفكير في شيء ما. حتى عندما كان صغيرًا للغاية، كان يذهب بمفرده للتمشية لمسافات طويلة عبر وادي باث، ومرت أوقات انتابنا فيها القلق البالغ عليه. كان توم أكثر حيوية. رأى نفسه مخترعًا إلى حدٍّ ما. دومًا ما كان يخلط الجرعات، ويجمع الأشياء معًا من بقايا الآلات القديمة. أعتقد أنه ربما ورث ذلك مني، وسأعترف أنه هو مَن اعتدت تدليله. كان روبرت أقرب إلى والدته. تعسرت ولادته، وكادت تفقده. وعندما كان رضيعًا، عانى عديدًا من الأمراض المختلفة. اعتاد طبيب القرية، وهو رجل يُدعى رينارد، الدخول والخروج من المنزل طوال الوقت. إذا أردت رأيي، فإن هذا هو ما جعلها مفرطة في الحماية. كانت هناك أوقات لم تسمح لي فيها بالاقتراب منه. كان توم هو الصبي الأسهل طباعًا. كنت أكثر قربًا إليه. دومًا هو وأنا...

أخرج علبة بها عشر سجائر، ومزق السيلوفان، وأشعل واحدة.

قال:

- فسد كل شيء عندما غادرنا المزرعة.

أحس بالمرارة فجأة، وتابع قائلًا:

- بدأ هذا في اليوم الذي دخل فيه ذلك الرجل إلى حياتنا. السير ماجنوس باي اللعين. من السهل جدًّا رؤية ذلك الآن، وأتساءل كيف استطعت أن أكون أعمى إلى هذه الدرجة، وأحمق إلى هذا الحد. لكن بدا ما يقدمه لنا حينها كما لو أنه استجابة لكل صلواتنا. راتب منتظم لماري، ومكان لنعيش فيه، وأراضٍ لطيفة ليركض الولدان في أرجائها. على الأقل هكذا رأت ماري الأمر، وهكذا أقنعتني به.

- هل تجادلتما؟

- حاولت الا أجادلها. لم يكن ينتج عن ذلك إلا أن تنقلب ضدي فحسب. قلت إن لديَّ بعض الهواجس، هذا كل ما في الأمر. لم تعجبني فكرة كونها مدبرة منزل. ظننت أنها أفضل من ذلك. وأتذكر أنني حذرتها، أننا بمجرد أن نصبح هناك، سنصير محاصرين. سيكون الأمر كما لو أنه يمتلكنا. لكن الأمر، كما ترى، هو أننا لم يكن لدينا خيار آخر في الواقع. لم تكن لدينا أي مدخرات. كان ذلك هو أفضل عرض سنحصل عليه.

في البداية، كان الأمر على ما يرام. بدا باي هول مكانًا لطيفًا بما يكفي، وكانت علاقتي جيدة بما يكفي مع ستانلي برينت، الذي كان مسؤولًا عن الحدائق هناك مع ابنه. لم ندفع أي إيجار، وبطريقة ما كان من الأفضل أن نصير بمفردنا كعائلة، من دون وجود والدي ووالدتي طوال الوقت. لكن ثمة شيئًا ما في الكوخ الخشبي أثار انزعاجنا. كان معتمًا طوال العام، ولم نشعر قَطُّ بأنه منزلنا بالفعل. بدأنا جميعًا في إثارة اعصاب بعضنا بعضًا، حتى الولدين. بدا أنني أنا وماري يهاجم أحدنا الآخر طوال الوقت. كرهتُ طريقة إعجابها بالسير ماجنوس، لمجرد كونه يحمل لقبًا ولديه كثير من المال. لم يكن أفضل مني. لم يعمل كما يجب، ولو يومًا واحدًا في حياته. كان يمتلك باي هول لأنه ورثه فحسب. لكنها لم تستطع رؤية ذلك. اعتقدت أن هذا يجعلها مميزة بطريقة ما. ما لم تفهمه هو أنك عندما تنظف مرحاضًا، فما زلت تنظف المرحاض، وما الفرق الذي يشكله الأمر إذا كانت ستجلس عليه مؤخرة أحد الأرستقراطيين؟ قلت لها هذا ذات مرة، فاشتاطت غضبًا. لكن الطريقة التي رأت بها نفسها لم تكن بوصفها عاملة نظافة او مدبرة منزل، بل كانت سيدة المنزل.

كان لماجنوس ابن واحد، فريدي، لكنه كان لا يزال صغيرًا للغاية، وهو شديد الفظاظة. لم يكن هناك حب حقيقي بينهما. لذا بدأ سيادته الاهتمام بولدَي عوضًا عن ذلك. اعتاد تشجيعهما على اللعب في أرضه، وتدليلهما بهدايا صغيرة: ثلاثة بنسات هنا، وستة بنسات هناك. كما شجعهما على

عمل المقالب في نيفيل برينت. كان والداه قد تُوفيا حينها. ماتا في حادث سيارة، وتولى نيفيل العمل في العزبة. في رأيي، كان هناك شيء غريب بشأنه. لا أعتقد أنه كان بكامل قواه العقلية. لكن هذا لم يمنعهما من التجسس عليه، ومضايقته، ورمي كرات الثلج عليه، وما إلى ذلك. كانت قسوة، وأتمنى لو أنهما لم يفعلا هذا.

- ألم يكن بوسعك منعهما؟

- لم يكن بوسعي فعل أي شيء يا سيد بوند. كيف أجعلك تفهم؟ لم يستمعا إليَّ قَطُّ. لم أعُد والدهما. منذ اليوم الذي انتقلنا فيه للإقامة في ذلك المكان تقريبًا، وجدت نفسي وقد نُحيت جانبًا. ماجنوس، ماجنوس... كان هذا هو كل ما يتحدث عنه أي شخص على الدوام. عند حصول الولدين على تقاريرهما المدرسية، لم يكترث أحد برأيي. أتدري؟ كانت ماري تطلب من الولدين أخذها إلى المنزل الرئيسي، كي يرياه إياها. كما لو أن رأيه أهم من رأيي.

ازداد الأمر سوءًا بمرور الوقت، يا سيد بوند. بدأت أكره ذلك الرجل. لطالما كانت لديه طريقة يشعرني بها بالضآلة، ويذكرني أنني أعيش في منزله، على أرضه... على الرغم من أنني لم أرغب في الوجود هناك إطلاقًا منذ البداية. إن ما حدث ذنبه هو، أقسم لك. لقد قتل ابني كما لو أنه فعل ذلك بيديه، ودمرني في اللحظة نفسها. كان توم هو نور حياتي، وعندما رحل لم يبقَ لي شيء.

صمت، ومسح عينه بظهر يده، ثم تابع قائلًا:

- انظر إليَّ! انظر إلى هذا المكان! كثيرًا ما أسأل نفسي ماذا فعلت لأستحق هذا. أنا لم أوذِ أحدًا قَطُّ، وانتهى بي المطاف إلى هنا. أعتقد أحيانًا أنني عوقبت نظير شيء لم أقترفه.

- أنا متأكد أنك بريء.

- أنا بريء بالفعل! لم أقترف أي خطأ. ما حدث لم تكن له علاقة بي.

توقف عن الحديث، وثبت عينيه على بوند وفريزر، متحديًا إياهما على الاختلاف معه. تابع الحديث:

- كان ماجنوس باي. اللعين ماجنوس باي.

أخذ نفسًا، ثم تابع قائلًا:

- بدأت الحرب، وأُرسِلت إلى بوسكومب داون، للعمل على طائرات هوكر هوريكان بشكل أساسي. كنت بعيدًا عن المنزل، ولم أعرف حقًّا ما يدور. وعند عودتي في عطلات نهاية الأسبوع بين الحين والحين، بدا الأمر كما لو أنني غريب. تغيرت ماري بدرجة كبيرة، لم تسعد برؤيتي على الإطلاق، وباتت كتومًا... كما لو أنها تخفي شيئًا ما. كان من الصعب تصديق أنها الفتاة نفسها التي قابلتها وتزوجتها، وعشت معها في مزرعة شيبرد. كما لم يرغب روبرت أيضًا في أن تكون له علاقة وثيقة بي. كان ابن والدته. لولا توم، لما كان الأمر يستحق عناء الذهاب إلى هناك.

على أي حال، كان السير ماجنوس هناك في مكاني. أخبرتك بشأن الألعاب. كانت هناك لعبة يلعبها مع الولدين، مع ابنَي: كانا مهووسين بالكنز الدفين. حسنًا، كل الأولاد يحبون ذلك النوع من الأشياء، لكنني متأكد أنك تعلم أن الزوجين باي اكتشفا مجموعة كبيرة من الأشياء: قطعًا نقدية رومانية، وما شابهها في دينجل ديل. كانت معروضة في منزله. وكان من السهل جدًا بالنسبة إليه تحويلهما إلى صائدَي كنوز. كان يأخذ قطع الشوكولاتة الملفوفة بورق القصدير، أو في بعض الأحيان عملات من فئة البنسات الستة أو نصف كرونة، ويخفيها في جميع أرجاء العزبة. بعد ذلك، يعطيهما أدلة، ويرسلهما في طريقهما. قد يقضيان اليوم بأكمله وهما يفعلان ذلك، ولا يمكنك الشكوى في الواقع، لأنه أخرجهما في الهواء الطلق. كان ذلك مفيدًا لهما، أليس كذلك؟ كان ممتعًا.

لكنه لم يكن والدهما. لم يكن يعرف ما يفعله، وفي أحد الأيام، تجاوز الحدود. كانت لديه قطعة من الذهب. ليس ذهبًا حقيقيًا، بل بيريت الحديد،

أو ما يُطلق عليه الذهب الكاذب. كانت لديه كتلة كبيرة منه، وقرر أن يجعلها الجائزة. بالطبع لم يكن توم وروبرت يعرفان الفرق. ظنا أنه ذهب حقيقي، واستماتا للحصول عليه. وهل تعلم أين وضعه، ذلك الأحمق اللعين؟ أخفاه وسط مجموعة من أعشاب البرك، على حافة البحيرة مباشرة. قادهما إلى حافة الماء. ابنا أربعة عشر عامًا، واثني عشر عامًا. قادهما إلى هناك، تمامًا كما لو أنه وضع لافتة.

هذا هو ما حدث. كان الصبيان قد افترقا. كان روبرت في دينجل ديل، يبحث بين الأشجار، وذهب توم إلى الماء. ربما رأى الذهب يتلألأ في الشمس، أو ربما توصل إلى حل أحد الأدلة. لم يكن بحاجة حتى إلى أن يبل قدميه، لكنه كان متحمسًا للغاية، وقرر الخوض في الماء. وماذا بعد؟ ربما تعثر. هناك الكثير من الحشائش، وربما التفت حول ساقيه. هذا ما أعرفه: بعد الساعة الثالثة عصرًا مباشرة، أتى برينت مع جزازة العشب، ورأى ابني مستلقيًا على وجهه في الماء.

تهدج صوت ماثيو بلاكيستون، وتابع قائلًا:

- لقد غرق توم.

فعل برينت ما في وسعه. كان توم على بعد أقدام قليلة فحسب من الشاطئ، وجره برينت إلى اليابسة. ثم خرج روبرت من الغابة، ورأى ما يدور. قفز إلى الماء، وهو يصرخ. تقدم خائضًا نحوهما، وصاح في برينت لطلب المساعدة. لم يكن برينت يعرف ما يتعين فعله، لكن روبرت تعلم الإسعافات الأولية الأساسية في المدرسة، وحاول إنقاذ شقيقه عن طريق الإنعاش فمًا لفم. فات الأوان، ومات توم. سمعت كل هذا لاحقًا فقط، من الشرطة. تحدثوا إلى جميع الأشخاص المعنيين: السير ماجنوس، وبرينت، وماري، وروبرت. هل يمكنك أن تتخيل شعوري يا سيد بوند؟ كنت والدهما، لكنني لم أكن موجودًا هناك.

حنى ماثيو بلاكيستون رأسه. أسند قبضته المشدودة على السيجارة إلى

رأسه، وتعالى الدخان بينما هو جالس هناك في صمت. في تلك اللحظة، أدرك فريزر تمامًا صغر حجم الغرفة، واليأس الذي يشوب حياة محطمة. خطر له أن بلاكيستون منبوذ. كان في المنفى، ليبتعد عن نفسه.

سأل بلاكيستون فجأة:

- هل تريدان مزيدًا من الشاي؟

قال فريزر:

- سأتولى أنا الأمر.

لم يكن أحد يريد الشاي، لكنهما كانا بحاجة إلى الوقت، وإلى وقفة قبل أن يتمكن بلاكيستون من الاستمرار. توجه فريزر نحو الغلاية. كان سعيدًا بالابتعاد.

بدأ بلاكيستون الحديث مرة أخرى، بمجرد إحضار الأكواب الجديدة.

- عدت إلى بوسكومب داون. وفي المرة التالية التي عدت فيها إلى المنزل، عرفت كيف ستسير الأمور بالتحديد. كانت ماري وروبرت قد أحرقا الجسور بيننا، ولم تتركه بعد ذلك قَطُّ، ولا دقيقة، وكان الأمر كما لو أنهما لا يريدان معرفتي. كنت سأؤدي واجبي تجاه أسرتي، يا سيد بوند. اقسم إنني كنت سأفعل. لكنهما لم يسمحا لي قَطُّ. دائمًا ما يقول روبرت إنني هجرتهما، لكن هذا غير صحيح. لقد عدت إلى المنزل، لكن لم يكن أحد موجودًا هناك.

- متى كانت آخر مرة رأيت فيها ابنك يا سيد بلاكيستون؟

- يوم السبت، الثالث والعشرين من يوليو. في جنازة والدته.

- هل رآك؟

- لا.

أخذ بلاكيستون نفسًا عميقًا. كان قد انتهى من سيجارته، وأطفأها. واصل الحديث:

- يقولون إنه عندما تفقدان طفلًا، فإن ذلك يقربكما، أو ينتزعكما بعيدًا عن بعضكما. أكثر ما آلمني بشأن ماري هو أنها لم تدعني أقترب من روبرت بعد

رحيل توم. كانت تحميه مني! هل يمكنك تصديق ذلك؟ لم يكن كافيًا أنني فقدت ابنًا واحدًا. انتهى بي المطاف إلى خسارة اثنين.

وهناك جزء مني لم يتوقف عن حبها قَطُّ. هذا هو الشيء المثير للشفقة. أخبرتك بأنني اعتدت الكتابة إليها في عيد ميلادها، وفي الكريسماس. تحدثت معها عبر الهاتف في بعض الأحيان. على الأقل سمحت لي بذلك. لكنها لم تردني في أي مكان قريب. لقد أوضحت ذلك بما يكفي.

- هل تحدثت معها مؤخرًا؟

- آخر مرة تحدثت إليها كانت قبل شهرين، لكن هناك شيئًا لن تصدقه. لقد اتصلت بها بالفعل في يوم وفاتها. كان ذلك هو أغرب شيء. أيقظني ذلك الصباح طائر على شجرة، يصدر ضجيجًا رهيبًا، ونعيقًا. كان طائر عقعق. «واحد للترح». هل تعرف تلك الأغنية القديمة؟ حسنًا، نظرت إليه على الجانب الآخر من نافذة غرفة النوم، بلونيه الأبيض والأسود، ذلك الكائن الصغير الخبيث بعينيه اللامعتين، وشعرت بالقلق فجأة. كان الأمر كما لو أنني توجست شرًا. عرفت أن شيئًا سيئًا سيحدث. ذهبت إلى المتجر، لكنني لم أتمكن من العمل، ولم يأتِ أحد على أي حال. انشغلت بالتفكير في ماري. كنت على يقين ان شيئًا ما سيحدث لها، وفي النهاية، لم أستطع منع نفسي. اتصلت بها. حاولت الوصول إليها في الكوخ الخشبي، ثم في المنزل الرئيسي، لكنها لم ترد لأن الأوان فات. كانت قد ماتت بالفعل.

أخذ يعبث بسيلوفان علبة السجائر، ويمزقه بين أصابعه. واصل قائلًا:

- سمعت بنبأ وفاتها بعد عدة أيام. كان هناك خبر منشور في الصحيفة... هل تصدق ذلك؟ لم يتجشم أحد حتى عناء الاتصال بي. كان المرء ليظن ان روبرت قد يتصل، لكنه لم يهتم. على أي حال، كنت أعرف أنه يتعين عليَّ حضور الجنازة. لا يهم ما حدث. انقضى وقت كنا فيه صغيرين، وكنا معًا. لم أكن لأتركها تذهب من دون وداع. سأعترف أنني شعرت بالتوتر بشأن إظهار وجهي. لم أرغب في تضخيم الأمور، وتزاحم الجميع حولي، لذا وصلت

متأخرًا، واعتمرت قبعة، جذبتها إلى الأسفل فوق وجهي. أنا أنحف بكثير مما كنت عليه في السابق، وقاربت الستين من العمر. ظننت أنني إذا بقيت بعيدًا عن روبرت، فسأكون على ما يرام، وهذا ما حدث.

رأيته هناك بالفعل. كان يقف مع فتاة، وسعدت لرؤية ذلك. هذا ما يحتاج إليه تمامًا. لطالما كان منعزلًا للغاية عندما كان صبيًا، وقد بدت شابة صغيرة جميلة. سمعت أنهما سيتزوجان، وربما يسمحان لي بزيارتهما إذا رُزقا أطفالًا. يتغير الناس بمرور الوقت، أليس كذلك؟ يقول إنني لم أكن موجودًا من أجله، لكن ربما تخبره بالحقيقة إذا رأيته.

كان من الغريب جدًّا أن أكون هناك، في القرية. لست متأكدًا حتى ما إذا كنت لا أزال أحب المكان. ورؤيتهم جميعًا مرة أخرى، الدكتورة ريدوينج، وكلاريسا، وبرينت، والآخرون، أؤكد لك أن هذا أصابني بالقشعريرة. لاحظت أن السير ماجنوس والليدي باي لم يحضرا، ودفعني هذا إلى الابتسام. أنا متأكد أن ماري كانت ستصاب بخيبة الأمل! لطالما أخبرتها بأنه سيئ. لكن ربما كان من الأفضل انه لم يكن هناك. لست متأكدًا مما كنت سأفعله إذا رأيته في ذلك اليوم. أنا ألقي عليه اللوم لما حدث يا سيد بوند. سقطت ماري أسفل الدرج بينما كانت تقوم على خدمته، مما يجعلهما اثنين: ماري وتوم. كانا سيظلان على قيد الحياة، لولاه هو.

- ألهذا ذهبت إلى منزله بعدها بخمسة أيام؟

حنى بلاكيستون راسه، وقال:

- كيف عرفت أنني كنت هناك؟

- لقد شوهدت سيارتك.

- حسنًا، لن أنكر ذلك. أجل، كانت هذه حماقة مني، لكنني عدت في نهاية الأسبوع. الموضوع هو أنني لم أتمكن من إبعاد الأمر عن ذهني. أولًا توم، ثم ماري، وكلاهما في باي هول. بينما أنت تستمع إليّ الآن، ربما تعتقد أنني أعترف بالأمر، وأنني عدت كي أقتله. لكن لم تكن هذه هي الحال. أردت فقط

أن أتحدث معه، وأن أسأله عن ماري. الآخرون الذين حضروا تلك الجنازة، كان لديهم مَن يتحدثون إليه، لكن ليس أنا. لم يتعرَّف عليَّ أحد حتى، في جنازة زوجتي! هل كان من غير المعقول إلى هذه الدرجة أن أرغب في رؤيته لمدة خمس دقائق فقط، كي أسأله عن ماري فحسب؟

فكر للحظة، ثم توصل إلى قرار. واصل الحديث قائلًا:

- كان هناك شيء آخر. ستظن بي الأسوأ بسبب هذا، لكنني كنت أفكر في المال. ليس لي، بل لابني. عندما يموت أحد في مكان العمل، فهذه مسؤوليتك. عملت ماري لدى السير ماجنوس منذ أكثر من عشرين عامًا، وكان مدينًا لها بواجب الرعاية. ظننت أنه ربما توصل معها إلى تسوية ما، كما تعلم، مثل معاش تقاعدي. كنت أعرف أن روبرت لن يقبل مني أبدًا أي مساعدة مالية، حتى لو كان بمقدوري تحمُّل تكلفة ذلك. لكن إذا كان على وشك الزواج، ألم يكن يستحق ما يعينه على بدء حياته بطريقة ما؟ لطالما كان السير ماجنوس يميل إليه. خطرت لي فكرة أنني أستطيع طلب المساعدة منه نيابة عن روبرت.

توقف عن الحديث، وأشاح بنظره.

- من فضلك، استمر.

- استغرق مني الأمر ساعتين للقيادة عائدًا إلى ساكسبي أون أيفون. كنت منشغلًا في المتجر، وأتذكر أن الساعة كانت السابعة والنصف تمامًا عندما وصلت. نظرت إلى ساعتي. لكن الأمر هو، يا سيد بوند، أنني ما إن وصلت إلى هناك، حتى ترددت في التفكير. لم أكن متأكدًا في النهاية ما إذا كنت أريد رؤيته. لم أرغب في التعرض للإذلال. جلست في السيارة لمدة ساعة تقريبًا، قبل أن أقرر أنه بما أنني جئت كل هذه المسافة، إذن تجدر بي المحاولة. لا بد أن الساعة كانت الثامنة والنصف تقريبًا عندما توجهت إلى المنزل. أوقفت السيارة في مكاني المعتاد خلف الكوخ الخشبي. أعتقد أن ذلك كان بدافع من العادة. خطرت الفكرة نفسها لشخص آخر. كانت هناك دراجة

متكئة على الباب. تذكرت ذلك لاحقًا. ربما كان عليَّ أن أستشف المزيد من خلال ذلك حينها.

على أي حال، سرت عبر الممر. عادت إليَّ كل الذكريات، وأنا موجود هناك مرة أخرى. كانت البحيرة على يساري، ولم أستطع حمل نفسي على النظر إليها. بزغ القمر في تلك الليلة، وبدا كل شيء في الحديقة واضحًا تمامًا، مثل صورة فوتوغرافية. لم يبدُ هناك وجود لأي شخص آخر في الجوار. لم أحاول إخفاء نفسي، أو أي شيء من ذلك القبيل. سرت مباشرة إلى الباب الأمامي فحسب، وقرعت الجرس. تمكنت من رؤية الأنوار مضاءة من خلف النوافذ في الطابق الأرضي، لذا خمنت أن السير ماجنوس لا بد أن يكون بالداخل. وبالتأكيد، بعد دقيقة أو دقيقتين، فتح الباب.

لن أنسى منظره أبدًا يا سيد بوند. آخر مرة رأيته فيها كانت منذ أكثر من عشر سنوات، عندما رحلت عن الكوخ الخشبي. كان أضخم حجمًا مما تذكرت، وأكثر بدانة بالتأكيد. بدا كأنه يملأ مدخل الباب. كان يرتدي بدلة وربطة عنق... ألوان زاهية. وكان يمسك سيجارًا.

استغرق منه الأمر دقيقة أو دقيقتين ليتعرَّف عليَّ، لكنه ابتسم بعد ذلك. «أنت!». هذا كل ما قاله. بصق الكلمة في وجهي. لم يكن عدائيًا تمامًا، لكنه فوجئ، كما كان هناك شيء آخر. كانت تلك الابتسامة الغريبة لا تزال مرتسمة على وجهه، كما لو أنه يجد الأمر مسليًا، وقال: «ماذا تريد؟».

قلت: «أريد التحدث إليك، إذا سمحت لي يا سير ماجنوس. الأمر متعلق بماري».

التفت ناظرًا وراء كتفه، وأدركت حينها أنه لم يكن بمفرده.

قال: «لا أستطيع رؤيتك الآن».

«أحتاج إلى بضع دقائق من وقتك فحسب».

«الأمر مفروغ منه. ليس الآن. كان يجب عليك الاتصال قبل مجيئك إلى هنا. في أي ساعة من الليل تظننا الآن؟».

«أرجوك...».

«لا! عُد مرة أخرى غدًا».

كان على وشك أن يغلق الباب في وجهي. استطعت رؤية هذا. لكن بعد ذلك، في اللحظة الأخيرة، توقف وطرح عليَّ سؤالًا أخيرًا. لن أنساه أبدًا.

سألني: «هل تعتقد حقًّا أنني قتلت كلبتك اللعينة؟».

بدت الحيرة على بوند، وقال:

- الكلبة؟

- كان عليَّ أن أخبرك. كانت لدينا كلبة في البداية، عندما انتقلنا إلى باي هول.

- كان اسمها بيلا.

- أجل، هذا صحيح. كانت هجينًا: نصف لابرادور، ونصف كولي. جلبتها لتوم في عيد ميلاده العاشر، وكان السير ماجنوس ضدها منذ يوم وصولها. لم يكن يريدها أن تخرج عن السيطرة في حديقته، وتخيف دجاجاته، ولم يردها أن تحفر أحواض الزهور. في الواقع، سأخبرك بما لم يكن يريده: لم يكن يريدني أن أشتري هدية لابني. إنه مثلما كنت أقول، أراد أن تكون له السيطرة الكاملة عليَّ وعلى أسرتي، ولأن الكلبة كانت مرتبطة بي، والشيء الوحيد الذي اشتريته وأحبه توم حقًّا، فكان عليه التخلص منه.

سأل فريزر:

- هل قتلها؟

تذكر الطوق الصغير الحزين الذي وجده بوند في الغرفة في الكوخ الخشبي.

- لم أتمكن قَطُّ من إثبات أنه هو. ربما جعل برينت يفعل ذلك نيابة عنه. لن أستبعد هذا عن ذلك اللعين الصغير المتذمر. لكن الكلبة كانت موجودة في أحد الأيام، واختفت في اليوم التالي، ولم نعثر عليها إلا بعد أسبوع في دينجل ديل، وحلقها مقطوع. كان توم محطمًا. كانت أول شيء في حياته يمتلكه حقًّا. مَن يمكنه فعل ذلك بصبي صغير؟

تمتم بوند:

- يبدو هذا غريبًا جدًا. لم يرَك السير ماجنوس منذ سنوات عديدة. ظهرت عند منزله على نحو غير متوقع، في وقت متأخر من الليل. لماذا تعتقد أنه اختار هذه اللحظة لسؤالك عن الكلبة؟

- ليست لديَّ أي فكرة.

- ماذا قلت له؟

- لم أعرف ماذا أقول. لكن ذلك لم يهم على أي حال، لأنه أغلق الباب حينها. أغلقه في وجهي مباشرة: رجل فقد زوجته قبل أقل من أسبوعين. لم يكن على استعداد حتى لدعوتي إلى تجاوز عتبة الباب. هذا هو نوع الشخص الذي كانه.

ساد صمت طويل.

تمتم بوند قائلًا:

- هذه المحادثة التي وصفتها، ما مدى قربها من الواقع، في اعتقادك؟ هل هذه هي الكلمات التي استخدمها السير ماجنوس بالضبط؟

- على أفضل نحو يمكنني تذكره يا سيد بوند.

- ألم ينادِك باسمك، على سبيل المثال؟

- كان يعرف مَن أكون، إذا كان هذا ما تعنيه. لكن لا، تفوَّه بتلك الكلمة الوحيدة فقط - «أنت!» - كما لو أنني خرجت زاحفًا من تحت حجر ما.

- ماذا فعلت بعد ذلك؟

- ما الذي كان بوسعي أن أفعله؟ عدت إلى سيارتي، وانطلقت مبتعدًا.

- تلك الدراجة التي رأيتها، هل كانت لا تزال هناك؟

- لا أستطيع التذكر، لأكون صادقًا. لم أنظر.

- لذا رحلت...

- كنت غاضبًا. أتيت من مسافة بعيدة، ولم أتوقع أن يصرفني من دون نقاش. قطعت مسافة عشرة أو خمسة عشر ميلًا عبر الطريق، ثم - أتدري ماذا؟ - غيرت رأيي. كنت لا أزال أفكر في روبرت، وكنت لا أزال أفكر في الصواب. ومَن

يكون اللعين ماجنوس باي، حتى يصفق الباب في وجهي؟ ظل ذلك الرجل يستأسد عليَّ منذ اليوم الذي التقيته فيه، وفجأة لم يعد يمكنني تحمُّل المزيد. عدت إلى باي هول، ولم أتوقف عند الكوخ الخشبي هذه المرة. قدت السيارة حتى الباب الأمامي مباشرة، وترجلت وقرعت الجرس مرة أخرى.

- كم بلغت فترة غيابك؟

- عشرين دقيقة؟ خمسًا وعشرين؟ لم أنظر إلى ساعتي. لم أكترث بالوقت. كنت مصممًا على حسم الموضوع فحسب، لكن هذه المرة، لم يأتِ السير ماجنوس إلى الباب. قرعت الجرس مرتين إضافيتين. لم يحدث شيء. لذا فتحت فتحة صندوق الرسائل، وجثوت على ركبتي، وأنا أنتوي الصياح في وجهه. كنت سأخبره بأنه جبان لعين، وأن عليه أن يأتي إلى الباب.

قطع بلاكيستون حديثه، ثم واصل قائلًا:

- حينها رأيته. كان هناك كثير من الدماء، إلى درجة أنه لم يسعني أن أخطئ رؤيته. رقد ممددًا في الردهة أمام عينَي مباشرة. لم أدرك حينها أن رأسه قد قُطع. كانت الجثة متجهة بعيدًا عني، حمدًا للرب. لكنني عرفت على الفور أنه مات. لم يكن هناك أي شك في ذلك.

شعرت بالذهول، لكن ما هو أكثر من ذلك، فقد صُدمت صدمة مروعة. كان الأمر كما لو أنني تلقيت لكمة في وجهي. شعرت بنفسي أسقط، وظننت أنني سأفقد الوعي. بطريقة ما، تمكنت من العودة إلى الوقوف على قدمَي. علمت أن شخصًا ما قتل السير ماجنوس خلال العشرين دقيقة الأخيرة، في الوقت الذي غادرت فيه وعدت مرة أخرى. ربما كانوا معه عندما طرقت الباب في المرة الأولى. كان من الممكن أن يكونوا في الواقع يستمعون إليَّ، داخل الردهة. ربما انتظروا حتى أرحل، ثم قتلوه بعد ذلك.

أشعل بلاكيستون سيجارة أخرى. كانت يده ترتعش.

- أعرف ما سوف تسأله يا سيد بوند. لماذا لم أتوجه إلى الشرطة؟ حسنًا، هذا واضح، أليس كذلك؟ كنت آخر شخص رآه على قيد الحياة، وفي الوقت نفسه

كانت لديَّ كل الأسباب التي تجعلني أرغب في موته. فقدت ابني، وحمَّلت السير ماجنوس اللوم. فقدت زوجتي، التي كانت تعمل لديه أيضًا. كان ذلك الرجل مثل الشيطان في العيد، وإذا كانت الشرطة تبحث عن مشتبه فيه، فلن يحتاجوا إلى البحث لما هو أبعد مني. لم أقتله، لكنني عرفت على الفور ما سيعتقدونه، وكل ما أردته هو الابتعاد عن هناك على الفور. نهضت وعدت إلى السيارة، وقدت مبتعدًا بأسرع ما يمكنني.

وصلت سيارة أخرى في الوقت نفسه الذي مررت فيه عبر البوابة. لم أرَ شيئًا، مجرد زوجين من المصابيح الأمامية. لكنني خشيت أن أيًّا مَن كان يقود السيارة قد حصل على رقم لوحة تسجيل سيارتي، وأبلغ عني. هل هذا ما حدث؟

قال له بوند:

- كانت الليدي باي في السيارة، وقد عادت للتو من لندن.

- حسنًا، أنا آسف لأنني اضطررت إلى تركها لتواجه الأمر. لا بد أن ذلك كان فظيعًا بالنسبة إليها. لكن كل ما أردته هو أن أبتعد. كان ذلك هاجسي الوحيد.

- سيد بلاكيستون، هل لديك أي فكرة عمَّن ربما كان في المنزل مع السير ماجنوس باي عندما زرتَه؟

- كيف لي أن أعرف؟ لم اسمع أحدًا، ولم أرَ أحدًا.

- هل من المحتمل أنها كانت امرأة؟

- من الغريب أن هذا ما فكرت فيه. لو كان يقيم علاقة سرية، أو أيًّا ما شئت تسمية الأمر، لربما تصرف بالطريقة نفسها.

- هل تدرك أن ابنك من بين المشتبه فيهم الذين يُعتقد أنهم قتلوا السير ماجنوس؟

- روبرت؟ لماذا؟ هذا جنون. لم يكن لديه سبب لقتله. في الواقع - لقد أخبرتك - لطالما كان يقدر السير ماجنوس. كانا مقربين جدًّا.

- لكنه لديه الدافع نفسه مثلك تمامًا. ربما حمَّل السير ماجنوس مسؤولية

موت كلٍ من شقيقه ووالدته.

رفع بوند يده قبل أن يجيب بلاكيستون، وواصل قائلًا:

- أجد الأمر محيرًا فحسب، كونك لم تتقدم بهذه المعلومات التي أفصحت لي عنها الآن. تقول إنك لم تقتله، ومع ذلك من خلال بقائك صامتًا، فقد سمحت للقاتل الحقيقي أن يبقى من دون الكشف عنه. إن مسألة الدراجة، على سبيل المثال، ذات أهمية كبيرة.

أجاب بلاكيستون:

- ربما كان عليَّ أن أتقدم بالمعلومات، لكنني كنت أعلم أن الأمر سيسير على نحو سيئ بالنسبة إليَّ، كما هي الحال دائمًا. الحقيقة أنني أتمنى لو أنني لم أقترب من ذلك المكان قَطُّ. أحيانًا تقرأ كتبًا عن منازل مصابة باللعنة. لطالما اعتقدت أن هذا محض هراء، لكنني أصدق ذلك بشأن باي هول. لقد قتل زوجتي وطفلي، وإذا أخبرتُ الشرطة بما قلته لك، فسينتهي بي المطاف مشنوقًا على الأرجح.

ابتسم بحزن، وتابع قائلًا:

- وحينها سيكون قد قتلني أنا.

٢

تحدث بوند بالكاد في طريق العودة، وكان جيمس فريزر أكثر دراية من أن يقاطع أفكاره. تعامل مع السيارة الفوكسهول بمهارة، وهو يغير السرعات المختلفة، ويحافظ على البقاء في منتصف الطريق، بينما الشمس تغرب والظلال تحيطهما من كل الجوانب. كان الوقت الوحيد الذي يشعر خلاله بأنه يتولى السيطرة الكاملة، هو عند وجوده خلف عجلة القيادة. كانا قد ركبا عبَّارة قرية أوست عبر نهر سيفرن، وهما جالسان معًا في صمت بينما ساحل ويلز ينزلق مارًا خلفهما. أحس فريزر بالجوع. لم يتناول شيئًا ليأكله منذ الصباح. كانوا يبيعون الشطائر

على متن العبَّارة، لكنها لم تكن مثيرة للشهية، وعلى أي حال، لم يكن بوند يحب الطعام في السيارة.

وصلا إلى الجانب الآخر، ومرا بالسيارة عبر ريف جلوستر، وهو الطريق نفسه الذي سلكه بلاكيستون لزيارة السير ماجنوس باي. كان فريزر يأمل أن يكون في ساكسبي أون أيفون بحلول الساعة السابعة مساءً، في الوقت المناسب لتناول العشاء.

في النهاية، وصلا إلى باث، وشرعا يتبعان الطريق الذي سيقودهما إلى باي هول، بينما امتد الوادي على يسارهما وقد بات مظلمًا تمامًا.

- ذهب!

لم يتحدث بوند منذ فترة طويلة للغاية، حتى إن فريزر جفل لسماع صوته. سأله قائلًا:

- معذرة؟

- الذهب الكاذب الذي أخفاه السير ماجنوس باي. أنا مقتنع بأن كل شيء يدور حوله.

- إن ذلك الذهب لا يساوي شيئًا.

- ليس بالنسبة إليك يا جيمس. وليس بالنسبة إليَّ. هذا هو المغزى تحديدًا.

- لقد قُتل توم بلاكيستون الذي حاول إخراجه من البحيرة.

- آه، أجل. لقد كانت البحيرة، كما تعلم، كيانًا مظلمًا في هذه الحكاية، كما هي الحال في حكايات الملك آرثر. لعب الصبيان بجانب البحيرة، ومات أحدهما في البحيرة. وفضة السير ماجنوس، كانت أيضًا مخبأة في البحيرة.

- أتدري يا بوند، إن كلامك ليس له معنى بدرجة كبيرة.

- أفكر في الملك آرثر، والتنانين والساحرات. في هذه الحكاية، كانت هناك ساحرة، وتنين، ولعنة لا يمكن رفعها...

- أفترض أنك عرفت مَن فعلها.

- أعرف كل شيء يا جيمس. كان عليَّ ربط الأشياء بعضها ببعض فحسب،

وصار الأمر برمته في غاية الوضوح. في بعض الأحيان، كما تعلم، ليست القرائن المادية هي التي تقود إلى حل الجريمة. الكلمات التي نطق بها الكاهن عند نهاية الجنازة، أو قصاصة الورق المحترقة في النار، إنهما توحيان بشيء ما، لكن بعد ذلك تؤديان إلى شيء آخر تمامًا. الغرفة المغلقة في الكوخ الخشبي. لماذا هي مغلقة؟ نعتقد أننا نمتلك الإجابة، لكن لحظة من التفكير ستؤكد لنا أننا على خطأ. الرسالة الموجهة إلى السير ماجنوس. نعرف مَن كتبها، ونعرف السبب. لكننا مضللون مرة أخرى. علينا أن نفكر. كل هذا مجرد تخمين، لكن سرعان ما نرى أنه لا يمكن أن تكون هناك طريقة أخرى.

- هل ساعدك ماثيو بلاكيستون؟

- أخبرني ماثيو بلاكيستون بكل ما أريد معرفته. كان هو مَن بدأ كل هذا.

- حقًا؟ ماذا فعل؟

- لقد قتل زوجته.



كراوتش إند، لندن

الأمر مثير للغيظ، أليس كذلك؟

وصلت إلى نهاية المخطوطة عصر يوم الأحد، واتصلت بتشارلز كلوفر على الفور. تشارلز رئيسي، والمدير التنفيذي لدار كلوفرليف بوكس، ناشري سلسلة كتب «أتيكوس بوند». وُجِّهت مكالمتي إلى البريد الصوتي مباشرة.

قلت:

- تشارلز؟ ماذا حدث للفصل الأخير؟ ما الهدف بالضبط من إعطائي رواية جريمة كي أقرأها، في حين أنها لا تفصح في الواقع عن مرتكب الجريمة؟ هل يمكنك معاودة الاتصال بي؟

نزلت إلى المطبخ. كانت هناك زجاجتان فارغتان من النبيذ الأبيض في غرفة النوم، وفتات من خبز التورتيلا على اللحاف. كنت أعلم أنني قضيت وقتًا طويلًا للغاية بالداخل، لكن الجو كان لا يزال باردًا ورطبًا بالخارج، ولم أهتم بالخروج. لم يكن في المنزل أي شراب لائق، لذا فتحت زجاجة الراكي التي جلبها أندرياس معه من رحلته الأخيرة إلى كريت، وصببت لنفسي كأسًا وجرعته. بدا طعمه مثل جميع المشروبات الروحية الأجنبية بعد مرورها عبر مطار هيثرو: فاسدًا. كنت قد جلبت المخطوطة معي إلى الطابق السفلي، وتصفحتها مرة أخرى، في محاولة لمعرفة مقدار ما قد يكون مفقودًا. كان الجزء الأخير سيكون بعنوان «سر لا يُباح به البتة»، مما كان ملائمًا بكل تأكيد، بالنظر إلى الظروف. بما أن بوند أعلن أنه

توصل إلى الحل بالفعل، فمن المحتمل أنه كان يحتوي على قسمين أو ثلاثة أقسام فقط. على الأرجح، سيجمع المشتبه فيهم، ويخبرهم بالحقيقة، ويلقي القبض على أحدهم، ثم يعود إلى المنزل ويموت. كنت أعرف أن آلان كونواي أراد إنهاء السلسلة منذ فترة من الوقت، لكن مع ذلك كانت مفاجأة غير سارة عند اكتشاف أنه فعل ذلك بالتحديد. اعتقدت أن ورم المخ طريقة غير مبتكرة نوعًا ما للتخلص من شخصيته الرئيسية، لكنها كانت أيضًا وسيلة لا يمكن جدالها، وهذا هو السبب في اختياره لها على ما أظن. عليَّ الاعتراف بأنني إذا كنت قد ذرفت دمعة، كان ذلك من أجل أرقام مبيعاتنا المستقبلية.

إذن مَن قتل السير ماجنوس باي؟

لم يكن لديَّ شيء أفضل أفعله، لهذا أخرجت دفتر أوراق وقلمًا، وجلست في المطبخ والمخطوطة بجواري. حتى إنه خطر لي أن تشارلز ربما فعل هذا عن عمد لاختباري. سيكون في المكتب عندما أصل إلى هناك يوم الاثنين - كان دائمًا أول مَن يصل - وسيطلب الحل قبل أن يعطيني الصفحات الأخيرة. يتمتع تشارلز بحس دعابة غريب. كثيرًا ما رأيته يضحك على النكات التي لم يدرك أي شخص آخر في الغرفة أنه أطلقها.

١. نيفيل برينت، المسؤول عن الحدائق

إنه المشتبه فيه الأكثر وضوحًا. بادئ ذي بدء، فهو يكره ماري بلاكيستون، وقد صرفه السير ماجنوس باي من وظيفته للتو. لديه سبب بسيط وواضح للتخلص من كليهما. كما أنه الشخصية الوحيدة في الكتاب التي لها صلة بجميع حالات الوفاة. كان هناك في المنزل عند وفاة ماري، وهو آخر شخص تقريبًا شاهد السير ماجنوس على قيد الحياة. من المفترض أنه ذهب إلى حانة فيريمان مباشرة عندما انتهى من عمله في ليلة الجريمة، لكن كونواي ضمَّن تفصيلة غريبة في صفحة ٩٦. وصل برينت إلى الحانة بعد خمس وعشرين دقيقة. لماذا اهتم بتحديد الوقت إلى هذه الدرجة؟ قد تكون تفصيلة عرضية، وربما حتى تكون خاطئة:

دعونا لا ننسَ أننا نتعامل مع المسودة الأولى هنا. لكن كان لديَّ انطباع بأن حانة فيريمان على بعد عشر دقائق فقط من باي هول، وربما منحت الدقائق الخمس عشرة الإضافية برينت الوقت كي يعود أدراجه، ويتسلل عبر الباب الخلفي بينما كان السير ماجنوس يتحدث إلى ماثيو بلاكيستون، ويقتله بعد ذلك مباشرة.

هناك شيء آخر متعلق ببرينت. يكاد يكون من المؤكد أنه متحرش جنسي بالأطفال. «كان رجلًا منعزلًا، غير متزوج، وغريبًا بكل تأكيد، وعبق الجو برائحة محددة، رائحة رجل يعيش بمفرده». عثرت الشرطة على مجلات الكشافة على أرضية غرفة نومه، وبصورة عابرة تمامًا، في صفحة ١٧٧، يُقال لنا إنه قُبض عليه ذات مرة وهو يتجسس على الكشافة الذين يخيمون في دينجل ديل. برزت لي هذه التفاصيل لأنه بشكل عام، هناك قدر ضئيل جدًّا من الجنس في روايات أتيكوس بوند. على الرغم من أنه يجدر بنا أن نتذكر أنه اتضح أن القاتلة في لهب وسيانيد ذات ميول مثلية (سممت رفيقتها السحاقية). هل كان لدى برينت اهتمام غير صحي بالصبيين، توم وروبرت بلاكيستون؟ ليس من قبيل المصادفة بالتأكيد أنه مَن «اكتشف» توم بلاكيستون عندما غرق في البحيرة. حتى إنني أتساءل عن وفاة والده ووالدته في حادث سيارة مفترض. وأخيرًا، كان هو مَن قتل الكلبة على الأرجح.

على الرغم من كل ما قيل، فإن القانون الأول لروايات الجريمة هو أن المشتبه فيه الأكثر ترجيحًا لا يكون هو القاتل أبدًا. لذا أعتقد أن هذا يستبعده.

٢. روبرت بلاكيستون، ميكانيكي السيارات

روبرت أيضًا مرتبط بحالات الوفاة الثلاث. وبطريقته الخاصة، فهو غريب مثل برينت. لديه بشرة شاحبة، وقصة شعر غير ملائمة. لم ينسجم قَطُّ مع باقي الأطفال في المدرسة، وأُلقي القبض عليه في بريستول، والأهم من ذلك أن لديه علاقة صعبة مع والدته، بلغت ذروتها بخلاف على الملأ، هددها فيه بالقتل تقريبًا. أنا أغش هنا، لكن عند الحديث بوصفي محررة، سيكون أمرًا مُرضيًا للغاية أيضًا

إذا كان روبرت هو القاتل، حيث تذهب جوي ساندرلنج إلى بوند لأنها تحاول حمايته فقط. يمكنني بسهولة تخيل فصل أخير تتحطم فيه آمالها عندما ينكشف خطيبها. هذا هو الحل الذي كنت سأختاره.

مع ذلك، هناك مشكلتان رئيسيتان في هذه النظرية. الأولى أنه ما لم تكن جوي ساندرلنج تكذب، فلا يمكن أن يكون روبرت قد قتل والدته، لأنهما كانا في الفراش معًا وقت حدوث ذلك. ربما كان من الصحيح أن الدراجة البخارية الوردية ستلفت الأنظار وهي تسرع في طريقها إلى باي هول في الساعة التاسعة صباحًا، (على الرغم من أنه يبدو أن ذلك لم يمنع القاتل من استخدام دراجة الكاهن ذات الصرير العالي في الساعة التاسعة ليلًا). الأهم من ذلك، وقد ذكر بوند هذا في مناسبة واحدة على الأقل، أنه لا يبدو أن روبرت لديه أي دافع إلى قتل السير ماجنوس، الذي لم يعامله إلا بلطف. هل يمكن أن يكون قد حمَّل السير ماجنوس مسؤولية وفاة شقيقه الأصغر حينما كانا يلعبان عند البحيرة؟ في النهاية، كان هو مَن قدم الذهب الكاذب الذي تسبب في المأساة، وكان روبرت هو الشخص الثاني الذي وصل إلى مكان الحادث، وخاض في الماء ليساعد على سحب شقيقه إلى الخارج. لا بد أنه أصيب بصدمة نفسية. هل يمكن أن يكون حتى قد حمَّله مسؤولية وفاة والدته؟

ربما كان روبرت في النهاية هو المشتبه فيه الأول لديَّ، وبرينت هو الثاني. لا أدري.

٣. روبن أوسبورن، الكاهن

لدى آلان كونواي عادة اللعب ببطاقة ثانوية عند نهاية اللعبة. في نفوس شريرة على سبيل المثال، لم تتفوَّه أجنيس كارمايكل، التي اتضح أنها القاتلة، بكلمة واحدة، وهذا ليس من المستغرب، لأنها صماء وبكماء. لا أعتقد أن أوسبورن قتل السير ماجنوس بسبب دينجل ديل. كما لا أعتقد أنه قتل ماري بلاكيستون بسبب أيٍّ كان ما وجدته على مكتبه. لكن من المثير للاهتمام بالتأكيد أن دراجته

قد استُخدمت خلال الجريمة الثانية. هل من الممكن حقًّا أنه كان موجودًا في الكنيسة طوال ذلك الوقت؟ وفي صفحة ١٢٢، لاحظت هنرييتا بقعة من الدماء على كم زوجها. لم يُذكر هذا مرة أخرى، لكنني متأكدة أن كونواي كان سيصل إلى ذلك في الصفحات المفقودة.

أنا مهتمة أيضًا بالإجازة التي قضاها أوسبورن مع زوجته في ديفونشاير. من المؤكد أنه تردد في الحديث عن الأمر عندما استجوبه بوند («بدا الكاهن مضطربًا»)، ورفض حتى إعطاء اسم الفندق. ربما كنت أبالغ في قراءة ما بين السطور، لكن والدَي برينت ماتا أيضًا في ديفونشاير. هل هذا الأمر مرتبط بطريقة ما؟

٤. ماثيو بلاكيستون، الأب

في الحقيقة، يجب أن يكون على رأس قائمتي، حيث إنه قيل لنا، بشكل لا لبس فيه، إنه قتل زوجته. يقول بوند ذلك في نهاية الجزء السادس - «لقد قتل زوجته» - ومن غير المتصور أنه يكذب. في جميع الكتب الثمانية، حتى عندما ارتكب خطأ، (الاعتقال الخطأ في أتيكوس بوند يحتفل بعيد الميلاد، الذي أغضب القرَّاء الذين شعروا بأن كونواي لم يلتزم اللعب بشكل عادل)، لم يكن صادقًا بأقل من نسبة مائة في المائة على الإطلاق. إذا أعلن أن ماثيو بلاكيستون قتل زوجته، فهذا هو ما حدث، على الرغم من أنه من المزعج كونه لم يذكر السبب، كما أنه لم يوضح كيف توصل إلى هذا الاستنتاج. سوف يرد التوضيح، بالطبع، في الفصل المفقود.

هل قتل ماثيو السير ماجنوس أيضًا؟ لا أعتقد ذلك. تمكنت من تفسير تفصيلة واحدة على الأقل: ترك بلاكيستون أثر اليد المطبوعة في حوض الزهور عندما كان ينظر من خلال فتحة صندوق الرسائل. «شعرت بنفسي أسقط، وظننت أنني سأفقد الوعي». هذه هي كلماته. لا بد أنه مد يده ليثبت توازنه، وترك الأثر في الأرض اللينة. قتل زوجته، وعاد إلى مسرح الجريمة لسبب ما. إذا كانت هذه

هي الحال، على الرغم من أنه يبدو غير مرجح، فهناك قاتل ثانٍ في ساكسبي أون أيفون تخلص من السير ماجنوس لسبب مختلف تمامًا.

٥. كلاريسا باي، الشقيقة

في بعض الأحيان، عندما أقرأ إحدى روايات الجريمة، يساورني شعور حيال شخص ما من دون سبب واضح، وهذه هي الحال هنا. كان لدى كلاريسا جميع الأسباب التي تدفعها إلى كراهية شقيقها، وربما كانت تنتوي قتل كلٍّ من الليدي باي وابنها فريدي، كي ترث باي هول. من الممكن أن تكون الحكاية برمتها بخصوص سرقة الفيسوستجمين من أجل الانتحار مجرد كذبة، وسيفسر هذا أيضًا الحاجة إلى التخلص من ماري بلاكيستون. ودعونا لا ننسَ أن كلاريسا كان بحوزتها مفتاح الباب الأمامي لباي هول. ذُكر ذلك مرة واحدة - في صفحة ٣٦ - لكنه لم يُذكر مرة أخرى.

كما أن هناك مسألة الدكتور رينارد، والتوأمين اللذين جرى تبديلهما عند الولادة. متى اكتشفت كلاريسا الحقيقة؟ هل كان ذلك حقًّا عندما أخبرتها الدكتورة ريدوينج؟ أطرح هذا السؤال فقط لأن هناك إشارة غريبة إلى آشتون هاوس، حيث يعيش الدكتور رينارد، في صفحة ٧٨. في خطابه الذي ألقاه في الجنازة، ذكر الكاهن أن ماري بلاكيستون كانت زائرة منتظمة هناك. من الممكن أن يكون رينارد قد أخبرها بما حدث، ونظرًا إلى طبيعة شخصيتها، فقد أخبرت كلاريسا بعد ذلك. هذا من شأنه أن يمنح كلاريسا سببًا قويًّا لقتل كلٍّ من ماري والسير ماجنوس. من المحتمل أن الفيسوستجمين كان من أجل الليدي باي وفريدي. ربما حتى لم يكن سقوط الدكتور رينارد حادثًا في الواقع... على الرغم من أنني ربما أبالغ في هذا الأمر؟

استبعدتُ الزوجين وايتهيد، والدكتورة ريدوينج، وزوجها الفنان، وفرانسيس باي، وجاك دارتفورد، الذي هو غير مرجح إلى حدٍّ ما. كانت لديهم جميعًا دوافع لقتل السير ماجنوس، لكنني لم أتمكن من رؤية أي سبب يجعل أيًّا منهم يرغب

في إيذاء ماري بلاكيستون. هذا يترك جوي ساندرلنج فقط، المشتبه فيها الأقل ترجيحًا من بينهم جميعًا. لكن لماذا ترغب في قتل أي شخص؟ والأهم من ذلك، لماذا كانت ستذهب لزيارة أتيكوس بوند من الأساس؟

على أي حال، هكذا قضيت عصر يوم الأحد، وأنا أتصفح المخطوطة، وأدوِّن الملاحظات، من دون أن أصل إلى شيء في الواقع. في ذلك المساء، التقيت اثنين من الأصدقاء في معهد الفيلم البريطاني لحضور عرض فيلم الصقر المالطي، لكنني لم أتمكن من التركيز على الحبكة المعقدة. انشغلت بالتفكير في ماجنوس وماري، وقصاصات الورق الملطخة بالدماء، والكلاب الميتة، والرسائل الموضوعة في أظرف خاطئة. تساءلت عن سبب كون المخطوطة غير مكتملة، وشعرت بالانزعاج لأن تشارلز لم يعاود الاتصال بي.

في وقت لاحق من ذلك المساء، اكتشفت السبب. كافأت نفسي بركوب سيارة أجرة، وفتح السائق الراديو. كان هذا هو البند الرابع في نشرة الأخبار المسائية.

مات آلان كونواي.

دار نشر كلوفرليف بوكس

اسمي سوزان رايلاند، وأنا رئيسة قسم الرواية في دار نشر كلوفرليف بوكس. إن المنصب ليس كبيرًا كما يبدو، حيث لا يوجد منا سوى خمسة عشر فردًا (وكلبة) في المبنى، ولا ننتج أكثر من عشرين كتابًا في السنة، أعمل على نصفها تقريبًا. بالنسبة إلى مثل هذا العمل الصغير، لدينا قائمة عملاء لا بأس بها. هناك زوجان من المؤلفين يحظيان بالاحترام، وفازا بجوائز أدبية، وكاتب فانتازيا ذائع الصيت، وكاتب أطفال أُعلن للتو فوزه بلقب كاتب البلاط الجديد. لا يمكننا تحمُّل تكاليف إنتاج كتب الطهي، لكن في الماضي حققنا نجاحًا مع كتب أدلة السفر، والمساعدة الذاتية، وكتب السِّير. لكن الحقيقة ببساطة أن آلان كونواي كان أكبر اسم لدينا إلى حدٍّ بعيد، واعتمدت خطة عملنا بالكامل على نجاح بدافع القتل.

أنشأ تشارلز كلوفر الشركة منذ أحد عشر عامًا، وهو معروف جيدًا في هذا المجال، وكنت معه منذ البداية. كنا معًا في دار أورايون، عندما قرر أن يتوسع في العمل بمفرده، وباشر العمل من مبنى اشتراه بالقرب من المتحف البريطاني. بدت هيئة المكان ملائمة له تمامًا: ثلاثة طوابق، وممرات ضيقة، وسجاد بالٍ، وألواح خشبية، وقدر ضئيل من ضوء النهار. في الوقت الذي كان الجميع فيه يرحبون بالقرن الحادي والعشرين بتوتر - الناشرون بصفة عامة ليسوا أول مَن يتقدم الصف حينما يتعلق الأمر بالتغيير الاجتماعي أو التكنولوجي - كان سعيدًا جدًّا بدوره كشخص ينتمي إلى زمن أقدم. حسنًا، كان قد عمل مع جراهام جرين، وأنتوني

بورجيس، وموريل سبارك. حتى إن هناك صورة له وهو يتناول الطعام مع نويل كوارد الذي كان متقدمًا في السن بدرجة كبيرة، على الرغم من أن تشارلز دائمًا ما يقول إنه كان ثملًا للغاية، إلى درجة أنه لا يستطيع أن يتذكر اسم المطعم، ولا كلمة واحدة مما تفوَّه به الرجل العظيم.

قضيت أنا وتشارلز وقتًا كثيرًا للغاية معًا، إلى درجة أن الناس يفترضون أنه لا بد أننا كنا عاشقين فيما مضى، على الرغم من أننا لم نكن كذلك قَطُّ. إنه متزوج ولديه ابنان بالغان، أحدهما – لورا – على وشك إنجاب حفيده الأول. وهو يعيش في منزل فخم للغاية، تحيط ببابه الأمامي النوافذ من كلا الجانبين، في منطقة بارسونز جرين، وقد امتلكه هو وزوجته إيلين لمدة ثلاثين عامًا. ذهبت هناك لتناول العشاء مرات عديدة، ودائمًا ما تميزت الأمسيات برفقة مثيرة للاهتمام، ونبيذ جيد للغاية، ومحادثات تستمر حتى وقت متأخر من الليل. مع ذلك، فهو لا يميل إلى الاختلاط كثيرًا خارج المكتب، على الأقل ليس مع أشخاص من عالم النشر. إنه يقرأ كثيرًا، ويعزف على التشيلو. سمعت أقاويل بأنه تعاطى الكثير من المخدرات حينما كان في سن المراهقة وفي أوائل العشرينيات من عمره، لكنك لن تصدق ذلك بالنظر إليه الآن.

في الواقع، لم أرَه منذ أسبوع. كنت في جولة مع كاتب منذ يوم الثلاثاء إلى الجمعة. كانت لدينا مناسبات أدبية في برمنجهام، ومانشستر، وإدنبرة، ودبلن، إلى جانب المقابلات الإذاعية والصحفية. سارت الأمور على نحو جيد بدرجة مدهشة. عندما وصلت في وقت متأخر عصر يوم الجمعة، كان هو قد غادر بالفعل لقضاء عطلة نهاية الأسبوع. كانت النسخة المطبوعة على الكمبيوتر من مخطوطة بدافع القتل تنتظرني على مكتبي. خطر لي عندما ألقيت حقيبتي أرضًا، وفتحت جهاز الكمبيوتر الخاص بي في يوم الاثنين التالي أنه لا بد أن نكون قد قرأناها في الوقت نفسه، أنا وهو، وأنه في النهاية لم يكن من الممكن أن يعرف أنها غير مكتملة عندما تركها لي.

كان موجودًا في مكتبه بالفعل، في الطابق الأول، عند طرف الممر المقابل

لمكتبي. كان يطل على الطريق الرئيسي: شارع نيو أكسفورد، وبلومزبيري واي، بينما الجزء الخاص بي من المبنى أكثر هدوءًا. كانت لديه غرفة أنيقة مربعة، بها ثلاث نوافذ، وأرفف للكتب بالطبع، وعدد مذهل من الجوائز التذكارية المعروضة. لا يحب تشارلز في الواقع حفلات توزيع الجوائز. إنه يعتبرها شرًّا لا بد منه، لكن على مر السنين نجحت دار نشر كلوفرليف في الفوز بعدد غير قليل منها - جوائز الكتاب البريطاني، وجوائز «الخنجر الذهبي»، وجوائز نقابة الناشرين المستقلين - وبطريقة ما وجدت طريقها إلى هنا. بدا كل شيء أنيقًا للغاية. كان تشارلز يحب أن يعرف مكان كل شيء، وكانت لديه سكرتيرة، جميما، تتولى العناية به، على الرغم من أنه لم يبدُ أنها موجودة في الجوار. جلس خلف مكتبه وأمامه نسخته من بدافع القتل. رأيت أنه دوَّن ملاحظات في الهامش، باستخدام قلم حبر مملوء بالحبر الأحمر.

يجب أن أصف تشارلز كما بدا في ذلك اليوم. كان في الثالثة والستين من العمر، يرتدي بدلة وربطة عنق كما هي الحال دائمًا، وخاتمًا ذهبيًّا رفيعًا في إصبعه الرابعة، منحته إياه إيلين في عيد ميلاده الخمسين. عند دخولي الغرفة المعتمة إلى حدٍّ ما، دومًا ما كان يبدو لي مثل شخصية العراب، كما في الفيلم الشهير. لم يكن هناك أي إحساس بالتهديد، لكن تشارلز بدا إيطاليًّا بعينين ثاقبتين، وأنف رفيع جدًّا، وعظام وجنتين أرستقراطيتين للغاية. كان شعره أبيض، ينسدل إلى الأسفل بلامبالاة، ويمس ياقته. كان يتمتع بلياقة كبيرة بالنسبة إلى رجل في مثل سنه، على الرغم من أنه لم يكن ليفكر في الاقتراب من أي صالة ألعاب رياضية، وكان مسيطرًا تمامًا على مقاليد الأمور. كثيرًا ما كان يحضر كلبته عندما يأتي إلى العمل، وكانت موجودة الآن، لابرادور ذهبية نائمة على بطانية مطوية أسفل المكتب.

كان اسم الكلبة بيلا.

لوَّح إليَّ للدخول من الباب قائلًا:

- تعالي يا سوزان.

كنت أحمل المخطوطة معي. دخلت وجلست، ورأيت الآن أنه يبدو شاحبًا جدًّا، في حالة صدمة تقريبًا، وقال:

- لقد سمعتِ.

أومأت برأسي. كانت هناك مقالات في جميع الصحف، وسمعت المؤلف إيان رانكين يتحدث عنه في برنامج تو داي. كان أول ما فكرت فيه عندما سمعت الخبر أنه لا بد أن يكون قد أصيب بنوبة قلبية. ألم يكن هذا هو أكثر ما يصيب الرجال الذين هم في مثل سنه؟ لكنني كنت مخطئة. يقولون الآن إنه حادث، وقع في منزله بالقرب من فراملينجهام.

قال تشارلز:

- إنها أخبار مروعة، رهيبة للغاية.

سألته:

- هل تعرف ما حدث؟

- اتصلت بي الشرطة الليلة الماضية. تحدثت إلى كبير مفتشي الشرطة، الذي يُدعى لوك. كان يتصل من إبسويتش، على ما أعتقد. قال بالضبط ما يقولونه في الراديو - إنه حادث - لكنه رفض الخوض في أي تفاصيل أكثر من هذا. بعد ذلك، في هذا الصباح، تلقيت هذه قبل بضع دقائق فقط.

التقط رسالة ملقاة على مكتبه. كان بجوارها ظرف ممزق فُتح بعنف. تابع قائلًا:

- وصلت مع بريد الصباح. إنها من الآن.

- هل يمكنني رؤيتها؟

- بالتأكيد.

ناولني إياها.

الرسالة مهمة، لذا أرفق نسخة مطابقة لها.



آبي جرينج

فراملينجهام

سوفولك

٢٨ أغسطس ٢٠١٥

عزيزي تشارلز،

لا أحب الاعتذار، لكنني لم أكن في أفضل حالاتي على العشاء الليلة الماضية، سأعترف بذلك. أنت تعلم أنني كنت متوعكًا مؤخرًا، ولم أرغب في إخبارك، لكن ربما كان من الأفضل أن أعترف بالأمر مباشرة. أنا لست على ما يرام.

في الواقع، هذا تهوين للأمر. الدكتورة شيلا بينيت في عيادة لندن كلينيك لديها كل التفاصيل، لكن عمليًّا، أنا على وشك الموت بسبب أكثر شيء مبتذل ولعين على هذا الكوكب. أنا مصاب بالسرطان، ويتعذر معه التدخل الجراحي.

لماذا أنا؟ أنا لا أدخن، وأتناول الشراب بالكاد. عاش والداي حتى وصلا إلى سن الشيخوخة إلخ إلخ. على أي حال، بقيت لي ستة أشهر تقريبًا، وربما أكثر إذا ذهبت للعلاج الكيماوي وما سواه.

إلا أنني قررت رفض ذلك بالفعل. أنا آسف، لكنني لن أقضي أيامي الأخيرة المتبقية وأنا موصَّل بقسطرة وريدية، ورأسي نصف متدلٍّ داخل المرحاض، وشعري متناثر في جميع أرجاء أرضية غرفة النوم. ما جدوى ذلك؟ كما لن أسمح بأن أُدفع على كرسي متحرك



لحضور المناسبات الأدبية في أرجاء لندن، وأنا ناحل كالعصا، وأسعل حتى أتقيأ أحشائي، بينما يصطف الجميع لإخباري بمدى أسفهم، في حين أنهم في الواقع لا يطيقون الانتظار لرؤيتي أرحل. على أي حال، أعلم أنني كنت متعكر المزاج بشدة معك، لكن بطريقة ما، كانت علاقتنا بأكملها عبارة عن فوضى عميقة، وربما كان من الأفضل أن تنتهي بالطريقة نفسها التي بدأت بها. أتذكر الوعود التي قطعتها عندما التقيت أنا وأنت أول مرة، ولكي أكون منصفًا معك، فقد تحققت جميعها. تلك المتعلقة بالمال، على أي حال. لذا شكرًا لك على ذلك.

وفيما يتعلق بالمال، فمن المحتم وقوع خلافات بعد رحيلي. لن يكون جيمس، على سبيل المثال، سعيدًا. لا أعرف لماذا أذكر لك هذا، حيث إنه ليس من شأنك، لكن ربما من الأفضل أن تعلم أننا افترقنا ومضى كلٌّ منا في طريقه نوعًا ما، وأخشى أنني استبعدته تمامًا من وصيتي.

رباه! أبدو مثل شخصية في أحد كتبي. على أي حال، سيتعين عليه التعايش مع الأمر فحسب. أتمنى ألا يثير لك كثيرًا من المتاعب.

على الصعيد الأدبي، لم تسِر الأمور كما تمنيت تمامًا، لكننا تحدثنا عن ذلك بما يكفي، ولن أضيع الوقت في مراجعة الأمر هنا مرة أخرى. أنت لا تكترث برأيي في مسيرتي المهنية، ولم تفعل قَطُّ. هذا واحد من الأشياء التي أعجبتني فيك. المبيعات، وقوائم الكتب الأكثر مبيعًا، وجداول نيلسين اللعينة تلك. كل الأشياء التي لطالما كرهتها أنا في مجال النشر، كانت دومًا هي لقمة العيش بالنسبة إليك. ماذا ستفعل من دوني؟ من المؤسف أنني لن أكون موجودًا كي أعرف ذلك.



عندما تقرأ هذا، سيكون كل شيء قد انتهى. سامحني لأنني لم أتحدث إليك قبل هذا، ولأنني لم أفضِ إليك بسري، لكنني متأكد أنك ستتفهم الأمر بمرور الوقت.

هناك بعض الملاحظات التي كتبتها، وستجدها في مكتبي. إنها تتعلق بحالتي والقرار الذي اتخذته. أريد أن يكون من المفهوم أن تشخيص الطبيبة واضح، وبالنسبة إليَّ، لا يمكن أن يكون هناك احتمال للنجاة. أنا لا أهاب الموت، وأحب الاعتقاد بأن اسمي سيظل باقيًا.

لقد حققت نجاحًا كبيرًا في حياة طالت بما يكفي. ستجد أنني تركت لك ميراثًا صغيرًا في وصيتي. جزئيًا، هذا للاعتراف بالسنوات العديدة التي أمضيناها معًا، لكنني آمل أيضًا أن تتمكن من استكمال العمل على كتابي، وإعداده للنشر. أنت الوصي الوحيد عليه الآن، لكنني واثق بأنه سوف يكون في أمان بين يديك.
خلاف ذلك، فهناك عدد قليل من الناس الذين سينعونني. لم أخلف ورائي أي مُعالين. بينما أستعد للرحيل عن هذا العالم، أشعر بأنني استغللت وقتي جيدًا، وآمل أن تبقى ذكراي بسبب النجاح الذي تشاركناه معًا، أنا وأنت.



كانت مغامرة حقًّا، أليس كذلك؟ (لماذا لا تلقي نظرة أخرى على كتاب «الزلاقة»، لأجل الأيام الخوالي فحسب؟). لا تغضب مني. تذكر كل الأموال التي جنيتها. وها هي ذي الكلمة المفضلة لديَّ:

النهاية.

المخلص دومًا،

آلان

سألت:

- هل وصلت هذه صباح اليوم؟

- أجل، كما تعلمين، تناولنا العشاء ليلة الخميس. اصطحبته إلى النادي في ذا آيفي. هذه الرسالة بتاريخ ٢٨ أغسطس، وهو اليوم التالي. لا بد أنه كتبها بمجرد وصوله إلى المنزل.

كان آلان يمتلك شقة في فيتزروفيا. كان سيقضي الليلة فيها، ثم يستقل القطار من شارع ليفربول صباح اليوم التالي.

سألته:

- ما كتاب الزلاقة؟

- إنه كتاب ألَّفه آلان منذ فترة.

- لم ترِني إياه من قبل.

- بصراحة، لم أعتقد أنك سوف تهتمين. لم يكن رواية جريمة. كان شيئًا أكثر جدية، نوعًا من السخرية من بريطانيا في القرن الحادي والعشرين، تدور أحداثه في منزل فخم.

- كنت أود رؤيته، على الرغم من ذلك.

- صدقيني يا سوزان، كنت ستضيعين وقتك. كان من المُحال أن أنشره.

- هل أخبرت آلان بذلك؟

- ليس بطريقة مباشرة. قلت فقط إنه لا يتناسب مع قائمة منشوراتنا.

إنه أسلوب قديم في عالم النشر لتنميق الحديث، إذ لا يمكنك إخبار المؤلف الأكثر نجاحًا لديك أن كتابه الجديد لا يصلح على الإطلاق.

جلسنا في صمت. تحت المكتب، انقلبت الكلبة وأصدرت أنينًا. قلت:

- هذه رسالة انتحار.

- نعم.

- يجب أن نرسلها إلى الشرطة.

- أتفق معكِ. كنت على وشك الاتصال بهم.

- ألم تكن تعرف أنه مريض؟

- لم أكن أعرف شيئًا عن ذلك. لم يخبرني قَطُّ، وبالتأكيد لم يذكر ذلك ليلة الخميس. تناولنا العشاء، ثم أعطاني المخطوطة. كان متحمسًا! قال إنه أفضل عمل له. مكتبة سُر مَن قرأ

لم أكن موجودة هناك، وأنا أكتب هذا بعد انقضاء الحدث، لكن هذا ما أخبرني تشارلز بوقوعه. كان آلان كونواي قد وعد بتقديم بدافع القتل بحلول نهاية العام، وعلى عكس بعض الكُتَّاب الذين عملت معهم، كان دائمًا منضبطًا للغاية. خُطِّط للعشاء قبل بضعة أسابيع، وبالمناسبة، لم يكن من قبيل المصادفة أن الأمر رُتِّب في أثناء غيابي. لم أكن أنا وآلان ننسجم معًا، لأسباب سآتي على ذكرها. قابل تشارلز في ذا آيفي، ليس المطعم، بل نادٍ خاص للأعضاء فقط، على مقربة من ميدان كامبريدج. يوجد بار به بيانو في الطابق الأول، ومطعم بالأعلى، وجميع النوافذ بها زجاج ملون، بحيث لا يمكنك رؤية ما بالداخل، ولا بالخارج كذلك. يذهب عدد غير قليل من المشاهير إلى هناك، وهو من ذلك النوع من الأماكن تحديدًا التي كان آلان يستمتع بها. حجز تشارلز طاولته المعتادة على يسار الباب، وخلفه جدار من أرفف الكتب. لم يكن من الممكن أن يصير المشهد منظمًا على نحو أفضل من هذا لو كان في مسرح. في الواقع، كان كلٌّ من مسرح سانت مارتن ومسرح ذا أمباسادورز اللذين عرضا فيما بينهما مسرحية مصيدة الفئران لسنوات يعلم الرب عددها، يقعان على مقربة في الطريق نفسه.

بدأ كلاهما بتناول كوكتيل مارتيني ضخم، يعده النادي بصورة جيدة للغاية. تحدثا عن أشياء عامة: الأسرة، والأصدقاء، ولندن، وسوفولك، وتجارة الكتب، وبعض الشائعات، وما يُباع، وما لا يُباع. اختارا طعامهما، ولأن آلان كان يحب النبيذ باهظ الثمن، جامله تشارلز بطلب زجاجة من جيفري شامبرتين جراند كرو، شرب آلان معظمها. بوسعي تخيله وصوته يتعالى، وهو يزداد ثرثرة مع استمرار الوجبة. دومًا ما كان يميل إلى الإفراط في تناول الشراب. وصل الطبق

الأول، وبعد انتهائهما منه، أخرج آلان المخطوطة من الحقيبة الجلدية التي كان يحملها دائمًا.

قال تشارلز:

– فوجئت بشدة. لم أكن أتوقعها قبل شهرين آخرين على الأقل.

قلت:

– أنت تعلم أن نسختي غير مكتملة. تنقصها الفصول الأخيرة.

– وكذلك نسختي. كنت أعمل عليها للتو، عندما دخلتِ.

– هل قال أي شيء؟

تساءلت عما إذا فعل آلان هذا عن عمد. ربما أراد أن يخمن تشارلز النهاية قبل الكشف عنها بالفعل.

عاد تشارلز بذاكرته إلى الوراء، وقال:

– لا، أخبرني فقط كم يعتقد أنه عمل جيد، وناولني إياه.

كان هذا مثيرًا للاهتمام. لا بد أن آلان كونواي ظن أن الفصول جميعها موجودة، وإلا كان سيوضح ما يفعله بالتأكيد.

سُرَّ تشارلز لتلقي العمل الجديد، وأصدر كل الأصوات الملائمة. أخبر آلان بأنه سيقرأه خلال عطلة نهاية الأسبوع. من سوء الحظ، أخذت الأمسية منعطفًا نحو الأسوأ بعد ذلك.

قال لي تشارلز:

– لا أدري ماذا حدث. كنا نتحدث عن العنوان. لم أكن متأكدًا أنه يعجبني، وأنت تعرفين كيف يمكن أن يكون آلان شديد الحساسية. ربما كانت حماقة مني أن أثير الموضوع حينها. وبينما كنا نتحدث، وقع حادث غريب نوعًا ما. أسقط نادل مجموعة من الأطباق. أعتقد أن هذا يمكن أن يحدث في أي مكان، لكن النادي مكان هادئ للغاية، إلى درجة أن الأمر كاد يشابه انفجار قنبلة، وقد نهض آلان في الواقع، وأبدى احتجاجه للنادل. كان متوترًا طوال المساء، ولم تكن لديَّ أدنى فكرة عن السبب.

لكن إذا كان مريضًا ويفكر بالفعل في التخلص من حياته، فأعتقد أن هذا لا يكاد يكون مستغربًا.

سألته:

- كيف انتهت الوجبة؟

- هدأ آلان بعض الشيء، وتناولنا القهوة، لكنه كان لا يزال متعكر المزاج. أنت تعرفين كيف يمكن أن تكون طبيعته بعد تناول بضع كؤوس من النبيذ. هل تذكرين ذلك الحدث المروع في متجر سبيكسيفرز؟ على أي حال، بينما كان يستقل السيارة الأجرة، قال إن هناك مقابلة إذاعية يريد الانسحاب منها.

قلت:

- مع سايمون مايو، محطة راديو بي بي سي ٢.

- أجل، الجمعة المقبلة. حاولت إثناءه عن ذلك. لا تريدين خذلان أولئك الإعلاميين، لأنك لا تعرفين أبدًا ما إذا كانوا سيوجهون إليك الدعوة مرة أخرى. لكنه لم يقبل شيئًا من ذلك.

قلَّب تشارلز الرسالة بين يديه. تساءلت عما إذا كان من المفترض أن يلمسها حتى. ألم تكن دليلًا؟ واصل قائلًا:

- أعتقد أنه يجب عليَّ الاتصال بالشرطة. سيحتاجون إلى معرفة هذا الأمر.

تركته ليجري المكالمة.

آلان كونواي



كنت أنا مَن اكتشف آلان كونواي.

قدمته إليَّ شقيقتي، كاتي، التي تعيش في سوفولك، والتي أرسلت طفليها إلى مدرسة محلية خاصة. كان آلان يعمل مدرسًا للغة الإنجليزية هناك، وقد انتهى للتو من كتابة رواية جريمة بعنوان جرأة أتيكوس بوند. لست متأكدة كيف اكتشف أنها تعرفني - أعتقد أنها لا بد أن تكون أخبرته - لكنه سألها ما إذا كان بوسعها أن تريني إياها. أنا وشقيقتي نعيش حياة مختلفة تمامًا، لكننا بقينا مقربتين، ووافقت على إلقاء نظرة كخدمة لها. لم أعتقد أنه سيكون جيدًا، لأن الكتب التي تأتي بهذه الطريقة، عبر الباب الخلفي، نادرًا ما تكون كذلك.

كانت مفاجأة سارة لي.

التقط آلان شيئًا من «العصر الذهبي» لروايات الجريمة البريطانية، مع خلفية منزل ريفي، وجريمة قتل معقدة، وطاقم من الشخصيات غريبة الأطوار بدرجة ملائمة، ومحقق وصل بوصفه شخصًا أجنبيًّا. كانت أحداث الكتاب تدور في عام ١٩٤٦، عقب الحرب مباشرة، وعلى الرغم من أنه لم يكثر من وصف تفاصيل تلك الفترة، فإنه تمكن من تصوير شيء من مشاعر تلك الحقبة. كان بوند شخصية تستدعي التعاطف معها، كما أن حقيقة كونه خرج من أحد معسكرات الاعتقال - اختصرنا بعضًا من هذه التفاصيل في النهاية - أضفت عليه درجة من العمق. أعجبتني سلوكياته الجرمانية، ولا سيما هوسه بكتابه مشهد التحقيق الجنائي،

الذي سيتكرر ظهوره. كما سمح تصوير الحكاية في فترة الأربعينيات بإيقاع أهدأ، بلا هواتف محمولة، وأجهزة كمبيوتر، وطب شرعي، ولا معلومات فورية. كانت لديَّ بعض نقاط الخلاف. كانت هناك أجزاء من الكتابة أكثر براعة مما ينبغي لها. كثيرًا ما شعرت كما لو أنه يجاهد من أجل البراعة اللغوية، بدلًا من مجرد سرد القصة. كانت أطول من اللازم. لكن عندما وصلت إلى نهاية المخطوطة، كنت على ثقة بأنني سوف أنشرها، أول مهمة لي لدى دار نشر كلوفرليف بوكس.

بعد ذلك، قابلت المؤلف.

لم أشعر بالميل نحوه. يؤسفني قول ذلك، لكنني اعتقدت أنه يبدو جامد العواطف بعض الشيء. لا بد أنك شاهدت صوره على أغلفة الكتب، بذلك الوجه النحيف، والشعر الفضي القصير، والنظارات المستديرة ذات الإطار السلكي. لطالما كان يتمتع بشيء من البلاغة والجاذبية العفوية على التلفزيون والراديو. لم يكن كذلك حينها. كان بدينًا، زائد الوزن بعض الشيء، يرتدي بدلة بآثار طباشير على الكُمين. اتسم سلوكه بالعدائية، والرغبة في الإرضاء في الوقت نفسه. سرعان ما أخبرني عن مدى رغبته في أن يكون مؤلفًا له أعمال منشورة، لكنه لم يُبدِ أي حماس تقريبًا الآن وقد حانت اللحظة. لم أتمكن من فهمه. عندما ذكرت بعض التغييرات التي أريد إجراءها على الكتاب، اتخذ موقفًا معاديًا تمامًا. ظننت أنه واحد من أكثر الأشخاص الذين قابلتهم افتقارًا إلى حس الدعابة. لاحقًا، أخبرتني كاتي بأنه لم يحظَ بالشعبية قَطُّ بين الأطفال، ويمكنني تفهم السبب.

لأكون منصفة، عليَّ القول إنني لا يمكن أن أكون قد تركت انطباعًا أوليًا جيدًا أنا أيضًا. بعض الاجتماعات تحدث بهذه الطريقة فحسب. رتبنا لتناول الغداء في مطعم أنيق، هو وتشارلز وأنا. كانت الأمطار تهطل ذلك اليوم، متساقطة بغزارة شديدة. كنت في اجتماع على الجانب الآخر من المدينة، ولم تصل سيارتي الأجرة، لذا اضطررت إلى الركض لمسافة نصف ميل بكعب عالٍ. وصلت متأخرة وشعري ملتصق بجانب وجهي، وقميصي غارق بالمياه، وحمالة صدري تظهر من خلاله. قلبت كأسًا من النبيذ في أثناء جلوسي. أردت تدخين سيجارة

بشدة، وقد جعلني ذلك نزقة. أتذكر أننا خضنا جدالًا سخيفًا حول أحد أجزاء الكتاب - كان قد جمع كل المشتبه فيهم داخل المكتبة، وظننت أن هذا مبتذل للغاية - لكن في الواقع لم يكن هذا الوقت المناسب للحديث عن هذا. بعد ذلك، غضب مني تشارلز بشدة، وكان محقًّا في هذا. كان من الممكن أن نخسره، وهناك الكثير من الناشرين الآخرين الذين كانوا سيأخذون الكتاب، ولا سيما مع الوعد بسلسلة من الكتب.

في الواقع، تولى تشارلز المسؤولية، وأجرى معظم الحديث في ذلك اليوم، وكانت النتيجة أنه هو الذي انتهى به المطاف إلى العمل مع آلان. هذا يعني أن تشارلز هو الذي ذهب إلى جميع المهرجانات الأدبية: إدنبرة، وهاي أون واي، وأكسفورد، وشلتنهام. كان تشارلز هو مَن أقام علاقة معه. توليت أنا أداء العمل فقط، وحررت الكتب باستخدام برنامج كمبيوتر فعَّال، مما يعني أننا لم نضطر حتى إلى اللقاء وجهًا لوجه. من الغريب التفكير في أنني عملت معه لمدة أحد عشر عامًا، ولم أزُر منزله قَطُّ ولو مرة واحدة، وهو أمر غير منصف نوعًا ما، بالنظر إلى أنني دفعت ثمنه في الواقع.

بالطبع كنت أراه بين الحين والحين، عندما كان يأتي إلى المكتب، وعليَّ الاعتراف بأنه كلما ازداد نجاحًا، ازداد جاذبية. اشترى ملابس باهظة الثمن، وذهب إلى صالة ألعاب رياضية، وبات يقود سيارة بي إم دبليو i8 كوبيه. في هذه الأيام، يجب على جميع الكُتَّاب أن يصبحوا مؤدين إعلاميين، وسرعان ما صار آلان يتجول بين الاستوديوهات في برامج مثل ذا بوك شو، وذا رايت ستاف، وكويستشين تايم. حضر الاحتفالات، وحفلات توزيع الجوائز. ألقى خطابات في المدارس والجامعات. كان في الأربعين من العمر عندما عثر على الشهرة، وبدا الأمر كما لو أنه بدأ يعيش حياته حينها فقط. كما تغير بطرق أخرى أيضًا. كان متزوجًا ولديه ابن في الثامنة من العمر عندما التقيته. لم تستمر الزيجة طويلًا.

عند قراءة ما كتبته، أبدو محبطة، كما لو أنني مستاءة من النجاح الذي ساهمت

أنا في تحقيقه له إلى حدٍّ كبير. لكن هذا لم يكن شعوري على الإطلاق. لم أكترث برأيه فيَّ، وكنت سعيدة تمامًا بتركه وتشارلز يقضيان الوقت معًا في المهرجانات الأدبية، بينما شرعتُ في العمل الجاد في تحرير النص، والإشراف على إنتاج الكتب. في النهاية، كان هذا كل ما يهمني. والحقيقة أنني أحببتها بالفعل. نشأت على أجاثا كريستي، وعندما أكون على متن طائرة أو على الشاطئ، لا يوجد شيء أُفضِّل قراءته أكثر من رواية جريمة. شاهدت جميع حلقات مسلسلَي بوارو وجرائم ميدسومر على التلفزيون. لا أتمكن من تخمين النهاية أبدًا، ولا أطيق الانتظار حتى اللحظة التي يجمع فيها المحقق جميع المشتبه فيهم في الغرفة، ومثل الساحر الذي يستحضر الأوشحة الحريرية من الهواء، يجعل الأمر برمته منطقيًّا. هذا هو بيت القصيد، إذن: كنت من محبي أتيكوس بوند، ولم أكن بحاجة إلى أن أكون من محبي آلان كونواي أيضًا.

اضطررت إلى إجراء عدد غير قليل من المكالمات بعد أن غادرت مكتب تشارلز. بطريقة ما، حتى قبل أن نبلغ الشرطة بالخطاب، انتشر خبر انتحار آلان، وكان هناك صحفيون يطاردون القصة. اتصل الأصدقاء من صناعة النشر للتعزية. أرادت مكتبة لبيع الكتب النادرة في سيسيل كورت معرفة ما إذا كانت لدينا أي نسخ موقَّعة، حيث كانوا يرتبون عرضًا في نافذة المتجر. فكرت في آلان كثيرًا ذلك الصباح، لكنني فكرت أكثر في رواية جريمة تفتقد الحل، وفي هذا الصدد، في جدول نشر صيفي به فجوة كبيرة في منتصفه.

بعد الغداء، عدت لرؤية تشارلز.

قال لي تشارلز:

- لقد تحدثت إلى الشرطة.

كانت الرسالة لا تزال أمامه، والظرف بجوارها. واصل الحديث:

- سيرسلون شخصًا كي يأخذها. يقولون إنني ما كان يجب أن ألمسها.

- لا أدري كيف كان يمكنك أن تعرف ذلك قبل فتحها.

- بالضبط.

سألته:

- هل أخبرك كيف فعلها؟

بكلمة «فعلها»، كنت أعني «قتل نفسه».

أومأ تشارلز برأسه قائلًا:

- هناك برج من نوع ما متصل بمنزله. آخر مرة كنت هناك - لا بد أن ذلك كان في مارس أو أبريل - تحدثت مع آلان في الواقع بخصوص ذلك. أخبرته كم كان الأمر خطيرًا. لا يوجد سوى جدار منخفض، من دون درابزين ولا أي شيء. الأمر غريب، لأنني عندما سمعت بوقوع حادث، افترضت على الفور أنه لا بد أن يكون سقط من ذلك الشيء اللعين، لكن يبدو الآن أنه قفز.

ساد صمت طويل. عادة ما أعرف أنا وتشارلز ما يفكر فيه الآخر، لكن هذه المرة تعمدنا تجنب التقاء نظراتنا. كان أمرًا مروعًا حقًّا أن يحدث هذا. لم يرغب أيٌّ منا في مواجهته.

سألته:

- ما رأيك في الكتاب؟

كان هذا السؤال الوحيد الذي لم أطرحه، وأول شيء كنت أرغب في معرفته في الظروف العادية.

- حسنًا، لقد قرأته خلال عطلة نهاية الأسبوع، واستمتعت به بدرجة كبيرة. بدا لي أنه يضاهي الآخرين جودة. عندما وصلت إلى الصفحة الأخيرة، شعرت بالانزعاج كما لا بد أن تكوني قد شعرت أنتِ. أول ما طرأ لي أنه لا بد أن تكون إحدى الفتيات قد ارتكبت خطأً هنا في المكتب. كنت قد طلبت إعداد نسختين، واحدة لك، وواحدة لي.

ذكرني هذا بالأمر، فسألته:

- أين جميما؟

- لقد رحلت. قدمت إشعارًا رسميًّا باستقالتها بينما كنتِ أنت على الطريق.

بدا مرهقًا فجأة، وتابع قائلًا:

- لم يكن بإمكانها اختيار وقت أسوأ: هذا الموضوع المتعلق بآلان، كما أنني منشغل بالتفكير في لورا أيضًا.

كانت لورا هي ابنته الحبلى. سألته:

- كيف حالها؟

- إنها بخير. لكن الأطباء يقولون إن الأمر قد يحدث في أي وقت. على ما يبدو، مع الطفل الأول، من المرجح أن يكون مبكرًا.

عاد ليواصل ما كان يقوله من قبل:

- لا توجد صفحات مفقودة يا سوزان. ليس هنا، على أي حال. تفقدنا غرفة النسخ. لقد نسخنا ما قدمه إلينا آلان بالضبط. كنت سأتصل به لأستفسر عما حدث. بعد ذلك بالطبع، سمعت الأخبار.

- ألم يرسل إليك نسخة إلكترونيًّا؟

- نعم، لم يكن يفعل ذلك قَطُّ.

كان هذا صحيحًا. كان آلان رجلًا يفضِّل القلم والأوراق. في الواقع، كان يكتب مسودته الأولى بخط اليد، ثم يكتبها على جهاز الكمبيوتر الخاص به. دائمًا ما كان يرسل إلينا نسخة مطبوعة، قبل إرسالها إلينا عبر البريد الإلكتروني، كما لو أنه بطريقة ما لا يثق بنا لقراءتها على الشاشة.

قلت:

- حسنًا، علينا العثور على الفصول المفقودة، وكلما أسرعنا بذلك كان أفضل.

بدا تشارلز متشككًا، لذا واصلت قائلة:

- لا بد أنها في مكان ما بالمنزل. هل تمكنت من التوصل إلى معرفة مَن فعلها؟

هز رأسه قائلًا:

- كنت أفكر أنها ربما تكون الشقيقة.

- كلاريسا باي، أجل. كانت على قائمتي أنا أيضًا.

- ثمة احتمال دومًا أنه لم ينتهِ منها في الواقع.

- أنا متأكدة أنه كان سيخبرك وهو يسلمك إياها. وماذا سيكون الهدف من ذلك؟

فكرت في جدول مواعيدي، وفي كل الاجتماعات التي تنتظرني الأسبوع المقبل، لكن هذا الأمر كان أكثر أهمية.

قلت:

- لماذا لا أتوجه بالسيارة إلى فراملينجهام؟
- هل أنت متأكدة أنها فكرة جيدة؟ ستكون الشرطة لا تزال في المنزل. يجب أن يكون هناك تحقيق في حال ما إذا كان قد انتحر.
- أجل، أعرف هذا. لكنني أريد الوصول إلى جهاز الكمبيوتر الخاص به.
- المفترض أنهم أخذوه، أليس كذلك؟
- على الأقل يمكنني إلقاء نظرة في أرجاء المكان. يمكن أن يكون الأصل لا يزال على مكتبه.

فكر للحظة، ثم قال:

- حسنًا، أعتقد ذلك.

فوجئت أنه لم يكن أكثر حماسًا. على الرغم من أن أيًّا منا لم يقل ذلك تحديدًا، لكننا كنا نعرف مدى حاجتنا إلى بدافع القتل. مررنا بعام سيئ. في شهر مايو، نشرنا سيرة ممثل كوميدي ألقى نكتة تفتقر إلى اللياقة على نحو مذهل، على الهواء مباشرة على شاشة التلفزيون. بين عشية وضحاها تقريبًا، لم يعد مضحكًا، واختفى كتابه تقريبًا من المتاجر. كنت في جولة للتو مع مؤلف أصدر روايته الأولى بعنوان لاعب الخفة ذو الذراع الواحدة، وهي كوميديا تدور أحداثها داخل سيرك. ربما سارت الجولة على ما يرام، لكن مراجعات الرواية كانت قاسية، ووجدنا صعوبة في توزيع النسخ في المتاجر. كما واجهتنا مشكلات مع المبنى، ودعوى قضائية، ومشكلات مع الموظفين. لم نكن على وشك الإفلاس، لكننا كنا بحاجة ماسة إلى عمل ناجح.

قلت:

- سأذهب غدًا.

- أعتقد أنه لا ضرر من المحاولة. هل تريدينني أن آتي معك؟

- لا، سأكون على ما يرام بمفردي.

لم يدعُني آلان قَطُّ إلى آبي جرينج. سأهتم برؤية كيف يبدو. قلت:

- أبلغ تحياتي إلى لورا، وإذا كانت هناك أي أخبار فأبلغني.

نهضت وغادرت الغرفة، وها هو ذا الشيء الغريب في الأمر: لم أدرك ما رأيته، إلا وأنا أسير عائدة إلى مكتبي، على الرغم من أنه ظل أمام عينَي طوال الوقت. كان غريبًا للغاية، ولم يكن له أي معنى.

كانت رسالة انتحار آلان، والظرف الذي وصلت فيه على مكتب تشارلز. كُتبت الرسالة بخط اليد، بينما كُتب الظرف على الآلة الكاتبة.

آبي جرينج، فراملينجهام

في وقت مبكر من صباح اليوم التالي، كنت أسرع بالسيارة عبر مرتفعات حديقة ألكسندرا، ومن فوقي هيكل القصر الشهير الخاوي تقريبًا، متجهة نحو طريق A12. كانت هذه ذريعة مثالية لإخراج السيارة الإم جي بي ذات السقف المتحرك التي اشتريتها لنفسي قبل ستة أعوام، في عيد ميلادي الأربعين. كانت سيارة سخيفة، لكنني علمت أن عليَّ امتلاكها في اللحظة التي رأيتها فيها معروضة للبيع خارج مرأب في هايجيت: موديل عام ١٩٦٩، يدوي مع مسنن مضاعفة السرعة، ذات لون أحمر قانٍ وحواف سوداء. لم تعرف كاتي ماذا تقول عندما ظهرت بها لأول مرة، لكن طفليها أُعجبا بها بجنون، وفي كل مرة رأيتهما فيها، كنت أصطحبهما للخروج، مسرعين عبر الطرقات الريفية مع إنزال السقف، وهما يصيحان في المقعد الخلفي.

كنت أسير عكس اتجاه المرور القادم إلى لندن، ولم أستغرق وقتًا طويلًا حتى وصلت إلى إيرل سوهام، حيث بقيت في الانتظار لمدة عشر دقائق بسبب أعمال طريق مزعجة على نحو خاص. كان يومًا دافئًا. ظل الطقس جيدًا طوال الصيف، وبدا كما لو أن سبتمبر أيضًا سيكون على الحال نفسها. فكرت في إنزال السقف، لكن الصخب سيكون زائدًا جدًّا على الطريق السريع. ربما عندما أقترب أكثر.

لقد زرت معظم القرى الساحلية في سوفولك - ساوثوولد، ووولبرسويك، ودونويتش، وأورفورد - لكنني لم أذهب إلى فراملينجهام من قبل. ربما أدت

حقيقة كون آلان يعيش هناك إلى تثبيط عزيمتي. كانت انطباعاتي الأولى في أثناء دخولي بالسيارة أنها بلدة لطيفة مهملة بعض الشيء، تتمحور حول ميدان رئيسي لم يكن ميدانًا على الإطلاق. كانت بعض المباني تتمتع بجاذبية معينة، لكن البعض الآخر، مثل مطعم هندي على سبيل المثال، بدا غريبًا في غير محله. وإذا كنت تخطط للذهاب إلى التسوق، فلن يكون ثمة شيء مثير للغاية لشرائه. فرض هيكل ضخم من الطوب وجوده في المنتصف، واتضح أنه يحتوي على سوبرماركت حديث. كنت قد حجزت غرفة في فندق ذا كراون، وهو نُزُل ملحق به إسطبلات ظل مطلًّا على الميدان لمدة أربعمائة عام، ووجد نفسه الآن جنبًا إلى جنب مع بنك ووكالة سفريات. كان ساحرًا جدًّا في الواقع، مع بلاطات الأرضية الحجرية الأصلية، والكثير من المدافئ، والعوارض الخشبية. سعدت لرؤية كتب على الأرفف، وألعاب لوحية مكدسة في صندوق جماعي. أضفت على المكان إحساسًا بالدفء. وجدت موظف الاستقبال مختفيًا خلف نافذة صغيرة، وسجلت للنزول في الفندق. فكرت في الإقامة مع شقيقتي، لكن وودبريدج كانت على بعد ثلاثين دقيقة بالسيارة، وسأكون راضية بما يكفي هنا.

صعدت إلى الغرفة، وألقيت حقيبتي على الفراش، الذي كان ذا أربعة أعمدة، لا أقل. تمنيت لو كان أندرياس هنا ليشاركني إياه. كان لديه ولع خاص بإنجلترا القديمة، ولا سيما إذا كانت أصيلة. كان يجد أشياء مثل لعبة الكروكيه، والشاي الذي يُقدَّم مع الكعك والكريمة والمربى، ولعبة الكريكت، كلها غير مفهومة، ولا تُقاوم، وكان سيصبح في مكانه الطبيعي هنا. أرسلت إليه رسالة نصية، ثم اغتسلت ومشطت شعري. كان وقت الغداء، لكنني لم أشعر بالرغبة في تناول الطعام. ركبت السيارة مرة أخرى، وتوجهت إلى آبي جرينج.

كان منزل آلان كونواي على بعد ميلين خارج فراملينجهام، وكان سيستحيل العثور عليه تقريبًا من دون نظام الملاحة بالأقمار الصناعية. قضيت حياتي بأكملها في مدينة تؤدي فيها الطرقات إلى مكان ما بالفعل، لأنها بصراحة لم تكن تتحمل ألا تفعل. لا يمكن قول الشيء نفسه عن الطريق الريفي الذي دار عبر مساحة من

البلاد زائدة على الحد، قبل أن يقودني ممر أضيق حتى إلى المسار الخاص الذي قادني أخيرًا إلى المنزل نفسه. متى أدركت أنني كنت أطالع مصدر الإلهام الذي أوحى بباي هول؟ حسنًا، كانت تماثيل الغرفين الحجرية بجانب بوابة المدخل هي أول دليل. بدا الكوخ الخشبي كما وصفه تمامًا. انحنى الممر مستديرًا حتى الباب الأمامي، قاطعًا طريقه عبر مساحات عشب شاسعة. لم أرَ أي حدائق ورد، لكن البحيرة كانت موجودة، وكذلك الغابة التي ربما كانت دينجل ديل. يمكنني بسهولة تخيل برينت واقفًا بجانب جثة توم بلاكيستون، بينما شقيقه يحاول يائسًا إنعاشه فمًا لفم. تم إنجاز معظم العمل من أجلي.

وماذا عن المنزل نفسه؟ «ما تبقى منه هو جناح واحد ممتد به برج مثمن – شُيد بعد ذلك بكثير – عند طرفه البعيد». عندما اقتربت، كان هذا بالضبط ما رأيته: مبنى ممتد وضيق، به اثنتا عشرة نافذة تقريبًا موزعة على طابقين، ومتصل ببرج قد يوفر مناظر رائعة، لكنه كان سخيفًا في حد ذاته. خمنت أنه بُني بالكامل في القرن التاسع عشر، من تصميم رجل صناعة فيكتوري جلب معه ذكرياته عن مطاحن وأضرحة لندن إلى ريف سوفولك. لم يكن يضاهي قَطُّ جاذبية منزل أسلاف السير ماجنوس باي، على الأقل كما وصفه آلان. بُني آبي جرينج من الطوب الأحمر القذر الذي لطالما ارتبط في ذهني بتشارلز ديكنز وويليام بليك. لم يكن ينتمي إلى هنا، ولم ينقذه إلا المحيط الذي حوله. لا بد أن الحديقة كانت تمتد على مساحة أربعة أو خمسة أفدنة، مع سماء شاسعة، ومن دون منازل أخرى في الأفق. لن أرغب في العيش هنا، وبصراحة لم أستطع أن أفهم لماذا أعجب آلان كونواي أيضًا. ألم يكن «متروسكشوال» بدرجة أكبر من التورط في مثل هذه الحماقة؟

كان هذا حيث مات. تذكرت ذلك عندما ترجلت من السيارة. منذ أربعة أيام فقط، ألقى نفسه من البرج الذي يلوح فوقي الآن. تأملت فتحات سور الشرفة بالأعلى. لم تبدُ آمنة للغاية. إذا ملت نحو الخارج أكثر مما ينبغي، سواء كنت تفكر في الانتحار أم لا، فقد تسقط بسهولة. كان البرج محاطًا بمساحة من

العشب، وكان الحشيش مهملًا وغير مستوٍ. في رواية الحب الدائم لإيان ماك إيوان، هناك وصف جيد للغاية لما يحدث لجسم الإنسان عندما يسقط من ارتفاع كبير، ويمكنني بسهولة تخيل كونواي وجسده بأكمله مشوه وعظامه مكسورة، وأطرافه متجهة نحو الناحية الخطأ. هل كان السقوط كافيًا لقتله على الفور أم رقد هناك معذبًا حتى جاء أحدهم وعثر عليه؟ كان يعيش بمفرده، لذا ربما كان عامل نظافة أو بستاني هو مَن دق ناقوس الخطر. هل كان لذلك أي معنى؟ لقد قتل نفسه كي يتجنب المعاناة، لكن في الواقع ربما يكون قد عانى بشدة. ليست هذه هي الطريقة التي كنت سأختارها. ادخل حوض استحمام مليئًا بالماء الدافئ، واقطع رسغيك، أو اقفز أمام قطار: سيكون أيٌّ منهما مضمونًا أكثر.

أخرجت الآيفون خاصتي، وابتعدت عن الباب الأمامي كي أتمكن من التقاط صورة للبرج بأكمله. لا أدري لماذا فعلت ذلك، لكن لماذا يلتقط أي شخص صورًا على الإطلاق؟ لم نعد نطالعها قَطُّ. كنت قد مررت بجوار شجيرة ضخمة (لم تكن مذكورة في الكتاب)، وبينما أنا أسير عائدة، لاحظت أثر مسارات لإطارات سيارة. عندما كان العشب رطبًا منذ وقت قريب نسبيًّا، توقفت خلفها سيارة. التقطت صورة لأثر إطارات السيارة أيضًا، ليس لأنها تعني أي شيء، لكن ببساطة لأنني اعتقدت أن عليَّ أن أفعل ذلك. وضعت الهاتف في جيبي، وكنت أسير عائدة إلى الباب الأمامي، عندما انفتح وخرج منه رجل. لم أقابله من قبل، لكنني عرفت مَن هو على الفور. ذكرت أن آلان كان متزوجًا. بعد فترة وجيزة من خروج الكتاب الثالث في سلسلة أتيكوس بوند إلى النور، خرج آلان أيضًا على الملأ وأعلن ميوله المثلية. هجر عائلته من أجل شاب اسمه جيمس تيلور، وأعني بكلمة شاب أنه بالكاد شارف العشرين من العمر، في حين كان آلان نفسه في منتصف الأربعينيات من عمره ولديه ابن يبلغ من العمر ثلاثة عشر عامًا. لم تكن حياته الخاصة من شأني، لكنني سأعترف بأنني شعرت بالانزعاج بعض الشيء، والقلق من التأثير المحتمل لهذا الأمر في المبيعات. غطت كثير من الصحف القصة، لكن من حسن الحظ، كنا في عام ٢٠٠٩، ولم يتمكن

الصحفيون من السخرية بدرجة كبيرة. انتقلت ميليسا، زوجة آلان، وابنه إلى جنوب غرب إنجلترا. اتفقا على الشروط بسرعة كبيرة. كان ذلك هو الوقت الذي اشترى فيه آلان آبي جرينج.

لم يسبق أن قابلت جيمس تيلور قَطُّ، لكنني علمت أنني أنظر إليه الآن. كان يرتدي سترة جلدية، وسروالًا من الجينز، مع قميص قطني له فتحة رقبة واسعة، تُظهر سلسلة ذهبية رفيعة حول عنقه. على الرغم من أنه صار الآن في الثامنة والعشرين أو التاسعة والعشرين من العمر، فإنه كان لا يزال يبدو شابًّا بدرجة لا تُصدق، وله وجه طفولي لم تنجح اللحية الكثيفة في إخفائه. كان لديه شعر طويل أشقر لم يمشطه. بدا دهنيًّا بعض الشيء، ويتبع منحنى رقبته. كان من الممكن أن يكون قد نهض من الفراش للتو. بدت عيناه مسكونتين ومرتابتين. شعرت بأنه تضرر في مرحلة ما من حياته. أو ربما كان ذلك لأنه لم يسعد لرؤيتي فحسب.

سألني:

- أجل؟ مَن أنتِ؟

قلت:

- أنا سوزان رايلاند، أعمل في دار نشر كلوفرليف بوكس. نحن ناشرو آلان.

بحثت في حقيبة يدي، وأعطيته بطاقة عملي.

ألقى عليها نظرة، ثم تجاوزني بنظره وقال:

- تعجبني سيارتكِ.

- شكرًا لك.

- إنها إم جي.

- إم جي بي، في الواقع.

ابتسم، وأدركت أنه يجد الأمر مسليًا، كون امرأة في مثل سني تقود سيارة كهذه. قال:

- إذا كنتِ هنا لرؤية آلان، أخشى أن الأوان قد فات.

- أدري، أعرف ما حدث. هل تعتقد أن بإمكاني الدخول؟

- لماذا؟
- من الصعب التوضيح. أنا أبحث عن شيء ما.
- بالتأكيد.

هز كتفيه وفتح الباب كما لو أنه يملك المكان، لكنني قرأت رسالة آلان، وكنت أعرف أنه لا يمتلكه.

إذا كان هذا هو عالم بدافع القتل، لكان الباب الأمامي يؤدي إلى قاعة كبرى بها ألواح خشبية، ومدفأة حجرية، ودرج يؤدي إلى بسطة معلقة بها لوحات. لكن لا بد أن كل ذلك كان نتاج خيال آلان كونواي. في الواقع، كان المكان بالداخل مخيبًا للآمال: غرفة استقبال، وأرض خشبية عارية، وأثاث ريفي، وفن حديث باهظ الثمن على الجدران. كان كل شيء ذا ذوق بالغ الرقي، لكنه عادي. لم تكن هناك بدلات مدرعة، ولا رؤوس حيوانات محنطة، ولا جثث. انعطفنا يمينًا، وسرنا عبر ممر يمتد بطول المنزل بالكامل، حتى وصلنا أخيرًا إلى مطبخ معقد به فرن صناعي، وثلاجة أمريكية، وأسطح لامعة، وطاولة تتسع لاثني عشر مقعدًا. عرض عليَّ جيمس القهوة، فقبلت. أعدها في واحدة من تلك الماكينات التي تستخدم كبسولات، وتصنع رغوة للحليب علاوة على ذلك.

قال:

- إذن أنتِ ناشرته.
- لا، بل محررته.
- إلى أي مدى كانت معرفتكِ بآلان؟

لم أكن متأكدة من كيفية الرد على ذلك. قلت:

- كانت علاقة عمل. لم يدعُني إلى هنا قَطُّ.
- هذا منزلي، أو على الأقل كان كذلك حتى قبل أسبوعين تقريبًا، عندما طلب مني آلان الرحيل. لم أكن قد غادرت بعد، لأنه لم يكن لديَّ أي مكان أذهب إليه، وأعتقد الآن أنني قد لا أضطر إلى ذلك.

أحضر فنجانَي القهوة، وجلس.

سألته:

- هل تمانع إذا دخنت؟

لاحظت وجود منفضة سجائر على الطاولة، ورائحة دخان السجائر في الهواء. قال:

- لا، على الإطلاق. في الواقع، إذا كانت لديك بعض السجائر، فسأتناول واحدة أنا أيضًا.

مددت يدي بالعلبة، وصرنا صديقين فجأة. هذه أحد الأشياء القليلة الجيدة لكون المرء مدخنًا في هذه الأيام. إذ إنك تشكّل جزءًا من أقلية مضطهدة، يمكنكم تكوين علاقات بسهولة. لكنني في الواقع كنت قد قررت بالفعل أنني أميل إلى جيمس تيلور، هذا الفتى الوحيد في منزل كبير.

سألته:

- هل كنت موجودًا هنا حينما انتحر آلان؟

- لا، حمدًا للرب. لم نكن معًا في تلك المرحلة. كنت في لندن، أمضي الوقت مع بعض الأشخاص الذين أعرفهم.

راقبته وهو ينفض الرماد. كانت أصابعه طويلة جدًّا، ونحيلة، وأظفاره قذرة. واصل قائلًا:

- تلقيت اتصالًا من السيد خان - كان محامي آلان - وعدت في وقت متأخر من يوم الاثنين. بحلول ذلك الوقت، كان المكان يعج بضباط الشرطة. كان السيد خان هو مَن عثر عليه، كما تعلمين. أتى لتسليم بعض الأوراق، ربما لاستبعادي من الوصية، أو شيء من هذا القبيل، وكان آلان على العشب أمام البرج. عليَّ القول إنني سعيد أنه لم يكن أنا مَن عثر عليه. لست متأكدًا ما إذا كنت سأستطيع التعامل مع الأمر.

ابتلع الدخان، ممسكًا بالسيجارة وقد أحاطها بيده، مثل جندي في فيلم قديم، وقال:

- ما الذي تبحثين عنه؟

قلت له الحقيقة. شرحت أن آلان سلم روايته الأخيرة قبل يومين فقط من وفاته، وأنها ينقصها الفصل الأخير. سألته عما إذا كان قد قرأ أي جزء من بدافع القتل، فشخر ضاحكًا، وقال:

- لقد قرأت كل كتب أتيكوس بوند. هل تعرفين أنني ظهرت فيها؟

قلت:

- لم أكن أعلم ذلك.

- أوه، أجل. جيمس فريزر، المساعد الأشقر الغبي، هذا أنا.

نفض شعره، وقال:

- عندما قابلت آلان، كان على وشك البدء في كتابة سيأتي الليل مناديًا. هذا هو الكتاب الرابع في السلسلة. في ذلك الوقت، لم يكن لدى أتيكوس بوند مساعد. كان يعمل بمفرده فقط. لكن بعد أن بدأت أنا وآلان نتواعد، قال إنه سيغير ذلك، وأضافني إلى الكتاب.

قلت:

- لقد غيَّر اسمك.

- لقد غيَّر الكثير من الأشياء. أعني، بادئ ذي بدء، فأنا لم أذهب إلى جامعة أكسفورد قَطُّ، على الرغم من أنه من الصحيح أنني مارست بعض التمثيل عندما التقينا. كانت هذه إحدى نكاته الصغيرة. دائمًا ما يقول في كل كتاب إن فريزر عاطل عن العمل، أو فاشل، أو لم ينجح، وبالطبع كان غبيًّا تمامًا، لكن آلان قال إن ذلك ينطبق على كل صديق للبطل. كان يقول إنهم موجودون لجعل المحقق يبدو أكثر ذكاءً، ولتشتيت الانتباه عن الحقيقة. كل ما قالته شخصيتي في الكتب كان خاطئًا. تعمد فعل ذلك، ليصرف انتباهك إلى الاتجاه الخطأ. في الواقع، يمكنك تجاهل كل ما قاله فريزر. هكذا كانت تسير الأمور.

سألته مرة أخرى:

- هل قرأته، إذن؟

هز رأسه قائلًا:

- لا، كنت أعلم أن آلان يعمل عليه. اعتاد قضاء ساعات في مكتبه. لكنه لم يكن يريني أي شيء على الإطلاق قبل الانتهاء منه. لأكون صادقًا معك، لم أكن أعرف حتى إنه انتهى منه بالفعل. عادة كان سيعطيني إياه قبل عرضه على أي شخص، لكن بسبب ما حدث، ربما قرر ألا يفعل ذلك. مع ذلك، أنا مندهش لأنني لم أعرف. عادة ما كان يمكنني أن أعرف أنه وصل إلى النهاية.

- كيف؟

- كان يصبح إنسانًا مرة أخرى.

أردت أن أعرف ماذا حدث بينهما، لكن بدلًا من ذلك سألت عما إذا كان بوسعي رؤية غرفة مكتبه، وربما البحث عن الصفحات المفقودة. كان جيمس راضيًا تمامًا بأن يريني إياها، وغادرنا الغرفة معًا.

كان مكتب آلان بجوار المطبخ، مما بدا أمرًا منطقيًّا. إذا احتاج إلى استراحة في أي وقت - لتناول غداء أو مشروب - لم يكن عليه أن يبتعد كثيرًا. كانت غرفة كبيرة عند طرف المنزل تمامًا، بها نوافذ من ثلاث جهات، وقد هُدم جزء منها لدمج البرج. هيمن على المكان درج حلزوني، يؤدي إلى أعلى القمة على ما يبدو. امتلأ جداران بالكتب، تبين أن أولهما كتب آلان: روايات أتيكوس بوند الثماني مترجمة إلى أربع وثلاثين لغة. تقول الدعاية (التي توليت كتابتها) إنها خمس وثلاثون، لكن ذلك يتضمن اللغة الإنجليزية، وكان آلان يفضِّل الأعداد الصحيحة. للسبب نفسه، رفعنا أرقام مبيعاته إلى ثمانية عشر مليونًا، وهو رقم اخترناه على عجل من دون التأكد من صحته بصورة أو بأخرى. كان هناك مكتب صُنع خصيصًا، مع كرسي يبدو باهظ الثمن، من الجلد الأسود، ذي تصميم صحي، به أجزاء تتحرك لتوفير الدعم لذراعيه ورقبته وظهره. كرسي مصمم لكاتب. كان لديه جهاز كمبيوتر آبل، بشاشة سبع وعشرين بوصة.

أثارت الغرفة اهتمامي. بدا لي أن هذه هي أقصى درجة يمكنني الاقتراب بها من دخول عقل آلان كونواي. وما الذي أخبرني به هذا؟ حسنًا، لم يكن

حريصًا على إخفاء نجاحه. كانت كل جوائزه معروضة. كانت ب. د. جيمس قد كتبت رسالة تهنئه فيها على لقاءات أتيكوس بوند، فوضعها في إطار وعلقها على الحائط. كانت هناك أيضًا صور له مع الأمير تشارلز، ومع ج. ك. رولينج، و(بدا هذا غريبًا) مع أنجيلا ميركل. كان منظمًا: تراصت بعناية الأقلام، وأقلام الرصاص، ودفاتر الملاحظات، والملفات، وقصاصات الصحف، وجميع المخلفات الأخرى الناتجة عن حياة كاتب، من دون أي إحساس بالفوضى. كان هناك رف من الكتب المرجعية: قاموس أكسفورد الإنجليزي المختصر (مجلدان)، وقاموس روجيه للمترادفات، وقاموس أكسفورد للاقتباسات، وقاموس برويز للعبارات والقصص، وموسوعات في الكيمياء والأحياء وعلم الجريمة والقانون. اصطفت مثل الجنود. كانت لديه المجموعة الكاملة من أعمال أجاثا كريستي، سبعون كتابًا تقريبًا بأغلفة ورقية، مرتبة زمنيًّا على حسب ما رأيت، بداية من قضية ستايلز الغامضة. كان من المهم أنها أيضًا موجودة في قسم المراجع الخاص به. لم يقرأها بهدف المتعة، بل استغلها. كان آلان عمليًّا تمامًا في الطريقة التي اتبعها للكتابة. لم تكن هناك أي وسائل تسلية ظاهرة للعيان في أي مكان، ولا شيء غير ذي صلة بعمله. كانت الجدران بيضاء، والسجادة بلون بيج محايد. كان مكتبًا مخصصًا للعمل، لا للاسترخاء والمتعة.

كان هناك دفتر مواعيد له غلاف جلدي بجانب الكمبيوتر، ففتحته. تعين عليَّ أن أسأل نفسي ما الذي أفعله. كان نفس رد الفعل الذي جعلني ألتقط صورة لمسارات الإطارات في الحديقة. هل كنت أبحث عن أدلة؟ وُضعت صفحة منزوعة من مجلة تحت الغلاف. كانت صورة فوتوغرافية بالأبيض والأسود: لقطة ثابتة من فيلم ستيفن سبيلبرج عام ١٩٩٣، قائمة شندلر. أظهرت الصورة الممثل بن كينجزلي جالسًا إلى مكتب، يكتب على الآلة الكاتبة. التفت إلى جيمس وسألته:

– ما الذي تفعله هذه هنا؟

أجاب كما لو أن الأمر بديهي، وقال:

- هذا أتيكوس بوند.

بدا الأمر منطقيًّا. «خلف النظارات المستديرة ذات الإطار السلكي، تفحصت عيناه الطبيب بلطف بلا حدود. كثيرًا ما لوحظ أن أتيكوس بوند يبدو كمحاسب، وفي سلوكه العام - الذي يتسم بكلٍّ من الخجل والدقة - كان يتصرف كمحاسب أيضًا». استعار آلان كونواي، أو ربما سرق، شخصية محققه من فيلم صدر قبل عشر سنوات أو نحو ذلك، قبل تأليف كتابه الأول. ربما نشأت الصلة بمعسكرات الاعتقال، التي ظننتها بارعة للغاية، من هنا. لسبب ما، شعرت بالإحباط. كان من المخيب للآمال اكتشاف أن أتيكوس بوند لم يكن ابتكارًا أصليًّا بالكامل، وأنه مستعار بطريقة ما. ربما كنت غير منصفة. ففي النهاية، يجب أن تبدأ كل شخصية روائية من مكان ما. استغل تشارلز ديكنز جيرانه، وأصدقاءه، وحتى والديه كمصدر للإلهام. استند إدوارد روتشستر، شخصيتي المفضلة في جين إير، إلى رجل فرنسي يُدعى «قسطنطين هيجر»، كانت برونتي تحبه. لكن انتزاع صورة ممثل من مجلة كان أمرًا مختلفًا بطريقة ما. شعرت كما لو أنه غش.

قلبت صفحات دفتر اليوميات، حتى وصلت إلى الأسبوع الذي نحن فيه الآن. كان سيصير مليئًا بالمواعيد، لو أنه تمكن من العيش حتى ذلك الحين. في يوم الاثنين، كان سيتناول الغداء مع امرأة تُدعى «كلير»، في ذا جولي سيلور. كان لديه موعد لحلاقة الشعر في فترة ما بعد الظهيرة: هذا هو الافتراض البديهي بناءً على الكلمة المنفردة شعر، والتي تحيطها دائرة. في يوم الأربعاء، كان سيلعب التنس مع شخص حُدِّد بالأحرف الأولى من اسمه فقط: «س. خ». وفي يوم الخميس، كان سيأتي إلى لندن. كان لديه موعد غداء آخر - كتب «غدء» فحسب - وفي الخامسة كان سيقابل هنري في أ. ف. استغرق مني الأمر فترة من الوقت تثير القلق، حتى استنبطت أن هذا في الواقع هنري الخامس، في مسرح ذا أولد فيك. كان سايمون مايو لا يزال في الدفتر، في صباح اليوم التالي. هذه هي المقابلة التي قرر آلان إلغاءها، لكنه لم يتمكن من شطبها.

قلبت صفحة إلى الوراء. كان هناك العشاء مع تشارلز في نادي ذا آيفي، وفي الصباح زار طبيبته «ش. ب».

سألت:

- مَن كلير؟

- إنها شقيقته.

وقف جيمس بجواري يحدق إلى دفتر المواعيد، وواصل قائلًا:

- يقع ذا جولي سيلور في أورفورد. هذا هو المكان الذي تعيش فيه.

- هل تعرف كلمة المرور لجهاز الكمبيوتر؟

- أجل، أعرفها. إنها أتيك9س.

اسم المحقق نفسه، لكن مع رقم 9 بدلًا من حرف الواو. شغل جيمس جهاز الكمبيوتر، ونقر الاسم.

لست بحاجة إلى الخوض في جميع تفاصيل كمبيوتر آلان. لم أكن مهتمة برسائل بريده الإلكتروني، ولا تاريخ بحثه في جوجل، ولا حقيقة أنه كان يلعب السكرابل الإلكتروني. كل ما أردته هو المخطوطة. استخدم برنامج وورد لجهاز ماك، وسرعان ما وجدنا آخر روايتين: قرنفل أحمر لأتيكوس، ولقاءات أتيكوس بوند. كانت هناك عدة مسودات من كلٍّ منهما، بما في ذلك تلك التي أرسلتها إليه مع التعديلات النهائية. لكن لم تكن هناك كلمة واحدة من بدافع القتل في أيٍّ من ملفاته. بدا الأمر كما لو أن الكمبيوتر قد مُسح عمدًا.

سألته:

- هل هذا جهاز الكمبيوتر الوحيد الخاص به؟

- لا، لديه جهاز آخر في لندن، كما كان لديه أيضًا جهاز كمبيوتر محمول. لكن هذا هو الجهاز الذي استخدمه من أجل الكتاب. أنا متأكد من ذلك.

- هل من الممكن أن يكون قد وضعه على بطاقة ذاكرة؟

- لست متأكدًا أنني رأيته من قبل وبحوزته بطاقات ذاكرة، لأكون صادقًا معك. لكنني أعتقد أن ذلك ممكن.

فتشنا الغرفة، وبحثنا في كل خزانة، وكل درج. حرص جيمس على المساعدة. وجدنا نسخًا ورقية من جميع روايات أتيكوس بوند، باستثناء أحدثها. كانت هناك دفاتر ملاحظات تحوي مقتطفات طويلة كُتبت على عجل بالقلم الجاف، وبالحبر، لكن أي شيء متعلق بدافع القتل كان غائبًا على نحو غريب، كما لو أنه أُزيل عمدًا. الشيء الوحيد الذي وجدته يثير اهتمامي هو نسخة غير مجلدة من الز لاقة، الرواية التي ذكرها تشارلز، والتي كان قد رفضها. سألت جيمس عما إذا كانت بإمكاني استعارتها، ووضعتها جانبًا لآخذها معي. كانت هناك أكوام من الصحف والمجلات القديمة. احتفظ آلان بكل ما كُتب عنه على الإطلاق: مقابلات، ولمحات مختصرة عن حياته، ومراجعات (الجيد منها)، وكل شيء. كان كل شيء منظمًا للغاية: خُصصت خزانة للقرطاسية، وقد تكدست بها الأظرف تبعًا للحجم، ورزم من الورق الأبيض، ومزيد من دفاتر الكتابة، وحافظات الورق البلاستيكية، ومجموعة كاملة من أوراق الملاحظات اللاصقة. مع ذلك، لم يكن هناك ما يشير إلى وجود بطاقة ذاكرة. وإذا كانت موجودة، فعلى الأرجح كانت أصغر من أن يُعثَر عليها.

في النهاية، اضطررت إلى الاستسلام. أمضيت ساعة هناك، وكان بإمكاني الاستمرار طوال اليوم.

اقترح جيمس:

- يمكنك أن تجربي التواصل مع السيد خان.

واصل الحديث، وذكرني قائلًا:

- محامي آلان. لديه مكتب في فراملينجهام، على طريق ساكسموندهام. لا أدري لماذا قد تكون بحوزته، لكن آلان أعطاه الكثير من الأشياء.

صمت للحظة طالت عن الحد، ثم قال:

- وصيته، على سبيل المثال.

كان قد مزح بخصوص الأمر بالفعل، عندما وصلت. سألته:

- هل ستستمر في العيش هنا؟

كان سؤالًا ملغومًا. لا بد أنه يعرف أن آلان كان ينتوي حرمانه من الميراث.

- يا إلهي، لا! لا يمكنني البقاء وحدي هنا في مكان منعزل. سأصاب بالجنون. أخبرني آلان ذات مرة بأنه سيترك لي المنزل، لكن إذا كان الأمر كذلك، فسوف أعود إلى لندن. كنت أعيش هناك حينما التقينا.

لوى شفته وواصل قائلًا:

- مررنا بفترة عصيبة مؤخرًا، وانفصلنا تقريبًا. لذا ربما غير الأمور... لا أدري.

قلت:

- أنا متأكدة أن السيد خان سيخبرك.

- لم يقل أي شيء بعد.

- سأذهب إلى زيارته.

اقترح جيمس قائلًا:

- لو كنت مكانكِ، لتحدثت إلى شقيقته. اعتادت القيام بالكثير من العمل من أجله. تولت أمر كل أعماله الإدارية، وبريد المعجبين. أعتقد أنها ربما كتبت حتى بعض الكتب السابقة على الكمبيوتر، وكان يعرضها عليها في صورة مخطوطات. يبقى احتمال دومًا أنه أعطاها الأخيرة.

- لقد ذكرت أنها في أورفورد.

- سأعطيك العنوان والرقم.

بينما أخرج ورقة وقلمًا، اتجهت نحو الخزانة الوحيدة التي لم أكن قد فتحتها، والتي كانت تحتل منتصف الجدار، خلف الدرج الحلزوني. ظننت أنها قد تحتوي على خزنة، ففي النهاية، كانت لدى السير ماجنوس باي واحدة في غرفة مكتبه. كانت تنفتح بشكل غريب: نصفها ينزلق إلى الأعلى، والنصف الآخر ينزلق إلى الأسفل. كان هناك زران مثبتان في الحائط. أدركت أنه مصعد للطعام.

أوضح جيمس من دون أن يرفع نظره:

- طلب آلان بناء ذلك. اعتاد تناول الطعام في الخارج دائمًا إذا كان الجو

دافئًا بما يكفي، في الإفطار والغداء. كان يضع الأطباق والطعام بالداخل، ويرسلها إلى الأعلى.

سألته:

- هل يمكنني رؤية البرج؟

- بالتأكيد. آمل ألا تعاني الشعور بالخوف من المرتفعات.

كان الدرج حديثًا، مصنوعًا من المعدن، ووجدت نفسي أعد الدرجات في أثناء صعودي. بدا أنها استمرت أطول مما يجب. بالتأكيد لم يكن البرج بهذا الارتفاع؟ أخيرًا، أدى باب مغلق من الداخل إلى شرفة واسعة دائرية ذات جدار منخفض للغاية له حافة مدرجة. كان تشارلز محقًّا بهذا الشأن. من هنا، كانت بإمكاني رؤية بحر أخضر من رؤوس الأشجار والحقول، على طول الطريق إلى فراملينجهام. على مسافة بعيدة، كانت تقع كلية فراملينجهام على قمة تل، بطرازها القوطي الذي يعود إلى القرن التاسع عشر. لاحظت شيئًا آخر. على الرغم من كونه محجوبًا خلف غابة، وغير ظاهر من الطريق، فإنه كان هناك منزل ثانٍ بجوار آبي جرينج مباشرة. كنت سأصل إليه إذا مضيت قُدمًا عبر الطريق، لكن كان هناك أيضًا ما يشبه ممرًّا بين الأشجار. كان كبيرًا، وحديثًا نوعًا ما، وله حديقة معتنى بها جيدًا، وصوبة زجاجية، وحمَّام سباحة.

سألته:

- مَن يعيش هناك؟

- هذا هو الجار. اسمه جون وايت. إنه مدير صندوق تحوُّط.

كان آلان قد رتب طاولة وأربعة مقاعد، وشواية غاز، واثنين من كراسي التشمس في الشرفة. بتوتر شديد، تقدمت من الحافة ونظرت إلى الأسفل. من هذه الزاوية، بدت الأرض بعيدة جدًّا، واستطعت أن أتخيله بسهولة وهو يسقط إلى الأسفل. شعرت بالغثيان، وتراجعت لأشعر بيدَي جيمس تضغطان على ظهري. للحظة مروعة، ظننت أنه على وشك أن يدفعني. كان الجدار المحيط غير ملائم حقًّا، ويصل بالكاد إلى خصري.

ابتعد شاعرًا بالحرج، وقال:

- أنا آسف. شعرت فحسب بالقلق من أن تصابي بالدوار. كثير من الناس يفعلون، عندما يأتون هنا لأول مرة.

وقفت والنسيم يحرك شعري، وقلت:

- لقد رأيت ما فيه الكفاية. دعنا ننزل.

كان سيصير من السهل جدًّا إلقاء آلان كونواي من فوق الحافة. لم يكن رجلًا ضخم الجثة. كان بوسع أي شخص التسلل إلى هنا بالأعلى والقيام بالأمر. لا أدري لماذا فكرت في ذلك، لأنه بدا من الواضح أنه لم تُرتكَب أي جريمة. كان قد ترك رسالة انتحار مكتوبة بخط اليد. مع ذلك، ما إن عدت إلى سيارتي حتى اتصلت بمسرح ذا أولد فيك في لندن، وأكدوا أنه حجز تذكرتين لهنري الخامس في يوم الخميس. أخبرتهم بأنه لن يحتاج إليهما. الشيء المثير للاهتمام هو أنه أجرى الحجز يوم السبت فقط، قبل يوم واحد من انتحاره. وقد أظهر دفتر مواعيده أنه رتب أيضًا لقاءات، ووجبات غداء، وموعدًا لحلاقة الشعر، ومباراة تنس. وعلى الرغم من كل شيء، فكان عليَّ أن أسأل نفسي.

هل هذا حقًّا سلوك رجل قرر الانتحار؟

ويزلي وخان، فراملينجهام

قدت عائدة في طريقي إلى فراملينجهام، وأوقفت السيارة في الساحة الرئيسية، ثم سرت باقي الطريق. كانت البلدة في الواقع مزيجًا مختلطًا. عند الطرف البعيد، كانت هناك قلعة محاطة بمساحات من العشب وخندق: صورة خيالية مثالية لإنجلترا كما كان يمكن أن تكون في عصر شكسبير، أكملها وجود حانة وبركة للبط في الجوار. لكن بعد خمسين ياردة أخرى، انتهى السحر على نحو مفاجئ مع طريق ساكسموندهام الواسع والحديث، الذي يمتد إلى مسافة بعيدة، وعلى أحد جانبيه مرأب تابع لشركة جولف للبترول، ومجموعة متنوعة من المنازل والأكواخ العادية للغاية على الجانب الآخر. احتل مكتب ويزلي وخان، شركة المحاماة التي استعان آلان كونواي بخدماتها، مبنى بلون الخردل على طرف البلدة. كان منزلًا، وليس مكتبًا، على الرغم من اللافتات الموجودة بجانب الباب الأمامي.

لم أكن متأكدة ما إذا كان السيد خان سيقابلني من دون موعد، لكنني دخلت على أي حال. لم يكن هناك داعٍ للشعور بالقلق. بدا المكان هادئًا تمامًا، وهناك فتاة تقرأ مجلة خلف مكتب الاستقبال، وعلى الجهة المقابلة شاب يحدق بشرود إلى شاشة كمبيوتر. كان المبنى قديمًا، بجدران غير مستوية، وألواح أرضية تصدر صريرًا. أضافوا سجادًا رماديًّا وكشافات علوية، لكنه ظل كما لو أنه منزل شخص ما.

أجرت الفتاة اتصالًا، ووافق السيد خان على مقابلتي. جرى اصطحابي إلى الطابق العلوي، إلى حجرة كان لا بد أنها غرفة النوم الرئيسية، وقد تحولت الآن إلى مكتب عملي يطل على المرأب في الخارج. نهض ساجد خان - كان اسمه الكامل على الباب - من خلف مكتب عتيق مستنسخ له سطح جلدي أخضر ومقابض نحاسية. كان من ذلك النوع من المكاتب التي قد تختارها إذا أردت تأكيد وجهة نظرك. كان رجلًا ضخمًا غير متحفظ، في الأربعينيات من عمره، واثقًا بحركاته وطريقة حديثه.

- ادخلي! ادخلي! رجاءً، اجلسي. هل قدموا لك الشاي؟

بدا شعره حالك السواد، وله حاجبان كثيفان يكادان يلتقيان. كان يرتدي سترة رياضية لها رقع على المرفقين، وما يمكن أن يكون ربطة عنق أحد النوادي. بدا من غير المحتمل أنه وُلد في فراملينجهام، وتساءلت عما أتى به إلى مثل هذا المكان المنعزل، ومن ثَمَّ كيف انسجم مع السيد ويزلي. كان بجواره إطار صورة فوتوغرافية: أحد تلك الإطارات الرقمية الحديثة، التي تتغير الصورة بها كل ثلاثين ثانية، إما أن تنزلق، وإما أن تلتف حول نفسها. قبل أن أجلس حتى، تعرَّفت على زوجته، وابنتيه، وكلبه، وامرأة مسنة ترتدي الحجاب ربما كانت والدته. لا أعرف كيف تعايش مع الإطار، إذ كان سيقودني إلى الجنون.

رفضت عرض الشاي، وجلست أمام المكتب. اتخذ مكانه، وشرحت بإيجاز سبب وجودي هناك. تغير سلوكه عند ذكر اسم آلان.

قال لي:

- لقد عثرت عليه، كما تعلمين. ذهبت إلى هناك صباح يوم الأحد. كنت سألتقي أنا وآلان. هل ذهبتِ إلى المنزل؟ وعلى الرغم من أنك قد لا تصدقين ذلك، لكن يجب أن أخبرك بأنه ساورني شعور أن هناك شيئًا ليس على ما يرام، حتى وأنا أقترب بالسيارة. كان ذلك قبل أن أراه، وفي البداية لم تكن لديَّ أي فكرة عن طبيعة ما أطالعه. ظننت أن شخصًا ما ألقى بعض

الملابس القديمة على العشب، حقًّا فعلت! ثم أدركت أنه هو. عرفت على الفور أنه مات. لم أقترب! اتصلت بالشرطة فورًا.

- كنت مقربًا منه جدًّا، حسب ما فهمت.

إذن ساجد خان هو «س. خ» في دفتر المواعيد. كانا يلعبان التنس معًا، وقد ذهب إلى المنزل يوم الأحد.

قال:

- أجل، قرأت العديد من روايات أتيكوس بوند قبل أن ألتقي به، ويمكنك بالتأكيد القول إنني معجب جدًّا بعمله. في النهاية، أجرينا كثيرًا من الأعمال معه، ويسعدني للغاية أن أقول إنني تعرَّفت عليه جيدًا. في الواقع، سأذهب إلى حد القول... نعم، كنا صديقين بالتأكيد.

- متى رأيته آخر مرة؟

- منذ أسبوع تقريبًا.

- هل كانت لديك أي فكرة أنه يخطط للانتحار؟

- لا، على الإطلاق. جلس آلان في هذا المكتب، حيث تجلسين أنت الآن بالضبط. كنا نتحدث عن المستقبل في الواقع، وبدا أنه في حالة معنوية جيدة تمامًا.

- كان مريضًا.

- هذا ما فهمته. لكنه لم يذكر لي ذلك قَطُّ يا آنسة رايلاند. اتصل بي مساء السبت. لا بد أنني كنت آخر شخص تحدث إليه عندما كان لا يزال على قيد الحياة.

فكرت أنه سيكون من الصعب التحدث إليه، إذا لم يكن على قيد الحياة. دومًا ما أفكر بوصفي محررة.

- هل لي أن أسأل عمَّ تحدثتما يا سيد خان؟ ولماذا ذهبت إلى زيارته يوم أحد؟ أعلم أن هذا ليس من شأني...

ابتسمت بتعاطف، حتى أدعوه ليضع ثقته بي.

- حسنًا، أعتقد أنه لا ضرر من إخبارك الآن. حدثت بعض التغييرات في ترتيباته الأسرية، وقرر آلان إعادة التفكير في وصيته. كنت قد أعددت مسودة جديدة بالفعل، وأخذتها لأعرضها عليه. كان سيوقعها يوم الاثنين.
- كان سيقصي جيمس تيلور من الوصية.
تجهم قائلًا:
- سامحيني إذا لم أخُض في التفاصيل. لا أعتقد أن هذا سيكون لائقًا...
- لا بأس يا سيد خان. لقد كتب إلينا في دار نشر كلوفرليف بوكس. أخبرنا بالفعل بأنه سوف ينتحر، وذكر أن جيمس لم يعد جزءًا من وصيته.
- مرة أخرى، لا أعتقد أنني في وضع يسمح لي بالتعليق على أي تواصل قد يكون أجراه معكِ.
توقف خان عن الحديث، ثم أطلق تنهيدة وواصل قائلًا:
- سأكون صادقًا معكِ، وأقول إنني وجدت صعوبة بالغة في فهم ذلك الجانب من آلان.
- هل تقصد نشاطه الجنسي؟
- لا، بالطبع لا، ليس هذا ما قصدته على الإطلاق! لكن وجود شريك أصغر منه كثيرًا.
واجه خان صعوبات، وهو يحاول موازنة تحيزاته المختلفة. انزلقت عبر الإطار صورة له مع زوجته، وقد عقدا ذراعيهما معًا. تابع قائلًا:
- كنت أعرف السيدة كونواي جيدًا، كما تعلمين.
قابلت ميليسا كونواي مرات عديدة في مناسبات متعلقة بالنشر. تذكرتها بوصفها امرأة صامتة، وانفعالية نوعًا ما. دومًا ما تعطي انطباعًا بأنها تعرف أن شيئًا فظيعًا على وشك الحدوث، لكنها لا ترغب في صياغته بالكلمات. سألته:
- كيف تعرَّفت عليها؟
- حسنًا، في الواقع هي مَن قدمت إلينا آلان. عند شرائهما منزلهما الأول في سوفولك - كان ذلك في أورفورد - جاءت إلينا من أجل نقل الملكية. من

المؤسف جدًّا بالطبع، أنهما افترقا بعد بضع سنوات. لم نتورط في الطلاق، لكننا عملنا لصالح آلان عندما اشترى آبي جرينج، أو ريدجواي هول كما كان يُعرف حينها. لقد غير الاسم في الواقع.

- أين هي الآن؟

- تزوجت مرة أخرى. أعتقد أنها تعيش بالقرب من باث.

استعرضت ما أخبرني به للتو. أعد ساجد خان الوصية الجديدة، وأخذها معه صباح يوم الأحد. لكن عندما وصل إلى هناك... صحت قائلة:

- لم يوقعها قَطُّ! مات آلان قبل أن يتمكن من توقيع الوصية الجديدة.

- هذا صحيح، أجل.

إن الوصية غير الموقَّعة إحدى تيمات الروايات البوليسية التي صرت أكرهها، نظرًا إلى الإفراط في استخدامها بشدة فحسب. في الحياة الواقعية، لا يكلف كثير من الناس أنفسهم حتى عناء كتابة وصية، لكننا تمكنا جميعًا من إقناع أنفسنا أننا سنعيش إلى الأبد. وهم بالتأكيد لا يدورون في أرجاء المكان مهددين بتغيير الوصية، لمنح شخص ما العذر المثالي كي يأتي ويقتلهم.

بدا الأمر كما لو أن آلان كونواي فعل ذلك بالضبط.

واصل خان الحديث قائلًا:

- سأكون ممتنًّا إذا لم تكرري هذه المحادثة يا آنسة رايلاند. كما قلت لك، لا ينبغي لي حقًّا مناقشة أمر الوصية.

- لا يهم يا سيد خان. هذا ليس سبب وجودي هنا.

- إذن كيف يمكنني مساعدتك؟

أوضحت قائلة:

- أنا أبحث عن مخطوطة بدافع القتل. انتهى منها آلان قبل وفاته، لكن الفصول الأخيرة مفقودة. لا أعتقد...؟

أجاب خان:

- لم يطلعني آلان على عمله قبل نشره قَطُّ.

كان سعيدًا بالعودة إلى موضوع حديث أكثر أمانًا. واصل قائلًا:
- كان لطيفًا بما يكفي لتوقيع نسخة من لقاءات أتيكوس بوند قبل نشرها. لكنني أخشى أنه في الواقع لم يتحدث معي عن عمله قَطُّ. يمكنكِ المحاولة مع شقيقته.
- أجل، سأقابلها غدًا.
- سيكون من الأفضل ألا تذكري لها أمر الوصية، إذا تكرمت. سنلتقي في وقت لاحق من الأسبوع، ولدينا الجنازة في نهاية الأسبوع المقبل.
- أنا أبحث عن الصفحات المفقودة فقط.
- آمل أن تعثري عليها. سنفتقد آلان جميعًا. سيكون من اللطيف أن تصير لدينا ذكرى أخيرة.

ابتسم، ونهض واقفًا. على المكتب، تغيرت الصورة مرة أخرى، ورأيت أنها أكملت دورتها. أظهر الإطار الصورة نفسها التي رأيتها عندما دخلت.

حان وقت الرحيل بكل تأكيد.

مقتطف من الزلاقة، تأليف آلان كونواي

كانت غرفة الطعام في فندق ذا كراون خالية تقريبًا، عندما ذهبت لتناول العشاء، وربما كنت سأشعر ببعض الخجل وأنا أتناول الطعام بمفردي، لكن كانت لديَّ رفقة. جلبت معي الزلاقة، الرواية التي كتبها آلان كونواي، والتي ناشد تشارلز لنشرها، حتى عندما كان يستعد لإنهاء حياته. هل كان تشارلز محقًّا؟ ها هي ذي افتتاحيتها:

أتى اللورد كوينتين جولد، هابطًا الدرج بتثاقل، متعاليًا كما هي عادته دومًا على الطهاة، والخدم، ومساعدي الخدم، والخدم المسؤولين عن العربات، الذين لا وجود لهم إلا في خياله الملتوي، والذين اختفوا في الواقع على نحو مشوش وسط عتمة التاريخ العائلي. كانوا موجودين إبان صباه، ومن بعض النواحي كان لا يزال صبيًّا، أو ربما من الأصح القول إن الصبي الذي كانه يتوارى بعناد بين الترهلات السمينة التي رسبتها خمسون عامًا من الحياة غير الصحية على الشجرة الشتوية المجدبة التي هي هيكله العظمي. بيضتان مسلوقتان، وبسكويت. أنت تعرفين كيف أفضّل البيض، لينًا، لكن ليس سائلًا. وشرائح من الخبز المحمص بالمارمايت، كما كانت تعدها أمي... كلها حاضرة ومضبوطة. الدجاجات لا تبيض؟ عليها اللعنة، يا أجنيس. ما جدوى دجاجة لا تبيض؟ أليس هذا ميراثه؟ أليس هذا حقه؟ كان يعيش في المنزل الريفي الفخم حيث أتى إلى هذا العالم صارخًا وباكيًا، كتلة رطبة قبيحة ذات لون

بنفسجي خبيث، وقد مزق ستار مهبل والدته، بالعنف نفسه الذي سيثور به خلال بقية حياته. ها هو ذا الآن وقد غزت وجنتيه الأوردة العنكبوتية، بلون الياقوت الأحمر مثل أنواع النبيذ الفاخر التي جعلتها تتفجر إلى السطح، ووجنتاه تتصارعان للحصول على مكان في وجه يحتوي بالكاد على مساحة لهما. كان هناك شارب ملطخ عبر شفته العليا، كما لو أنه زحف خارجًا من فتحة أنفه، وألقى نظرة واحدة على صاحبه، ثم فقد كل أمل وخر ميتًا. بدت عيناه مجنونتين، ليس من ذلك النوع من الجنون الشبيه بـ«دعونا نعبر ونسير على الجانب الآخر من الطريق»، لكنه أشبه بالعظاءة، ويتسم بالخطورة بكل تأكيد. كان لديه الحاجبان المميزان لآل جولد، ويبدو عليهما الجنون أيضًا نوعًا ما، وهما يثبان من بشرته مثل زهرة الشيخ ذات الأوراق المزغبة، سينيسيو أكو أتيكوس، التي لم يتمكن من القضاء عليها في ملعب الكروكيه. بما أن اليوم هو السبت، والطقس بارد بعض الشيء بالنسبة إلى هذا الوقت من العام، فقد كان يرتدي قماش التويد. سترة من التويد، وصدرية من التويد، وسروالًا من التويد، وجوربين من التويد. إنه يحب قماش التويد. حتى إنه يحب صوت الكلمة عندما يطلب بدلة من المكان الذي يتردد عليه في سافيل رو، على الرغم من أنه لم يعد يذهب كثيرًا الآن، ليس مقابل ألفَي جنيه في المرة. مع ذلك، كان الأمر يستحق: تلك اللحظة من الثقة اللطيفة عندما تتباطأ السيارة الأجرة السوداء حول المنعطف، وتقذف به أمام الباب الأمامي. تسعدني للغاية رؤيتك، يا سيادة اللورد. وكيف حال الليدي جولد؟ دومًا ما تسرني رؤيتك هنا. كم من الوقت ستبقى في المدينة؟ قماش تويد لطيف من صوف غنم شيفيوت، ربما باللون البني؟ أين شريط القياس؟ فلتنشط يا ميجز! أعتقد أن محيط الخصر قد يكون بحاجة إلى إعادة القياس، منذ آخر موعد لنا، يا سيادة اللورد. لم يعد لخصره أي محيط، بل صار كله مجرد شحم. بات سمينًا الآن إلى درجة تكاد تشارف حدود الكوميديا، ويعرف أنه يتخبط في المياه الموحلة للصحة المعتلة. يشاهده أسلافه من إطاراتهم الذهبية المزخرفة وهو يهبط الدرج، من دون أن يبتسم أحد منهم، وقد أصابتهم خيبة الأمل ربما، نظرًا إلى أن هذا البدين الأحمق هو رب منزل العائلة، وأن أربعمائة عام من الحرص على زواج الأقارب لم ينتج عنه ما هو أكثر من ذلك. لكن هل يكترث؟ إنه يريد تناول إفطاره، الفطور. كان يتعامل مع كل شيء مثل الأطفال. وعندما

يأكل، سيسيل طعامه على ذقنه، وهو لا يزال يتساءل في ركن من أركان عقله لماذا لا تأتي المربية لتمسحه.

دخل غرفة الإفطار وجلس، وقد تفادت مؤخرته السمينة بالكاد ذراعَي مقعد هبلوايت الذي يعود إلى القرن الثامن عشر، والذي يجاهد الآن لحمل ثقله. كان هناك منديل من الكتان الأبيض، فتحه ودسه في ياقته أسفل ذقنه، أو بالأحرى ذقنيه، إذ إن لديه الحصة المزدوجة التي هي من التجهيزات القياسية لدى الرجل الإنجليزي الأصيل. قبعت صحيفة التايمز في انتظاره، لكنه لم يلتقطها بعد. لماذا يتعين عليه مشاركة الأخبار السيئة للعالم، والتبادل اليومي للاكتئاب والارتباك والخراب، في حين أن لديه ما يكفيه من شؤونه التي يحتاج إلى التعامل معها؟ يصم أذنيه عن الأصوات الجهورية المتذمرة التي تحذر من تصاعد الأصولية الإسلامية وانهيار الجنيه الإسترليني. إن منزل طفولته، العزبة، في خطر. قد لا يصمد حتى نهاية الشهر. هذه هي الأفكار التي تشغل عقله، كالمحتلين بوضع اليد.

استمر على هذا النهج لنحو أربعمائة وعشرين صفحة. أخشى أنني شرعت أقرأ قراءة خاطفة بعد الفصل الأول، وركزت على جمل عشوائية فقط بعد ذلك. بدت الرواية كأنها محاولة للسخرية، وهي خيال بشع عن الأرستقراطية البريطانية. تركزت الحبكة، بقدر ما كان هناك وجود لها في الرواية، على إفلاس اللورد جولد، ومحاولاته لتحويل منزله الفخم المتهالك إلى مزار سياحي من خلال الكذب بشأن تاريخه، واختراع شبح، ونقل الحيوانات المسنة والوديعة بدرجة كبيرة من حديقة حيوانات محلية للتجول في أراضيه. كان من المفترض أن تصير الزلاقة المذكورة في العنوان هي القطعة المركزية في ملعب مغامرات أنشأه، على الرغم من أنه بدا من الواضح أنها تشير أيضًا - بصورة فيها وعيد - إلى حال الأمة. كان أمرًا كاشفًا أنه عند وصول أول زائرين، «النساء البدينات، الغليظات، القبيحات، الداعرات، المتذمرات، بأظفارهن الملطخة بالنيكوتين، واللاتي يرتدين سترات منتفخة من النايلون، يتبعهن أبناؤهن بليدو الذهن الذين تتدلى الأسلاك من آذانهم، وسراويلهم الداخلية ذات العلامات التجارية تعلو

فوق أحزمة سراويلهم الجينز المترهلة غير اللائقة»، فإنهم يُعاملون بنفس الازدراء مثل آل جولد أنفسهم.

جعلتني الزلاقة أشعر بالقلق للعديد من الأسباب المختلفة. كيف يمكن لرجل كتب روايات مسلية ذات شعبية كبيرة - سلسلة أتيكوس بوند - أن يأتي بشيء كان في النهاية بغيضًا إلى هذا الحد؟ كان الأمر أشبه باكتشاف أن إنيد بلايتون تحولت إلى المواد الإباحية في أوقات فراغها. بدا الأسلوب مستعارًا بدرجة مؤلمة: ذكرني بكاتب آخر، لكن في الوقت الحالي لم أكن متأكدة تمامًا مَن يكون. ظهر لي بوضوح أن كونواي يجاهد لتحقيق البلاغة اللغوية مع كل جملة، وكل مجاز قبيح. أما الأسوأ من ذلك فهو أن هذا لم يكن عملًا مبكرًا، شيئًا صبيانيًّا كتبه قبل العثور على صوته الخاص. وقد أثبتت الإشارة إلى الأصولية الإسلامية ذلك. عمل عليه مؤخرًا، وذكره في رسالته الأخيرة، طالبًا من تشارلز إلقاء نظرة ثانية. كان لا يزال يهمه. هل يمثل رؤيته للعالم؟ هل كان يعتقد حقًّا أنه جيد؟

لم أنَم جيدًا تلك الليلة. لقد اعتدت الكتابة السيئة، وألقيت نظرة على كثير من الروايات التي لا أمل في نشرها. لكنني عرفت آلان كونواي لمدة أحد عشر عامًا، أو ظننت أنني فعلت، ووجدت أنه من المستحيل تقريبًا تصديق أنه كان بإمكانه إنتاج هذا، بكل صفحاته البالغ عددها أربعمائة وعشرين صفحة. كان الأمر كما لو أنه يهمس إليَّ وأنا مستلقية هناك في الظلام، يخبرني بشيء لا أرغب في سماعه.

أورفورد، سوفولك

تقع أحداث بدافع القتل في قرية خيالية في سومرست. تدور معظم الحكايات في قرى اخترعها آلان، وحتى الروايتان اللتان تدوران في لندن (نفوس شريرة ولهب وسيانيد) تستخدمان أسماء مستعارة لأي شيء يمكن التعرُّف عليه: الفنادق، والمطاعم، والمتاحف، والمستشفيات، والمسارح. يبدو الأمر كما لو أن المؤلف يخشى كشف شخصياته الخيالية للعالم الحقيقي، حتى مع الحماية التي يوفرها إطار الخمسينيات من القرن الماضي. لا يشعر بوند بالراحة إلا وهو يتجول في ساحة القرية، أو يتناول الشراب في الحانة المحلية. تقع جرائم القتل خلال مباريات الكريكت والكروكيه. ودومًا ما تلتمع الشمس. بالنظر إلى أنه سمَّى منزله على اسم قصة قصيرة لشرلوك هولمز، فمن المحتمل أن يكون آلان قد استوحى مقولة هولمز الشهيرة: «إن أحط وأقذر أزقة في لندن لا تقدم سجلًّا مروعًا للجريمة، أكثر مما تقدمه المناطق الريفية الباسمة الجميلة».

لماذا تلائم القرى الإنجليزية وقوع جرائم القتل إلى هذا الحد؟ اعتدت التساؤل بخصوص هذا الأمر، لكنني حصلت على الإجابة عندما اقترفت خطأً واستأجرت كوخًا في قرية بالقرب من تشيتشستر. نصح تشارلز بعدم فعل هذا، لكنني فكرت في ذلك الوقت كم سيكون من اللطيف الهروب بين الحين والحين في عطلة نهاية الأسبوع. كان محقًّا، ولم أطِق الانتظار للعودة. سرعان ما اكتشفت أنه في كل مرة اكتسبت فيها صديقًا واحدًا، اكتسبت ثلاثة أعداء، وأن

الجدل بخصوص قضايا مثل مواقف السيارات، وأجراس الكنائس، وفضلات الكلاب، وسلال الزهور المعلقة، تهيمن على الحياة اليومية، إلى درجة أن الجميع يمسك بعضهم بخناق بعض على الدوام. هذه هي حقيقة الأمر: إن المشاعر التي سرعان ما تضيع وسط ضجيج وفوضى المدينة، تتفاقم حول ساحة القرية، وتدفع الناس إلى الذهان والعنف. إنها بمنزلة هدية لكاتب روايات الجريمة. هناك أيضًا ميزة الترابط. إن المدن مجهولة، لكن في مجتمع ريفي صغير، يعرف الجميع بعضهم بعضًا، مما يجعل من السهل جدًّا خلق المشتبه فيهم، ومن ثَمَّ جعل الناس يشتبهون فيهم.

بدا لي من الواضح أن آلان كان يفكر في أورفورد عندما ابتدع ساكسبي أون أيفون. لم تكن في أيفون، كما لم تكن ثمة «منشآت راسخة من الطراز الجورجي مبنية بأحجار مدينة باث، بها أروقة جميلة بأعمدة، وحدائق ترتفع على شكل مصاطب»، لكن ما إن مررت بمحطة الإطفاء في برج التدريب الأصفر الزاهي، ودخلت ساحة القرية، حتى عرفت أين أنا تحديدًا. كانت الكنيسة تُدعى «سانت بارثولوميو»، وليست «سانت بوتولف»، لكنها كانت تقع في المكان الصحيح، بل كانت تضم أيضًا بعضًا من الأقواس الحجرية المكسورة. أطلت حانة على المقبرة: في الواقع، كانت حانة كوينز آرمز حيث أقام بوند، تُدعى «كينجز هيد». انتصبت لوحة إعلانات القرية، حيث نشرت جوي إشعارها بعلاقتها الغرامية، على جانب الساحة، بينما متجر القرية والمخبز - الذي يُدعى «ذا بامب هاوس» - على الجانب الآخر. كانت القلعة، التي ألقت بظلالها على منزل الدكتورة ريدوينج، والتي لا بد أنها أُنشئت في الوقت نفسه تقريبًا مثل تلك التي رأيتها في فراملينجهام، تقع على بعد مسافة قصيرة. حتى إنه كان هناك شارع يُسمَّى «دافني». في الكتاب، كان عنوان نيفيل برينت، لكن في العالم الواقعي كانت شقيقة آلان هي مَن تعيش هناك. بدا المنزل كما وصفه إلى حدٍّ كبير. تساءلت عما يعنيه هذا.

لم تتمكن كلير جينكنز من رؤيتي في اليوم السابق، لكنها وافقت على مقابلتي

في وقت الغداء. وصلتُ إلى هناك مبكرًا وتجولت حول القرية، متبعة الطريق الرئيسي وصولًا إلى نهر ألد. لا وجود للنهر في كتاب آلان، إذ حل محله الطريق الرئيسي المؤدي إلى باث. يقع باي هول في مكان ما جهة اليسار، مما يجعله في الواقع على أرض تابعة لنادي أورفورد لليخوت. كان لا يزال لديَّ وقت كافٍ، لذا تناولت القهوة في حانة أخرى، جولي سيلور. اسمها في الكتاب «فيريمان»، على الرغم من أن كلا الاسمين يشير إلى القوارب. كما مررت أيضًا بمرج بري، لا بد أنه كان مصدر الإلهام الذي أوحى بدينجل ديل، على الرغم من عدم وجود منزل كاهن يمكنني رؤيته، ومساحة صغيرة من الغابات فحسب.

بدأت أكوِّن فكرة عن الطريقة التي يعمل بها عقل آلان. أخذ منزله – آبي جرينج – ووضعه كاملًا، مع البحيرة والأشجار، في القرية التي عاش فيها حتى طلاقه. ثم أخذ تلك البنية التي أنشأها بالكامل ونقلها إلى سومرست، الذي كان أيضًا، بالمناسبة، المكان الذي تعيش فيه زوجته السابقة وابنه الآن. بدا من الواضح أنه استغل كل شخص وكل شيء حوله. وردت في الحكاية بيلا، الكلبة الجولدن ريتريفر التي يملكها تشارلز كلوفر، وكان لجيمس تيلور دور مساند، كما كان لديَّ قليل من الشك في أنه سيتضح أن شقيقة آلان، كلير، أُعيد توزيع دورها لتصير كلاريسا.

الأمر الذي يجعل آلان كونواي هو ماجنوس باي الواقعي. بدا من المثير للاهتمام أنه رأى نفسه شبيهًا بالشخصية الرئيسية لكتابه: مالك أرض بغيض متغطرس. هل كان يعرف شيئًا لا أعرفه؟

لم تكن كلير جينكنز تعتمر قبعة بها ثلاث ريشات، كما لم يكن منزلها حديثًا على نحو كريه. باختصار، لم يكن يشبه على الإطلاق ذلك المبنى الذي وصفه آلان في وينزلي تيراس. كان صغيرًا نوعًا ما ومتواضعًا بدرجة لا يمكن إنكارها، مقارنة ببعض المنازل الأخرى في أورفورد، لكنه بدا دافئًا ويتمتع بحسن الذوق، ويخلو تمامًا من أي أيقونات دينية. بدت هي نفسها امرأة قصيرة شرسة إلى حدٍّ ما، ترتدي كنزة برقبة مرتفعة وسروالًا من الجينز لا يلائمها. على عكس كلاريسا

باي، لم تصبغ شعرها، الذي ضل طريقه في الأرض البور بين البني والرمادي. انسدل على شكل غرة أعلى عينيها المنهكتين المليئتين بالحزن. لم تحمل شبهًا بشقيقها قَطُّ، وأول ما لاحظته عندما أدخلتني غرفة معيشتها هو أنها لم تكن لديها أيٌّ من كتبه معروضة. ربما قلبتها نحو الأسفل، على سبيل الحداد. دعتني في وقت الغداء، لكنها لم تقدم لي أي غداء. أعطت انطباعًا شديدًا بالرغبة في التخلص مني في أسرع وقت ممكن.

قالت:

- صُدمت عندما سمعت بشأن آلان. كان يصغرني بثلاث سنوات، وكنا مقربين طوال حياتنا. إنه سبب انتقالي للإقامة في أورفورد. لم تكن لديَّ أي فكرة أنه مريض. لم يخبرني بذلك قَطُّ. رأيت جيمس قبل أسبوع فقط، يتسوق في إبسويتش، ولم يخبرني هو أيضًا. لطالما انسجمت معه على نحو جيد للغاية، بالمناسبة، على الرغم من أنني فوجئت بشدة عندما ظهر بوصفه شريكًا لآلان. فوجئنا جميعًا. لا أعرف ما كان سيقوله والداي لو كانا لا يزالان على قيد الحياة - كان والدي مدير مدرسة، كما تعلمين - لكنهما توفيا منذ فترة طويلة جدًّا. لم يذكر جيمس أي شيء على الإطلاق بخصوص مرض آلان. أتساءل ما إذا كان يعرف حتى؟

عندما يجري أتيكوس بوند مقابلات مع الناس، فإنهم عادة ما يكونون منطقيين. ربما كان ذلك بسبب مهارته بوصفه محققًا، لكنه يتمكن من جعلهم يبدأون من البداية، ويجيبون عن أسئلته بشكل منطقي. لم تكن كلير كذلك. تحدثت بالطريقة نفسها التي قد يتنفس بها شخص مصاب بثقب في الرئة. خرجت الكلمات متقطعة، وتعين عليَّ التركيز حتى أتمكن من متابعة ما تقوله. كانت منزعجة جدًّا. قالت لي إن موت شقيقها صدمها بشدة.

- الشيء الذي لا أستطيع تجاوزه هو أنه لم يمد إليَّ يده لطلب العون. واجهتنا المصاعب مؤخرًا، لكن كان سيسعدني التحدث معه إذا كان قلقًا بشأن شيء ما...

قلت:

- لقد انتحر بسبب مرضه.

- هذا ما أخبرني به كبير مفتشي الشرطة لوك. لكن لم تكن هناك حاجة إلى فعل شيء متطرف إلى هذه الدرجة. هناك العديد من أنواع الرعاية التلطيفية، في هذه الأيام. أصيب زوجي بسرطان الرئة، كما تعلمين، وكانت الممرضات رائعات للغاية في طريقة عنايتهن به. أعتقد أنه كان سعيدًا خلال الأشهر القليلة الأخيرة من حياته، أكثر من سعادته معي في أي وقت مضى. كان محط الاهتمام، وقد أحب ذلك. جئت إلى أورفورد بعد وفاته. آلان هو مَن أتى بي إلى هنا. قال إنه سيكون من اللطيف لو كنا قريبين من بعضنا. هذا المنزل... لم أكن لأتمكن من تحمُّل تكلفته على الإطلاق، لولاه هو. كان المرء ليظن حقًّا أنه سيأتمنني على سره، بعد ما مررت به. إذا كان يفكر في الانتحار حقًّا، فلماذا لم يخبرني؟

- ربما خشي أن تقنعيه بالعدول عن الأمر.

- لم يكن بوسعي إقناع آلان بالعدول عن أي شيء، ولا إقناعه بأي شيء. لم تكن علاقتنا على هذا النحو.

- قلتِ إنك كنت مقربة منه.

- أوه، أجل. كنت أعرفه أفضل من أي شخص آخر. هناك الكثير من الأشياء التي يمكنني أن أخبرك بها عنه. أنا مندهشة من أنكم لم تنشروا سيرته الذاتية على الإطلاق.

- لم يكتب واحدة قَطُّ.

- كان بوسعكم الإتيان بشخص آخر ليكتبها.

لم أجادلها، وقلت:

- سأكون مهتمة بمعرفة أي شيء يمكنكِ إخباري به.

تمسكت بكلماتي بحماس، قائلة:

- حقًّا؟ ربما يجب أن أكتب عنه. يمكنني إخباركِ عن الوقت الذي قضيناه

في تشورلي هول إبان طفولتنا. سيسعدني ذلك، كما تعلمين. لقد قرأت منشورات النعي، ولم تصف آلان تقريبًا على الإطلاق.
حاولت توجيهها نحو الهدف.
- ذكر لي جيمس أنك ساعدتِه في عمله. قال إنك طبعت بعض مخطوطاته على الكمبيوتر.
- هذا صحيح. دومًا ما كان آلان ينجز المسودة الأولى يدويًّا. كان يحب استخدام قلم حبر. لم يثق بأجهزة الكمبيوتر. لم يرغب في أن تكون كل تلك التكنولوجيا بينه وبين عمله. لطالما قال إنه يفضِّل حميمية القلم والحبر. قال إنه يشعر بالقرب من الصفحة بدرجة أكبر. توليت أمر بريد معجبيه نيابة عنه. كتب إليه الناس رسائل جميلة، لكن لم يتسنَّ له الوقت للرد عليها جميعًا. علمني كيفية الكتابة بصوته. كنت أكتب الرسائل، ويوقِّع هو عليها. كما ساعدته أيضًا في البحث: فيما يتعلق بالسموم، وأشياء من هذا القبيل. كنت أنا مَن قدمته إلى ريتشارد لوك.
كان كبير مفتشي الشرطة لوك هو مَن اتصل بتشارلز لإبلاغه بنبأ وفاة آلان.
أوضحت كلير قائلة:
- أنا أعمل في مركز شرطة سوفولك، في إبسويتش. يقع المركز في شارع المتحف.
- هل أنتِ ضابط شرطة؟
- أعمل في قسم الموارد البشرية.
سألتها:
- هل طبعتِ له بدافع القتل على الكمبيوتر؟
هزت رأسها قائلة:
- توقفت عن ذلك بعد لهب وسيانيد. كل ما في الأمر هو، كما ترين... حسنًا، فهو لم يدفع لي شيئًا قَطُّ. كان في غاية الكرم معي من بعض النواحي. ساعدني على شراء هذا المنزل. كان يصطحبني للخروج، وأشياء من هذا

القبيل. لكن بعد انتهائي من ثلاثة كتب، اقترحت أنه يمكنه أن يدفع لي... لا أدري... راتبًا. بدا الأمر معقولًا. لم أطلب قدرًا كبيرًا من المال. ظننت فقط أنه من الواجب أن أتقاضى أجرًا. من سوء الحظ، أخطأت فهم الأمر تمامًا، لأنني رأيت في الحال أنني أثرت ضيقه. لم يكن بخيلًا، وأنا لا أقول ذلك. لم يعتقد فحسب أنه من الصواب توظيفي، لأنني شقيقته. لم نتجادل تحديدًا، لكنه تولى بنفسه بعد ذلك طباعة المخطوطات على الكمبيوتر. أو ربما جعل جيمس يساعده، لا أدري.

أخبرتها بشأن الفصول المفقودة، لكنها لم تستطع مساعدتي.

– لم أقرأ شيئًا منها. لم يسمح لي برؤيتها قَطُّ. كنت أقرأ جميع الكتب قبل نشرها، لكن بعد أن تجادلنا لم يعد يطلعني عليها على الإطلاق. كان آلان على هذا النحو دومًا، كما تعلمين. كان شخصًا من السهل جدًّا إثارة استيائه.

قلت:

– عليكِ تدوين كل هذا، إذا كتبتِ عنه بالفعل. لقد نشأتما معًا. هل كان يعلم دومًا أنه سيصبح كاتبًا؟ لماذا كتب روايات الجريمة؟

– نعم، سأفعل. سأفعل هذا بالضبط.

بعد ذلك، في غمضة عين، أعلنت الأمر فجأة قائلة:

– لا أعتقد أنه انتحر.

– معذرة؟

ألقت الكلمات كما لو أنها أرادت ذلك منذ لحظة وصولي، ولم تطِق الانتظار أكثر من ذلك، وقالت:

– لا أعتقد ذلك! أخبرت كبير مفتشي الشرطة لوك، لكنه لم يستمع إليَّ. لم يقدِم آلان على الانتحار. لا أصدق ذلك ولو للحظة.

– هل تعتقدين أنه كان حادثًا؟

– أعتقد أن شخصًا ما قتله.

حدقت إليها، وقلت:

- مَن يريد فعل ذلك؟
- كان هناك الكثير من الناس. كان هناك أناس يغارون منه، وأشخاص لا يحبونه. ميليسا، على سبيل المثال. فهي لم تسامحه قَطُّ على ما فعله بها، وأعتقد أنك تستطيعين تفهم هذا. لقد هجرها من أجل شاب، وتعرضت للإهانة. كما أن عليك التحدث إلى جاره، جون وايت. لقد اختلفا بسبب المال. حدثني آلان عنه. قال إنه قادر على أي شيء. بالطبع، ربما كان شخصًا لا يعرفه بالفعل. دومًا ما يكون هناك مَن يطاردك، عندما تكون كاتبًا مشهورًا. منذ فترة ليست بعيدة للغاية، تلقى آلان تهديدات بالقتل. أعرف هذا، لأنه أطلعني عليها.
- ممَّن كانت؟
- لم تكن موقَّعة، وتحملت قراءتها بالكاد. كانت لغتها فظيعة: كلمات سباب، وبذاءات. أرسلها كاتب ما، قابله في ديفونشاير، وهو شخص ما، حاول مساعدته.
- هل لديك أيٌّ منها؟
- ربما كانت لديهم في مركز الشرطة. اضطررنا في النهاية إلى الذهاب إلى الشرطة. عرضتها على كبير مفتشي الشرطة لوك، وقال إنه يتعين علينا أن نأخذها على محمل الجد، لكن لم تكن لدى آلان أي فكرة عمَّن أرسلها، ولم تكن هناك طريقة تمكننا من تتبعها. أحب آلان الحياة، وحتى لو كان مريضًا، فقد كان سيرغب في الاستمرار حتى النهاية.
شعرت بأنه يجب عليَّ إخبارها.
- لقد كتب رسالة. في اليوم السابق لانتحاره، كتب إلينا وأخبرنا بما سيفعله.
نظرت إليَّ بمزيج من عدم التصديق والاستياء في عينيها.
- كتب إليكِ رسالة؟
- أجل.
- إليكِ شخصيًّا؟

- لا، كانت الرسالة موجهة إلى تشارلز كلوفر، ناشره.

فكرت في الأمر، وقالت:

- لماذا كتب إليكم؟ لم يكتب إليَّ. لا أستطيع فهم هذا على الإطلاق. لقد نشأنا معًا. كنا لا نفترق، حتى أُرسل إلى مدرسة داخلية. وحتى بعد ذلك، عندما رأيته...

تلاشى صوتها، وأدركت أنني كنت حمقاء. لقد أزعجتها حقًّا.

سألتها:

- هل تريدينني أن أرحل؟

أومأت برأسها. كانت قد أخرجت منديلًا، لكنها لم تستخدمه. كورته في قبضتها أولًا.

قلت:

- أنا آسفة جدًّا.

لم ترافقني إلى الباب. خرجت بنفسي، وعندما نظرت خلفي عبر النافذة، كانت لا تزال جالسة حيث تركتها. لم تكن تبكي، بل حدقت إلى الحائط فحسب، وهي مستاءة وغاضبة.

وودبريدج

تصغرني شقيقتي، كاتي، بعامين، على الرغم من أنها تبدو أكبر. هذه مزحة متكررة بيننا. تشكو أنني لا أعاني أي صعاب، حيث أعيش بمفردي في شقة صغيرة فوضوية، في حين ترعى هي طفلين مفرطَي النشاط، ومجموعة متنوعة من الحيوانات الأليفة، وزوجًا متزمتًا يمكنه أن يكون لطيفًا ورومانسيًّا، لكنه لا يزال يحب أن يجد طعامه على المائدة في الوقت الملائم. لديهم منزل كبير، وحديقة تبلغ مساحتها نصف فدان، ترعاها كاتي حتى تبدو كما لو أنها صورة من مجلة. المنزل حديث من السبعينيات، بنوافذ منزلقة، ومدافئ تعمل بالغاز، وجهاز تلفزيون عملاق في غرفة المعيشة. لا توجد كتب تقريبًا. لا أصدر أي أحكام، لكنه من ذلك النوع من الأشياء التي لا يسعني إلا أن ألحظها فحسب.

نعيش في عالمين مختلفين. إنها أنحف مني بكثير، وتهتم أكثر بمظهرها. ترتدي ملابس عملية تشتريها من الكتالوجات، وتصفف شعرها لدى صالون التجميل مرة كل أسبوعين في مكان ما في وودبريدج، وأخبرتني بأن مصففة الشعر صديقتها. أعرف بالكاد اسم مصففة شعري، إنه دوز، أو داز، أو ديز، أو شيء من هذا القبيل، لكنني لا أعرف الاسم الكامل الذي يعد هذا اختصارًا له. لا تحتاج كاتي إلى العمل، لكنها قضت عشر سنوات في إدارة مركز لمستلزمات الحدائق على بعد نصف ميل من الطريق. يعلم الرب كيف تمكنت من الموازنة بين ذلك ووظيفتها التي بدوام كامل بوصفها زوجة وأمًّا. بالطبع تعاقبت سلسلة

من جليسات الأطفال الأجنبيات والمربيات في أثناء نشأة الطفلين. كانت هناك واحدة مصابة بفقدان الشهية العصابي، والأخرى المسيحية التي وُلدت من جديد، والأسترالية التي تشعر بالوحدة، وتلك التي اختفت. نتحدث معًا مرتين أو ثلاث مرات أسبوعيًّا عبر تطبيق فيس تايم، ومن الغريب أنه على الرغم من أنه ليس لدينا سوى قليل من القواسم المشتركة، فإننا دومًا ما كنا صديقتين حميمتين.

بالتأكيد لم تكن بإمكاني مغادرة سوفولك من دون أن أراها. كانت وودبريدج على بعد اثني عشر ميلًا فقط من أورفورد، ومن حسن الحظ، كانت متفرغة من العمل فترة ما بعد الظهيرة. كان جوردون في لندن، حيث يذهب يوميًّا إلى العمل: من وودبريدج إلى إبسويتش، ومن إبسويتش إلى شارع ليفربول، ثم يعود مرة أخرى. قال إنه لا يمانع، لكنني لا أحب التفكير في عدد الساعات التي ضيعها على متن القطارات. كان بإمكانه بسهولة تحمُّل تكلفة شقة صغيرة مؤقتة، لكنه قال إنه يكره الانفصال عن أسرته حتى لليلة أو ليلتين. دومًا ما كانوا يهتمون كثيرًا بالسفر معًا لقضاء عطلات الصيف، والتزلج في عيد الميلاد، ومختلف الرحلات في عطلات نهاية الأسبوع. الوقت الوحيد الذي أشعر فيه بالوحدة على الإطلاق، هو عندما أفكر فيهم.

بعد أن تركت كلير جينكنز، توجهت إليهم مباشرة. كانت كاتي في المطبخ. على الرغم من حجم المنزل، بدا أن هذا هو المكان الذي توجد فيه على الدوام. تعانقنا، وأحضرت إليَّ الشاي وشريحة ضخمة من الكعك، المصنوع منزليًّا بالطبع. سألتني:

– ما الذي تفعلينه في سوفولك إذن؟

أخبرتها بأن آلان كونواي مات، فتجهمت قائلة:

– أوه، نعم، بالطبع. سمعت ذلك في نشرة الأخبار. هل هذا سيئ للغاية؟

– إنه ليس جيدًا.

– ظننت أنك لا تحبينه.

هل أخبرتها بذلك بالفعل؟ قلت:

- ليست لمشاعري علاقة بذلك. كان أكبر مؤلف لدينا.

- ألم ينتهِ للتو من كتاب آخر؟

أخبرتها عن المخطوطة التي تفتقد فصلين أو ثلاثة، وأنه لا أثر لها على جهاز الكمبيوتر الخاص به، وأن جميع ملاحظاته المكتوبة بخط اليد اختفت أيضًا. حتى بينما أنا أشرح كل هذا، أدركت أنه يبدو غريبًا جدًّا، مثل رواية مؤامرة مثيرة. تذكرت ما قالته لي كلير، بخصوص أن شقيقها لم يكن ليقدِم على الانتحار قَطُّ.

قالت كاتي:

- هذا مربك للغاية. ماذا ستفعلين إذا لم تتمكني من العثور عليها؟

كنت أفكر في ذلك الأمر، وأنوي مناقشته مع تشارلز. كنا بحاجة إلى بدافع القتل، لكن عند التفكير في جميع أنواع الروايات المختلفة الموجودة في السوق، فإن رواية الجريمة هي الوحيدة التي تحتاج بشكل قاطع تمامًا إلى أن تكون كاملة. كانت لغز إدوين درود المثال الوحيد الذي تمكن من البقاء، والذي استطعت التفكير فيه، لكن آلان لم يكن تشارلز ديكنز. إذن ماذا سنفعل؟ يمكننا العثور على كاتب آخر يتدخل لإنهاء الرواية. أدت صوفي هانا عملًا رائعًا مع بوارو، لكن سيتعين عليها حل الجريمة أولًا، وهو الشيء الذي فشلت أنا فيه بوضوح. يمكننا نشره كهدية عيد ميلاد مزعجة للغاية: شيء تقدمه إلى شخص لا تحبه. يمكننا عقد مسابقة: أخبرنا من قتل السير ماجنوس باي، واربح عطلة نهاية أسبوع على متن قطار الشرق السريع. أو يمكننا أن نستمر في البحث، ونأمل فقط أن تظهر تلك الفصول اللعينة.

تحدثنا عن هذا بعض الوقت، ثم غيرت الموضوع، وسألت عن جوردون والطفلين. كان بخير، ويستمتع بالعمل. سيذهبون للتزلج في عيد الميلاد، وقد استأجروا شاليهًا في كورشوفيل. اقترب كلٌّ من ديزي وجاك من نهاية وقتهما في مدرسة وودبريدج. ظلا هناك معظم حياتهما تقريبًا، أولًا في كوينز هاوس، مرحلة ما قبل المدرسة، ثم في ذا آبي، وقد صارا في المدرسة الرئيسية الآن. كان مكانًا

جميلًا، وقد زرته مرتين. لا يتوقع المرء العثور على كل هذه الأراضي وكل هذا العدد من المباني الجميلة منزوية بعيدًا في بلدة صغيرة مثل وودبريدج. خطر لي أن المدرسة تلائم شخصية شقيقتي على نحو جيد جدًّا. لم يتغير شيء، وبدا كل شيء مثاليًّا. كان من السهل جدًّا تجاهل العالم الخارجي.

قالت كاتي فجأة:

- لم يحب الأطفال آلان كونواي قَطُّ في الواقع.

- أجل، لقد أخبرتِني.

- كما لم تحبيه أنت أيضًا.

- ليس في الواقع.

- هل تشعرين بالندم لأنني عرَّفته إليكِ؟

- لا، على الإطلاق، يا كاتي. لقد جنينا ثروة من ورائه.

هزت كتفيها وقالت:

- لكنه نغص عليكِ أوقاتك. حسب ما سمعت، لم يأسف أحد عندما ترك مدرسة وودبريدج.

توقف آلان كونواي عن التدريس بعد فترة وجيزة من صدور الكتاب الأول. بحلول الوقت الذي ظهر فيه كتابه الثاني، صار يكسب أكثر بكثير مما حصل عليه في أي وقت مضى بوصفه مدرسًا.

سألتها:

- ماذا كان خطبه؟

فكرت كاتي للحظة.

- لست متأكدة أنني أعرف. كانت لديه سمعة فحسب، كما هي حال بعض المدرسين. أعتقد أنه كان صارمًا للغاية، ولم يتمتع بالكثير من روح الدعابة.

هذا صحيح. هناك نكات قليلة جدًّا في روايات أتيكوس بوند.

واصلت الحديث قائلة:

- أعتقد أنه لطالما كان كتومًا للغاية. قابلته عدة مرات في اليوم الرياضي وما

إلى ذلك، ولم أكن متأكدة قَطُّ مما يفكر فيه. لطالما ساورني شعور بأنه يخفي شيئًا ما.

اقترحت قائلة:

- ميوله الجنسية؟

- ربما. عندما هجر زوجته من أجل ذلك الفتى، كان شيئًا غير متوقع تمامًا. لكن لم يكن هذا هو الموضوع. عند مجرد لقائه، كان الأمر يبدو كما لو أنه غاضب من شيء ما، لكن لم تكن لديه النية لإخبارك عما يكون.

ظللنا نتحدث فترة من الوقت، ولم أرغب في أن أعلق وسط حركة المرور بلندن. انتهيت من الشاي، ورفضت تناول مزيد من الكعك. تناولت شريحة ضخمة بالفعل، وما كنت أريده حقًّا هو سيجارة. كانت كاتي تكره كوني مدخنة. بدأت في الاستئذان للرحيل.

سألتني:

- هل ستعودين قريبًا؟ سيحب الطفلان رؤيتك. يمكننا تناول العشاء معًا.

قلت:

- سأذهب وأجيء عدة مرات على الأرجح.

- هذا جيد. نحن نفتقدكِ.

كنت أعرف ما هو آتٍ، وكما هو متوقع، لم تخيب كاتي ظني. سألتني:

- هل كل شيء على ما يرام يا سو؟

ونبرة صوتها تدل على أنه من الواضح أنه ليس على ما يرام.

قلت:

- أنا بخير.

- أنت تعلمين أنني أشعر بالقلق حيالك، وأنت بمفردك في تلك الشقة.

- لست بمفردي. لديَّ أندرياس.

- كيف حال أندرياس؟

- إنه بخير تمامًا.

- لا بد أنه عاد إلى المدرسة الآن.
- لا، لن يبدأوا قبل نهاية الأسبوع. ذهب إلى كريت لقضاء الصيف.
ما إن قلت ذلك حتى تمنيت لو أنني لم أفعل، إذ إن هذا يعني أنني بمفردي في النهاية.
- لماذا لم تذهبي معه؟
- لقد دعاني، لكنني كنت مشغولة للغاية.
كانت هذه نصف الحقيقة فقط. لم أذهب إلى كريت من قبل. شيء ما بداخلي قاوم فكرة الدخول إلى عالمه، ووضع نفسي تحت الفحص.
- هل هناك أي فرصة...؟ أعني، هل أنتما الاثنان...؟
هذا ما كان يؤول إليه الحديث دومًا. كان الزواج بالنسبة إلى كاتي، بعد سبعة وعشرين عامًا منه وراء ظهرها، هو غاية الأمور ومنتهاها، والسبب الوحيد في الواقع لكون المرء على قيد الحياة. كان الزواج بالنسبة إليها هو مدرسة وودبريدج، وأرضها، والجدار المحيط بها، وتبعًا لرأيها كنت أنا عالقة بالخارج، أنظر من خلال البوابة.
قلت بمرح:
- أوه، نحن لا نتحدث بخصوص ذلك أبدًا. يعجبنا الوضع كما هو. على أي حال، لن أتزوجه أبدًا.
- لأنه يوناني؟
- لأنه يوناني أكثر مما ينبغي له. سيقودني إلى الجنون.
لماذا كان على كاتي الحكم عليَّ دائمًا وفقًا لمعاييرها؟ لماذا لا يمكنها أن ترى أنني لا أحتاج إلى ما لديها، وأنني قد أكون سعيدة تمامًا بالوضع كما هو عليه؟ إذا بدوت منزعجة، فهذا لمجرد أنني قلقة من أنها ربما تكون على حق. كان هناك جزء مني يطرح عليَّ السؤال نفسه. لن أنجب أطفالًا أبدًا. كان لديَّ رجل غاب طوال الصيف، ولا يأتي خلال فترة الفصل الدراسي إلا في عطلات نهاية الأسبوع، إذا لم يكن منشغلًا بكرة القدم، أو تدريبات المسرحية المدرسية، أو

رحلة يوم السبت إلى معرض تيت. كرست حياتي بأكملها للكتب، وللمكتبات، ولبائعي الكتب، ولمحبي الكتب أمثال تشارلز وآلان. وبذلك، انتهى بي الأمر مثل كتاب: على الرف.

سعدت بالعودة إلى ركوب السيارة الإم جي بي. لا توجد كاميرات لتسجيل السرعة بين وودبريدج وطريق A12، وأبقيت قدمي تضغط بشدة على دواسة البنزين. عندما وصلت إلى طريق M25، فتحت الراديو، واستمعت إلى ماريلا فروستروب، التي كانت تتحدث عن الكتب. حينها شعرت بأنني بخير.

الرسالة

كان المرء ليظن أنني بعد عشرين عامًا من تحرير الروايات التي تدور حول جرائم القتل، سألاحظ عندما أجد نفسي وسط إحداها. لم يقدِم آلان كونواي على الانتحار. صعد إلى البرج ليتناول إفطاره، ودفعه أحدهم. ألم يكن هذا واضحًا؟

أصر شخصان يعرفانه جيدًا، محاميه وشقيقته، على أنه لم يكن من النوع الذي سيقدم على الانتحار، وبدا أن دفتر مواعيده - الذي أظهر أنه أقدم بمرح على شراء تذاكر المسرح وترتيب مباريات التنس ومواعيد الغداء للأسبوع التالي لوفاته - يؤكد ذلك. إن طريقة موته، المؤلمة وغير المؤكدة، تبدو خاطئة. ثم إن هناك المشتبه فيهم، الذين شرعوا يصطفون بالفعل لأداء دور البطولة في الفصل الأخير. ذكرت كلير زوجتَه السابقة، ميليسا، وجاره مدير صندوق التحوُّط، المدعو «جون وايت»، الذي تورط معه في خلاف من نوع ما. كما أنها هي نفسها اختلفت معه. كان جيمس تيلور هو صاحب الدافع الأكثر وضوحًا. توفي آلان قبل يوم واحد فقط من الموعد الذي انتوى فيه توقيع وصيته الجديدة. كان جيمس أيضًا يستطيع الوصول إلى المنزل، وسيعرف أن آلان سيتناول إفطاره على السطح إذا كانت الشمس مشرقة. كما كان شهر أغسطس دافئًا.

فكرت في كل هذا بينما أنا أقود عائدة في طريقي إلى المنزل، مع ذلك استغرق مني الأمر بعض الوقت لقبوله. في رواية الجريمة، عندما يسمع المحققون بأن السير فلان الفلاني طُعن ستًّا وثلاثين مرة على متن قطار، أو قُطع رأسه، فهم

يتقبلون ذلك بوصفه حادثًا طبيعيًا تمامًا. يحزمون حقائبهم، ويتوجهون إلى طرح الأسئلة وجمع القرائن، وفي النهاية إتمام الاعتقال. لكنني لم أكن محققة. كنت محررة. وحتى أسبوع مضى، لم يتمكن أيٌّ من معارفي من الموت بطريقة غير عادية وعنيفة. بخلاف والدَي وآلان، لم أعرف أي شخص مات على الإطلاق تقريبًا. يبدو الأمر غريبًا عندما تفكر فيه. هناك المئات والمئات من جرائم القتل في الكتب والتلفزيون. سيصعب على السرد الأدبي الاستمرار من دونها. ومع ذلك، فهي لا تكاد تكون موجودة في الحياة الواقعية، إلا إذا كنت تعيش في المنطقة الخطأ. لماذا نتسم بهذه الحاجة إلى ألغاز جرائم القتل، وما الذي يجذبنا، الجريمة أم الحل؟ هل لدينا نوع من الحاجة البدائية إلى سفك الدماء، لأن حياتنا آمنة جدًا ومريحة للغاية؟ حاولت تذكير نفسي بالتحقق من أرقام مبيعات آلان في سان بيدرو سولا في هندوراس (عاصمة القتل في العالم). قد يتضح أنهم لا يقرأون أعماله أبدًا.

كان أهم شيء هو الرسالة. من دون أن أخبر أحدًا، عملت نسخة منها قبل أن يرسلها تشارلز إلى الشرطة، وحالما وصلت إلى المنزل، أخرجتها وتفحصتها مرة أخرى. تذكرت ذلك التناقض الغريب - رسالة مكتوبة بخط اليد، في ظرف مكتوب على الآلة الكاتبة - الذي رأيته في مكتب تشارلز. كان انعكاسًا دقيقًا مقلوبًا لما اكتشفه أتيكوس بوند في باي هول. تلقى السير ماجنوس تهديدًا بالقتل مكتوبًا على الآلة الكاتبة، في ظرف مكتوب بخط اليد. ما الذي يعنيه ذلك، في كل حالة؟ وإذا جمعت الاثنين معًا، فهل هناك دلالة أكبر، نمط لا يمكنني رؤيته؟

أُرسلت الرسالة في اليوم التالي لتسليم آلان المخطوطة في نادي ذا آيفي. تمنيت الآن لو أنني نظرت إلى الظرف من كثب أكثر، لمعرفة ما إذا كان قد أُرسل من لندن أم من سوفولك، على الرغم من أن تشارلز مزَّق جزءًا من الختم البريدي عندما فتحه. في كلتا الحالتين، كان من المؤكد أن آلان كتبها بنفسه. كان خط يده، وما لم يكن قد أُجبر على الكتابة في وجود مسدس مصوب نحو رأسه، فقد عرضت الرسالة نياته بوضوح تام. أم تراها لم تفعل؟ بعد العودة إلى شقتي في

كراوتش إند، مع كأس من النبيذ في يدي، وسيجارة ثالثة بينما أنا منشغلة، لم أكن متأكدة تمامًا.

الصفحة الأولى عبارة عن اعتذار. لقد تصرف آلان بشكل سيئ. لكنها جزء من نمط عام للسلوك. إنه مريض، ويقول إنه قرر عدم العلاج، وإن هذا سيقتله سريعًا للغاية على أي حال. لا يوجد شيء في هذه الصفحة بخصوص الانتحار، بل على العكس تمامًا. إن السرطان هو الذي سيقتله، لأنه لن يخضع للعلاج الكيميائي. وانظر مجددًا إلى الصفحة الثانية، وكل تلك الأشياء المتعلقة بالمناسبات الأدبية في لندن. إنه لا يكتب عن انتهاء حياته، بل يكتب عن كيفية استمرارها.

تتعلق الصفحة الثانية بوفاته بالفعل، ولا سيما في الفقرة التي تدور حول جيمس تيلور والوصية. لكنها غير محددة مرة أخرى. «من المحتم وقوع خلافات بعد رحيلي». يمكن أن يكون حديثه عن أي وقت: ستة أسابيع من الآن، أو ستة أشهر، أو سنة. لا يدخل في صلب الموضوع حتى الصفحة الثالثة. «عندما تقرأ هذا، سيكون كل شيء قد انتهى». عندما قرأت الرسالة لأول مرة، بعد فترة وجيزة من سماع ما حدث، افترضت تلقائيًا أن آلان استخدم كلمة «كل شيء» للإشارة إلى حياته. ستنتهي حياته. كان سيقتل نفسه. مع ذلك، عند إعادة قراءتها، خطر لي أنه من المحتمل أيضًا أنه كان يتحدث عن مستقبله المهني بوصفه كاتبًا، الذي كان موضوع الفقرة السابقة. كان قد سلم الكتاب الأخير، ولن يكون هناك المزيد.

ثم نصل إلى «القرار الذي اتخذته»، بعد بضعة أسطر. هل هو حقًا القرار بالقفز من أعلى برجه؟ أم هو ببساطة القرار الذي أوضحه بالفعل، بعدم تلقي العلاج الكيميائي، ليقتل نفسه بهذا المعنى فقط؟ عند نهاية الرسالة، يتحدث عن الناس الذين سينعونه، لكنه مرة أخرى، أثبت بالفعل أنه سيموت. لم يذكر صراحة في أي مكان أنه يخطط لأخذ زمام الأمور بين يديه. «بينما أستعد للرحيل عن هذا العالم»... أليس هذا رقيقًا بعض الشيء، بالنسبة إلى ما يفترض أنه يفكر فيه، وهو القفز من أعلى برج؟

هذا ما فكرت فيه. وعلى الرغم من وجود شيء آخر بخصوص الرسالة، وهو ما فاتني تمامًا، والذي سيثبت أن كل ما كتبته هنا تقريبًا كان خطأً، فبحلول نهاية ذلك اليوم، تغير كل شيء. كنت أعلم أن الرسالة ليست كما تبدو، وأنها لم تكن أكثر من وداع عام، وأن شخصًا ما لا بد أن يكون قرأها، وأدرك أنه يمكن إساءة تفسيرها. كانت كلير جينكنز وساجد خان على حق. أنجح كاتب روايات جريمة في جيله تعرض هو نفسه للقتل.

دق جرس الباب.

اتصل بي أندرياس هاتفيًا قبل ساعة، وكان هناك على عتبة منزلي ومعه باقة من الزهور، وحقيبة سوبرماركت منتفخة تحتوي على زيتون من كريت، وعسل زعتر رائع، وزيت، ونبيذ، وجبن، وشاي جبلي. لم يكن الأمر مجرد كرم منه، بل كان يحمل حبًا حقيقيًا لوطنه ولكل ما ينتجه. يعبر هذا عن طبيعة اليونانيين بشدة. ربما تكون الأزمة المالية التي طال أمدها في هذا الصيف وفي العام السابق قد سقطت من الصحف البريطانية - كم مرة يمكنك توقع الانهيار التام لبلد ما؟ - لكنه أخبرني كم لا يزال الوضع مؤلمًا في الوطن. تعطلت الأعمال، وابتعد السياح. بدا الأمر كما لو أنه كلما أحضر لي مزيدًا من الأشياء، سيقنعني أكثر أن كل شيء سيصبح على ما يرام. كان رقيقًا ومحافظًا، بالمناسبة، عندما دق الجرس، إذ إن لديه مفتاحه الخاص.

كنت قد رتبت الشقة، واستحممت، وبدلت ملابسي، وأملت أن أبدو جذابة بدرجة معقولة. دومًا ما أتوتر جدًا بشأن رؤيته بعد هذه الفترات الطويلة من الفراق. أردت التأكد أن شيئًا لم يتغير. بدا أندرياس بمظهر جيد للغاية. بعد ستة أسابيع تحت أشعة الشمس، أصبحت بشرته داكنة أكثر من أي وقت مضى، كما صار أنحف أيضًا: مزيج من السباحة، وطعام كريت منخفض الكربوهيدرات. لا يعني ذلك أنه كان سمينًا على الإطلاق. لديه بنية جسدية تشبه الجندي، بكتفين عريضتين، ووجه منحوت، وشعر أسود ينسدل في تموجات كثيفة مثل راعي غنم

إيطالي، أو إله. لديه عينان مشاكستان، وابتسامة معوجة نوعًا ما. وعلى الرغم من أنني لن أقول إنه رجل وسيم تبعًا للمعايير التقليدية، فإنه مسلٍّ، وذكي، وهادئ، ودومًا ما تكون صحبته طيبة.

هو أيضًا مرتبط بمدرسة وودبريدج، لأن هذا هو المكان الذي التقيته فيه لأول مرة. كان يُدرِّس اللغتين اللاتينية واليونانية القديمة، ومن المضحك التفكير في أنه عرف آلان كونواي قبل أن أعرفه أنا. كانت ميليسا، زوجة آلان، تُدرِّس هناك هي أيضًا، لذا كان ثلاثتهم معًا قبل فترة طويلة من دخولي إلى المشهد. تعرَّفت عليه عند نهاية فصل دراسي صيفي. كان يومًا رياضيًّا، وكنت هناك لدعم جاك وديزي. شرعنا في الحديث، وأعجبت به على الفور. لكننا لم نلتقِ مرة أخرى إلا بعد مرور عام. بحلول ذلك الوقت كان قد انتقل إلى مدرسة وستمنستر في لندن، واتصل بكاتي للحصول على رقم هاتفي. كان من اللطيف أنه تذكرني بعد كل ذلك الوقت، لكننا لم ندخل في علاقة رومانسية على الفور. بقينا صديقين فترة طويلة، قبل أن نصبح عشيقين، وفي الواقع لم يمضِ على علاقتنا الحالية سوى عامين فقط. نادرًا ما كنا نتحدث عن آلان، بالمناسبة. كانت هناك ضغينة بينهما، على الرغم من أنني لم أسأل عن السبب. لم أكن لأصف أندرياس بالغيرة قَطُّ، لكن تشكَّل لديَّ انطباع بأنه استاء في أعماقه من نجاح آلان.

كنت أعرف كل شيء عن ماضي أندرياس، إذ لم يرغب في وجود أسرار بيننا. في المرة الأولى التي تزوج فيها، كان صغيرًا جدًّا في السن، في التاسعة عشرة من العمر فقط، وانهار الزواج عندما كان يؤدي خدمته الوطنية في الجيش اليوناني. عاشت زوجته الثانية، أفروديت، في أثينا. كانت معلمة مثله، وقد أتت معه إلى إنجلترا. حينها ساءت الأمور. افتقدت عائلتها، وأحست بالحنين إلى الوطن. قال لي أندرياس:

- كان يجب أن أرى أنها تعيسة، وأعود معها. لكن الأوان فات، وعادت بمفردها.

كانا لا يزالان صديقين، وكان يراها بين الحين والحين.

مشينا إلى كراوتش إند لتناول العشاء. كان هناك مطعم يوناني، يديره بالفعل قبارصة، وعلى الرغم من أن المرء قد يعتقد أن هذا هو آخر طعام سيرغب فيه بعد قضاء الصيف في وطنه، فإنه كان تقليدًا، أن نذهب هناك على الدوام. كانت أمسية دافئة أخرى، لذا تناولنا الطعام في الخارج، وجلسنا متقاربَين في الشرفة الضيقة التي بها مدافئ مشتعلة فوق رأسينا بلا داعٍ. طلبنا تاراماسالاتا، ودولمة، وسجقًا يونانيًّا، وسوفلاكي... كلها مُعدة في أصغر مطبخ على الإطلاق، بجوار الباب الأمامي، وتقاسمنا زجاجة من النبيذ الأحمر اللاذع.

كان أندرياس هو مَن أثار موضوع وفاة آلان. قرأ عنه في الصحف، وانتابه القلق بخصوص ما قد يعنيه ذلك بالنسبة إليَّ. سألني:

- هل سيتسبب ذلك في الأذى للشركة؟

كان يتحدث الإنجليزية بطلاقة، بالمناسبة. كانت والدته إنجليزية، ونشأ وهو يتحدث لغتين. أخبرته عن الفصول المفقودة، وبعد ذلك بطبيعة الحال، خرج باقي الحديث أيضًا. لم أرَ سببًا يدفعني إلى إخفاء شيء عنه، وشعرت بالرضا في الواقع لوجود شخص يمكنني مناقشة أفكاري معه. وصفت زيارتي إلى فراملينجهام، والأشخاص الذين قابلتهم هناك جميعًا.

أضفت قائلة:

- رأيت كاتي، وقد سألت عنك.

- آه، كاتي!

لطالما أحبها أندرياس حينما كان يعرفها بوصفها ولية أمر في المدرسة. واصل قائلًا:

- كيف حال الطفلين، جاك وديزي؟

- لم يكونا هناك. ولم يعودا طفلين تقريبًا. سيذهب جاك إلى الجامعة في العام المقبل...

أخبرته بشأن الرسالة، وكيف توصلت إلى استنتاج مفاده في النهاية أن آلان ربما لم يقتل نفسه. ابتسم وقال:

- هذه هي مشكلتك يا سوزان. دومًا ما تبحثين عن القصة، وتقرئين ما بين السطور. لا شيء واضحًا ومباشرًا أبدًا.

- هل تعتقد أنني مخطئة؟

أخذ يدي، وقال:

- ها قد أزعجتكِ الآن. لا أقصد ذلك. إنه واحد من الأشياء التي أحبها فيك. لكن ألا تعتقدين أن الشرطة كانت ستلاحظ إذا دفعه أحدهم من البرج؟ لا بد أن القاتل اقتحم المنزل. سيكون هناك صراع وقع، وسيكونون قد خلفوا بصماتهم.

- لست متأكدة ما إذا كانوا قد بحثوا.

- لم يبحثوا لأن الأمر واضح جدًّا في الواقع. كان مريضًا، وقفز.

تساءلت كيف يمكنه أن يكون متأكدًا إلى هذه الدرجة. قلت:

- أنت لم تحب آلان كثيرًا، أليس كذلك؟

فكر للحظة، وقال:

- لم أكن أحبه قَطُّ، إذا أردتِ الحقيقة. لقد اعترض الطريق.

انتظرت أن يشرح ما يقصده، لكنه تجاهل الأمر، وتابع الحديث:

- لم يكن شخصًا يسهل الإعجاب به.

- لمَ لا؟

ضحك وعاد إلى تناول طعامه. قال:

- لقد اشتكيتِ منه بما فيه الكفاية.

- كان عليَّ العمل معه.

- وأنا كذلك. هيًا يا سوزان، لا أريد التحدث عنه. سيفسد ذلك الأمسية فحسب. أعتقد أنه يجب عليك توخي الحذر، هذا كل ما في الأمر.

سألته:

- ما الذي تعنيه بذلك؟

- لأنه ليس من شأنكِ. ربما انتحر. ربما قتله شخص ما. في كلتا الحالتين، هذا

ليس شيئًا يجب عليك التورط فيه. أنا أفكر فيك فقط. ربما كان الأمر خطيرًا.
- هل أنت جاد؟
- لمَ لا؟ عليكِ التفكير دائمًا، قبل البحث في حياة شخص آخر. ربما أقول ذلك لأنني نشأت في جزيرة، في مجتمع صغير. كنا نؤمن دومًا بكتمان الأسرار العائلية. ما الفرق الذي يشكله لك كيفية موت آلان؟ سأبقى بعيدًا...

قاطعته قائلة:
- ما زال يجب عليَّ العثور على الفصول المفقودة.
- ربما لا توجد فصول مفقودة. على الرغم مما تقولينه، لا يمكنك التأكد ما إذا كان قد كتبها على الإطلاق. لم تكن على جهاز الكمبيوتر الخاص به، ولم تكن على مكتبه.

لم أحاول المجادلة. شعرت بخيبة أمل بعض الشيء، لأن أندرياس أسقط نظرياتي بمثل هذه الدرجة من اللامبالاة. كما بدا لي أيضًا أن هناك حرجًا بسيطًا بيننا، وانفصالًا كان حاضرًا منذ اللحظة التي وصل فيها إلى الشقة. لطالما كنا نشعر بالأُنس معًا، ويشعر كلٌّ منا بالراحة في أثناء صمت الآخر. لكن ذلك لم يكن صحيحًا الليلة. كان هناك شيء لم يخبرني به، حتى إنني تساءلت عما إذا كان قد التقى شخصًا آخر.

بعد ذلك، عند نهاية الوجبة، بينما نحن نرتشف القهوة الكثيفة الحلوة التي كنت أعلم أنه يجب عليَّ عدم الإشارة إليها أبدًا بوصفها قهوة تركية، قال فجأة:
- أفكر في ترك وستمنستر.
- معذرة؟
- عند نهاية الفصل الدراسي. أريد التوقف عن التدريس.
- هذا مفاجئ جدًّا يا أندرياس. لماذا؟

أخبرني بالأمر. عُرض فندق للبيع على طرف مدينة آجيوس نيكولاوس، وهو مشروع حميمي تديره أسرة، به اثنتا عشرة غرفة، بجوار البحر مباشرة. كان

المُلاك في الستينيات من العمر، وقد غادر أولادهم الجزيرة. مثل كثير من الشباب اليوناني، كانوا في لندن. لكن أندرياس كان لديه ابن عم يعمل هناك، ينظرون إليه بوصفه ابنًا تقريبًا. عرضوا عليه الفرصة لشراء الفندق، وأتاه ابن عمه ليرى ما إذا كان بوسعه المساعدة في التمويل. سئم أندرياس التدريس. في كل مرة يعود فيها إلى كريت، كان يشعر بالارتياح بدرجة أكبر، وبدأ يسأل نفسه عن سبب رحيله من الأساس. كان في الخمسين من العمر، وكانت هذه فرصة لتغيير حياته.

اعترضت قائلة:

- لكن يا أندرياس، أنت لا تعرف شيئًا عن إدارة فندق.

- يانيس لديه خبرة، كما أنه فندق صغير. ما مدى الصعوبة التي يمكن أن يكون عليها الأمر؟

- لكنك قلت إن السياح لم يعودوا يذهبون إلى كريت.

- كان ذلك في هذا العام. سيكون العام المقبل أفضل.

- لكن ألن تشتاق إلى لندن؟

بدأت جميع جملي بكلمة «لكن». هل اعتقدت حقًّا أنها فكرة سيئة أم كان هذا هو التغيير الذي أخشاه، وإدراك أنني على وشك أن أفقده؟ كان هذا بالضبط ما حذرتني منه شقيقتي. سينتهي بي المطاف وأنا بمفردي.

قال:

- تمنيت أن تكوني أكثر حماسًا.

سألته ببؤس:

- لماذا سأكون متحمسة؟

- لأنني أريدكِ أن تأتي معي.

- هل أنت جاد؟

ضحك مرة ثانية، وقال:

- بالطبع! لماذا تعتقدين أنني أخبرك بكل هذا؟

أحضر النادل شراب الراكي، وصب كأسين، ملأهما حتى الحافة. واصل قائلًا:

- ستحبين الأمر يا سوزان، أعدك بهذا. كريت جزيرة رائعة، وحان الوقت لتقابلي عائلتي وأصدقائي. دائمًا ما يسألون عنك.
- هل تطلب مني الزواج؟
رفع كأسه، وعادت النظرة المشاكسة إلى عينيه.
- ماذا ستقولين إذا فعلت؟
- لن أقول شيئًا، على الأرجح. سأكون مصدومة للغاية.
لم أقصد الإساءة إليه، لذلك أضفت قائلة:
- سأقول إنني سوف أفكر في الأمر.
- هذا كل ما أطلبه منكِ.
- لديَّ وظيفة يا أندرياس، ولديَّ حياة.
- كريت على بعد ثلاث ساعات ونصف الساعة، إنها ليست على الجانب الآخر من العالم. وربما بعد كل ما قلتِه لي، لن يعود لديك خيار قريبًا.
كان هذا صحيحًا بكل تأكيد. من دون بدافع القتل، ومن دون آلان، مَن يستطيع القول إلى متى سيمكننا الاستمرار؟
- لا أدري. إنها فكرة جميلة. لكن ما كان عليك أن تفاجئني بها بغتة هكذا. سيتعين عليك أن تمنحني الوقت للتفكير.
- بالطبع.
التقطت كأس الراكي، وجرعته دفعة واحدة. أردت أن أسأله ماذا سيحدث إذا قررت البقاء. هل ستكون هذه نهاية الأمر؟ هل سيرحل من دوني؟ كان من السابق لأوانه إجراء هذه المحادثة، لكن الحقيقة أنني اعتقدت أنه من غير المحتمل أن أبادل كريت بحياتي: كلوفرليف، وكراوتش إند. كنت أحب عملي، كما أن عليَّ التفكير في علاقتي مع تشارلز، خصوصًا الآن بعد أن صار كل شيء في غاية الصعوبة. لم أستطع أن أرى نفسي مثل شيرلي فالنتين في القرن الحادي والعشرين، جالسة على الصخور، على بعد ألف ميل من أقرب فرع لمكتبة ووترستون.

قلت:

- سأفكر في الموضوع. ربما كنت على حق. قد أصبح عاطلة عن العمل بحلول نهاية العام. أعتقد أنه يمكنني دومًا ترتيب الأسِرَّة.

قضى أندرياس الليلة معي، وكان من اللطيف وجوده مرة أخرى. لكن بينما أنا مستلقية هناك في الظلام وقد أحاطني بذراعيه، تسابقت كثير من الأفكار في ذهني، ورفضت السماح لي بالنوم. رأيت نفسي أترجل من السيارة في آبي جرينج، والبرج يلوح فوقي، ورأيتني أتفحص مسارات الإطارات، وأفتش مكتب آلان. مرة أخرى، بدت الصور في مكتب ساجد خان كأنها تنزلق أمامي، لكنها هذه المرة أظهرت آلان، وتشارلز، وجيمس تيلور، وكلير جينكنز، وأنا. في الوقت نفسه، استأنفت مقتطفات من بعض المحادثات.

أمسك بي جيمس أعلى البرج.

- شعرت فحسب بالقلق من أن تصابي بالدوار.

شقيقة آلان في أورفورد.

- أعتقد أن شخصًا ما قتله.

وأندرياس على العشاء، في تلك الأمسية نفسها.

- هذا ليس من شأنكِ. هذا ليس شيئًا يجب عليك التورط فيه.

في وقت لاحق من تلك الليلة، ظننت أن الباب انفتح، ودخل رجل إلى غرفة النوم. كان يتكئ على عصا. لم يقل أي شيء، لكنه وقف هناك ناظرًا بحزن إليَّ وإلى أندرياس، وعندما دخل شعاع من ضوء القمر عبر النافذة، تعرَّفت على أتيكوس بوند. كنت نائمة بالطبع، وأحلم، لكني أتذكر أنني تساءلت كيف تمكَّن من دخول عالمي، قبل أن يخطر ببالي أنه ربما أنا مَن دخلت عالمه.

النادي في ذا آيفي

سألني تشارلز:

- كيف سارت الأمور؟

أخبرته عن زيارتي إلى فراملينجهام ولقاءاتي مع جيمس تيلور، وساجد خان، وكلير جينكنز. لم أجد الفصول المفقودة. لم تكن على جهاز الكمبيوتر الخاص به، ولم تكن هناك صفحات مكتوبة بخط اليد. لست متأكدة تمامًا من السبب، لكنني لم أُثِر موضوع كيف مات آلان في الواقع، ولا اعتقادي بأن رسالته ربما استُخدمت عن عمد لتضليلنا. كما لم أخبره بأنني قرأت - أو حاولت قراءة - الزلاقة.

اخترت أن ألعب دور المحقق، وإذا كان هناك شيء واحد يجمع بين كل المحققين الذين قرأت عنهم، فهو وحدتهم المتأصلة. يعرف المشتبه فيهم بعضهم بعضًا، وقد يكونون من الأسرة أو الأصدقاء. لكن المحقق هو الدخيل دائمًا. إنه يطرح الأسئلة الضرورية، لكنه في الواقع لا يقيم علاقة مع أي شخص. فهو لا يثق بهم، وهم بدورهم يخافونه. إنها علاقة تقوم كليًّا على الخداع، وفي النهاية فهي لا تؤدي إلى أي شيء. بمجرد التعرُّف على القاتل، يرحل المحقق، ولا يراه أحد مرة أخرى أبدًا. في الواقع، يشعر الجميع بالسعادة لرؤيته وهو يرحل. شعرت بشيء من هذا مع تشارلز: كانت هناك مسافة بيننا لم تكن موجودة من قبل. خطر لي أنه إذا كان آلان قد قُتل بالفعل، فربما يكون تشارلز مشتبهًا فيه، على الرغم من أنني لم أستطع التفكير في سبب واحد يدفعه إلى الرغبة في قتل مؤلفه الأكثر نجاحًا، وتدمير نفسه خلال ذلك.

كان تشارلز قد تغير هو الآخر. بدا هزيلًا ومنهكًا، وشعره معتنى به بدرجة أقل، وربما كانت بدلته مجعدة أكثر مما أدركت. لم يكن ذلك مفاجئًا. كان متورطًا في تحقيق للشرطة، وخسر كتابًا كان من المضمون أن يصبح من الأكثر مبيعًا، وشهد الأرباح المحتملة لعام كامل وهي تنمحي. لم يكن أيٌّ من هذا مفيدًا للغاية، في الفترة السابقة لمجيء عيد الميلاد. بالإضافة إلى هذا، كان على وشك أن يصبح جَدًّا لأول مرة. ظهر تأثير ذلك فيه.

لكن مع ذلك، خضت في الموضوع، قائلة:

- أريد معرفة المزيد عن اللقاء في نادي ذا آيفي، آخر مرة رأيت فيها آلان.

- ما الذي تريدين معرفته؟

- أحاول معرفة ما كان يدور في ذهنه.

كان ذلك جزءًا من الحقيقة فقط. تابعت قائلة:

- السبب الذي دفعه إلى تعمد حجب بعض الصفحات.

- هل هذا ما تعتقدين أنه فعله؟

- يبدو الأمر كذلك.

حنى تشارلز رأسه. لم يسبق أن رأيته مهزومًا إلى هذه الدرجة من قبل. قال:

- هذا الموضوع برمته كارثة بالنسبة إلينا. لقد تحدثت إلى أنجيلا.

أنجيلا مكمان هي رئيس قسم التسويق والدعاية لدينا. إذا صحت معرفتي بها، فقد شرعت بالفعل في البحث عن وظيفة جديدة. تابع قائلًا:

- تقول إنه يمكننا توقع ارتفاع في المبيعات، خصوصًا عندما تعلن الشرطة أن آلان انتحر. ستكون هناك حملة دعائية. وهي تحاول نشر مقال عن عمله عبر السنوات، في صحيفة صنداي تايمز.

- حسنًا، هذا جيد، أليس كذلك؟

- ربما، لكن سرعان ما سينتهي كل شيء بسرعة كبيرة. ليس من المؤكد حتى أن البي بي سي ستستمر في المسلسل.

قلت:

- لا أرى أن موته سيشكّل أي فرق. لماذا سينسحبون الآن؟
- لم يوقع آلان العقد. كانوا لا يزالون يتجادلون بشأن اختيار الممثلين، وسيتعين عليهم الانتظار ومعرفة مَن يملك الحقوق، وهذا قد يعني بدء المفاوضات من جديد.

انقلبت بيلا تحت المكتب وزمجرت، وترددت أفكاري، للحظة فحسب، في اتجاه الطوق الذي عثر عليه أتيكوس بوند في غرفة النوم الثانية في الكوخ الخشبي. قُطع حلق بيلا، كلبة توم بلاكيستون. من الواضح أن الطوق كان دليلًا. ما علاقته بالموضوع؟

سألت:
- هل تحدث آلان عن المسلسل التلفزيوني في ذا آيفي؟
- لم يذكره، لا.
- لقد تجادلتما.
- لن أُطلق عليه ذلك يا سوزان. لقد اختلفنا حول عنوان كتابه.
- لم يعجبك العنوان.
- ظننت أنه بدا مشابهًا بدرجة كبيرة لـجرائم ميدسومر، هذا كل ما في الأمر. ما كان يجب أن أذكر ذلك، لكنني لم أكن قد قرأت الكتاب في تلك المرحلة، ولم يكن هناك شيء آخر للحديث عنه.
- وكان ذلك هو الوقت الذي أسقط فيه النادل الأطباق.
- أجل، كان آلان في منتصف الجملة. لا أستطيع أن أتذكر ماذا كان يقول. ثم وقع ذلك الضجيج الهائل.
- ذكرت أنه كان غاضبًا.
- كان كذلك بالفعل. توجه إليه، وتحدث معه.
- النادل؟
- أجل.
- غادر المائدة؟

لا أدري لماذا كنت مصممة على هذه النقطة، لكن ما فعله بدا شيئًا غريبًا فحسب.

قال تشارلز:

- أجل.

- ألم تعتقد أن هذا غريب؟

فكر تشارلز، وقال:

- ليس حقًّا. لقد تحدثنا دقيقة أو دقيقتين. افترضت أن آلان يجأر بالشكوى. بعد ذلك، ذهب إلى الحمَّام. ثم عاد إلى الطاولة، وانتهينا من تناول الوجبة.

- هل تعتقد أنه يمكنك وصف النادل؟ هل تعرف ما اسمه؟

في هذه المرحلة، لم تكن لديَّ كثير من الأدلة لأتتبعها، لكن بدا لي أن شيئًا ما كان يدور ذلك المساء، عندما التقى آلان بتشارلز. تجمعت كل أنواع الخيوط، والتقت على تلك الطاولة. في اللحظة نفسها التي سلم فيها المخطوطة، أزعجه شيء ما، مما جعله يميل إلى الجدل. تصرف بغرابة، وترك الطاولة ليشكو النادلَ من حادث لا علاقة له به. كانت هناك صفحات مفقودة من المخطوطة، ثم توفي بعد يومين. لم أقل شيئًا لتشارلز. كنت أعلم أنه سيخبرني بأنني أضيع وقتي. لكن في وقت لاحق من عصر ذلك اليوم، نزلت إلى نادي الأعضاء الخصوصي، وشرعت أحاول إقناعهم بالسماح لي بالدخول.

لم يكن الأمر صعبًا. أخبرني موظف الاستقبال بأن الشرطة كانت في النادي في اليوم السابق فحسب، يطرحون الأسئلة بخصوص سلوك آلان وحالته الذهنية. كنت محررته، كما كنت صديقة لتشارلز كلوفر. بالطبع بإمكاني الدخول. اصطحبوني إلى المطعم في الطابق الثاني. كان خاليًا، والطاولات تُعد الآن استعدادًا للعشاء. أعطاني موظف الاستقبال اسم النادل الذي تعرض لحادث مع الأطباق في يوم الجمعة ذاك، وكان ينتظر بجوار الباب عندما دخلت.

- هذا صحيح، كان من المفترض أن أعمل في البار في ذلك المساء، لكنهم كانوا يعانون نقص العاملين، لذا صعدت وساعدت في المطعم. بدأ السيدان

في تناول الطبق الرئيسي، عندما خرجت من المطبخ. كانا جالسين في تلك الزاوية...

العديد من النُّدل في النادي هم شباب ومن أوروبا الشرقية، لكن دونالد لي لم يكن أيًّا من هذين الأمرين. كان من إسكتلندا، كما اتضح في اللحظة التي تحدث فيها، وفي أوائل الثلاثينيات من عمره. قال إنه من جلاسجو، متزوج ولديه ابن يبلغ من العمر عامين. كان في لندن منذ ست سنوات، وأحب العمل في ذا آيفي.

- يجب أن تري بعض الأشخاص الذين يأتون لدينا هنا، خصوصًا عقب انتهاء العمل في المسارح.

كان رجلًا قصير القامة، بدينًا، يحمل عبء الحياة على كاهله. تابع قائلًا:

- ليسوا كُتَّابًا فقط، بل ممثلين، وسياسيين، وجميع الأشكال.

أخبرته مَن أكون، وسبب وجودي هنا. سبق أن استجوبته الشرطة بالفعل، وقدَّم لي نسخة مختصرة مما قاله لهم. حجز تشارلز كلوفر وضيفه طاولة في المطعم في الساعة السابعة والنصف، وغادرا بعد العاشرة بقليل. لم يخدمهما، ولم يعرف ما الذي تناولاه، لكنه تذكر أنهما طلبا زجاجة نبيذ باهظة الثمن.

- لم يكن السيد كونواي في حالة مزاجية جيدة للغاية.

- كيف عرفت ذلك؟

- أنا أخبركِ فحسب. لم يبدُ سعيدًا.

- لقد سلم روايته الجديدة ذلك المساء.

- هل فعل حقًّا؟ حسنًا، هنيئًا له. لم أرَها، لكنني دخلت وخرجت سريعًا. كان المكان مزدحمًا جدًّا، وكما ذكرت، كان لدينا نقص في العاملين.

من البداية، صار لديَّ انطباع أن هناك شيئًا ما لم يخبرني به. قلت:

- لقد أسقطت بعض الأطباق.

نظر إليَّ متجهمًا، وقال:

- لن ننتهي من هذا الأمر أبدًا. ما المشكلة في ذلك؟

تنهدت قائلة:

- انظر يا دونالد... هل يمكنني مناداتك بذلك؟
- أنا خارج ساعات الخدمة. ناديني كما تحبين.
- أريد أن أعرف ما حدث فحسب. لقد عملت معه، وعرفته جيدًا، ولم أكن أحبه كثيرًا، إذا أردت الحقيقة. أي شيء تخبرني به سيظل بيننا فقط، لكنني لست مقتنعة أنه انتحر، وإذا كنت تعرف شيئًا، أو إذا سمعت شيئًا، فربما يساعد ذلك حقًّا.
- إذا كنت لا تعتقدين أنه انتحر، فماذا تعتقدين إذن؟
- سأخبرك، إذا أخبرتني بما أريد أن أعرفه.
فكر للحظة، ثم سألني:
- هل تمانعين إذا دخنت سيجارة؟
قلت:
- سأنضم إليك.
ها هي ذي السجائر بطبيعتها المعهودة مرة أخرى، تحطم الحواجز، وتضمنا في الجانب نفسه. غادرنا المطعم. كانت هناك منطقة مخصصة للمدخنين في الخارج: فناء صغير مربع، محاط بجدران تعزله عن العالم المستهجن. أشعل كلانا سيجارة. أخبرته بأن اسمي سوزان، ووعدته مرة أخرى بأن هذا الأمر بيننا فقط. فجأة بات متحمسًا للحديث.
سألني:
- هل أنت ناشرة؟
- أنا محررة.
- لكنك تعملين لدى ناشر.
- أجل.
- إذن ربما يمكننا مساعدة بعضنا بعضًا.
توقف للحظة، ثم واصل الحديث:
- كنت أعرف آلان كونواي. عرفت مَن يكون في اللحظة التي وقعت فيها

عيناي عليه، ولهذا أسقطت تلك الأطباق اللعينة. نسيت أنني أحملها، ولسعتني من خلال المنديل.

- كيف عرفته؟

نظر إليَّ على نحو غريب للغاية، وقال:

- هل عملتِ على إحدى روايات أتيكوس بوند، عنوانها سيأتي الليل مناديًا؟

كانت تلك هي الرابعة في السلسلة، التي تدور أحداثها في مدرسة إعدادية. قلت:

- لقد عملت عليها جميعًا.

- ماذا كان رأيكِ فيها؟

في رواية سيأتي الليل مناديًا، يُقتل مدير مدرسة خلال عرض مسرحي. يجلس في القاعة المظلمة، حيث يركض شخص وسط الجمهور، ثم يتعرض للطعن في جانب عنقه فجأة بدقة جراحية. تكمن البراعة في أن المشتبه فيهم الرئيسيين كانوا جميعًا على المسرح في ذلك الوقت، لذا لم يكن من الممكن أن يقترفوا ذلك، على الرغم من أنه اتضح أن أحدهم قد فعل. تدور الأحداث عقب الحرب بفترة وجيزة للغاية، وهناك خلفية درامية تنطوي على الجبن والتقصير في أداء الواجب. قلت:

- ظننت أنها عبقرية.

- لقد كانت قصتي أنا. فكرتي أنا.

كانت لدونالد لي عينان بنيتان حادتان، وللحظة، اشتعلتا بالغضب. تابع قائلًا:

- هل تريدينني أن أواصل؟

- أجل، أخبرني، رجاءً.

- حسنًا.

وضع السيجارة على شفتيه، وامتصها بشدة. التمع طرفها بلون أحمر زاهٍ. قال:

- أحببت الكتب حينما كنت طفلًا، ولطالما أردت أن أصبح كاتبًا، حتى عندما كنت في المدرسة. لم يكن ذلك من نوعية الأشياء التي يمكنك

الاعتراف بها في المدرسة التي ارتدتها، بريدجتون، في شرق جلاسجو. إنه مكان بشع ومريع، حيث كانوا يقولون إنك مثلي إذا استخدمت المكتبة. لم يزعجني ذلك. قرأت طوال الوقت، أكبر عدد ممكن من الكتب التي استطعت الحصول عليها. قصص الجاسوسية: توم كلانسي، وروبرت لودلوم. وقصص المغامرات، وقصص الرعب. أحببت ستيفن كينج، لكن أفضل ما في الأمر كان القصص البوليسية. لم أستطع الاكتفاء منها. لم أذهب إلى الجامعة أو أي شيء من هذا القبيل. كل ما أردت أن أفعله هو الكتابة، وسوف أصل إلى ذلك يومًا ما يا سوزان، أؤكد لك. أعمل على كتاب الآن، وأواظب على هذه الوظيفة لمجرد العيش حتى أصل إلى ذلك.

لكن المشكلة أن الأمور لم تسِر قَطُّ على النحو الذي أردته. عندما بدأت الكتابة، كان لديَّ هذا الكتاب في ذهني. عرفت ما أريد كتابته، ولديَّ الأفكار والشخصيات، لكن عندما وضعت ذلك على الصفحات، لم تترابط معًا. حاولت وحاولت، وكنت أظل جالسًا فحسب، محدقًا إلى الصفحة، ثم أعيد الكتابة. كان من الممكن أن أفعل ذلك خمسين مرة، ومع ذلك لم ينجح الأمر. على أي حال، رأيت إعلانًا منذ بضع سنوات. كانت هناك مجموعة من الأشخاص يقدمون دورات في نهاية الأسبوع لمساعدة الكُتَّاب الجدد، وكانت هناك دورة متاحة على الرغم من بعد المسافة، في ديفونشاير اللعينة. لكنها كانت تركز على روايات الجريمة. لم تكن تكلفتها زهيدة، إذ إنها ستكلفني سبعمائة جنيه. لكنني ادخرت ما يكفي من المال، واعتقدت أن الأمر يستحق المحاولة، لذا التحقت بها.

انحنيت إلى الأمام، ونفضت الرماد في أحد الأوعية الفضية الأنيقة التي وفرها نادي ذا آيفي. عرفت إلى أين يتجه مسار الحديث.

واصل لي الكلام. وقف ويداه مكورتان على شكل قبضتين، كأنه كان يتدرب، وكما لو أن هذه هي لحظته على المسرح.

- ذهبنا جميعًا إلى مزرعة وسط مكان منعزل. كان هناك أحد عشر منا في المجموعة. كان اثنان منهم بغيضين للغاية، كما كانت هناك امرأتان تعتقدان أنهما أفضل من بقيتنا. نُشرت لهما قصص قصيرة في بعض المجلات، لذا كانتا فائقتَي الغرور. من المرجح أنك تقابلين أشخاصًا من ذلك النوع طوال الوقت. مع ذلك، كان الباقون على ما يرام، واستمتعت حقًّا بالوجود معهم. كما تعلمين، جعلني ذلك أدرك أنني لست وحدي، وأننا جميعًا نواجه المشكلات نفسها، وكنا هناك من أجل الشيء نفسه. كان هناك ثلاثة مدرسين يديرون الدورة، وكان آلان كونواي واحدًا منهم.

اعتقدت أنه بارع حقًّا. كان يقود سيارة جميلة - بي إم دبليو - وأسكنوه في منزل صغير بمفرده. تشاركنا جميعًا في السكن. لكن مع ذلك ظل يختلط مع بقيتنا. كان يعرف ما يتحدث عنه بالفعل، وبالطبع جنى الكثير من المال من كتب أتيكوس بوند. قرأت اثنين منها قبل ذهابي إلى هناك. أعجبت بهما، ولم يختلفا كثيرًا عما أحاول فعله. تلقينا محاضرات ودروسًا خلال النهار، وتناولنا الطعام معًا. في الواقع، كان على كل فرد في المجموعة المساعدة في الطهي. كما كان هناك الكثير من الخمر في المساء حتى نتمكن من الدردشة والاسترخاء فحسب. كان هذا هو الجزء المفضل لديَّ في الموضوع. شعرنا بأننا جميعًا متساوون. وفي إحدى الأمسيات، لم يكن هناك سوانا في مكان صغير ودافئ، وأخبرته عن الكتاب الذي أعمل على تأليفه.

اشتدت قبضتاه عندما وصل إلى هذه النقطة المحتومة في روايته، وسألني:

- إذا أعطيتك مخطوطتي فهل ستقرئينها

إنه سؤال أخشاه عادة، لكنني رضخت لما لا مفر منه.

سألته:

- هل تقول إن آلان سرق أفكارك؟

- هذا ما أقوله بالضبط يا سوزان. هذا بالضبط ما فعله.

- ما عنوان كتابك؟
- الموت يطأ الألواح.
كان عنوانًا بشعًا، لكنني لم أقل ذلك بالطبع. قلت:
- يمكنني أن ألقي عليه نظرة من أجلك، لكن لا يمكنني الوعد بأنني أستطيع مساعدتك.
- كل ما أريدك أن تفعليه هو أن تلقي عليه نظرة. هذا كل ما أطلبه.
نظر إلى عينَي كما لو أنه يتحداني أن أرفض، وواصل قائلًا:
- أخبرت آلان كونواي عن قصتي، وأخبرته بكل شيء عن جريمة القتل التي فكرت فيها. كان الوقت متأخرًا، ولم يكن هناك سوانا في الغرفة، ولا وجود لشهود. سألني عما إذا كان بإمكانه إلقاء نظرة على المخطوطة، فشعرت بالسرور. أراد منه الجميع أن يقرأ عملهم. كان هذا هو بيت القصيد.
أنهى سيجارته وسحقها، ثم أشعل سيجارة ثانية على الفور.
- قرأها بسرعة كبيرة. لم يتبقَّ سوى يومين من الدورة، وفي اليوم الأخير أخذني جانبًا وقدَّم لي بعض النصائح. قال إنني أفرط في استخدام الصفات، وقال إن حواري ليس واقعيًّا. كيف يفترض أن يبدو الحوار الواقعي، بحق السماء؟ إنه ليس حقيقيًّا! بل هو خيال! قدَّم لي بعض الأفكار الجيدة للغاية عن شخصيتي الرئيسية، المحقق. أتذكر أحد الأشياء التي قالها، وهو أنه يجب أن تكون لديه عادة سيئة، مثل التدخين أو الإفراط في تناول الشراب، أو شيء من هذا القبيل. قال إنه سيتواصل معي مرة أخرى، وأعطيته عنوان بريدي الإلكتروني.
لم أسمع منه قَطُّ. ولا كلمة واحدة. بعد ذلك، بعد عام كامل تقريبًا، عُرض كتاب سيأتي الليل مناديًا في المتاجر. كانت القصة كلها تدور حول إنتاج مسرحية مدرسية. لم تكن أحداث كتابي تدور في مدرسة، بل تدور في مسرح، لكنها كانت الفكرة نفسها. ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد. سرق

جريمة القتل الخاصة بي: كانت تشبهها تمامًا. الأسلوب نفسه، والقرائن نفسها، والشخصيات نفسها تقريبًا.

أخذ صوته يرتفع.

- هذا ما فعله يا سوزان. أخذ قصتي، واستخدمها في رواية سيأتي الليل مناديًا.

سألته:

- هل أخبرت أحدًا؟ عندما صدر الكتاب، ماذا فعلت؟

- ماذا يمكنني أن أفعل؟ أخبريني أنت! هل كنت ستصدقينني؟

- كان يمكنك الكتابة إلينا في دار نشر كلوفرليف بوكس.

- لقد كتبت إليكم بالفعل. كتبت إلى المدير المسؤول، السيد كلوفر، ولم يرد. كتبت إلى آلان كونواي. في الواقع، كتبت إليه عدة مرات. دعينا نقُل فقط إنني لم أكبح جماح نفسي. لكنني لم أتلقَّ منه شيئًا هو الآخر. كتبت إلى الأشخاص الذين أعدوا الدورة التدريبية في المقام الأول، وتلقيت منهم رسالة. لم يلقوا إليَّ بالًا، وأنكروا أي مسؤولية، قائلين إن الأمر لا علاقة لهم به. فكرت في التوجه إلى الشرطة. أعني، لقد سرق مني شيئًا. هناك كلمة للتعبير عن ذلك، أليس كذلك؟ لكن عندما تحدثت مع زوجتي، كارين، قالت لي أن أنسى الأمر. كان مشهورًا، ويتمتع بالحماية، بينما أنا شخص نكرة. قالت إن كتابتي سوف تتضرر إذا حاولت محاربة الأمر، ومن الأفضل المضي قُدمًا. لذا كان ذلك ما فعلته. ما زلت أكتب. على الأقل أعرف أن لديَّ أفكارًا جيدة. لم يكن ليقدم على ما فعله لو لم تكن لديَّ أفكار جيدة.

سألته:

- هل كتبت أي روايات أخرى؟

- أعمل على واحدة الآن، لكنها ليست قصة بوليسية. لقد تجاوزت ذلك الآن. إنه كتاب للأطفال. بعد أن أنجبت طفلًا الآن، شعرت بأن ذلك هو الشيء الصحيح الذي عليَّ فعله.

- لكنك احتفظت بكتاب الموت يطأ الألواح.
- بالطبع احتفظت به. احتفظت بكل شيء كتبته على الإطلاق. أعرف أنني أمتلك الموهبة، كما تحب كارين عملي. ويومًا ما...
- أرسِله إليَّ.
بحثت في حقيبتي، وأخرجت بطاقة، وسألته:
- إذن ماذا حدث عندما رأيته في المطعم؟
انتظر مني أن أعطيه بطاقة العمل الخاصة بي. كانت بمنزلة حبل نجاة بالنسبة إليه. كنت في البرج العاجي، وهو في الخارج. رأيت هذا في عديد من الكُتَّاب الجدد، ذلك الاعتقاد بأن الناشرين مختلفون - أكثر ذكاءً، وأكثر نجاحًا منهم - في حين أننا في الواقع نمضي في طريقنا نجرجر أقدامنا، آملين أن تظل لدينا وظيفة عند نهاية الشهر. قال:
- خرجت من المطبخ. كنت أحمل طبقين رئيسين وطبقًا جانبيًّا للطاولة رقم تسعة. رأيته جالسًا هناك - كان يتجادل حول شيء ما - وصُدمت بشدة إلى درجة أنني ظللت واقفًا هناك فحسب. كانت الأطباق ساخنة، لسعتني من خلال القماش، فأسقطتها.
- وماذا بعد؟ قيل لي إن آلان توجه نحوك، وكان غاضبًا منك.
هز رأسه.
- ليس هذا ما حدث. نظفت الفوضى، وأرسلت طلبًا جديدًا إلى المطبخ. لم أكن متأكدًا ما إذا أردت العودة إلى الغرفة، لكن لم يكن لديَّ خيار آخر، وعلى الأقل لم أكن قائمًا على خدمة طاولته. على أي حال، قام السيد كونواي بعدها كي يذهب إلى الحمَّام، ومر بجانبي مباشرة. لم أكن سأتفوَّه بشيء، لكن عند رؤيته قريبًا إلى هذا الحد، على بعد بوصات، لم أستطع منع نفسي.
- ماذا قلت؟
- قلت مساء الخير، وسألته ما إذا كان يتذكرني.

- ثم ماذا؟
- لم يتذكرني، أو تظاهر بأنه لا يفعل. ذكرته بأننا التقينا في ديفونشاير، وأنه كان لطيفًا بما يكفي لقراءة روايتي. عرف مَن أكون بالضبط، وما الذي أشير إليه، لذا عاملني بغلظة. «أنا لا آتي إلى هنا لتبادل الحديث مع النُّدل». هذا ما قاله، تلك الكلمات بالضبط. طلب مني الابتعاد عن طريقه. أبقى صوته خفيضًا، لكنني كنت أعرف تمامًا ما سيفعله إذا لم أتوخَّ الحذر. كان الأمر نفسه، يتكرر من جديد. إنه ناجح، بسيارته الفاخرة، ومنزله الكبير ذاك في فراملينجهام. أنا شخص نكرة. هو عضو هنا، وأنا أقوم على خدمة الطاولات. أحتاج إلى هذه الوظيفة. لديَّ طفل يبلغ من العمر عامين. لذلك تمتمت أنني آسف، وابتعدت عن طريقه. جعلني ذلك أشعر بالغثيان، لكن ما الخيار الذي أملكه؟
- لا بد أنك سُررت للغاية لسماع أنه مات.
- هل تريدين الحقيقة يا سوزان؟ كنت مبتهجًا. لم يكن من الممكن أن أكون أشد سعادة إذا...
كان قد تفوَّه بالكثير بالفعل، لكنني ضغطت عليه على أي حال.
- إذا ماذا؟
- لا يهم.
لكن كلينا يعرف ما كان يقصده. أعطيته بطاقة العمل، فدسَّها في جيبه العلوي. أنهى سيجارته الثانية وأطفأها هي أيضًا.
قلت بينما نحن نتحرك للعودة إلى الداخل:
- هل يمكنني أن أسألك شيئًا أخيرًا؟ لقد قلت إن آلان كان يتجادل. هل يمكنني أن أفترض أنك سمعت أي شيء مما قيل؟
هز رأسه قائلًا:
- لم أكن قريبًا بما يكفي.
- ماذا عن الأشخاص الذين كانوا جالسين إلى الطاولة المجاورة؟

رأيت بنفسي تصميم الغرفة. كانت أكتافهم تكاد تتلامس تقريبًا.

- أعتقد أن هذا ممكن. يمكنني إخباركِ مَن كانوا، إذا أردت. أسماؤهم لا تزال مسجلة في النظام.

غادر الشرفة، وعاد إلى المطعم ليفعل ذلك بالتحديد. راقبته وهو يسير مبتعدًا، وتذكرت ما قاله للتو: «... منزله الكبير ذاك في فراملينجهام». لم يضطر إلى البحث عن اسم المدينة. كان يعرف بالفعل أين يعيش الآن.

الحفيد

كان الرجل الجالس إلى الطاولة المجاورة لآلان كونواي في تلك الليلة، والذي ربما يكون قد سمع أو لم يسمع المحادثة، يُدعى «ماثيو بريتشارد». بدا الأمر غريبًا جدًّا. ربما لا يكون الاسم مألوفًا لديكم، لكنني تعرَّفت عليه في الحال. ماثيو بريتشارد هو حفيد أجاثا كريستي. اشتهر بأنه حصل على حقوق مسرحية مصيدة الفئران عندما كان في التاسعة من عمره. أشعر بأنه من الغريب الكتابة عنه، وقد يبدو أن وجوده هناك أمر غير محتمل، لكنه عضو في النادي. يقع مقر شركة أجاثا كريستي المحدودة على بعد مسافة قصيرة سيرًا على الأقدام، في شارع دروري. وكما ذكرت من قبل، لا تزال مصيدة الفئران تُعرض في مسرح سانت مارتن، الذي يقع عبر الطريق مباشرة.

كان لديَّ رقمه في هاتفي المحمول. التقينا مرتين أو ثلاثًا خلال مناسبات أدبية، وقبل بضع سنوات، خضت مفاوضات لشراء مذكراته، الجولة الكبرى. كان سردًا ممتعًا للغاية عن رحلة حول العالم قامت بها جدته في عام ١٩٢٢ (فازت عليَّ دار هاربر كولينز في المزايدة). اتصلت به، وتذكرني على الفور.

– بالتأكيد يا سوزان. كم هو جميل سماعك. كيف حالك؟

لم أكن متأكدة تمامًا كيف أوضح موقفي. مرة أخرى، بدت لي حقيقة أنني أشركه في لغز أحقق فيه في الحياة الواقعية، أمرًا غريبًا، ولم أرغب حقًّا في الخوض في كل ذلك عبر الهاتف. لذلك ذكرت ببساطة وفاة آلان كونواي – كان يعرف

كل شيء بخصوص ذلك - وقلت إن هناك شيئًا أريد أن أسأله عنه. كان ذلك كافيًا. تصادف أنه كان قريبًا، فأعطاني اسم بار كوكتيل بالقرب من منطقة سيفين دايلز، واتفقنا على اللقاء هناك لتناول مشروب في ذلك المساء.

إذا كنت سأستخدم كلمة واحدة لوصف ماثيو، فهي كلمة «ودود». لا بد أنه في السبعين من عمره، وعند النظر إليه، بشعره الأبيض المهوش، وبشرته المائلة إلى الحمرة بعض الشيء، يساورك شعور بأنه عاش الحياة على أكمل وجه. لديه ضحكة يمكنك سماعها عبر الغرفة: ضحكة بحَّار صاخبة، تبدو كما لو أن أحدهم أخبره للتو بأقذر نكتة. بدا أنيقًا وهو يرتدي سترة، وقميصًا مفتوح الرقبة عندما دخل بار الكوكتيل. وعلى الرغم من أنني عرضت عليه ذلك، فإنه أصر على دفع ثمن المشروبات.

تحدثنا قليلًا عن آلان كونواي. عبر عن تعاطفه، وقال كم كان يستمتع بكتبه دومًا.

- بارعة جدًّا، جدًّا، ومفاجئة دومًا. مليئة بالأفكار الجيدة.

أتذكر الكلمات بالضبط، لأن جزءًا كريهًا مني تساءل عما إذا كان من الممكن وضعها على الغلاف الخلفي. إن دعم حفيد أجاثا كريستي لعمل آلان كونواي لا يمكن إلا أن يفيد المبيعات المستقبلية. سألني كيف مات آلان، وأخبرته بأن الشرطة تشتبه في الانتحار. بدا متألمًا لذلك. سيجد رجل مفعم بالحياة مثله، صعوبة في فهم أي شخص يمكنه اختيار التخلص من حياته. أضفت قائلة إن آلان كان مريضًا بشدة، فأومأ برأسه كما لو كان ذلك منطقيًّا نوعًا ما. قال:

- أتدرين، لقد رأيته قبل أسبوع تقريبًا، في ذا آيفي.

أجبت قائلة:

- هذا ما أردت سؤالك بشأنه. كان يتناول العشاء مع ناشره.

- نعم، هذا صحيح. كنت جالسًا إلى الطاولة المجاورة.

- ستهمني معرفة ما رأيته، أو سمعته.

- لماذا لا تسألينه؟

- لقد سألته بالفعل. أخبرني تشارلز بقدر محدد، لكنني أحاول سد الثغرات.
- حسنًا، لم أكن أستمع إلى المحادثة حقًّا. إن الطاولات متقاربة جدًّا بالطبع، لكن لا يمكنني إخباركِ بالكثير مما قيل.

وجدت أنه من المحبب للغاية أن ماثيو لم يسألني عن سبب اهتمامي بما حدث. عاش معظم حياته في العالم الذي خلقته جدته، وتبعًا للطريقة التي يرى بها الأمور، فإن المحققين يطرحون الأسئلة، ويجيب عنها الشهود. كان الموضوع بهذه البساطة. ذكرته باللحظة التي أسقط فيها لي الأطباق، فابتسم.

- أجل، أتذكر ذلك بالفعل. في الواقع، سمعت بعضًا مما كانا يقولانه قبل حدوث ذلك مباشرة. بسبب صوتيهما المرتفعين، وما إلى ذلك! كانا يتحدثان عن عنوان كتابه الجديد.
- سلمه آلان في تلك الليلة.
- بدافع القتل. أنا متأكد أنك ستفهمين يا سوزان، أنني لا أستطيع سماع كلمة «قتل»، من دون أن أصيخ السمع.

ضحك عندها، وتابع قائلًا:

- كانا يتجادلان حول العنوان. أعتقد أن ناشركِ أدلى بتعليق ما، ولم يكن السيد كونواي سعيدًا على الإطلاق. أجل، قال إنه خطط لذلك العنوان منذ سنوات طويلة - سمعته يقول ذلك - ثم ضرب بقبضته على الطاولة. جعل أدوات المائدة تثب إلى الأعلى. عند ذلك، استدرت وأدركت مَن يكون. لم يخطر الأمر ببالي في الواقع، حتى ذلك الحين. على أي حال، سادت لحظة من الصمت، بضع ثوانٍ ربما، ثم أشار بإصبعه قائلًا: «لن أتخلى عن البـ...».

سألته:

- عن ماذا؟

ابتسم لي بريتشارد قائلًا:

- أخشى أنني لا أستطيع مساعدتكِ، لأن النادل أسقط الأطباق حينها. أصدر

ضجيجًا رهيبًا للغاية. توقف كل شيء في الغرفة بأكملها. أنت تعرفين كيف تكون هذه المواقف. تخضب وجه الشاب المسكين بشدة - أتحدث عن النادل الآن - وشرع يزيل الفوضى. أخشى أنني لم أسمع أي شيء بالفعل بعد ذلك. أنا آسف.

سألته:

- هل رأيت آلان وهو ينهض؟

- أجل، أعتقد أنه ذهب إلى الحمَّام.

- لقد تحدث إلى النادل.

- ربما يكون قد فعل. لكنني لا أتذكر أي شيء آخر. في الواقع، كنت قد انتهيت من وجبتي حينها، وغادرت بعد ذلك بوقت قصير.

«لن أتخلى عن البـ...».

هذه هي خلاصة الأمر. أربع كلمات قد تعني أي شيء. سجلت ملحوظة في ذهني، كي أسأل تشارلز عن الموضوع في المرة المقبلة التي أقابله فيها.

تحدثت أنا وبريتشارد عن جدته، بينما كنا ننتهي من تناول مشروبات الكوكتيل. لطالما وجدت الأمر مسليًا عند التفكير في كم أصبحت تكره شخصية هيركيول بوارو، عقب انتهائها من الكتابة عنه. ما المقولة التي اشتهرت بأنها قالتها عنه؟ «شخص مقيت، متحذلق، مضجر، مغرور، بغيض، ضئيل القامة».

- ألم تقل ذات مرة إنها تريد التطهر منه؟

ضحك قائلًا:

- أعتقد أنها، مثل كل العباقرة، أرادت كتابة جميع أنواع الكتب المختلفة. وقد أصابها الإحباط الشديد عندما لم يرغب ناشروها، في مرحلة ما، سوى أن تكتب عن بوارو. كان صبرها ينفد بشدة عندما يُملى عليها ما تفعله.

قمنا واقفين. كنت قد طلبت شراب الجين والتونيك، ولا بد أنها كانت جرعة مضاعفة، لأنه جعل رأسي يدور. قلت:

- شكرًا لك على مساعدتك.

أجاب قائلًا:

- لا أعتقد أنني قدمت الكثير من المساعدة على الإطلاق، لكنني أتطلع إلى رؤية الكتاب الجديد عند صدوره. كما قلت، لطالما أحببت ألغاز أتيكوس بوند، ومن الواضح أن السيد كونواي كان من أشد المتحمسين لعمل جدتي.

قلت:

- كانت لديه مجموعة الأعمال الكاملة في غرفة مكتبه.

- لست متفاجئًا. لقد استعار منها الكثير من الأشياء، كما تعلمين: الأسماء، والأماكن. كان الأمر أشبه بلعبة تقريبًا. أنا متأكد أنه فعل ذلك عن عمد، لكن في أثناء قراءتي للكتب، كنت أعثر على كل أنواع الإشارات الدفينة في النص. أنا متأكد تمامًا أنه كان يقصد فعل ذلك، وفكرت في الكتابة إليه في بعض الأحيان، لسؤاله عما ينتويه.

ابتسم بريتشارد مرة أخيرة. كان ألطف طباعًا بكثير من أن يتهم آلان بالسرقة الأدبية، على الرغم من أن ذلك بدا كصدى غريب لحديثي مع دونالد لي.

تصافحنا، وعدت إلى المكتب. أغلقت بابي، وأخرجت المخطوطة لأتفحصها مرة أخرى.

كان محقًّا. ظهر الإعجاب الهادئ بأجاثا كريستي في بدافع القتل ست مرات على الأقل. على سبيل المثال، أقام السير ماجنوس باي وزوجته في فندق جنيفييف في كاب فيرات. هناك فيلًا في جريمة في ملعب الجولف تحمل الاسم نفسه. ذا بلو بور هي الحانة التي تورط فيها روبرت بلاكيستون في شجار في بريستول. لكنها تظهر أيضًا في سانت ماري ميد، محل سكن الآنسة ماربل. تناولت الليدي باي وجاك دارتفورد الغداء في مطعم كارلوتا، الذي يبدو أنه سُمِّي على اسم الممثلة الأمريكية في موت اللورد إدجوير. هناك نكتة من نوع ما، في صفحة ١٥٢: فشل فريزر في ملاحظة وجود رجل ميت على متن قطار الساعة 3.50 من بادينجتون، في إشارة واضحة إلى قطار *4.50* من بادينجتون. تعيش ماري بلاكيستون في مزرعة شيبرد. الدكتور جيمس شيبرد هو الراوي في مقتل

روجر أكرويد، التي تدور أحداثها في كينجز آبوت، وهي قرية مذكورة أيضًا في صفحة ٧٨، حيث دُفن الدكتور رينارد العجوز.

وفي هذا الصدد، فإن تقنية بدافع القتل برمتها، استخدام أغنية الأطفال القديمة، تقلد عن عمد تقنية استخدمتها كريستي مرات كثيرة. كانت تحب أناشيد الأطفال. واحد، اثنان، أربط حذائي، خمسة خنازير صغيرة، عشرة هنود صغار (أو ثم لم يبقَ أحد كما صارت لاحقًا)، وجريمة في شارع هيكوري دوك، كلها تظهر في عملها. كان المرء ليظن أن أي كاتب يتشابه عمله مع مؤلف يفوقه شهرة بدرجة كبيرة سيفعل كل ما في وسعه لإخفاء الحقيقة. بدا أن آلان كونواي، بطريقته الخاصة، يفعل العكس تمامًا. ما الذي كان يدور في ذهنه بالضبط، عندما وضع هذه العلامات الواضحة؟ أو بعبارة أخرى، ما الذي كانت تشير إليه تحديدًا؟

ليس للمرة الأولى، راودني شعور بأنه يحاول إخباري بشيء ما، وأنه لم يكتب ألغاز أتيكوس بوند لتسلية الناس فحسب. كان قد خلقها لغرض، بدأ يتضح ببطء.

الطريق إلى فراملينجهام

في يوم الجمعة التالي، عدت إلى سوفولك لحضور جنازة آلان كونواي. لم أُدعَ أنا أو تشارلز، ولم يكن من الواضح مَن الذي اضطلع بالترتيبات بالفعل: جيمس تيلور، أم كلير جينكنز، أم ساجد خان. أبلغتني شقيقتي التي قرأت عن الأمر في جريدة محلية، وأرسلت إليَّ رسالة بريد إلكتروني بالوقت والمكان. أخبرتني بأن الجنازة سيديرها المبجل توم روباسون، كاهن كنيسة سانت مايكل. قررت أنا وتشارلز الذهاب بالسيارة معًا. أخذنا سيارتي، وكنت سأبقى فترة أطول بعض الشيء.

أقام أندرياس معي طوال الأسبوع، وانزعج لأنني لن أكون موجودة في عطلة نهاية الأسبوع. لكنني كنت بحاجة إلى وقت بمفردي. كانت مسألة كريت بأكملها معلقة فوق رأسينا، وعلى الرغم من أننا لم نتناقش في الموضوع مرة أخرى، فإنني كنت أعلم أنه ينتظر جوابًا لم أكن مستعدة لتقديمه بعد. على أي حال، لم أستطع التوقف عن التفكير في موت آلان. كنت مقتنعة أن بضعة أيام إضافية في فراملينجهام سوف تقودني إلى اكتشاف الفصول المفقودة، وعلى نطاق أوسع، حقيقة ما حدث في آبي جرينج. كنت متأكدة تمامًا أن الأمرين مرتبطان. لا بد أن آلان قُتل بسبب شيء ما في كتابه. من المحتمل أنه إذا تمكنت من معرفة مَن قتل السير ماجنوس باي، فسأعرف مَن قتل آلان، أو العكس.

بدأت الجنازة في الساعة الثالثة. غادرت أنا وتشارلز لندن بعد منتصف النهار

مباشرة، وأدركت منذ البداية أن ذلك كان خطأً. كان علينا الذهاب بالقطار. كانت حركة المرور مروعة، وبدا تشارلز منزعجًا في المقعد المنخفض لسيارتي الإم جي بي. شعرت أنا نفسي بعدم الارتياح، وتساءلت عن السبب، حتى خطر لي (بمجرد أن وصلنا إلى طريق M25) أن علاقتنا كانت دومًا وجهًا لوجه. أي أنني كنت أقابله في مكتبه، وهو على أحد جانبَي المكتب، وأنا على الجانب الآخر. كنا نتناول الطعام معًا، ونحن نواجه بعضنا في المطاعم. عادة ما كنا على الطرفين المتقابلين من طاولة الاجتماعات. لكن ها نحن أولاء، على غير العادة، جنبًا إلى جنب، وكنت ببساطة أقل اعتيادًا على ملامح وجهه الجانبية. كما كان القرب منه على هذا النحو غريبًا أيضًا. بالطبع، ركبنا سيارات الأجرة معًا، وأحيانًا القطارات، لكن بطريقة ما قربتنا سيارتي الكلاسيكية الصغيرة بدرجة أكبر بكثير مما كنت أتمنى. لم يسبق أن لاحظت من قبل كم تبدو بشرته غير صحية، وكم أدت سنوات من الحلاقة إلى كشط الحياة من وجنتيه وعنقه. كان يرتدي بدلة داكنة مع قميص رسمي، وقد أخذتني بعض الشيء تفاحة آدم، التي بدت مقيدة وهي تبرز فوق ربطة عنقه السوداء. كان سيعود إلى لندن بمفرده، وتمنيت لو أنني كنت أقل اندفاعًا في دعوتي، وتركته يفعل الشيء نفسه في كلا اتجاهَي الطريق.

ومع ذلك، تجاذبنا أطراف الحديث بصورة ممتعة بما يكفي، ما إن خلفنا وراءنا أسوأ جزء من حركة المرور. صرت أكثر استرخاءً عندما وصلنا إلى طريق A12، وزدت من السرعة. ذكرت أنني قابلت ماثيو بريتشارد، فوجد الأمر مسليًا، مما سمح لي أن أسأله مرة أخرى عن عشائه في نادي ذا آيفي، وخصوصًا الجدال المتعلق بالعنوان، بدافع القتل. لم أرده أن يشعر بأنني أستجوبه، وكنت لا أزال غير متأكدة لماذا كانت تلك المحادثة الأخيرة تعني لي الكثير إلى هذا الحد.

بدا تشارلز أيضًا في حيرة من اهتمامي. قال ببساطة:

– قلت لكِ إن العنوان لم يعجبني. اعتقدت أنه يشبه بدرجة كبيرة جرائم ميدسومر في التلفزيون.

- طلبت منه تغييره.
- أجل.
- وقد رفض هذا.
- هذا صحيح. غضب بشدة لذلك الأمر.

ذكرته بما قاله آلان، الكلمات الأربع التي قالها قبل أن يُسقِط النادل الأطباق. «لن أتخلى عن الـ...». هل كان يعلم ما الذي كان آلان على وشك قوله؟

- لا، لا أتذكر يا سوزان. ليست لديَّ أي فكرة.
- هل تعلم أنه فكر في هذا العنوان منذ سنوات؟
- لم أكن أعرف. كيف علمت بذلك؟

في الواقع، كان ماثيو بريتشارد قد سمع آلان وهو يخبره بذلك تحديدًا. كذبت قائلة:

- أعتقد أنه ذكر لي هذا ذات مرة.

لم نتحدث عن آلان كثيرًا بعد ذلك. لم يكن أيٌّ منا يتطلع إلى الجنازة. حسنًا، بالطبع لا يتطلع المرء إلى ذلك أبدًا، لكن في حالة آلان كنا ذاهبين بدافع من الشعور بالواجب فحسب، على الرغم من اهتمامي بمعرفة مَن سيكون حاضرًا هناك. في الواقع، اتصلت بجيمس تيلور ذلك الصباح. كنا سنتناول العشاء في وقت لاحق من ذلك المساء في فندق ذا كراون. تساءلت أيضًا عما إذا كانت ميليسا كونواي ستحضر. مرت عدة سنوات منذ أن التقيتها، وبعد ما قاله أندرياس، صرت أتطلع إلى رؤيتها مرة أخرى. ثلاثتهم معًا في مدرسة وودبريدج، حيث بدأ أتيكوس بوند.

مضينا في طريقنا بالسيارة في صمت لمدة عشرين دقيقة تقريبًا، لكن بعد ذلك، عقب دخولنا مقاطعة سوفولك مباشرة، وقد أفادتنا لافتة بذلك، أعلن تشارلز فجأة:

- أفكر في التنحي.
- معذرة؟

كنت سأحدق إليه، إلا أنني كنت بصدد تجاوز شاحنة عملاقة ذات أربعة محاور، ومعها مقطورة بقضيب سحب، ربما كانت في طريقها إلى فيليكستو.

- كنت أنتوي الحديث إليك منذ فترة يا سوزان، قبل هذا الموضوع المتعلق بآلان. أعتقد أن هذا هو المسمار الأخير في النعش، إذا لم يكن هذا التعبير غير لائق بشكل فظيع، في ظل هذه الظروف. لكنني سأبلغ الخامسة والستين من العمر قريبًا، وقد ظلت إيلين تلح عليَّ لآخذ الأمور على مهل.

ربما أكون قد أشرت إلى أن إيلين هي زوجته. لم ألتقِ بها من قبل سوى مرتين فقط، وكنت أعرف أنها لا تهتم كثيرًا بعالم النشر. واصل الحديث قائلًا:

- بعد ذلك، هناك بالطبع المولود الجديد القادم في الطريق. إن كونك ستصبح جَدًّا يدفعك إلى التفكير بكل تأكيد. قد يكون هذا هو الوقت المناسب فحسب.

- متى؟

لم أدرِ ماذا أقول. كانت فكرة دار نشر كلوفرليف بوكس من دون تشارلز غير واردة. كان جزءًا من المكان، بالقدر نفسه مثل ألواح الجدران الخشبية.

- ربما في الربيع المقبل.

توقف عن الحديث، قبل أن يكمل قائلًا:

- كنت أتساءل عما إذا كنت ترغبين في تولي زمام الأمور.

- ماذا؟ أنا؟ مديرًا تنفيذيًّا؟

- لمَ لا؟ سأبقى في منصب رئيس مجلس الإدارة، لذا سأظل مشاركًا بعض الشيء، لكنك ستتولين أمر الإدارة اليومية. أنتِ على دراية بالعمل كأي شخص آخر مؤهل. ودعينا نواجه الحقيقة، إذا جلبت شخصًا من الخارج، فأنا لست متأكدًا من أنك ستكونين سعيدة بالعمل معه.

كان محقًّا في ذلك. كنت أتقدم سريعًا في الأربعينيات من عمري، وأدركت على نحو مبهم أنني كلما تقدمت في العمر، صرت أكثر تشبثًا بما ألفته من أساليب. أعتقد أن هذا شيء يحدث في مجال النشر، حيث غالبًا ما يبقى الناس في الوظيفة

نفسها فترة طويلة جدًّا. لم أكن أُجيد التعامل مع الأشخاص الجدد. هل يمكنني القيام بالأمر؟ كنت على دراية بشؤون الكتب، لكن لم يكن لديَّ أي اهتمام حقيقي بباقي الأمور: الموظفين، والمحاسبين، والنفقات العامة، والاستراتيجية طويلة الأجل، والإدارة اليومية لمشروع متوسط الحجم. في الوقت نفسه، خطر لي أن هذا هو عرض العمل الثاني لي في أقل من أسبوع. يمكنني أن أصبح المدير التنفيذي لدار نشر كلوفرليف بوكس، أو يمكنني إدارة فندق صغير في آجيوس نيكولاوس. يا له من خيار.

سألته:

- هل ستكون لديَّ استقلالية كاملة؟

- أجل، سنتوصل إلى اتفاق مالي من نوع ما، لكنها ستكون شركتك عمليًّا.

ابتسم وواصل الحديث:

- عندما يصبح المرء جَدًّا، فإن ذلك يغير من أولوياته. قولي لي إنك سوف تفكرين في الأمر.

- بالطبع سأفعل يا تشارلز. إنه كرم بالغ منك، أن تكون لديك مثل هذه الثقة بي.

بقينا صامتين مسافة عشرة أو عشرين ميلًا التالية. أسأت تقدير كم الوقت الذي أحتاج إليه للخروج من لندن، وبدا أننا سوف نتأخر على الجنازة. في الواقع، كنا سنتأخر بالفعل، لو لم ينبهني تشارلز كي أنعطف يمينًا، لقطع الطريق حول براندستون، وبهذا تفاديت أعمال الطريق التي عطلتني في إيرل سوهام آخر مرة مررت بها. وفر لنا ذلك ربع ساعة، ودخلنا فراملينجهام بيسر في الساعة الثالثة إلا عشر دقائق. حجزت الغرفة نفسها في فندق ذا كراون، لذا تمكنت من ترك الإم جي بي في موقف سياراتهم. كانوا يعدون الردهة الأمامية بالفعل لتناول المشروبات بعد الجنازة، وكان لدينا ما يكفي من الوقت لشرب القهوة على عجل، ثم خرجنا مسرعين من الباب الأمامي، وعبرنا الطريق.

كانت هناك جنازة ستُقام...

الكلمات الأولى من بدافع القتل.

لم تغب عني المفارقة في الموقف، بينما انضممت إلى باقي المعزين الذين اجتمعوا حول القبر المفتوح.

إن كنيسة سانت مايكل رئيس الملائكة، لأذكر اسمها كاملًا، هي في الحقيقة كبيرة جدًّا بالنسبة إلى البلدة التي تقع فيها. لكن مع ذلك، فإن سوفولك بأكملها مرصعة بالمباني الضخمة، التي تخوض معركة مع المناظر الطبيعية المحيطة، كما لو أن كل كنيسة شعرت بالحاجة إلى فرض نفسها على حياة الناس. إنه شعور غير مريح، ليس بالحصار فحسب، بل كما لو أن المبنى في المكان الخطأ تمامًا. عندما تنظر إلى الوراء عبر بوابات الحديد الزهر، فمن المدهش أن تجد نفسك تنظر عبر شارع مزدحم إلى مطعم السيد تشان الصيني. هناك شيء غريب بشأن المقبرة أيضًا، إذ إنها مرتفعة بعض الشيء، بحيث تصير الجثث مدفونة فعليًّا فوق مستوى الشارع. كما أن العشب أخضر بدرجة زائدة على الحد، والقبور مجتمعة معًا في صفوف غير منتظمة، وحولها مساحة كبيرة للغاية، بحيث لم يكن هناك استغلال اقتصادي للمساحة. بدت المقبرة ممتلئة جدًّا، وفارغة جدًّا في الوقت نفسه. ومع ذلك، فهذا هو المكان الذي اختار آلان أن يُدفن فيه. خمنت أنه اختار البقعة التي سيُدفن فيها بشيء من العناية. كانت في المنتصف تمامًا، بين شجرتَي طقسوس أيرلنديتين. لن يستطيع أحد من الناس أن يغفل عنها وهم يشقون طريقهم إلى الكنيسة. مات أقرب جيرانه قبله بقرن تقريبًا، وبدت الأرض المحفورة حديثًا مثل ندبة جديدة، كأنها لا حق لها في الوجود هنا.

تغير الطقس خلال النهار. كانت الشمس مشرقة عندما غادرنا لندن، لكن السماء صارت رمادية الآن، وتطاير رذاذ خفيف في الهواء. فهمت لماذا بدأ آلان بدافع القتل بجنازة. كانت آلية مفيدة، قدمت جميع الشخصيات الرئيسية بطريقة أتاحت له دراستها على مهل. تمكنت من فعل الشيء نفسه الآن. فوجئت تمامًا من عدد الذين عرفتهم منهم.

في البداية، كان هناك جيمس تيلور، ملتفًّا بمعطف أسود واقٍ من المطر من

إنتاج مصمم شهير، وشعره الرطب ملتصق بعنقه، وبدا تمامًا كما لو أنه خرج للتو من إحدى روايات الجاسوسية. بذل قصاري جهده ليبدو متجهمًا ومتماسكًا، لكن حاوطته ابتسامة لم يستطع السيطرة عليها، ليست على شفتيه، بل في عينيه، وفي طريقة وقفته ذاتها. وقف ساجد خان بجانبه، ممسكًا مظلة. كانا قد وصلا معًا. إذن فاز جيمس بالميراث. بات على علم أن آلان فشل في التوقيع على وصيته الأخيرة، وأن آبي جرينج وكل شيء آخر ملك له. كان هذا مثيرًا للاهتمام. رآني جيمس وأومأ برأسه، فابتسمت له. لا أدري لماذا، لكنني سعدت حقًّا من أجله، ولم تزعجني حتى فكرة أن آلان ربما مات على يده.

كانت كلير جينكنز هناك، متشحة بالسواد، تبكي، وتنشج بالفعل، والدموع تنهمر على وجنتيها، يساعدها المطر في الانسياب. كانت تمسك منديلًا، لكن لا بد أنه صار بلا جدوى الآن. وقف رجل بجانبها، ممسكًا ذراعها بارتباك بيد يكسوها قفاز. لم ألتقِ به من قبل، لكن سيسهل عليَّ تذكره عندما أراه مرة أخرى. بادئ ذي بدء، كان أسود البشرة، وهو الشخص الأسود الوحيد الذي حضر الجنازة. كما كان يتمتع بحضور جسدي غير عادي، إذ كان ضخم الجثة بدرجة كبيرة، له ذراعان وكتفان قوية، وعنق عريضة، وعينان حادتان. ظننت في البداية أنه ربما كان مصارعًا سابقًا – فقد كان يتمتع بالبنية الملائمة لذلك – لكن بعد ذلك خطر لي أنه من المرجح أن يكون شرطيًّا. أخبرتني كلير بأنها تعمل في شرطة سوفولك. هل كان هذا كبير مفتشي الشرطة لوك المراوغ، الذي كان تحقيقه يسير بالتوازي مع تحقيقي؟

استقرت عيناي على رجل آخر يقف بمفرده، وبرج الكنيسة يرتفع خلفه على نحو هائل، وقد بدا كبيرًا جدًّا بالنسبة إلى كنيسة كانت هي أيضًا كبيرة جدًّا بالنسبة إلى البلدة التي تقع فيها. أول ما لاحظته هو حذاؤه المضاد للمطر ذو الرقبة المرتفعة، ماركة «هانتر». كان جديدًا تمامًا، ذا لون برتقالي زاهٍ، وهو اختيار غريب لجنازة. لم أستطع رؤية معظم وجهه. كان يرتدي قلنسوة من القماش، وسترة ماركة «باربور»، رفع ياقتها إلى الأعلى. بينما كنت أراقبه، رن هاتفه المحمول،

وبدلًا من أن يجعله في وضع صامت، تلقى المكالمة، واستدار مبتعدًا رغبة في الخصوصية. «جون وايت...». سمعته ينطق باسمه، لكن لا شيء آخر. مع ذلك، عرفت مَن يكون. كان هذا جار آلان، مدير صندوق التحوُّط الذي اختلف معه قبل وفاته بقليل.

بينما كنت لا أزال في انتظار بدء المراسم، فتشت بين الحشد، وعثرت على ميليسا كونواي وابنها، يقفان بجانب النصب التذكاري للحرب في المقبرة. ارتدت معطفًا واقيًا من المطر التف حولها بإحكام شديد، إلى درجة أنه بدا كما لو أنه يكسرها إلى نصفين. دست يديها عميقًا في جيبيها، واختفى شعرها أسفل وشاح. ربما لم أكن لأتعرف عليها، لولا ابنها الذي لا بد أنه صار في أواخر سن المراهقة الآن. بدا صورة طبق الأصل من والده – على الأقل يشبه آلان في مرحلة متأخرة – وبدا عليه عدم الارتياح في بدلة داكنة كبيرة بعض الشيء بالنسبة إليه. لم يكن سعيدًا لوجوده هنا، وأعني بذلك أنه كان غاضبًا. أخذ يحدق إلى القبر، وفي عينيه ما يشبه الرغبة في القتل.

لم أرَ ميليسا منذ ست سنوات على الأقل. كانت قد حضرت حفل إطلاق أتيكوس بوند يتولى القضية، الذي أُقيم في السفارة الألمانية في لندن، وكانت أمسية قُدمت فيها الشمبانيا والسجق المصغر. كنت أرى أندرياس بين الحين والحين وقتها، ولأنه من المعارف المشتركين بيننا، تمكنا من بدء محادثة من نوع ما. تذكرتها بوصفها مهذبة، لكن منعزلة. لا يمكن أن يكون الزواج بكاتب ممتعًا، وقد أوضحت أنها موجودة هناك لمجرد أن هذا متوقع منها. لم تكن تعرف أي شخص في الغرفة، ولم يكن لدى أحد ما يقوله لها. من المؤسف أننا لم نتعرَّف على بعضنا كما يجب في مدرسة وودبريدج: لم تكن لديَّ أي معرفة بها خارج علاقتها بآلان. ارتسمت نفس النظرة الخاوية على وجهها الآن، على الرغم من أنهم كان يجلبون نعشًا بدلًا من المقبلات. تساءلتُ عن سبب مجيئها.

وصلت عربة نقل الموتى، وحُمل التابوت إلى الأمام. ظهر كاهن، خارجًا من الكنيسة. كان هذا هو المبجل توم روباسون، الذي ورد اسمه في الصحيفة.

كان في الخمسين من العمر تقريبًا، وعلى الرغم من أنني لم أرَه من قبل، فقد عرفته على الفور، «... بوجهه الذي يشبه شاهد القبر، وشعره الطويل الأشعث بعض الشيء». هكذا وصف آلان روبن أوسبورن في بدافع القتل. وحتى في أثناء انشغالي بالتفكير في ذلك، خطر لي شيء آخر. رأيته عندما دخلت المقبرة، واسمه مكتوب على لافتة. ساعدني وجود ذلك الحافز البصري.

اسم روباسون هو جناس القلب لاسم أوسبورن.

كانت واحدة أخرى من نكات آلان الخاصة. جيمس تيلور أصبح جيمس فريزر، وكلير هي كلاريسا، والآن بعد أن فكرت في الموضوع، تحوَّل جون وايت، مدير صندوق التحوُّط، إلى جوني وايتهيد، المحتال التافه تاجر الأثاث المستعمل، وهذا نتيجة لخلاف حول المال. على حد علمي، لم يكن آلان شخصًا متدينًا قَطُّ، على الرغم من هذه الجنازة التقليدية للغاية، وتعين عليَّ أن أسأل نفسي عن طبيعة علاقته بالكاهن، ولماذا اختار الاحتفاء بها في روايته. احتل أوسبورن المرتبة الثالثة على قائمتي للمشتبه فيهم. اكتشفت ماري بلاكيستون سرًّا من نوع ما، تركه على مكتبه. هل من الممكن أن يكون لدى روباسون سبب لقتل آلان؟ بدا بالتأكيد مثل قاتل ناقم، بملامحه الشاحبة المتجهمة، وردائه الذي يتدلى منه على نحو بائس تحت المطر.

وصف آلان بأنه كاتب شهير، أسعدت كتبه ملايين الأشخاص حول العالم. بدا الأمر كما لو أن آلان يُقدَّم في برنامج على راديو بي بي سي ٤، وليس في جنازته.

– ربما يكون آلان كونواي قد رحل عنا في وقت مبكر جدًّا، وفي ظروف مأساوية، لكنني متأكد أنه سيبقى في قلوب وعقول المجتمع الأدبي.

حتى إذا تجاهلنا مسألة ما إذا كان للمجتمع الأدبي قلب بالفعل، ظننت أنه من غير المحتمل أن تكون هذه هي الحال. من واقع خبرتي أن المؤلفين الراحلين يذهبون طي النسيان بسرعة ملحوظة. حتى المؤلفون الأحياء يجدون صعوبة في البقاء على الأرفف: هناك عدد كبير جدًّا من الكتب الجديدة، وعدد قليل جدًّا من الأرفف. واصل الحديث قائلًا:

- كان آلان أحد أشهر كُتَّاب الألغاز في بلادنا. لقد عاش معظم حياته في سوفولك، وكانت رغبته دائمًا أن يُدفن هنا.

في بدافع القتل، هناك شيء مخفي في خطاب الجنازة، له صلة بطريقة ما بجريمة القتل. في الصفحة الأخيرة من نسخة المخطوطة المطبوعة على الكمبيوتر، عندما يتحدث بوند عن القرائن التي سوف تحل الجريمة، يشير بالتحديد إلى «الكلمات التي نطق بها الكاهن». من سوء الحظ، كان خطاب روباسون مملًّا عن عمد تقريبًا، ولا يكشف عن شيء. لم يذكر جيمس أو ميليسا. لم يكن هناك أي شيء عن الصداقة، والكرم، والفكاهة، والسلوكيات الشخصية، والتصرفات اللطيفة البسيطة، واللحظات الخاصة... كل تلك الأشياء التي نفتقدها بالفعل عند وفاة شخص ما. لو كان آلان تمثالًا رخاميًّا سُرق من حديقة، لربما أبدى المبجل توم روباسون القدر نفسه من الاهتمام.

لم تعلق في ذهني إلا فقرة واحدة. خطر لي بالتأكيد أن الأمر قد يستحق سؤال الكاهن عنه لاحقًا.

قال:

- يُدفن عدد قليل جدًّا من الناس في هذه المقبرة، لكن آلان أصر. أعطى الكنيسة قدرًا كبيرًا من المال، مما سمح لنا بتنفيذ أعمال الترميم التي تحتاج إليها بشدة النوافذ العلوية، وقوس المذبح الرئيسي. في المقابل، طالب بمكان الراحة هذا، ومَن أكون أنا حتى أقف في طريقه؟

ابتسم كأنه يحاول التخفيف مما قاله للتو، وتابع الحديث:

- طوال حياته، اتصف آلان بشخصية مهيمنة للغاية، كما اكتشفت في سن مبكرة جدًّا. بالتأكيد لم أكن لأرفض له هذه الرغبة الأخيرة. تضمن إسهاماته مستقبل كنيسة سانت مايكل، ولا يليق إلا أن يبقى هنا، داخل أراضي الكنيسة.

اتسم هذا الجزء بأكمله من الخطاب بشيء من الحدة. من جهة، كان آلان كريمًا، واستحق السماح له بأن يُدفن هنا. لكن لم تكن هذه هي الحال تمامًا، أليس

كذلك؟ «طالب» آلان بذلك، وكانت له «شخصية مهيمنة». علاوة على عبارة: «كما اكتشفت في سن مبكرة جدًّا». من الواضح أن آلان والكاهن كان بينهما ماضٍ من نوع ما. هل كنت حقًّا الشخص الوحيد الذي لاحظ التنافر فيما قبل؟

كنت سأسأل تشارلز عن رأيه بمجرد انتهاء المراسم، لكنني في الواقع لم أبقَ حتى النهاية. بدأ المطر يخف، ووصل روباسون إلى تعليقاته الختامية. من الغريب أنه نسي آلان تمامًا. أخذ يتحدث عن تاريخ فراملينجهام، وعلى وجه الخصوص، توماس هوارد، دوق نورفولك الثالث، الذي يقع قبره داخل الكنيسة. تشتت انتباهي للحظة، ولاحظت حينها أحد المعزين الذي لا بد أنه وصل متأخرًا. تخلف عند البوابة، وراقب المراسم من بعيد، متلهفًا للمضي في طريقه. حتى بينما كنت لا أزال أتفحصه، والكاهن يواصل الحديث، دار على عقبيه وخرج إلى شارع تشيرتش.

لم أرَ وجهه. كان يعتمر قبعة فيدورا سوداء.

همست إلى تشارلز قائلة:

- لا ترحل. سألتقي بك في الفندق.

استغرق الأمر من أتيكوس بوند قرابة سبعين صفحة لاكتشاف هوية الرجل الذي حضر جنازة ماري بلاكيستون. لم أستطع الانتظار كل هذا الوقت. أومأت برأسي إلى الكاهن، وابتعدت عن الحشد، وانطلقت في المطاردة.

مغامرات أتيكوس

لحقت بالرجل الذي يعتمر القبعة الفيدورا عند زاوية شارع تشيرتش، حيث يلتقي مباشرة بميدان السوق. بعد أن هرب من المقبرة الآن، لم يعد يبدو متعجلًا للابتعاد. ساعد على ذلك أن المطر خفَّ أخيرًا، حتى إنه صارت هناك عدة بقع من الشمس الساطعة تضيء البرك. بدأ يتمهل، وتمكنت من التقاط أنفاسي قبل أن أقترب منه.

جعله حدس ما يلتفت، ورآني. قال:

- أجل؟

قلت:

- كنتُ في الجنازة.

- وأنا كذلك.

- تساءلت...

عندها فقط، اتضح لي أنه ليست لديَّ أي فكرة على الإطلاق عما سأقوله. كان الأمر برمته أصعب كثيرًا من أن يُشرَح. كنت أحقق في جريمة قتل لا يعرف أحد آخر بوقوعها، على حد علمي. طاردته بسبب خياره لغطاء رأسه فحسب، والذي كانت أهميته أمرًا عرضيًّا، على أقل تقدير. أخذت نفسًا، وقلت:

- اسمي سوزان رايلاند. كنت محررة آلان في دار نشر كلوفرليف بوكس.

- كلوفرليف؟

كان يعرف الاسم. تابع قائلًا:

- نعم، لقد تحدثنا عدة مرات.

- هل فعلنا حقًّا؟

- ليس أنتِ. توجد امرأة هناك... لوسي باتلر.

كانت لوسي المديرة المسؤولة عن الحقوق لدينا، ويقع مكتبها بجوار مكتبي. تابع حديثه:

- تحدثت معها بخصوص أتيكوس بوند.

فجأة، صارت لديَّ فكرة جيدة عمَّن أتحدث إليه، لكنني لم أكن بحاجة إلى السؤال. قال:

- أنا مارك ريدموند.

كثيرًا ما تحدثت أنا وتشارلز خلال اجتماعاتنا الأسبوعية عن ريدموند، وشركته ريد هيرينج للإنتاج. كان يعمل منتجًا في مجال التلفزيون والأفلام، وهو صاحب خيار شراء حقوق روايات أتيكوس بوند، التي يعمل على تطويرها مع البي بي سي. زارته لوسي في مكتبه في سوهو، وعادت بأخبار إيجابية: فريق عمل شاب متحمس، ورف مليء بجوائز الأكاديمية البريطانية للأفلام، وهواتف ترن، ومراسيل يتنقلون بالدراجات يدخلون ويخرجون، وشعور بأن هذه شركة قادرة على تحقيق الإنجازات. كما يوحي الاسم، تخصصت شركة ريد هيرينج في ألغاز القتل. بدأ ريدموند مسيرته المهنية مرسالًا في مسلسل برجراك التلفزيوني، وقد وصَّل الرسائل في جميع أرجاء جيرسي على الأرجح، حيث كان يدور المسلسل. من هناك، انتقل إلى ستة برامج أخرى، قبل أن يبدأ العمل بمفرده. سيكون أتيكوس هو أول إنتاج مستقل له. تبعًا لما فهمت، كانت البي بي سي متحمسة للأمر.

في الواقع، كان شخصًا سعدت جدًّا بلقائه: كان مستقبله ومستقبلي متشابكين. سيمنح المسلسل التلفزيوني الكتب حياة جديدة بالكامل. ستكون هناك أغلفة جديدة، ودعاية جديدة، وإعادة إطلاق كاملة. كنا بحاجة إلى ذلك أكثر من أي

وقت مضى، نظرًا إلى مشكلاتنا مع بدافع القتل. كان لا يزال عليَّ النظر في أمر عرض تشارلز. إذا تسلمت حقًّا إدارة دار نشر كلوفرليف بوكس، فسوف أحتاج إلى مؤلفها النجم، وكان جيدًا بما فيه الكفاية بالنسبة إليَّ بعد وفاته. قد تجعل شركة ريد هيرينج للإنتاج هذا ممكنًا.

أوشك على الرحيل إلى لندن - كانت لديه سيارة وسائق بانتظاره في الميدان - لكنني أقنعته بالتحدث معي أولًا، ودخلنا مقهى صغيرًا مقابل الفندق. كانت فرصة تعرضنا للإزعاج هناك أقل. خلع قبعته الفيدورا ليكشف عن شعر داكن مصفف إلى الوراء، وعينين ضيقتين. كان رجلًا وسيمًا، ونحيلًا، يرتدي ملابس باهظة الثمن. بنى مسيرته المهنية في مجال التلفزيون، وكان به شيء من صفات الشخصية التلفزيونية. بإمكاني أن أتخيله وهو يقدم برنامجًا: سيكون عن نمط الحياة، أو ربما الشؤون المالية.

طلبت فنجانين من القهوة، وبدأنا نتحدث.

قلت:

- لقد غادرت الجنازة مبكرًا.

- لم أكن متأكدًا من سبب مجيئي، إذا أردتِ الحقيقة. شعرت بأنه ينبغي لي الوجود هناك، بما أنني كنت أعمل معه، لكن بمجرد وصولي قررت أنه كان خطأً. لم أكن أعرف أحدًا، والجو بارد ورطب. أردت الرحيل فحسب.

- متى رأيته آخر مرة؟

- لماذا تريدين أن تعرفي؟

هززت كتفي كأن الأمر لا يهم.

- كنت أتساءل فحسب. من الواضح أن انتحار آلان كان بمنزلة صدمة كبيرة لنا، ونحاول معرفة سبب إقدامه على ذلك.

- رأيته منذ أسبوعين.

- في لندن؟

- لا، في الواقع، ذهبت إلى منزله. كان يوم سبت.

قبل يوم واحد من وفاة آلان.
سألته:
- هل دعاك؟
ضحك ريدموند باقتضاب.
- ما كنت لأقود تلك المسافة اللعينة بأكملها لو لم يفعل. أراد الحديث عن المسلسل، ودعاني إلى العشاء. نظرًا إلى أنني أعرف آلان، ظننت أنه من الأفضل ألا أرفض. كان صعب المراس بما يكفي بالفعل، ولم أرغب في خوض مزيد من الجدال.
- أي نوع من الجدال؟
نظر إليَّ بازدراء، وقال:
- أنا متأكد أنني لست بحاجة إلى إخباركِ بأن آلان كان بغيضًا للغاية. تقولين إنك كنت محررته. لا تخبريني بأنه لم يتملص منك! أكاد أتمنى لو أنني لم أسمع عن أتيكوس بوند قَطُّ. لقد جعل الحياة شاقة للغاية بالنسبة إليَّ، إلى درجة أنني كان يمكنني قتله بنفسي!
قلت:
- أنا آسفة، لم تكن لديَّ أدنى فكرة. ماذا كانت المشكلة تحديدًا؟
- كانت أمرًا تلو أمر.
وصلت القهوة، وقلب هو قهوته، فتحركت الملعقة في دوائر لانهائية، بينما هو يشرح نهج العمل مع آلان كونواي.
- كان حمله على توقيع عقد خيار شراء الحقوق صعبًا بما فيه الكفاية في المقام الأول. تبعًا للمبلغ الذي طلبه، كان المرء ليظنه ج. ك. رولينج اللعينة. ولا تنسي أنه بالنسبة إليَّ، تعد هذه الأموال محل مجازفة. في ذلك الوقت، لم أكن قد أتممت الصفقة مع البي بي سي، وكان من الممكن أن يفشل الأمر برمته. لكن كانت هذه مجرد البداية. رفض الابتعاد، وأراد أن يصبح منتجًا تنفيذيًّا. حسنًا، هذا ليس أمرًا غريبًا للغاية. لكنه أصر أيضًا

على تحويل الكتاب بنفسه، على الرغم من أنه لم تكن لديه أي خبرة في الكتابة التلفزيونية، وأؤكد لك أن البي بي سي لم تسعد بذلك نهائيًا. كما أراد حق الموافقة على ترشيحات الممثلين. كان ذلك بمنزلة أكبر صداع على الإطلاق. لا يحصل أي كاتب أبدًا على حق الموافقة على ترشيحات الممثلين! ربما حق الاستشارة، لكن ذلك لم يكن جيدًا بما يكفي. كانت لديه أفكار سخيفة. هل تعرفين مَن الذي أراده أن يلعب دور أتيكوس بوند؟

اقترحت قائلة:

- بن كينجزلي؟

حدق إليَّ، وقال:

- هل أخبركِ؟

- لا، لكنني أعلم أنه كان من المعجبين به.

- حسنًا، أنتِ على حق. من سوء الحظ، كان ذلك الأمر غير وارد. لن يقبل كينجزلي ذلك الدور أبدًا، وعلى أي حال، فهو في الثالثة والسبعين من عمره، أي أنه كبير جدًّا في السن. تجادلنا بشأن ذلك، وتجادلنا بشأن كل شيء. أردت البدء بكتاب سيأتي الليل مناديًا، فهو الأفضل بمراحل، من وجهة نظري. لكنه لم يقبل ذلك أيضًا. رفض توضيح السبب. قال إنه لا يرغب في ذلك فحسب. سينتهي عقد خيار شراء الحقوق قريبًا جدًّا، لذا كان عليَّ التزام الحرص فيما أقوله.

سألته:

- هل ستستمر في الموضوع بعد أن رحل الآن؟

بدت البهجة على ريدموند بشكل واضح. وضع ملعقته، وتناول بعضًا من قهوته.

- سأستمر في الموضوع لأنه رحل. هل يمكنني أن أكون صريحًا معك يا سوزان؟ لا يجب أن أتحدث عن الموتى بسوء، لكن بصراحة، فإن رحيله هو أفضل شيء يمكن أن يحدث. لقد تحدثت إلى جيمس تيلور

بالفعل. إنه يمتلك الحقوق الآن، ويبدو لطيفًا بما يكفي. وقد وافق بالفعل على منحنا سنة أخرى، وبحلول ذلك الوقت ينبغي لنا أن نكون قد أعددنا كل شيء. نأمل في إنتاج الكتب التسعة جميعها.

– لم يكمل الكتاب الأخير.

– يمكننا التعامل مع ذلك، لا يهم. لقد أنتجوا مائة وأربع حلقات من جرائم ميدسومر، لكن المؤلفة الأصلية كتبت سبعة كتب فقط. وانظري إلى شرلوك. إنهم يفعلون أشياء لم يحلم دويل بها قَطُّ. مع قليل من الحظ، سننتج اثني عشر موسمًا من مغامرات أتيكوس. هذا هو الاسم الذي سنطلقه عليه. لم يعجبني اسم بوند بدرجة كبيرة على الإطلاق: إنه يبدو أجنبيًّا إلى حدٍّ زائد نوعًا ما، وقد لا تتفقين معي، لكنني أعتقد أن نطق بوند باللكنة الألمانية يبدو منفرًا للغاية. لكن اسم أتيكوس جيد، إنه يذكرني بكتاب أن تقتل عصفورًا مُحاكيًا. يمكننا أن نمضي قُدمًا الآن، ونجلب كاتبًا لائقًا، وسيجعل ذلك حياتي أسهل بكثير.

سألته:

– ألم يكتفِ الجمهور من القتل؟

– أنت تمزحين. المفتش مورس، وتاجارت، ولويس، وحرب فويل، وإنديفور، ولمسة من فروست، ولوثر، وألغاز المفتش لينلي، وكراكر، وبرودتشرتش، وحتى ميجريت ووالاندر اللعينان. سيختفي التلفزيون البريطاني حتى يصبح مجرد نقطة على الشاشة إذا صار من دون قتل. إنهم يقتلون الناس حتى في المسلسلات التلفزيونية الطويلة، وهذه هي الحال في العالم أجمع. كما تعلمين، يقولون في أمريكا إن الطفل العادي يشاهد ثمانية آلاف جريمة قتل، قبل أن ينتهي من الدراسة الابتدائية. يدفعك ذلك إلى التفكير، أليس كذلك؟

أنهى بقية قهوته، كما لو أنه أصبح متلهفًا فجأة للمضي في طريقه.

سألته:

– ماذا أراد آلان كونواي إذن عندما رأيته منذ أسبوعين؟

هز كتفيه وقال:
- اشتكى من عدم إحراز تقدم. لم تكن لديه أي فكرة عن كيفية عمل البي بي سي. قد يستغرق الأمر منهم أسابيع للرد على الهاتف. حقيقة الأمر أنهم لم يعجبوا بالسيناريو الذي كتبه. لم أخبره بذلك، بالطبع. كنا نحاول العثور على شخص آخر لتولي المسؤولية.
- هل تحدثتما عن عقد خيار الشراء؟
- نعم.
تردد للحظة، وهي المرة الأولى التي رأيت فيها أي عيب في درع ثقته بنفسه. واصل قائلًا:
- أخبرني بأنه كان يتحدث مع شركة إنتاج أخرى. لم يكن يهم أنني استثمرت الآلاف بالفعل في مغامرات أتيكوس. كان على استعداد تام للبدء من جديد.
سألته:
- ماذا حدث إذن؟
- تناولنا الغداء في منزله. لم يبدأ الأمر على نحو جيد. كنت متأخرًا. تعطلت عند بعض أعمال الطريق التي لا تنتهي عند إيرل سوهام - قال إن الوضع ظل على هذه الحال لأسابيع - وكان في حالة مزاجية سيئة. على أي حال، تحدثنا، وقدمت عرضي. وعدني بمعاودة الاتصال بي. غادرت في الساعة الثالثة عصرًا تقريبًا، وقدت سيارتي عائدًا إلى المنزل.
ألقى نظرة إلى الأسفل نحو فنجانه الفارغ. كان متلهفًا للمضي في طريقه. قال:
- شكرًا لكِ على القهوة. سعدت جدًّا بلقائك. سأبلغك بمجرد حصولنا على الضوء الأخضر للإنتاج.
خرج مارك ريدموند، وتركني أدفع ثمن القهوة. كان يمكنني قتله بنفسي. لم أكن بحاجة إلى أن أكون من معجبي جرائم ميدسومر، للتعرُّف على دافع عندما أسمعه. وخطر لي أنه فيما يتعلق بمجموعة المشتبه فيهم الواضحين تمامًا، فقد وضع ريدموند نفسه للتو على رأس القائمة. مع ذلك، كان هناك شيء واحد لم

أتوقعه. في وقت لاحق من عصر ذلك اليوم، عندما سجلت اسمي في دفتر فندق ذا كراون، قلبت بضع صفحات إلى الوراء في سجل الزوَّار. تصرفت بناءً على نزوة، لكنه كان هناك. اسم مارك ريدموند. كان قد حجز في الفندق، ومكث هناك ليلتين. عندما سألت موظفة الاستقبال، تذكرت أنه رحل بعد الإفطار صباح يوم الاثنين، هو وزوجته. لم يذكر أنها كانت هناك هي أيضًا.

لكن ذلك لم تكن له صلة بالموضوع. الحقيقة أنه كان موجودًا بالفعل في فراملينجهام وقت وفاة آلان. بعبارة أخرى، كان يكذب. لا يمكنني التفكير إلا في سبب وجيه واحد فقط لذلك.

بعد الجنازة

ازدحمت غرف الاستقبال عند وصولي إلى فندق ذا كراون. كان هناك أربعون شخصًا فقط تقريبًا في الجنازة، وبدا العدد ضئيلًا بعض الشيء، لكن داخل حدود الردهة الأمامية، مع مدفأتين مشتعلتين بالنار، والنبيذ الأحمر والأبيض يدور في الغرفة، وقد تراصت صواني الشطائر والنقانق، بدا هناك شيء ما مقاربًا بما فيه الكفاية لجو حفل، حتى إن بعض نزلاء الفندق انضموا على أساس أن النبيذ والطعام المجاني يستحقان التناول، حتى لو لم تكن لديهم فكرة عمَّن مات بالفعل. كان ساجد خان هناك مع زوجته - تعرَّفت عليها من الصورة المنزلقة - ورحب بي عندما دخلت. بدا في حالة مزاجية مبتهجة على غير العادة، كما لو أن موكله السابق قد حُفظ في ملف بدلًا من دفنه، وبدأت فرصة عمل جديدة بالكامل. وقف جيمس تيلور بجانبه، وتمتم بكلمتين فقط عندما مررت بجواره: «سأراكِ الليلة». من الواضح أنه لم يطِق صبرًا حتى يرحل.

وجدت تشارلز منهمكًا في حديث عميق مع المبجل توم روباسون. كان الكاهن أضخم بكثير مما بدا في المقبرة. من المؤكد أنه كان أطول من تشارلز وباقي الضيوف. عند رؤيته من كثب، وبعيدًا عن المطر، خطر لي أيضًا مدى افتقاره إلى الجاذبية. كانت عيناه بليدتين، وملامحه في غير موضعها بعض الشيء، مثل ملاكم خاض الكثير من المعارك. كان قد بدَّل رداءه، وارتدى سترة

رياضية بالية فيها رقع على الأكمام. عندما اقتربت، كان يوضح نقطة ما، ويشير بشطيرة نصف مأكولة.

- ... لكن هناك قرى لن تتمكن من الاستمرار، بكل بساطة. تتعرض الأسر للانقسام. هذا غير مبرر أخلاقيًّا.

نظر إليَّ تشارلز بضيق بعض الشيء، عندما انضممت إليهما. سألني:

- أين ذهبتِ؟

- كان هناك شخص ما أعرفه.

- لقد رحلتِ فجأة.

- أعرف ذلك. لم أرِده أن يبتعد.

التفت إلى الكاهن ثانية، وقال:

- هذا توم روباسون. وهذه سوزان رايلاند.

ثم أضاف:

- كنا نتحدث للتو عن المنازل الثانية.

تعين على روباسون توضيح وجهة نظره. قال:

- ساوثوولد، ودونويتش، ووولبرسويك، وأورفورد، وشارع شينجل، على طول الساحل بأكمله.

قاطعته قائلة:

- كنت مهتمة بالخطاب الذي ألقيته في الجنازة.

نظر إليَّ من دون اهتمام وقال:

- أوه، أجل؟

- هل عرفت آلان حينما كنتما صغيرين؟

- نعم، لقد التقينا منذ وقت طويل.

مر نادل بصينية، واختطفت كأسًا من النبيذ الأبيض. كان دافئًا وراكدًا، بينو جري على ما أعتقد. قلت:

- لقد لمحت إلى أنه تنمر عليك.

حتى وأنا أتفوَّه بالكلمات، لم يبدُ ذلك مرجحًا. لم يتمتع آلان بحضور جسدي قَطُّ، ولا بد أن روباسون كان ضعف حجمه حينما كانا صغيرين. لكنه مع هذا، لم ينكر الأمر. بدلًا من ذلك، صار مرتبكًا.

- أنا متأكد أنني لم أقل شيئًا من هذا القبيل، يا سيدة رايلاند.

- قلت إنه طالب بمكان في المقبرة.

- أنا متأكد أن هذه ليست الكلمة التي استخدمتها. أظهر آلان كونواي كرمًا استثنائيًّا حيال الكنيسة. لم يقدم أي مطالب على الإطلاق. عندما سألني عما إذا كان من الممكن أن يُدفن في المقبرة يومًا ما، شعرت بأنه سيكون جحودًا عميقًا مني أن أرفض، حتى لو، كما سأعترف، كان عليَّ طلب إعفاء خاص.

ألقى الكاهن نظرة سريعة فوق كتفَي، باحثًا عن مخرج. لو كان قد ضغط على يده بشدة أكبر، لانفجرت كأسه من عصير البيلسان. قال:

- كان من دواعي سروري البالغ أن ألتقي بكِ. وأنت يا سيد كلوفر. إذا سمحت لي...

انفلت من بيننا، وخاض وسط الحشد.

سألني تشارلز:

- عمَّ كان يدور ذلك؟ ومَن الذي قابلتِه عندما رحلت مسرعة؟

كانت إجابة السؤال الثاني أسهل. قلت:

- مارك ريدموند.

- المنتج؟

- أجل. هل تدري أنه كان هنا في نهاية الأسبوع الذي مات فيه آلان؟

- لماذا؟

- أراد آلان التحدث معه بشأن المسلسل التلفزيوني، مغامرات أتيكوس. أخبرني ريدموند بأن آلان نغص عليه حياته.

- لا أفهم يا سوزان، لماذا تريدين التحدث إليه تحديدًا؟ ولماذا كنت

عدوانية للغاية مع الكاهن الآن؟ كنت تحققين معه تقريبًا. ما الذي يحدث بالضبط؟

كان عليَّ أن أخبره. لا أدري لماذا لم أكن قد أخبرته بالفعل. لذا، أوضحت له الأمر برمته: زيارتي لكلير جينكنز، ورسالة الانتحار، ونادي ذا آيفي، وكل شيء. استمع إليَّ تشارلز في صمت، ولم يسعني إلا الشعور بأنه كلما تحدثت أكثر، بدوت أشد سخافة. لم يصدق ما أتفوَّه به، وعندما سمعت نفسي، لم أكن متأكدة أنني أنا أيضًا أصدق ذلك. بالتأكيد، لم يكن لديَّ إلا القليل من الأدلة، أو لا أدلة على الإطلاق لدعم ذلك. أقام مارك ريدموند ليلتين في فندق. هل يجعله ذلك مشتبهًا فيه؟ سُرقت فكرة نادل. هل كان سيقطع الطريق بأكمله إلى سوفولك للانتقام؟ بقيت الحقيقة أن آلان كونواي كان يعاني مرضًا عضالًا. في النهاية، لماذا تقتل شخصًا كان سيموت على أي حال؟

انتهيت من الحديث، وهز تشارلز رأسه قائلًا:

- كاتب روايات قَتْل تعرض للقتل. هل أنت جادة حقًّا بهذا الشأن يا سوزان؟

- أجل يا تشارلز. أعتقد أنني جادة.

- هل أخبرتِ أي شخص آخر؟ هل أبلغت الشرطة؟

- لماذا تسأل؟

- لسببين. لا أريد أن أراك تجعلين نفسك أضحوكة. وبصراحة، أعتقد أنك قد تثيرين مزيدًا من المتاعب للشركة.

شرعت في الحديث قائلة:

- تشارلز...

لكن بعد ذلك تعالى صوت شوكة تقرع جانب كأس، وعمَّ الصمت الغرفة. نظرت حولي. وقف جيمس تيلور على الدرج المؤدي إلى غرف النوم، وبجانبه ساجد خان. كان يصغر أي شخص آخر في الغرفة بعشر سنوات على الأقل، ولم يكن من الممكن أن يبدو في غير محله بدرجة أكبر من ذلك.

بدأ الحديث قائلًا:

- سيداتي وسادتي، طلب مني ساجد إلقاء بضع كلمات... وأود أن أبدأ بشكره على اتخاذ جميع الترتيبات اليوم. كما يعلم معظمكم، كنت شريك آلان حتى وقت قريب جدًّا، وأريد أن أقول إنني كنت مغرمًا به للغاية وسأفتقده كثيرًا. تساءل كثير منكم عما أنتوي فعله بعد ذلك، لذا ربما عليَّ أن أخبركم بأنه الآن بعد رحيله، لن أبقى في فراملينجهام، على الرغم من أنني دومًا ما كنت سعيدًا هنا. في الواقع، إذا كان أي شخص مهتمًّا، فإن آبي جرينج على وشك أن يُطرح في السوق. على أي حال، أود أن أشكركم جميعًا على حضوركم. أخشى أنني لم أحب الجنازات كثيرًا على الإطلاق، لكن كما قلت، يسعدني أنه أُتيحت لي هذه الفرصة لرؤيتكم جميعًا ولتوديعكم. ووداعًا لآلان، على وجه الخصوص. أعرف أن هذا يعني الكثير بالنسبة إليه، كونه دُفن في مقبرة سانت مايكل. وأنا متأكد أن كثيرًا من الناس سيأتون إلى هنا لزيارته، الناس الذين أحبوا كتبه. رجاءً، تناولوا مزيدًا من الطعام والشراب، وشكرًا لكم مرة أخرى.

لم يكن خطابًا جيدًا، وقد أُلقي ليس بحرج فقط، بل بشيء من اللامبالاة أيضًا. كان جيمس قد أخبرني بالفعل بأنه لا يطيق الانتظار للخروج من سوفولك، وأوضح ذلك للجميع أيضًا. بينما كان يتحدث، ألقيت نظرة خاطفة حول الغرفة، محاوِلة قياس ردود الأفعال المختلفة. وقف الكاهن جانبًا، وقد تصلبت ملامحه. انضمت إليه امرأة أقصر منه بكثير، بدينة ذات شعر أحمر مهوش. افترضت أنها زوجته. لم يأتِ جون وايت إلى حفل الاستقبال، لكن كبير مفتشي الشرطة لوك كان حاضرًا، إذا كان هو بالفعل الرجل الأسود الذي تعرَّفت عليه في المقبرة. رحلت ميليسا كونواي وابنها في اللحظة التي بدأ جيمس فيها الحديث. رأيتهما ينسلان عبر الباب الخلفي، وكان في إمكاني تفهم طبيعة شعورهما، وهما يستمعان إلى صديق آلان. إلا أن الأمر كان لا يزال مثيرًا للضيق على الرغم من ذلك، لأنني كنت أرغب في التحدث إليهما. لكن لم يكن بوسعي أن أندفع خارجة مرة أخرى. صافح جيمس المحامي، وغادر الغرفة، وتوقف برهة مغمغمًا بضع كلمات

لواحد أو اثنين ممن تمنوا له الخير. التفتُّ إلى تشارلز مرة أخرى، متوقعة مواصلة حديثنا، لكن هاتفه المحمول رن في تلك اللحظة. أخرجه وألقى نظرة على الشاشة.

قال:

- سيارتي هنا.

كان قد رتب لقدوم سيارة أجرة لتقله إلى محطة إبسويتش.

قلت:

- كان عليك أن تدعني أوصلك.

- لا، لا بأس.

مد يده ليتناول معطفه، وثناه فوق ذراعه. واصل قائلًا:

- سوزان، نحن بحاجة حقًّا إلى التحدث عن آلان. إذا كنت ستستمرين في تحقيقك هذا، فمن الواضح أنني لا أستطيع منعك. لكن يجب أن تفكري فيما تفعلينه... في العواقب.

- أعرف هذا.

- هل اقتربتِ من العثور على الفصول المفقودة؟ إذا أردت رأيي بصراحة، فهذا أهم بكثير.

- ما زلت أبحث.

- حسنًا، حظًّا موفقًا. سأراك يوم الاثنين.

لم نقبّل بعضنا للوداع. لم أقبّل تشارلز قَطُّ، ولا مرة واحدة في كل سنوات معرفتي به. إنه رسمي للغاية بالنسبة إلى ذلك، ومتزمت بشدة. في الواقع، لا أستطيع تخيله حتى وهو يقبّل زوجته.

رحل، فجرعت باقي نبيذي وذهبت لأجلب مفتاحي. نويت الاستحمام ونيل قسط من الراحة، قبل تناول العشاء مع جيمس تيلور. لكن بينما كنت أشق طريقي عائدة نحو الدرج - أخذ الضيوف الباقون يتفرقون الآن، مخلفين صواني من الشطائر غير المأكولة - وجدت كلير جينكنز تسد طريقي. كانت تحمل ظرفًا

بنيًّا مقاس A4. بدا من مظهره أنه لا بد أن يحوي اثنتي عشرة ورقة على الأقل. للحظة، وثب قلبي. لقد وجدت الصفحات المفقودة! هل يمكن أن يكون الأمر حقًّا بهذه السهولة؟

لم يكن كذلك.

لوَّحت بالظرف أمامها بتردد، وذكرتني قائلة:

- قلت إنني سأكتب شيئًا عن آلان. سألتِني عن طبيعته في صباه، وكيف نشأنا معًا.

كانت عيناها ما زالتا حمراوين ودامعتين. إذا كان هناك موقع على الإنترنت يبيع ملابس جنائزية حصرية، فلا بد أنها عثرت عليه. ارتدت ملابس من المخمل والدانتيل، لها طابع فيكتوري إلى حدٍّ ما، وحالكة السواد.

قلت:

- هذا لطف بالغ منك يا سيدة جينكنز.

- جعلني ذلك أفكر في آلان، واستمتعت بكتابته. لست متأكدة ما إذا كان مفيدًا. لم أستطع الكتابة كما كان يكتب هو. لكنه قد يخبرك بما تريدين معرفته.

وزنت الظرف في يدها مرة أخيرة، كما لو أنها مترددة في تركه، ثم دفعته نحوي قائلة:

- لقد طبعت لكِ نسخة، لذا لا داعي للقلق بشأن إعادتها.

- شكرًا لكِ.

ظلت واقفة هناك، كما لو أنها تتوقع شيئًا آخر. تابعتُ قائلة:

- أنا آسفة جدًّا لخسارتكِ.

أجل، كان هذا هو الأمر. أومأت برأسها، وقالت:

- لا أستطيع أن أصدق أنه رحل.

ثم رحلت هي نفسها.

شقيقي، آلان كونواي

لا أصدق أن آلان مات.

أريد الكتابة عنه، لكنني لا أعرف من أين أبدأ. قرأت بعض منشورات نعي آلان في الصحف، ولم تقترب حتى من الحقيقة. أوه، نعم، إنهم يعرفون متى وُلد، وما الكتب التي ألّفها، وما الجوائز التي فاز بها. قالوا عنه بعض الأشياء اللطيفة للغاية. لكنهم لم يتمكنوا من تصوير آلان على الإطلاق، وأنا مندهشة، صراحة، أنه لم يتصل بي هاتفيًا أحد من أولئك الصحفيين، لأنه كان بوسعي إعطاؤهم فكرة أفضل بكثير عن طبيعة الرجل الذي كانه، بدءًا من حقيقة (كما أخبرتك) أنه لم يكن ليُقدِم على الانتحار قَطُّ. إذا كانت هناك كلمة واحدة تصف آلان، فهي أنه كان ناجيًا. كان كلانا كذلك. لطالما كنت أنا وهو مقربين، حتى لو اختلفنا من وقت إلى آخر، وإذا كان مرضه قد دفعه إلى اليأس حقًّا، فأنا أعلم أنه كان سيتصل بي قبل الإقدام على ارتكاب أي حماقة.

لم يقفز من ذلك البرج، بل دفعه أحدهم. كيف يمكنني أن أكون على يقين من ذلك؟ عليك أن تفهمي من أين أتينا، ومدى المسافة التي قطعها كلٌّ منا. لم يكن ليتركني بمفردي قَطُّ، ليس من دون سابق إنذار.

دعيني أعُد إلى البداية مباشرة.

نشأت أنا وآلان في مكان يدُعى «تشورلي هول»، خارج بلدة هيرتفوردشاير مباشرة، في سانت ألبانز. كانت تشورلي هول مدرسة ابتدائية للبنين، وعمل والدنا، إلياس كونواي، مديرًا للمدرسة. عملت والدتنا أيضًا في المدرسة. اشتغلت بدوام كامل بوصفها زوجة للمدير، فكانت تتعامل مع أولياء الأمور، وتساعد المربية عندما يمرض الأطفال، على الرغم من أنها كثيرًا ما اشتكت أنها لم تتقاضَ أجرًا فعليًا على الإطلاق.

كان مكانًا شنيعًا، وكان والدي رجلًا شنيعًا. كان أحدهما يلائم الآخر. جاء

إلى المدرسة مدرسًا للرياضيات، وعلى حد علمي فقد عمل دومًا في القطاع الخاص، ربما لأنهم في ذلك الوقت لم يكونوا مهتمين بالتدقيق في اختيار نوعية الأشخاص الذين يوظفونهم. قد يبدو هذا شيئًا فظيعًا ليقوله المرء عن والده، لكنها الحقيقة. أنا سعيدة لأنني لم أتعلم هناك. ذهبت إلى مدرسة نهارية للفتيات في سانت ألبانز، لكن آلان علق هناك.

بدت المدرسة كأنها واحد من تلك المنازل المسكونة التي تجدينها في رواية من العصر الفيكتوري، ربما شيء من تأليف ويلكي كولينز. على الرغم من أنها كانت تبعد عن سانت ألبانز بثلاثين دقيقة فقط، فإنها كانت تقع عند نهاية ممر طويل خاص، تحيطها الغابات، وتبدو كأنها وسط مكان منعزل. كانت مبنى طويلًا يشبه مباني المؤسسات، به ممرات ضيقة وأرضيات حجرية، والجدران نصف مغطاة ببلاط داكن. كانت كل غرفة تحتوي على مشعاع حراري ضخم، لكن لم يجرِ تشغيلها قَطُّ، لأن جزءًا من مبادئ المدرسة كان الإيمان بأن البرد القارس، والأسِرَّة القاسية، والطعام المقزز، كلها تسهم في تكوين الشخصية. كانت هناك بضع إضافات حديثة. أُضيف مبنى العلوم الثاني في نهاية الخمسينيات، كما جمعت المدرسة أموالًا لبناء صالة ألعاب رياضية جديدة، استُخدمت أيضًا كمسرح وقاعة للاجتماعات. كان كل شيء بنيًّا أو رماديًّا. لم يكن هناك أي لون على الإطلاق تقريبًا. حتى في الصيف، حجبت الأشجار الكثير من أشعة الشمس. أما المياه في حمَّام السباحة بالمدرسة - كانت ذات لون أخضر كريه - فلم ترتفع حرارتها فوق خمسين درجة قَطُّ.

كانت مدرسة داخلية تضم مائة وستين فتى، تتراوح أعمارهم بين الثامنة والثالثة عشرة، تم إيواؤهم في مهاجع تضم ما بين ستة إلى اثني عشر سريرًا. كنت أتمشى بينها أحيانًا، وما زلت أتذكر تلك الرائحة الغريبة، العفنة، واللاذعة بعض الشيء، لكل أولئك الأولاد الصغار. كان مسموحًا للأطفال بإحضار بساط

ودمية محشوة من المنزل، لكن بخلاف ذلك كان لديهم القليل من الممتلكات الشخصية. كان الزي المدرسي كريهًا للغاية: سراويل رمادية قصيرة، وقمصان حمراء داكنة للغاية لها فتحة عنق على شكل «V». كان لكل فراش خزانة بجانبه، وإذا لم يعلقوا ملابسهم كما يجب، فسيُصحبون إلى الخارج ويُضربون بالعصا.

لم يكن آلان في عنبر للنوم. عشت أنا وهو مع والدينا في شقة كانت جزءًا من المدرسة، موزعة على الطابقين الثاني والثالث. كانت غرف نومنا متجاورة، وأتذكر أننا اعتدنا نقر الرسائل المشفرة إلى بعضنا على الجدار الفاصل. لطالما أحببت سماع النقرات الأولى تأتي سريعة وبطيئة، بعد أن تطفئ والدتنا الأنوار مباشرة، على الرغم من أنني في الواقع لم أفهم ما يقصده قَطُّ. كانت الحياة صعبة جدًّا بالنسبة إلى آلان. ربما أرادها والدنا أن تكون كذلك. خلال النهار، كان جزءًا من المدرسة، ويُعامل مثل باقي الأولاد تمامًا. لكنه لم يكن نزيلًا في المدرسة على وجه التحديد، لأنه كان يقيم معنا في المنزل ليلًا. كانت نتيجة ذلك أنه لم يندمج قَطُّ في أيٍّ من العالمين، وبطبيعة الحال، نظرًا إلى كونه ابن مدير المدرسة، فقد أصبح مستهدفًا منذ يوم وصوله. كان لديه عدد قليل جدًّا من الأصدقاء، ونتيجة لذلك صار منعزلًا ومتأملًا. أحب القراءة، ولا تزال بإمكاني رؤيته وهو في التاسعة من العمر، يرتدي سروالًا قصيرًا، ويجلس ومعه مجلد ضخم في حجره. كان صبيًّا بالغ الضآلة، لذا غالبًا ما كانت الكتب، وخصوصًا القديمة منها، تبدو معه ضخمة على نحو غريب. كان يقرأ كلما استطاع، وفي كثير من الأحيان كان يقرأ باستخدام مصباح مخبأ تحت الأغطية، حتى وقت متأخر من الليل.

كنا نخاف من والدنا. لم يكن من يمكن أن نطلق عليه «رجلًا قويًّا جسديًّا». شاخ قبل أوانه، وكان لديه شعر مجعد دبَّ فيه الشيب وخفَّ حتى سمح لجمجمته بالظهور من خلاله، وكان يرتدي النظارات. لكن شيئًا ما في سلوكه

حوَّله إلى كائن شنيع للغاية، على الأقل بالنسبة إلى طفليه. كانت في عينيه نظرة غاضبة، تكاد تكون متعصبة، كشخص يعرف أنه دومًا على حق، وعند محاولة توضيح وجهة نظره، كانت لديه عادة دفع إصبعه في وجهك، كما لو أنه يتحداك على مخالفته. كان هذا شيئًا لم نفعله قَطُّ. كان قادرًا على السخرية بشراسة، ويضحك عند حدك باستهزاء، وبخطبة مسهبة من الإهانات التي تبحث عن نقاط ضعفك وتؤكدها. لن أخبركِ كم مرة أهانني فيها، وجعلني أشعر بالضيق من نفسي. لكن ما فعله بآلان كان أسوأ.

لم يكن أي شيء مما يفعله آلان صحيحًا قَطُّ. كان آلان غبيًّا. كان آلان بطيئًا. لن يرقى آلان ليصير ناجحًا أبدًا. حتى قراءاته كانت طفولية. لماذا لا يحب لعب الرجبي، أو كرة القدم، أو الخروج للتخييم مع الطلاب العسكريين؟ من الصحيح أن آلان لم يكن نشيطًا بدنيًّا عندما كان طفلًا. كان يميل إلى السمنة، وربما بدا كفتاة نوعًا ما، بعينين زرقاوين، وشعر طويل أشقر. تعرض للتنمر خلال النهار من بعض الأولاد الآخرين، وفي الليل كان يتعرض للتنمر من والده.

وها هو ذا شيء آخر قد يصدمكِ. كان إلياس يضرب الأولاد في المدرسة حتى ينزفوا. حسنًا، لم يكن هناك شيء غير عادي في ذلك، ليس في مدرسة ابتدائية بريطانية في السبعينيات. لكنه ضرب آلان أيضًا، مرات عديدة. إذا تأخر آلان عن الفصل، أو إذا لم يؤدِّ واجباته المنزلية، أو إذا كان وقحًا مع معلم آخر، كانوا يقتادونه إلى مكتب مدير المدرسة (لم يحدث ذلك قَطُّ في شقتنا الخاصة)، وفي النهاية كان عليه أن يقول «شكرًا لك يا سيدي»، وليس «شكرًا لك يا أبي»، كما تلاحظين. كيف يمكن لأي رجل أن يفعل ذلك بابنه؟

لم تشكُ والدتي قَطُّ. ربما كانت هي نفسها تخشاه، أو ربما ظنت أنه على حق. كنا عائلة إنجليزية للغاية، حبيسين معًا ومشاعرنا بعيدة تمامًا عن الأنظار. أتمنى لو أنني أستطيع إخباركِ عمَّا كانت دوافعه، ولماذا كان بغيضًا إلى هذا الحد. سألت آلان ذات مرة لماذا لم يكتب عن طفولته قَطُّ، على الرغم من أن

لديَّ شعورًا بأن المدرسة في سيأتي الليل مناديًا مدينة بالكثير لتشورلي هول، حتى إنها تحمل اسمًا مشابهًا. كما أن المدير الذي يتعرض للقتل يشبه والدنا أيضًا من بعض النواحي. أخبرني آلان بأنه لا يهتم بكتابة سيرته الذاتية، وهو أمر مؤسف لأنني كنت سأهتم بمعرفة رأيه في حياته.

ما الذي يمكنني أن أخبركِ به عن آلان خلال تلك الفترة؟ كان فتى هادئًا، ولديه قليل من الأصدقاء. اعتاد القراءة كثيرًا، ولم يكن يستمتع بالرياضة. أعتقد أنه كان يعيش بالفعل في عالم خياله بدرجة كبيرة، على الرغم من أنه لم يبدأ الكتابة إلا في وقت لاحق. أحب اختراع الألعاب، وخلال العطلات المدرسية، عندما كنا معًا، كنا نصبح جاسوسين، وجنديين، ومستكشفين، ومحققين... كنا نهرع عبر أراضي المدرسة بحثًا عن الأشباح في يوم، وعن الكنز المدفون في اليوم التالي. دومًا ما كان مفعمًا بالحيوية، ولم يدع أي شيء يحبطه على الإطلاق.

قلت إنه لم يكن قد بدأ الكتابة بعد، لكن حتى عندما كان في الثانية عشرة والثالثة عشرة من عمره، كان يحب اللعب بالكلمات. اخترع شفرات، وتوصل إلى كلمات جناس قلب معقدة للغاية. اختلق كلمات متقاطعة، وفي عيد ميلادي الحادي عشر، صمم لي كلمات متقاطعة تحوي اسمي، وأصدقائي، وكل ما أحب فعله كأدلة. كانت بارعة! أحيانًا كان يترك لي كتابًا يحوي نقاطًا صغيرة أسفل بعض الحروف. إذا جمعتها معًا، ستتشكَّل رسالة سرية. أو كان يرسل إليَّ رسائل ملغزة. كان يكتب رسالة تبدو عادية إذا التقطتها أمي أو أبي، لكن إذا أخذت الحرف الأول من كل جملة، فستتشكَّل رسالة مرة أخرى، معروفة لنا نحن الاثنين فقط. كما كان يحب الاختصارات أيضًا. كثيرًا ما كان ينادي أمي بلقب «مدام»، الذي كان في الواقع اختصارًا لعبارة «مائة دليل أنك مجنونة»، وكان يشير إلى أبي بلقب «مدير»، الذي كان يعني «مجنون دومًا يصيح رافضًا». قد تعتقدين أن كل هذا طفولي بعض الشيء، لكننا كنا طفلين فحسب، وعلى أي

حال، فقد دفعني إلى الضحك. بسبب الطريقة التي نشأنا بها، اعتدنا أن نكون كتومين. خشينا قول أي شيء، والتعبير عن أي رأي قد يوقعنا في المشكلات. اخترع آلان طرقًا عديدة للتعبير عن الأشياء بحيث أفهمها أنا وهو فقط. استخدم اللغة كمكان لنا، يمكننا الاختباء فيه.

انتهى أمر تشورلي هول بالنسبة إلينا بطرق مختلفة. رحل آلان عندما كان في الثالثة عشرة من عمره، وبعد ذلك بعامين، أصيب والدي بسكتة دماغية شديدة تركته شبه مشلول. مثَّل ذلك نهاية سلطته علينا. انتقل آلان إلى مدرسة في سانت ألبانز، وكان أسعد كثيرًا هناك. كان لديه مدرس لغة إنجليزية أحبه: رجل يُدعى «ستيفن باوند». سألت آلان ذات مرة عما إذا كان هذا مصدر الإلهام لأتيكوس بوند، لكنه ضحك مني وقال إن الاثنين غير متصلين. على أي حال، بدا من الواضح بطريقة أو بأخرى أن مستقبله المهني سيكون في الكتب. بدأ في كتابة القصص القصيرة والشعر. عندما صار في الصف السادس، كتب مسرحية المدرسة.

منذ ذلك الوقت فصاعدًا، صرت أراه بدرجة أقل، وأعتقد أننا تباعدنا بعدة طرق. عندما كنا معًا، كنا متقاربَين، لكننا بدأنا نعيش حياتنا الشخصية المنفصلة. عندما وصلنا إلى سن الجامعة، ذهب آلان إلى ليدز، ولم أذهب أنا إلى الجامعة قَطُّ. وقف والداي ضد الفكرة. حصلت على وظيفة في سانت ألبانز، وعملت في قسم السجلات في قوات الشرطة، وهكذا انتهى بي الأمر إلى الزواج بضابط شرطة، وفي النهاية أتيت للعيش والعمل في إبسويتش. توفي والدي عندما كنت في الثامنة والعشرين من عمري. في النهاية، صار طريح الفراش، وبحاجة إلى رعاية على مدى الساعة. وأنا متأكدة أن والدتي كانت ممتنة عندما مات أخيرًا. كان قد حصل على بوليصة تأمين على الحياة، لذا تمكنت من إعالة نفسها. وقد ماتت الآن هي الأخرى، بسبب أزمة قلبية.

لكن لنعد إلى آلان. درس الأدب الإنجليزي في جامعة ليدز، وبعد ذلك انتقل

إلى لندن ودخل مجال الإعلانات، وهو شيء كان يفعله كثير من الخريجين الشباب في ذلك الوقت، ولا سيما إذا كانت لديهم شهادة في العلوم الإنسانية. عمل في وكالة تُدعى «آلان بريدي ومارش»، وعلى حد علمي قضى وقتًا رائعًا. لم يكن يعمل بجد كبير، وتقاضى راتبًا جيدًا، وذهب إلى كثير من الحفلات. كان هذا في الثمانينيات، وكان مجال الإعلانات لا يزال صناعة شديدة البذخ. عمل آلان مؤلف إعلانات، وقد ابتكر بالفعل عبارة مشهورة جدًّا: **تبدو نقانق رائعة!** إنها واحدة أخرى من عباراته الملغزة. يُشكِّل الحرف الأول من كل كلمة منها اسم العلامة التجارية. استأجر شقة في نوتينج هيل، وقد لا تكون لذلك أهمية، لكن كانت لديه كثير من الصديقات.

ظل آلان يعمل في مجال الإعلان خلال العشرينيات من عمره، لكن في عام ١٩٩٥، أي العام السابق لبلوغه الثلاثين من العمر، فاجأني بإعلانه أنه ترك الوكالة والتحق بدورة دراسات عليا في الكتابة الإبداعية لمدة عامين في جامعة إيست أنجليا. دعاني إلى لندن خصيصًا ليخبرني. دعاني إلى مطعم كتنر، وطلب الشمبانيا، وفاض منه كل شيء. ذهب كازوو إيشيجورو وإيان ماك إيوان إلى إيست أنجليا، وقد نُشرت أعمال كليهما. حتى إن ماك إيوان ترشح للقائمة القصيرة لجائزة البوكر! تقدم آلان، على الرغم من أنه لم يعتقد أنه سيُقبَل، وكان هذا ما حدث. كان هناك طلب مكتوب، وملف من نماذج الأعمال المكتوبة، ثم مقابلة صعبة مع اثنين من أعضاء هيئة التدريس. لم يسبق أن رأيته أكثر سعادة أو حيوية من قبل. كان الأمر كما لو أنه وجد نفسه، وعندها فقط أدركت إلى أي مدى يهمه أن يصبح كاتبًا. أخبرني بأنه ستكون أمامه سنتان لكتابة رواية من ثمانين ألف كلمة تحت الإشراف، وأن للجامعة علاقات قوية بالناشرين، مما قد يساعده في الحصول على صفقة. كانت لديه بالفعل فكرة لرواية. أراد الكتابة عن سباق الفضاء من وجهة نظر بريطانية. قال: «إن العالم يزداد صغرًا أكثر فأكثر، وفي الوقت نفسه، نزداد صغرًا بداخله». هذا ما أراد استكشافه. ستكون

الشخصية الرئيسية رائد فضاء بريطانيًا لم يغادر الأرض قَطُّ في الواقع. كان عنوانها تطلَّع إلى النجوم.

قضينا عطلة نهاية أسبوع جميلة، وحزنت للغاية لتركه والعودة في القطار إلى إبسويتش. ليس هناك الكثير مما يمكنني قوله عن العامين المقبلين، لأنني بالكاد رأيته على الإطلاق، على الرغم من أننا كنا نتحدث عبر الهاتف. أحب الدورة، ولم تكن لديه ثقة كبيرة بما يتعلق ببعض الطلاب الآخرين. سأكون صادقة، وسأقول إن آلان كان لديه جانب حاد الطباع لم ألحظه من قبل، لكن بدا أنه ينمو. ربما كان ذلك لأنه أخذ يعمل بجد شديد. اصطدم مع واحد أو اثنين من معلميه الذين انتقدوا عمله. الشيء الغريب أنه ذهب إلى جامعة إيست أنجليا طلبًا للإرشاد، لكن بعد أن صار هناك، أصبح يعتقد أنه ليس بحاجة إليه. اعتاد أن يقول لي: «سوف أريهم يا كلير». سمعت منه ذلك طوال الوقت: «سوف أريهم».

حسنًا، لم تُنشر تطلَّع إلى النجوم قَطُّ، ولست متأكدة ماذا كان مصيرها. في النهاية، كانت أكثر من مائة ألف كلمة. عرض عليَّ آلان أول فصلين، وأنا سعيدة لأنه لم يطلب مني قراءة الباقي، لأنني لم أعجب بهما بدرجة كبيرة. كانت الكتابة بارعة للغاية، إذ إنه اتصف بقدرة رائعة على استخدام اللغة، وتحريف الكلمات والعبارات كما يشاء، لكنني أخشى أنني لم أفهم ما الذي كان يتحدث عنه. بدا الأمر كأن كل صفحة تصرخ في وجهي. في الوقت نفسه، كنت أعلم أنني لست الجمهور المستهدف للكتاب. ما الذي أعرفه أنا؟ أحببت قراءة جيمس هيريوت ودانيال ستيل. بالطبع أصدرت الأصوات الملائمة، وقلت إنها مثيرة للاهتمام بشدة، وإنني متأكدة أنها ستعجب الناشرين. لكن بعد ذلك، بدأت رسائل الرفض في الوصول، وصار آلان محبطًا للغاية. كان واثقًا جدًّا بأن الكتاب بارع فحسب، وعليك أن تسأل نفسك إذا كنت كاتبًا جالسًا بمفردك في غرفة، كيف يمكنك الاستمرار بأي طريقة

خلاف ذلك؟ لا بد أن امتلاك هذا الإيمان التام بالنفس أمر مروع، عندما تكتشف أنك كنت مخطئًا طوال الوقت.

على أي حال، كان هذا هو الوضع بالنسبة إليه في خريف عام ١٩٩٧. كان قد أرسل تطلّع إلى النجوم إلى اثني عشر وكيلًا أدبيًا تقريبًا، وإلى العديد من الناشرين، ولم يُظهر أحد أي اهتمام. كان الأمر أسوأ بالنسبة إليه، لأن اثنين من الطلاب الذين كانوا معه في الدورة نالا صفقات بالفعل. لكن الأمر أنه لم يستسلم. لم يكن ذلك من طبيعته. أخبرني بأنه لن يعود إلى مجال الإعلان. خشي أنه لن يستمر في عمله الحقيقي - كان هذا ما أطلقه عليه الآن - لأنه سيكون مشتتًا للغاية، ولن يكون لديه الوقت. فوجئت بعد ذلك بحصوله على وظيفة معلم، حيث درّس الأدب الإنجليزي في مدرسة وودبريدج.

لم ينعم بالسعادة هناك قطُّ على وجه الخصوص، ولا بد أن الأطفال استشعروا ذلك، لأنني كوّنت انطباعًا بأنه لم يكن يتمتع بشعبية كبيرة أيضًا. من ناحية أخرى، كانت لديه إجازات طويلة، وعطلات نهاية الأسبوع، ووقت طويل للكتابة، وكان هذا كل ما يهمه. كتب أربع روايات أخرى. على الأقل هذا ما ذكره لي. لم تُنشر أيٌّ منها، ولست متأكدة أن آلان كان سيتمكن من الاستمرار في وودبريدج، إذا علم أن الأمر سيستغرق أحد عشر عامًا قبل أن يتذوق طعم النجاح في النهاية. قال لي ذات مرة إن الأمر يشبه الوجود في أحد تلك السجون الروسية، حيث يحتجزونك من دون إخبارك بمدة عقوبتك.

تزوج آلان في أثناء وجوده في وودبريدج. اشتغلت ميليسا بروك، كما كان اسمها حينها، في تدريس اللغات الأجنبية، الفرنسية والألمانية، وبدأت العمل في الفصل الدراسي نفسه معه. لا حاجة بي إلى وصفها لكِ، لقد قابلتها بما يكفي. كانت انطباعاتي الأولى أنها شابة وجذابة، وأنها مغرمة جدًّا بآلان. لا أعرف السبب، لكنني أخشى أننا لا ننسجم معًا على نحو جيد، حتى إنها لاحظت وجودي بالكاد في جنازة آلان. لكن عليَّ الاعتراف بأنه ربما كان خطئي جزئيًا.

شعرت بأننا في منافسة، وأنها سلبت مني آلان. بينما أكتب هذا الآن، يمكنني رؤية مدى حماقة ذلك، لكنني أحاول أن أقدم لكِ حكاية صادقة بقدر الإمكان عن آلان، وكانت هذه هي طبيعة الحال. قرأت ميليسا كل رواياته، وآمنت به بنسبة مائة في المائة. تزوجا في مكتب التسجيل في وودبريدج في يونيو ١٩٩٨، وقضيا شهر العسل في جنوب فرنسا، في كاب فيرات. وُلد ابنهما فريدي بعد ذلك بعامين.

كانت ميليسا هي التي نصحت آلان بكتابة أول رواية لأتيكوس بوند. كانا متزوجين منذ سبع سنوات حينها. أعرف أن هذه قفزة هائلة إلى الأمام، لكن لا يوجد شيء آخر يمكنني الكتابة عنه خلال هذه الفترة. كنت أعمل لدى شرطة سوفولك، وعمل آلان في التدريس. لم نكن نعيش على مسافة بعيدة جغرافيًّا، لكن كانت لدينا حياة مختلفة تمامًا.

طرأت الفكرة على ميليسا في فرع و. هـ. سميث في وودبريدج. مَن المؤلفون الأكثر مبيعًا على الأرفف؟ كانوا دان براون، وجون جريشام، ومايكل كريشتون، وجيمس باترسون، وكلايف كوسلر. كانت تعلم أن آلان يمكنه الكتابة بشكل أفضل من أيٍّ منهم. المشكلة أن سقف طموحاته كان مرتفعًا للغاية. لماذا يهتم بتأليف كتاب يشيد به جميع النقاد، بينما لن يقرأه أحد على الإطلاق تقريبًا؟ يمكنه استغلال مواهبه لكتابة شيء بسيط للغاية: رواية جريمة. إذا حققت مبيعات فستبدأ حياته المهنية، ويمكنه تجربة أشياء أخرى بعد ذلك. ما يهم هو البدء. هذا ما قالته.

عرض عليَّ آلان جرأة أتيكوس بوند بعد فترة قصيرة من كتابته لها، وأحببتها بشدة. لم يكن الأمر مجرد براعة اللغز، لكنني ظننت أن شخصية المحقق الرئيسية رائعة. بدا من الملائم تمامًا حقيقة أنه كان في معسكر اعتقال، وشاهد الكثير من الموت، وها هو ذا الآن في إنجلترا يحل جرائم القتل. استغرق تأليف الكتاب ثلاثة أشهر فقط، وأنجز معظمه خلال العطلة الصيفية، لكن كان بوسعي

رؤية أنه سعيد بالنتيجة. أول سؤال طرحه عليَّ هو ما إذا كنت قد خمنت النهاية، وسُرَّ عندما أخبرته بأنني كنت مخطئة تمامًا. لست بحاجة إلى إضافة المزيد لأنك تعرفين البقية مثلي. وجدت المخطوطة طريقها إلى دار نشر كلوفرليف بوكس، وقمتم بشرائها! ذهب آلان إلى مقركم في لندن، وتناولنا العشاء معًا تلك الليلة، آلان وميليسا وأنا. تولت ميليسا الطهي، وكان فريدي نائمًا بالطابق العلوي. كان من المفترض أن يكون احتفالًا، لكن آلان بدا في حالة مزاجية غريبة. كان قلقًا، وصامتًا. كان هناك شيء ما بينه وبين ميليسا، توتر لم أستطع فهمه تمامًا. أعتقد أن آلان كان متوترًا. عندما تسعى وراء طموحك طوال حياتك، فمن المخيف حقًّا تحقيقه، إذ أين ستذهب بعد ذلك؟ كما كان هناك شيء آخر. فجأة رأى آلان أن العالم مليء بالروايات الأولى، وأن عشرات الكتب الجديدة تملأ الأرفف كل أسبوع، ولا يكون للكثير منها أي تأثير. مقابل كل كاتب مشهور، لا بد أن هناك خمسين يختفون ببساطة، ومن المحتمل جدًّا ألا يكون أتيكوس بوند مجرد تحقيق لحلم، بل قد يكون نهايته.

بالطبع، لم يحدث ذلك. نُشرت جرأة أتيكوس بوند في سبتمبر عام ٢٠٠٧. أحببت رؤية النسخة الأولى عندما وصلت مع اسم آلان على الغلاف الأمامي، وصورته على الظهر. بطريقة ما، جعل ذلك كل شيء يبدو على ما يرام، كما لو أن حياتنا بأكملها كانت تؤدي إلى هذه اللحظة الوحيدة. حصل الكتاب على مراجعة رائعة في صحيفة دايلي ميل: «احترس يا هيركيول بوارو! هناك أجنبي ضئيل بارع في المدينة، وهو يحل محلك». بحلول عيد الميلاد، ظهر أتيكوس بوند في قوائم الكتب الأكثر مبيعًا. وكانت هناك مزيد من المراجعات الجيدة، حتى إنهم تحدثوا عن أتيكوس في برنامج توداي. عند صدور النسخة ذات الغلاف الورقي في الربيع التالي، بدا أن سكان البلد بأكملهم يرغبون في شراء نسخة. طلبت دار نشر كلوفرليف بوكس من آلان كتابة ثلاثة أجزاء أخرى، وعلى الرغم من أنه لم يخبرني قَطُّ بالمبلغ الذي حصل عليه، فإنني أعرف أنه كان مبلغًا رائعًا.

أصبح فجأة كاتبًا مشهورًا. تُرجمت كتبه إلى العديد من اللغات المختلفة، وتلقى دعوات إلى جميع المهرجانات الأدبية: إدنبرة، وأكسفورد، وشلتنهام، وهاي أون واي، وهاروجيت. عند صدور الكتاب الثاني، أقام حفل توقيع في وودبريدج، وامتد الطابور بطول الطريق حول الزاوية. ترك مدرسة وودبريدج (على الرغم من أن ميليسا واصلت العمل هناك) واشترى منزلًا في أورفورد، يطل على النهر. في ذلك الوقت مباشرة، توفي جريج، زوجي، واقترح آلان أن أنتقل إلى السكن بالقرب منه. ساعدني على شراء المنزل الذي زرته في شارع دافني.

استمرت مبيعات الكتب، وتدفق المال. طلب مني آلان مساعدته في الكتاب الثالث، أتيكوس بوند يتولى القضية. لطالما كان لا يجيد الكتابة على الكمبيوتر. دومًا ما كان يكتب مسوداته الأولى بالقلم والحبر، وطلب مني كتابة المسودة الأولى على الكمبيوتر. بعد ذلك كان يجري تعديلاته يدويًّا، وأكتبها على الكمبيوتر مرة أخرى قبل أن يرسل المخطوطة إلى ناشره. كما طلب مني مساعدته في البحث. عرَّفته على أحد المحققين في إبسويتش، وفتشت عن معلومات بخصوص السموم وأشياء من ذلك القبيل. في الواقع، عملت على أربعة كتب. أحببت المشاركة، وأسفت عندما انتهى ذلك. كان خطئي بالكامل.

تغير آلان نتيجة لنجاحه. بدا كأنه وجد الأمر غامرًا. إذا لم يكن منشغلًا بتأليف الكتب، فكان يسافر إلى جميع أنحاء العالم للترويج لها. اعتدت القراءة عنه في الصحف، وكنت أسمعه أحيانًا على راديو بي بي سي ٤. لكن في هذه المرحلة، صرت أراه بدرجة أقل فأقل. بعد ذلك في عام ٢٠٠٩، بعد أسابيع قليلة من نشر سيأتي الليل مناديًا، صدمني آلان بإخباري بأنه سيترك ميليسا، ولم أستطع تصديق الأمر عندما قرأت أنه انتقل للعيش مع شاب.

من الصعب جدًّا شرح طبيعة شعوري، لأنه كانت هناك دوامة من المشاعر في رأسي، والكثير الذي لم أكن على دراية به. عندما كنت أعيش في أورفورد،

رأيت ميليسا طوال الوقت، لكن لم تكن لديَّ أي فكرة على الإطلاق أن الزيجة لم تكن ناجحة. كانا دائمًا يبدوان مرتاحين جدًّا معًا. حدث كل ذلك بسرعة كبيرة. ما إن أبلغني آلان بالأخبار، حتى رحلت ميليسا وفريدي، وصار منزلهما معروضًا في السوق. لم يكن هناك محامون متورطون في الطلاق. اتفقا على تقسيم كل شيء، النصف بالنصف.

عن نفسي، وجدت صعوبة كبيرة في تقبُّل هذا الجانب الجديد منه. لم أواجه مشكلة من قبل مع الرجال المثليين. كان هناك رجل عملت معه، أعلن ميوله المثلية صراحة، وقد انسجمت معه بشكل جيد تمامًا. لكن هذا كان شقيقي، شخصًا كنت قريبة منه طوال حياتي، وفجأة طُلب مني النظر إليه من منظور مختلف تمامًا. حسنًا، يمكنكِ القول إنه تغير من نواحٍ عديدة. صار في الخمسين من عمره، وهو كاتب ثري وناجح. صار أكثر انعزالًا، وأكثر حدة، والدًا لطفل، وشخصية عامة. كما كان مثليًّا. لماذا يجب أن تكون لهذه الحقيقة الأخيرة أي أهمية خاصة؟ حسنًا، كان جزءًا من الإجابة أن شريكه كان صغيرًا جدًّا في السن. لم أحمل ضغينة ضد جيمس تيلور. في الواقع، كنت أميل إليه. لم أفكر فيه قَطُّ بوصفه طامعًا في الثراء، أو أي شيء من ذلك القبيل، على الرغم من أنني سأعترف بأنني ذعرت عندما ذكر آلان أنه عمل بغيًّا في وقت من الأوقات. شعرت بالضيق فحسب عند رؤيتهما معًا، وهما يمسكان بأيدي بعضهما أحيانًا، أو أيًّا ما كان. لم أقل شيئًا قَطُّ. في هذه الأيام، لا يُسمح لك بذلك، أليس كذلك؟ شعرت بعدم الارتياح فحسب، هذا كل ما في الأمر.

لكن هذا لم يكن سبب الخلاف بيننا. كنت أؤدي الكثير من العمل من أجل آلان. بطريقة ما، لم يتوقف الأمر عند حد الكتب. ساعدته فيما يتعلق ببريد معجبيه. في بعض الأسابيع، كان يتلقى أكثر من اثني عشر خطابًا، وعلى الرغم من أنه كان لديه رد ثابت، فإنه كان لا يزال يتعين على شخص ما تولي الأعمال الإدارية. عملت على بعض إقراراته الضريبية، خصوصًا استمارات

الازدواج الضريبي التي كان يجب ملؤها حتى لا يدفع الضريبة مرتين. كثيرًا ما كان يرسلني لشراء القرطاسية، أو خراطيش طابعة جديدة له. كما توليت العناية بفريدي. باختصار، كنت أعمل سكرتيرة، ومديرة مكتب، ومحاسبة، ومربية، بالإضافة إلى وظيفة بدوام كامل في إبسويتش. لم يكن لديَّ مانع من القيام بأيٍّ من هذا، لكن في يوم من الأيام اقترحت أنه يتعين عليه إدراج اسمي في جدول رواتبه، وكان ذلك على سبيل المزاح جزئيًّا. غضب آلان، وكانت هذه هي المرة الوحيدة التي غضب فيها مني حقًّا. ذكَّرني أنه ساعدني في شراء منزلي (على الرغم من أنه أوضح في ذلك الوقت أنه كان قرضًا وليس هدية). قال إنه ظن أنني سعيدة لتقديم العون، ولو أن ذلك كان يمثل عملًا رتيبًا إلى هذه الدرجة بالنسبة إليَّ، لما طلب مني ذلك في المقام الأول. تراجعت بأسرع ما يمكنني، لكن الضرر وقع. لم يطلب مني آلان فعل أي شيء من أجله مرة أخرى، وبعد فترة قصيرة انتقل من أورفورد تمامًا عندما اشترى آبي جرينج.

لم يخبرني قَطُّ بأنه مريض. ليست لديكِ فكرة إلى أي مدى يزعجني ذلك. لكنني سأنتهي من حيث بدأت. كان آلان مقاتلًا طوال حياته. في بعض الأحيان قد يجعله هذا يبدو صعبًا وعدوانيًّا، لكنني لا أعتقد أنه كان أيًّا من هذه الأشياء. ببساطة، كان يعرف ما يريد، ولم يسمح لشيء قَطُّ باعتراض طريقه. قبل كل شيء، كان كاتبًا، وكانت كتاباته تعني له كل شيء. هل تعتقدين حقًّا أنه كان سينهي رواية، ويقتل نفسه قبل أن يراها منشورة؟ هذا شيء لا يمكن تصوره! إنه ليس آلان كونواي الذي عرفته فحسب.

كنيسة سانت مايكل

بدا لي أن كلير توصلت إلى استنتاجاتها بناءً على أسباب جميعها خاطئة. كانت محقة في اعتقادها بأن آلان لم ينتحر. لكن الطريقة التي توصلت بها إلى ذلك الاستنتاج كانت مشوشة. «أعلم أنه كان سيتصل بي قبل الإقدام على ارتكاب أي حماقة». هذه هي النقطة التي تبدأ بها، وهذا هو مبررها الرئيسي. على الرغم من ذلك، حاولت اتخاذ مسار آخر في النهاية. «هل تعتقدين حقًّا أنه كان سينهي رواية، ويقتل نفسه قبل أن يراها منشورة؟». إنهما حجتان مختلفتان تمامًا ويمكننا التعامل معهما بشكل منفصل.

لم يكن آلان لينسى ضغينة قَطُّ. اختلف الاثنان بشدة عندما طلبت كلير أن تتقاضى أجرًا مقابل العمل الذي تؤديه، وعلى الرغم مما اعتقدته، لا أظن أنهما عادا قريبين بالفعل من بعضهما على الإطلاق. على سبيل المثال، على الرغم من أنه أخبرها بأنه سيهجر ميليسا، فمن الواضح أنها لم تعرف شيئًا عن علاقته بجيمس تيلور، إذ تركها لتقرأ عن ذلك في الصحف. قد يكون الأمر أن آلان عندما أعلن عن ميوله المثلية، انسلخ من حياته القديمة كبدلة مهملة، وللأسف شمل ذلك كلير. إذا لم يكن على استعداد لمشاركة ميوله الجنسية معها، فلماذا يشاركها رغبته في الانتحار؟

كما أنها أخطأت في الاعتقاد بأن القفزة من البرج كانت شيئًا خطط له. «لم يكن ليتركني بمفردي قَطُّ، ليس من دون سابق إنذار». لكن ليست هذه هي الحال

بالضرورة. ربما استيقظ وقرر الإقدام على ذلك فحسب. ربما نسي تمامًا أن لديه كتابًا على وشك الصدور. كان سيموت قبل نشره على أي حال. فيمَ كان سيهمه الأمر؟

بدت حكايتها مثيرة للاهتمام من نواحٍ أخرى. لم أكن أدرك، حتى الآن، إلى أي مدى نسج آلان حياته الخاصة في بدافع القتل. هل كان يعلم قبل تشخيص حالته أن هذه ستكون روايته الأخيرة؟ قال روبرت بلاكيستون لأتيكوس بوند: «كنا قرصانين، وصائدَي كنوز، وجنديين، وجاسوسين»، لكنه يتحدث أيضًا عن طفولة آلان. أحب آلان الشفرات، وطرق روبرت طرقات مشفرة على جدار غرفة نومه. ثم إن هناك الجناس الناقص والرسائل الملغزة. تحوَّل اسم روباسون إلى أوسبورن. كما حلت كلاريسا باي جناس القلب في الكلمات المتقاطعة بصحيفة دايلي تليجراف. هل يمكن أن يكون آلان قد أخفى رسالة سرية من نوع ما داخل كتابه، شيئًا كان يعرفه عن شخص ما؟ ماذا يمكن أن تكون الرسالة؟ وفي هذا الصدد، إذا كان يعرف شيئًا فظيعًا بما يكفي لتعريض نفسه للقتل، فلماذا يتلاعب؟ لماذا لا يصرح بالأمر مباشرة؟

هل يمكن أن تكون الرسالة في الواقع مخفية في الفصول الأخيرة؟ هل سرقها أحدهم لذلك السبب، وقتل آلان في الوقت نفسه؟ كان ذلك منطقيًا نوعًا ما، على الرغم من أن ذلك يثير سؤالًا: مَن قرأها؟ إذا كان هناك أحد قد قرأها من الأساس.

بقيت ساعتان حتى موعد العشاء، وقررت التمشية إلى نُزُل كاسيل. كنت بحاجة إلى تصفية ذهني. أخذ الظلام يحل بالفعل، ولف فراملينجهام جو من الكآبة، والمحال التجارية مغلقة، والشوارع خالية. عندما مررت بالكنيسة، رأيت حركة، وهيئة غامضة تتحرك بين شواهد القبور. كان الكاهن. شاهدته يختفي داخل الكنيسة، والباب يُغلق خلفه بدوي مرتفع. قررت أن أتبعه من دون سابق تفكير. قادتني خطواتي عبر قبر آلان، وكان من المروع التفكير فيه مستلقيًا تحت تلك الأرض المحفورة حديثًا. ظننته باردًا وصامتًا عندما التقيته، وقد صار هكذا إلى الأبد بعد الموت.

تقدمت مسرعة، ودخلت الكنيسة. كان تصميمها الداخلي ضخمًا ومزدحمًا، تمر به تيارات الهواء البارد، ويجمع بين قرون مختلفة. لم تكن سعيدة على الأرجح ببلوغ هذا القرن: زوَّدها القرن الثاني عشر بالأقواس، والسادس عشر بالسقف الخشبي الجميل، والثامن عشر بالمذبح، لكن ما الذي أهداه القرن الحادي والعشرون إلى كنيسة سانت مايكل؟ الإلحاد واللامبالاة. كان روباسون عند مؤخرة المقاعد الخشبية الطويلة، قريبًا جدًّا من الباب. جثا على ركبتيه، وللحظة وجيزة افترضت أنه يصلي، ثم رأيت أنه يتولى العناية بمشعاع حراري قديم، ويفرغ منه الهواء. أدار مفتاحًا، فتعالى هسيس من الهواء الفاسد، تلاه صوت صلصلة عندما بدأت الأنابيب تمتلئ. التفت حينما اقتربت منه، وتذكرني نوعًا ما وهو ينهض على قدميه متعثرًا، وقال:

- مساء الخير يا سيدة...؟

ذكرته قائلة:

- سوزان رايلاند. أنا آنسة. كنت أنا مَن سألتك عن آلان.

- سألني كثير من الناس عن آلان اليوم.

- سألتك ما إذا كان قد تنمر عليك.

تذكر ذلك، وأشاح بنظره. قال:

- أعتقد أنني أخبرتك بما تريدين معرفته.

- هل كنت على دراية بأنه ضمَّنك في كتابه الأخير؟

فاجأه ذلك. مرر يده على ذقنه الشبيه باللوح، وقال:

- ما الذي تقصدينه؟

- هناك كاهن في الكتاب يشبهك، حتى إنه يحمل اسمًا مشابهًا.

- هل ذكر الكنيسة؟

- سانت مايكل؟ كلَّا.

- حسنًا، لا بأس إذن.

انتظرت منه مواصلة الحديث.

- سيكون من المألوف أن يقول آلان عني شيئًا كريهًا. كان لديه هذا النوع من روح الدعابة، إذا كان بإمكانك أن تطلقي عليها ذلك.

- لم تكن تحبه كثيرًا.

- لماذا توجهين إليَّ هذه الأسئلة يا آنسة رايلاند؟ ما سبب اهتمامك تحديدًا؟

- ألم أخبرك؟ كنت محررته في دار نشر كلوفرليف بوكس.

- فهمت. أخشى أنني لم أقرأ أيًا من رواياته على الإطلاق. لم أهتم قَطُّ بروايات الجريمة والألغاز. أُفضِّل الكتب غير الروائية.

- متى قابلت آلان كونواي؟

لم يُرِد الإجابة، لكنه رأى أنني لن أتوقف.

- في الواقع، كنا في المدرسة معًا.

- هل كنت في تشورلي هول؟

- نعم. أتيت إلى فراملينجهام قبل بضع سنوات، وقد فوجئت برؤيته بين المصلين، لكنه لم يكن يأتي إلى الكنيسة كثيرًا. كنا في نفس العمر بالضبط.

- ثم ماذا؟

ساد الصمت. واصلت قائلة:



- هل كان يتنمر عليك؟

تنهد روباسون قائلًا:

- لست متأكدًا ما إذا كان من اللائق تمامًا مناقشة هذه الأشياء، اليوم دونًا عن كل الأيام. لكن إذا كان يجب أن تعرفي، فقد كانت الظروف غير عادية تمامًا، حيث كان والده مدير المدرسة. أضفى عليه ذلك قوة معينة. كان يمكنه قول أشياء... وفعل أشياء... وكان يعلم أن أحدًا منا لن يجرؤ على قول كلمة واحدة ضده.

- أي نوع من الأشياء؟

- حسنًا، أعتقد أنه يمكنكِ القول إنها كانت مقالب عملية. أنا متأكد أنه نظر إليها بوصفها هكذا. لكن كان من الممكن أن تكون مؤذية وخبيثة للغاية

أيضًا. في حالتي، بالتأكيد، تسبب لي في قدر من الإزعاج، على الرغم من أن كل ذلك صار في الماضي الآن. كان ذلك منذ فترة طويلة جدًّا.

- ماذا فعل؟

كان روباسون لا يزال مترددًا، لذلك ضغطت عليه.

- إنه أمر مهم جدًّا يا سيد روباسون. أعتقد أن موت آلان لم يكن واضحًا تمامًا كما يبدو، وأي شيء يمكنك إخباري به عنه، بشكل سري، سيكون مفيدًا للغاية.

- كانت مزحة يا آنسة رايلاند، لا شيء أكثر من ذلك.

انتظر مني أن أرحل، وعندما لم أفعل، أضاف قائلًا:

- لقد التقط صورًا...

- صورًا؟

- كانت صورًا فظيعة!

لم يكن الكاهن هو مَن تحدث. أتت الكلمات من الفراغ. هذا ما يميز الصوتيات في الكنيسة: إنها ملائمة للظهور المفاجئ. نظرت حولي، ووجدت المرأة ذات الشعر الأحمر التي رأيتها في الفندق، ومن المفترض أنها زوجته، تتقدم نحونا وحذاؤها يدق على الأرض بحزم مُصدرًا إيقاعًا على الأرض الحجرية. توقفت بجانبه، وهي تنظر إليَّ بعداء صريح. قالت:

- لا يرغب توم في التحدث عن ذلك، في الواقع. لا أفهم لماذا تزعجينه. لقد دفنَّا آلان كونواي اليوم، ومن ناحيتي، فهذه هي نهاية الموضوع. لن نتورط في مزيد من الثرثرة. هل أصلحتَ المشاعيع الحرارية؟

وجهت إليه هذا السؤال الأخير بالنبرة نفسها تمامًا، من دون التوقف لالتقاط أنفاسها.

- أجل يا عزيزتي.

- فلنعد إلى المنزل إذن.

شبكت ذراعها في ذراعه، وعلى الرغم من أن رأسها وصل إلى كتفه بالكاد،

فإنها مَن دفعته إلى خارج الكنيسة. صُفق الباب خلفهما، وتركاني أتساءل ما الذي أظهرته الصور تحديدًا، وفي الوقت نفسه، ما إذا كان الشيء الذي عثرت عليه ماري بلاكيستون على طاولة المطبخ في سكن الكاهن في ساكسبي أون أيفون عبارة عن صور، وما إذا كانت مسؤولة عن قتلها ربما.

الغداء في فندق ذا كراون

لم أتعمد أن أثمل مع جيمس تيلور، وما زلت لا أتذكر كيف حدث ذلك. صحيح أنه كان مشتتًا تمامًا عند وصوله، وطلب على الفور زجاجة من الشمبانيا الأغلى ثمنًا في القائمة، تبعها نبيذ جيد، وعدة كؤوس من الويسكي، لكنني كنت أنتوي تركه يتولى الشراب. لست متأكدة من مقدار ما عرفته خلال الساعتين التاليتين. لم أقترب بالتأكيد من معرفة مَن يمكن أن يكون قد قتل آلان كونواي أو لماذا، وعندما استيقظت في صباح اليوم التالي، كنت أنا نفسي على مشارف الموت.

- يا إلهي، كم أكره هذا المكان اللعين!

كانت تلك هي كلماته الافتتاحية، وهو يرتمي جالسًا إلى الطاولة. بدَّل ملابسه وارتدى السترة الجلدية السوداء نفسها التي كان يرتديها عندما قابلته أول مرة، مع قميص أبيض. بدا شبيهًا للغاية بجيمس دين. تابع قائلًا:

- أنا آسف يا سوزان، لكنني لم أطِق الانتظار حتى تنتهي الجنازة. لم يكن لدى ذلك الكاهن أي شيء طيب يقوله عن آلان. ويا لصوته ذاك! أعني، إن كونه أجش شيء يمكن تفهمه، لكن صوته بدا كأنه يحفر ذلك القبر بنفسه! لم أرغب حتى في الوجود هناك، لكن السيد خان أصر، وقد ساعدني، لذا شعرت بأنني مدين له. بالطبع، فإن الجميع يعرفون الآن.

نظرت إليه متسائلة، فقال:

- المال! سأحصل على المنزل، والأرض، والمال، وحقوق الكتب، وكل

شيء! حسنًا، لقد ترك الكثير لفريدي - هذا ابنه - كما اعتنى بشقيقته أيضًا. وهناك وصية للكنيسة. أجبره روباسون على دفع ذلك مقابل الرقعة التي دُفن فيها. هناك أمر أو أمران آخران، لكن لديَّ مالًا أكثر مما امتلكت في حياتي كلها على الإطلاق. العشاء عليَّ، بالمناسبة، أو على آلان. هل عثرتِ على الصفحات المفقودة من المخطوطة؟

أخبرته بأنني لم أفعل.

- هذا مؤسف. لقد بحثت من أجلكِ، لكن لم يحالفني الحظ. من الغريب التفكير في أنك ستتعاملين معي من الآن فصاعدًا، أعني فيما يتعلق بالكتب. لقد تلقيت بالفعل اتصالًا هاتفيًا من شخص يُدعى مارك ريدموند، بخصوص مغامرات أتيكوس. يمكنه الحصول عليها، ما دمت لن أضطر إلى مشاهدة ذلك الشيء اللعين.

ألقى نظرة على قائمة الطعام، ثم اتخذ قرارًا فوريًا وأزاحها جانبًا. واصل قائلًا:

- كلهم يكرهونني، كما تعلمين. بالطبع، عليهم أن يتظاهروا. الجميع قلقون بدرجة تمنعهم من التصريح بالأمر، لكن لا تزال بإمكانك رؤية الطريقة التي كان ينظر بها معظمهم إليَّ. كنت عشيق آلان، وها قد حصلت على كل شيء. هذا ما كانوا يفكرون فيه.

وصلت الشمبانيا، وانتظر بينما صبت النادلة كأسين. لم أستطع منع نفسي من الابتسام. كان قد أصبح مليونيرًا للتو، وأخذ يشكو الأمر، لكنه فعل ذلك بمرح، بل وبروح من الدعابة. كان الأمر سخرية متعمدة من الذات.

جرع كأسه دفعة واحدة، وقال:

- سأعرض آبي جرينج للبيع أول شيء صباح الغد. غالبًا ما سيأخذون ذلك ضدي أيضًا، لكنني لا أطيق الانتظار للرحيل. قال السيد خان إنه قد يساوي مليونَي جنيه إسترليني، وقد أبدى لي السيد جون وايت اهتمامه بالفعل. هل ذكرته لكِ؟ إنه مدير صندوق التحوُّط الساكن بالجوار، وهو فاحش الثراء. تورط هو وآلان في جدال كبير منذ فترة قصيرة، شيء ما له علاقة

بالاستمارات. بعد ذلك، لم يعودا يتبادلان الحديث حتى. الأمر مضحك، أليس كذلك؟ تشترين منزلًا في وسط الريف بمساحة خمسين فدانًا تقريبًا، والشخص الوحيد الذي لا تنسجمين معه هو جارك. على أي حال، قد يشتري مني المنزل، للحصول على الأرض الإضافية.

سألته:

- أين ستذهب؟

- سأشتري سكنًا في لندن. هذا ما أردته دومًا. سأحاول البدء في مسيرتي المهنية. أريد العودة إلى التمثيل. إذا أنتجوا مسلسل مغامرات أتيكوس، فربما يعرضون عليّ دورًا. سيكون ذلك بمنزلة تسليط للضوء على الكتب، أليس كذلك؟ يمكنهم إعطائي دور جيمس فريزر، لذا سينتهي بي المطاف إلى لعب دور شخصية بُنيت عليّ في الأساس. هل تعلمين لماذا سُمِّي فريزر، بالمناسبة؟

- لا، لا أعرف.

- أسماه آلان على اسم هيو فريزر، الممثل الذي لعب دور صديق بوارو في التلفزيون. والشقة التي عاش فيها أتيكوس بوند، تانر كورت في فارينجدون؟ كانت تلك واحدة أخرى من نكات آلان. هناك مكان حقيقي يُدعى فلورين كورت، استخدموه في تصوير بوارو. هل فهمتِ؟ تانر، وفلورين؟ كلاهما عملة معدنية قديمة.

- كيف عرفت ذلك؟

- لقد أخبرني. كما كان يفعل أشياء أخرى أيضًا. اعتاد إخفاء الأشياء.

- ما الذي تعنيه؟

- حسنًا... الأسماء. تدور أحداث أحد الكتب في لندن، وجميع الأسماء هي في الواقع محطات مترو أنفاق، أو شيء من هذا القبيل. وهناك كتاب آخر تُدعى فيه جميع الشخصيات بروك، وووترز، وفورستر، ووايلد...

- جميعهم كُتَّاب.

- جميعهم كُتَّاب مثليو ن. كانت هذه لعبة يمارسها كي يمنع نفسه من الشعور بالملل.

تناولنا مزيدًا من الشمبانيا، وطلبنا السمك والبطاطس. يقع المطعم في الجانب البعيد من الفندق، في الزاوية بالقرب من المكان الذي تناولنا فيه المشروبات بعد الجنازة. كانت هناك أسرتان تتناولان الطعام، لكننا حصلنا على طاولة ركنية. كانت الإضاءة منخفضة. سألت جيمس عن طريقة عمل آلان كونواي. لقد أخفى في كتاباته بقدر ما كشفه تقريبًا، وكان هناك انفصال غريب بين المؤلف الأكثر مبيعًا والكتب التي ألَّفها بالفعل. لماذا كل هذه الألعاب، والشفرات، والإشارات السرية؟ ألم يكن يكفي ببساطة أن يحكي القصة؟

قال جيمس:

- لم يتحدث معي عن ذلك قَطُّ. كان يعمل بجد شديد، أحيانًا لسبع أو ثماني ساعات في اليوم. كان هناك دفتر ملاحظات يملأه بالأدلة والرنجة الحمراء، وما إلى ذلك. مَن، كان، أين، متى، وماذا كانوا يفعلون. قال إن ذلك يتسبب له في الصداع، وهو يرتب كل شيء، وإذا دخلت الغرفة وأزعجته، كان يصرخ فيَّ بالفعل. كانت هناك أوقات تحدث فيها عن أتيكوس بوند كما لو أنه شخص حقيقي، وتكوَّن لديَّ انطباع بأنهما ليسا أفضل صديقين، إذا لم يبدُ ذلك غريبًا بعض الشيء. «أتيكوس يدمرني! لقد سئمت منه. لماذا يتعين عليَّ تأليف كتاب آخر عنه؟». كان يتفوَّه بأشياء من هذا القبيل طوال الوقت.

- ألهذا قرر قتله؟

- لا أعلم. هل مات في الكتاب الأخير؟ لم أرَ شيئًا منه قَطُّ.

- إنه أصيب بالمرض. قد يموت في النهاية.

- لطالما قال آلان إنه ستكون هناك تسعة كتب. قرر ذلك منذ البداية. كان هناك شيء ما بخصوص هذا الرقم مهمًّا بالنسبة إليه.

سألته:

- ماذا حدث لدفتر الملاحظات؟ لا أعتقد أنك عثرت عليه؟

هز جيمس رأسه.

- لم أجده. أنا آسف، لكنني متأكد تمامًا من عدم وجوده.

لذا أيًّا كان الشخص الذي أخذ الفصول الأخيرة من بدافع القتل، ومسح كل كلمة من قرص آلان الصلب، فقد تأكد أيضًا من إخفاء ملاحظاته. أخبرني ذلك بشيء ما: كانوا يعرفون طريقة عمل آلان.

تحدثنا أكثر عن حياة جيمس مع آلان. انتهينا من الشمبانيا، وشربنا زجاجة النبيذ. انتهت الأسرتان الأخريان من تناول الطعام، وغادرتا، وبحلول الساعة التاسعة انفردنا في الغرفة بنفسينا. تكوَّن لديَّ انطباع بأن جيمس يشعر بالوحدة. لماذا يرغب رجل في نهاية العشرينيات من عمره في دفن نفسه في مكان مثل فراملينجهام؟ الحقيقة أنه لم تكن لديه الكثير من الخيارات. حددت علاقته بآلان هويته، ولا بد أن ذلك، إن لم يكن أي شيء آخر، كان سببًا لإنهاء العلاقة. بدا جيمس مرتاحًا للغاية وهو يتحدث معي. بتنا صديقين، ربما بسبب تلك السيجارة الأولى، وربما بسبب الظروف الغريبة التي جمعتنا معًا. أخبرني عن حياته المبكرة. قال:

- لقد نشأت في فينتنور، على جزيرة وايت. كرهت المكان هناك. في البداية، اعتقدت أن السبب هو أنها جزيرة، لأنني كنت محاطًا بالبحر. لكن في الواقع، كان ذلك بسبب هويتي. كان أبي وأمي من شهود يهوه، وأعرف أن ذلك يبدو جنونيًّا، لكنها الحقيقة. اعتادت أمي التجول في أرجاء الجزيرة، لتوزيع نسخ من مجلة برج المراقبة، من باب إلى باب.

توقف عن الحديث، ثم تابع قائلًا:

- هل تعرفين ماذا كانت أكبر مأساة لديها؟ لقد نفدت منها الأبواب.

لم تكن مشكلة جيمس تتعلق بالدين، ولا حتى البنية الذكورية لأسرته (كان لديه شقيقان أكبر منه)، بل كانت أن المثلية الجنسية تعتبر خطيئة.

قال:

- عرفت طبيعة ميولي عندما كنت في العاشرة من عمري، وعشت في رعب

حتى بلغت الخامسة عشرة. كان أسوأ ما في الأمر هو عدم وجود أي شخص يمكنني إخباره. لم أكن قريبًا من شقيقَي قَطُّ - أعتقد أنهما كانا يعلمان أنني مختلف - وجعلني العيش في جزيرة وايت أشعر كما لو أنني نشأت في الخمسينيات. لم يعد المكان سيئًا إلى هذه الدرجة الآن، على الأقل هذا ما سمعته. توجد بارات للمثليين في نيوبورت، ومناطق لتجول المثليين في جميع أرجاء المكان. لكن عندما كنت طفلًا، ومع قدوم كبار الطائفة إلى المنزل وما إلى ذلك، شعرت بالوحدة التامة. ثم قابلت فتى آخر في المدرسة، وبدأنا نعبث معًا، وحينها علمت أن عليَّ الرحيل، لأنني إذا بقيت، فسينتهي بي المطاف إلى أن أُضبَط متلبسًا وقد أسقطت سروالي حرفيًّا، وحينها سأتعرض للنبذ، وهو ما يفعله شهود يهوه ببعضهم حينما يشعرون بالغضب. عندما وصلت إلى مرحلة دراستي الثانوية، قررت أنني أريد أن أصبح ممثلًا. تركت المدرسة في السادسة عشرة، وتمكنت من الحصول على وظيفة في مسرح شانكلين، حيث عملت خلف الكواليس. لكنني رحلت عن الجزيرة بعد عامين، وأتيت إلى لندن. أعتقد أن عائلتي كانت سعيدة للغاية لرحيلي. لم أعد قَطُّ.

لم يستطع جيمس تحمُّل نفقات مدرسة الدراما، لكنه تلقى تدريبه في مكان آخر. التقى رجلًا في أحد البارات، وقُدِّم إلى منتج استغله في عدد من الأفلام التي لن تفوز بالعرض الأول على شاشة التلفزيون البريطاني الرسمي. أنا التي أتحدث باحتشام. كان هو صريحًا وفاحشًا فيما يتعلق بمسيرته المهنية في مجال الأفلام الإباحية الفاضحة، ومع ظهور تأثير زجاجة النبيذ الثانية، وجدنا نفسينا نضحك بصخب. عمل أيضًا في مجال البغاء، في لندن وأمستردام. قال:

- لم يكن لديَّ مانع من فعل ذلك. كان بعض عملائي منحرفين يثيرون الاشمئزاز، لكن معظمهم كانوا رجالًا أنيقين في منتصف العمر، مرعوبين تمامًا من انكشاف أمرهم. أؤكد لكِ أنه كان لديَّ كثير من العملاء المنتظمين. استمتعت بالجنس والمال، وحرصت على الاعتناء بنفسي.

تمكن جيمس من استئجار شقة صغيرة في ويست كنسينجتون، وباشر عمله هناك. كان أحد عملائه مديرًا مسؤولًا عن اختيار الممثلين، حتى إنه استطاع أن يحصل له على بعض الأدوار الشرعية.

بعد ذلك، التقى آلان كونواي.

- كان آلان عميلًا تقليديًّا: متزوجًا، ولديه ابن صغير. عثر على صورتي وبيانات الاتصال الخاصة بي على الإنترنت، ولم يخبرني باسمه حتى فترة طويلة. لم يرِدني أن أعرف أنه كاتب مشهور، لأنه اعتقد أنني سأبتزه أو أبيع قصتي لصحف الأحد، أو شيء من هذا القبيل. لكن هذا محض هراء. لم يعد أحد يفعل ذلك على الإطلاق.

اكتشف جيمس هوية آلان فقط عندما شاهده في أحد البرامج التلفزيونية الصباحية، يروج لواحد من كتبه. في الواقع، ذكرني ذلك بشيء ما. عندما بدأت روايات أتيكوس بوند تحقق مبيعات، فعل آلان كل ما في وسعه حتى لا يظهر على شاشة التلفزيون، على العكس تمامًا، في الواقع، من مؤلفينا الآخرين. في ذلك الوقت، افترضت أنه كان خجولًا. لكن إذا كان يعيش هذه الحياة المزدوجة، فقد بدا ذلك منطقيًّا تمامًا.

كنا قد انتهينا من الطبق الرئيسي وكلتا الزجاجتين، وخرجنا متعثرين إلى الفناء لتدخين سيجارة. كانت ليلة صافية، وبينما هو جالس تحت النجوم، مع قمر فائق الشحوب يتوسط سماءً سوداء، أخذ جيمس يتفكر. قال:

- لقد أحببت آلان حقًّا، كما تعلمين. كان من الممكن أن يتصرف كوغد عجوز بائس، خصوصًا عند انشغاله بتأليف أحد كتبه. كل تلك الأموال التي جناها من قصصه البوليسية، لم يبدُ أنها أسعدته قَطُّ. لكنني أسعدته. هذا ليس شيئًا سيئًا للغاية، أليس كذلك؟ بصرف النظر عما يعتقده الناس أو يقولونه، فقد كان بحاجة إليَّ. في البداية، دفع لي مقابل الليلة فقط، ثم ذهبنا في رحلتين معًا. اصطحبني إلى باريس وفيينا. قال لميليسا إنه يجري بعض الأبحاث. حتى إنه أخذني في جولة للكتب في أمريكا. إذا طرح أي شخص أسئلة،

فكان يقول إنني مساعده الشخصي. كما كانت لدينا غرف منفصلة في كل فندق، لكن بالطبع كانت لها أبواب متصلة. كان قد حدد لي أجرًا منتظمًا حينها، ولم يكن مسموحًا لي برؤية أي شخص آخر.

نفث الدخان، ثم حدق إلى طرف سيجارته المتوهج.

قال:

- أحب آلان مشاهدتي وأنا أدخن. بعد أن نمارس الجنس، كنت أدخن سيجارة عاريًا، وكان يراقبني. أنا آسف لأنني خذلته.

سألته:

- كيف فعلت ذلك؟

- تُقت إلى التغيير. كانت لديه كتبه وكتاباته، وشعرت بالملل وأنا جالس في فراملينجهام. كنت أصغره بأكثر من عشرين عامًا، كما تعلمين. لم يكن ثمة شيء هنا من أجلي. لذا بدأت أعود إلى لندن. قلت إنني أزور الأصدقاء، لكن آلان كان يعرف ما أفعله. بدا الأمر واضحًا. تجادلنا بشأن ذلك، لكنني لم أتوقف، وفي النهاية طردني، وأمهلني شهرًا لحزم حقائبي. عندما التقيت أنا وأنتِ، كنت على بعد يومين من أن أصبح بلا مأوى. كان جزء مني يأمل أننا قد نتصالح، لكنني في الواقع سعدت للغاية بانتهاء الأمر. لم أكن مهتمًّا بالمال. نظر إلينا الناس معًا، واعتقدوا أن المال هو كل ما اهتممت به، لكن هذا ليس صحيحًا. لقد اهتممت بآلان.

عدنا إلى الداخل، وبينما نحن نتناول عدة كؤوس من الويسكي، أخبرني جيمس عن خططه للمستقبل، متناسيًا أنه قد فعل ذلك بالفعل. كان سيذهب لقضاء إجازة بعض الوقت، في مكان حار. كما سيحاول التمثيل مرة أخرى.

- ربما أذهب إلى مدرسة الدراما. يمكنني تحمُّل تكلفة ذلك الآن.

على الرغم مما قاله عن آلان، فإنه بدأ بالفعل علاقة أخرى، هذه المرة مع شاب أقرب إليه في العمر. لا أعرف السبب، لكن عندما نظرت إليه وهو جالس إلى الطاولة بشعره الطويل المنساب، وعيناه غائمتان من تأثير الكحول، انتابني

شعور مفاجئ بأن الأمور لن تنتهي على ما يرام بالنسبة إليه. كانت فكرة غريبة، لكن ربما كان بحاجة إلى آلان كونواي بالطريقة نفسها التي احتاج بها جيمس فريزر إلى أتيكوس بوند. لم يكن له مكان آخر في الحكاية.

كان قد جاء بالسيارة، لكنني لم أسمح له بقيادتها بنفسه إلى المنزل، حتى لو كان على بعد ميل واحد فقط من الطريق. كما لو أنني عمة مسنة، صادرت مفاتيحه وجعلت الفندق يطلب له سيارة أجرة.

قال:

- عليَّ البقاء هنا. يمكنني تحمُّل تكلفة غرفة. يمكنني تحمُّل تكلفة الفندق بأكمله.

كانت هذه هي الكلمات الأخيرة التي قالها لي قبل رحيله، خارجًا بتردد وسط الليل.

«اعتاد إخفاء الأشياء...»

كان جيمس على حق. في لهب وسيانيد، التي تدور أحداثها في لندن، هناك شخصيات تُدعى: ليتون جونز، وفيكتوريا ويلسون، ومايكل لاتيمر، وبرينت أندروز، وواركويك ستيفنز. كل هذه الأسماء مأخوذة جزئيًّا أو كليًّا من محطات المترو. اسما القاتلتين، ليندا كول، ومتيلد أورر، كلاهما جناس القلب من كوليندال على الخط الشمالي، ولاتيمر رود. يشكِّل الكُتَّاب المثليون مجموعة شخصيات قرنفل أحمر لأتيكوس، أما في أتيكوس بوند يتولى القضية، حسنًا، يمكنكم اكتشاف ذلك بأنفسكم.

جون ووترمان

باركر بولز للدعاية والإعلان

كارولين فيشر

كارلا فيسكونتي

البروفيسور أوتو شنايدر

إليزابيث فابر

استيقظت في صباح اليوم التالي بعد الساعة السابعة مباشرة، وأنا أعاني الصداع، وطعمًا كريهًا في فمي. من الغريب أنني كنت لا أزال أمسك في يدي مفاتيح سيارة جيمس، وللحظة مروعة كدت أتوقع أن أفتح عينَي وأجده راقدًا بجواري. ذهبت إلى الحمَّام، وأخذت دشًّا طويلًا ساخنًا. بعد ذلك، ارتديت

ملابسي ونزلت لتناول القهوة السوداء وعصير الجريب فروت. كانت معي مخطوطة بدافع القتل، وعلى الرغم من حالتي، فلم يستغرق الأمر وقتًا طويلًا للعثور على ما كنت أبحث عنه.

أُطلق على جميع الشخصيات أسماء طيور.

عندما قرأت الكتاب لأول مرة، دوَّنت ملاحظة للتحدث مع آلان بخصوص السير ماجنوس باي، وباي هول. بدت لي الأسماء طفولية نوعًا ما، وعتيقة على أقل تقدير. بدت كأنها شيء من مجلة تان تان. عند مراجعته مرة أخرى، أدركت أن الجميع تقريبًا، حتى أصغر الشخصيات الثانوية، تلقوا المعاملة نفسها. هناك مَن هو واضح: الكاهن روبن، وزوجته هن. أما وايتهيد (تاجر التحف)، وريدوينج (الطبيبة)، وويفر (حفَّار القبور)، فكلها أنواع طيور شائعة إلى حدٍّ ما، وكذلك لانر وكرين (متعهدا دفن الموتى)، وكايت (مالك حانة فيريمان). بعضها أصعب قليلًا في تحديده. سُمِّيت جوي ساندرلنج على اسم طائر صغير يخوض في الماء، وجاك دارتفورد على اسم طائر مغرد. اسم برينت، المسؤول عن الحدائق، نوع من الإوز، واسمه الأوسط جاي، وهو نوع آخر من الطيور. كان هناك عالِم طبيعة في القرن التاسع عشر اسمه توماس بلاكيستون، سُمِّيت بومة باسمه، وهو مصدر الإلهام للأسرة التي في قلب الحكاية، وهلم جرًّا.

هل لهذا الأمر أهمية؟ حسنًا، في الواقع، نعم. أثار ذلك قلقي.

إن أسماء الشخصيات مهمة. عرفت كُتَّابًا استغلوا أصدقاءهم، في حين لجأ آخرون إلى الكتب المرجعية: قاموس أكسفورد للاقتباسات وموسوعة كامبريدج للسِّير، هما اثنان من التي سمعت ذكرها. ما السر وراء الاسم الجيد في الرواية؟ غالبًا ما تكون البساطة هي المفتاح. لم يصبح جيمس بوند ما هو عليه لوجود مقاطع لفظية كثيرة في اسمه. على الرغم من ذلك، فإن الاسم غالبًا ما يكون أول شيء تعرفه عن الشخصية، وأعتقد أنه من المفيد أن يلائمها بشكل مريح، وأن يبدو لائقًا بها. ريبوس ومورس كلاهما مثال جيد للغاية. كلاهما نوع من الشفرات، وبما أن دور المحقق عمليًّا هو فك شفرات الأدلة والمعلومات، فقد

قطعت نصف الطريق بالفعل. أخذ مؤلفو القرن التاسع عشر مثل تشارلز ديكنز الفكرة إلى أبعد من ذلك. مَن عساه يرغب في أن يدرس له واكفورد سكويرز، أو أن يعتني به السيد بامبل، أو أن يتزوج جيري كرانشر؟ لكن هذه صور هزلية مشوهة. كان أكثر حذرًا عندما يتعلق الأمر بالأبطال والبطلات الذين أراد أن يشعر القارئ بالارتباط بهم.

أحيانًا يعثر المؤلفون على أسماء أيقونية عن طريق المصادفة تقريبًا. أشهر مثال على ذلك هو شرينفورد هولمز، وأورموند ساكر. عليك أن تتساءل عما إذا كانا سيحققان النجاح العالمي نفسه، لو لم يعِد كونان دويل التفكير، واختار شرلوك هولمز والدكتور جون واتسون. لقد رأيت بالفعل المخطوطة التي أجرى فيها التغيير: جرة قلم واحدة صنعت تاريخًا أدبيًّا. على المنوال نفسه، هل كانت بانسي أوهارا ستشعل النار في العالم بالطريقة نفسها تمامًا كما فعلت سكارليت، بعد أن غيرت مارجريت ميتشل رأيها عقب انتهائها من ذهب مع الريح؟ للأسماء طريقتها في دمغ نفسها داخل وعينا. بيتر بان، لوك سكاي ووكر، جاك ريتشر، فاجن، شيلوك، موريارتي... هل يمكننا تخيلهم بأي شكل مختلف؟

الهدف من كل هذا هو أن الاسم والشخصية متشابكان، ويؤثر أحدهما في الآخر. لكن هذه ليست هي الحال في بدافع القتل، ولا في أيٍّ من الكتب الأخرى التي ألَّفها آلان كونواي والتي عملت على تحريرها. من خلال تحويل جميع شخصياته الثانوية إلى طيور أو محطات مترو أنفاق (أو ماركات أقلام حبر في أتيكوس بوند يتولى القضية)، فقد قلل من شأنهم، وهذا بدوره حط من قدرهم. ربما كنت أبالغ في ذلك. ففي النهاية، لم يكن من المفترض أن تكون قصصه البوليسية أكثر من مجرد ترفيه. لكن ذلك أوحى بنوع من اللامبالاة فحسب، وتقريبًا الازدراء حيال عمله، وقد أصابني هذا بالاكتئاب. كما أسفت أيضًا أنني لم ألاحظ ذلك من قبل.

بعد الإفطار، حزمت حقيبتي ودفعت حساب الغرفة، ثم توجهت بالسيارة إلى

آبي جرينج لتوصيل مفاتيح جيمس تيلور. كان من الغريب رؤية المنزل لما كنت متأكدة أنها ستكون المرة الأخيرة. ربما كان السبب هو سماء سوفوللك الرمادية، لكن المنزل بدا ذا طابع حزين، كما لو أنه استشعر ليس موت مالكه السابق فحسب، بل أيضًا حقيقة أنه لم يعد مرغوبًا فيه من خلفه. بالكاد تمكنت من إجبار نفسي على النظر إلى البرج، الذي بدا الآن كئيبًا ومصدر تهديد. خطر لي أنه إذا قُدر لأي مبنى أن يصير مسكونًا، فهو هذا المبنى. في يوم من الأيام، ليس في المستقبل البعيد، سيستيقظ المالك الجديد في منتصف الليل، أولًا بسبب صرخة في مهب الريح، ثم صوت خافت لشيء يرتطم بالعشب. كان جيمس محقًّا تمامًا في الرحيل.

فكرت في دق جرس الباب، لكنني قررت ألا أفعل. على الأرجح، كان جيمس لا يزال في الفراش. وعلى أي حال، ربما كان منفتحًا معي أكثر مما ينتوي بسبب تأثير الكحول. من الأفضل تجنُّب تبادل الاتهامات في الصباح التالي.

كان لديَّ موعد في إبسويتش. صدقت كلير جينكنز في حديثها، ورتبت لي لقاءً مع كبير مفتشي الشرطة لوك، ليس في مركز الشرطة، لكن في ستاربكس بالقرب من السينما. تلقيت رسالة نصية تحتوي على التعليمات: الساعة الحادية عشرة، ويمكنه منحي خمس عشرة دقيقة. كان لديَّ متسع من الوقت للوصول إلى هناك، لكنني أردت أولًا زيارة المنزل المجاور لآلان. رأيت جون وايت، بحذائه البرتقالي المضاد للمطر، في الجنازة. لكن لم تسنح لنا الفرصة بعد لتبادل الحديث. ذكر جيمس أن آلان اختلف معه، وقد ظهر كشخصية في بدافع القتل. أردت معرفة المزيد. نظرًا إلى كونه يوم أحد، كانت هناك فرصة كبيرة أن أجده في المنزل. لذا أسقطت مفاتيح جيمس في صندوق البريد، واستدرت بالسيارة.

على الرغم من الاسم، لم تكن هناك أي علامة على وجود أي أشجار تفاح في آبل فارم، كما أن المكان لم يشبه المزرعة في شيء. كان مبنى ضخمًا، تقليديًّا بدرجة أكبر كثيرًا من آبي جرينج، بُني على حد تقديري في الأربعينيات. بدا كل شيء جميلًا للغاية، وله ممر أنيق ممهد بالحصى، وسياجات شجرية مثالية،

ومساحات واسعة من العشب المقصوص على شكل خطوط خضراء. كان هناك مرأب مفتوح مقابل الباب الأمامي، مع سيارة رائعة للغاية متوقفة بالخارج: سيارة فيراري ٤٥٨ إيطاليا ذات مقعدين. لم أكن لأرفض الانطلاق مسرعة عبر بعض طرقات سوفولك في تلك السيارة، لكن لن يترك لي ذلك كثيرًا من المال بعد إنفاق مائتَي ألف جنيه إسترليني. من المؤكد أنها جعلت سيارتي الإم جي بي تبدو مؤسفة بعض الشيء.

رننت جرس الباب الأمامي. خمنت أن المنزل لا بد أن يكون به ما لا يقل عن ثماني غرف نوم، وأنه بالنظر إلى حجمه، فقد أنتظر وقتًا طويلًا قبل أن يصل إليَّ أي شخص. لكن في الواقع، انفتح الباب على الفور تقريبًا، ووجدت نفسي في مواجهة امرأة ذات مظهر عدواني، لها شعر أسود مفروق من المنتصف، وترتدي ملابس ذكورية تمامًا: سترة رياضية، وسروالًا ضيقًا، وحذاءً بارتفاع الكاحل. هل كانت زوجته؟ لم تكن في الجنازة. بطريقة ما، كنت أشك في ذلك.

قلت:

- أتساءل عما إذا كان بإمكاني التحدث إلى السيد وايت؟ هل أنت السيدة وايت؟

- لا، أنا مدبرة منزل السيد وايت. مَن أنتِ؟

- أنا صديقة آلان كونواي. في الواقع، كنت محررته. أنا بحاجة إلى سؤال السيد وايت عما حدث. الأمر في غاية الأهمية.

أعتقد أنها كانت على وشك أن تطلب مني الانصراف، لكن في تلك اللحظة، ظهر رجل خلفها في الردهة. سأل صوت:

- مَن هناك يا إليزابيث؟

- إنها امرأة ما، تسأل عن آلان كونواي.

خاطبته من فوق كتفها قائلة:

- اسمي سوزان رايلاند. سيستغرق الأمر خمس دقائق فقط، لكنني سأكون ممتنة حقًّا.

بدوت منطقية للغاية، إلى درجة أنه كان من الصعب على وايت أن يرفض طلبي. قال:

- من الأفضل أن تدخلي.

تنحت مدبرة المنزل جانبًا وتجاوزتها إلى الردهة. وقف جون وايت أمامي، وتعرَّفت عليه على الفور من الجنازة. كان ضئيلًا للغاية، وبالغ النحافة، ذا مظهر غير مميز، وله شعر داكن حليق، قابله الشعر القصير الخشن الدائم على ذقنه. كان يرتدي قميصًا رسميًّا، وكنزة لها فتحة رقبة على شكل «V». وجدت صعوبة في تخيله خلف عجلة قيادة الفيراري. لم يكن هناك أي شيء عدواني فيه على الإطلاق.

سأل:

- هل يمكنني أن أحضر لكِ بعض القهوة؟

- شكرًا لك. سيكون هذا لطيفًا.

أومأ برأسه إلى مدبرة المنزل التي كانت تتوقع هذا، فذهبت لإحضارها. قال:

- تعالي إلى غرفة الجلوس.

ذهبنا إلى غرفة كبيرة تطل على الحدائق الخلفية. كان هناك أثاث حديث وفن باهظ الثمن على الجدران، بما في ذلك واحد من تلك الأعمال المضاءة بالنيون من تصميم تريسي إيمين. لاحظت صورة لفتاتين جميلتين، توأمتين. هل كانتا ابنتيه؟ عرفت على الفور أنه باستثناء مدبرة المنزل، فقد كان بمفرده في المنزل. لذلك إما أن أسرته كانت غائبة، وإما أنه مطلق. اشتبهت في ذلك الخيار الأخير.

سألني:

- ما الذي تريدين معرفته عن آلان؟

بدا كل شيء عاديًّا جدًّا، لكنني بحثت في جوجل ذلك الصباح، وعلمت أن هذا الرجل أدار ليس صندوقًا واحدًا، بل اثنين من أنجح صناديق التحوُّط لشركة كبيرة في المدينة. صنع لنفسه اسمًا، وكوَّن ثروة للجميع من خلال توقع أزمة الائتمان، وتقاعد في سن الخامسة والأربعين بأموال أكثر مما كنت أحلم بها، إذا

كان لديَّ هذا النوع من الأحلام. لكنه لا يزال يعمل على الرغم من ذلك. استثمر الملايين، وجنى ملايين أكثر، من الساعات، ومواقف السيارات، والممتلكات، وأيًّا ما كان. كان من ذلك النوع من الرجال الذين يمكنني النفور منهم بسهولة - في الواقع، جعلت الفيراري الأمر أسهل - لكنني لم أفعل. لا أعرف لمَ لا. ربما كان السبب ذلك الحذاء البرتقالي ماركة «هانتر». قلت:

- لقد رأيتك في الجنازة.

- أجل، اعتقدت أنه يتعين عليَّ الذهاب، لكنني لم أبقَ لتناول المشروبات على الرغم من ذلك.

- هل كنت أنت وآلان مقربين؟

- كنا جارين، إذا كان هذا ما تعنيه. كنا نرى بعضنا كثيرًا. قرأت اثنين من كتبه، لكنني لم أحبهما بدرجة كبيرة. لا يسنح لي كثير من الوقت للقراءة، ولم تكن كتبه من النوع الذي يعجبني.

- سيد وايت...

ترددت. لن يكون هذا الأمر سهلًا.

- ناديني باسم جون.

- ... حسب ما فهمت، فقد اختلفت أنت وآلان قبل وفاته بفترة قصيرة.

قال من دون أن يتأثر بالسؤال:

- هذا صحيح، لماذا تسألين؟

- أحاول معرفة كيف مات.

كانت لجون وايت عينان عسليتان ناعمتان، لكن عندما قلت ذلك، ظننت أنني رأيت شيئًا يومض بهما، وشعرت بدوران تروس آلة داخلية من نوع ما. قال:

- لقد انتحر.

- نعم، بالطبع. لكنني أحاول فهم حالته العقلية عندما فعل ذلك.

- آمل ألا تكوني تلمحين...

كنت ألمح إلى أشياء عديدة، لكنني تراجعت بلطف قدر استطاعتي.

- لا، على الإطلاق. كما أوضحت لمدبرة منزلك، فأنا أعمل لدى ناشره، وفي الواقع، فقد ترك لنا كتابًا أخيرًا.

- هل أنا موجود فيه؟

كان موجودًا فيه بالفعل. حوَّله آلان إلى جوني وايتهيد، تاجر التحف المنحرف الذي أُرسل إلى السجن في لندن. كانت تلك هي الإيماءة البذيئة الأخيرة التي وجهها إلى صديقه السابق. كذبت قائلة:

- لا.

- يسعدني سماع ذلك.

جاءت مدبرة المنزل ومعها صينية القهوة، فاسترخى وايت. لاحظت أنها بعد أن صبت فنجانين، وقدمت الكريمة والبسكويت المصنوع منزليًّا، لم تبذل أي جهد للمغادرة، وبدت سعيدة بوجودها هناك. قال:

- هذا ما حدث، بما أنك تريدين أن تعرفي. تعارفت أنا وآلان منذ اليوم الذي انتقل فيه إلى هنا، وكما قلت، انسجمنا معًا تمامًا. لكن الأمور ساءت منذ ثلاثة أشهر تقريبًا. اشتركنا في بعض الأعمال معًا. أريد أن أوضح لك تمامًا يا سوزان، أنني لم ألوِ ذراعه أو أي شيء من هذا القبيل. أعجبه الموضوع، وأراد المشاركة.

سألته:

- ماذا كان الموضوع؟

- لا أعتقد أنك تعرفين الكثير عن نوعية عملي. لقد تعاملت كثيرًا مع و و إ أ، وهي ترمز إلى الوكالة الوطنية لإدارة الأصول. لقد أنشأتها الحكومة الأيرلندية بعد انهيار عام ١٩٩٨، بالأساس لبيع الشركات التي تعرضت للإفلاس. كان هناك مبنى إداري في دبلن لفت انتباهي، سيتكلف شراؤه اثني عشر مليونًا، وكان بحاجة إلى أربعة أو خمسة ملايين إضافية لإنفاقها عليه، لكنني ظننت أن باستطاعتي إنجاحه. وعندما ذكرت هذا لآلان، سأل ما إذا كان بوسعه الانضمام إلى م غ خ.

- م غ خ؟
- منشأة ذات غرض خاص.

إذا كان جهلي التام قد أزعجه، فلم يدع ذلك يظهر عليه. واصل قائلًا:

- إنها مجرد طريقة فعَّالة من حيث التكلفة لجمع ستة أو سبعة أشخاص معًا لتنفيذ هذا النوع من الاستثمار. على أي حال، سأختصر الحكاية. فشل الأمر برمته. كنا سنشتري المبنى من رجل يُدعى جاك دارتفورد، واتضح أنه محتال تمامًا - كذب، وتزوير - سمِّيه ما شئتِ. أؤكد لك يا سوزان، لم يكن بوسعك مقابلة رجل أكثر جاذبية. جلس حيث تجلسين أنت الآن، وجعل جميع مَن بالغرفة يضجون بالضحك. لكن اتضح أنه لم يكن يمتلك العقار حتى، وفوجئنا أنه هرب بأربعة ملايين جنيه من أموالنا. ما زلت أبحث عنه الآن، لكن لا أعتقد أنه سيُعثر عليه.

- هل ألقى آلان عليك اللوم؟

ابتسم وايت وقال:

- يمكنكِ قول ذلك. في الواقع، لقد غضب بشدة. انظري، خسرنا جميعًا المبلغ نفسه، وقد حذرته عند اشتراكه، لا يمكنك أبدًا أن تكوني متأكدة بنسبة مائة في المائة فيما يتعلق بهذه الأشياء. لكنه ظن أنني سرقته بطريقة ما، وكان ذلك خطأً تمامًا. أراد مقاضاتي، وهددني! لم أستطع دفعه إلى التفكير بطريقة منطقية.

- متى كانت آخر مرة رأيته فيها؟

كان على وشك تناول قطعة بسكويت. رأيت يده تتردد، وفي الوقت نفسه نظر إلى اتجاه مدبرة المنزل. ربما تعلم كيفية الحفاظ على جمود ملامحه عندما كان في كلية إدارة الأعمال، لكنها لم تدرس في الصف الدراسي نفسه، ورأيت توترها عاريًا وواضحًا. أشار ذلك إلى الكذبة التي كانت قادمة في الطريق. قال:

- لم أرَه منذ بضعة أسابيع.
- هل كنت هنا يوم الأحد عندما مات؟

- أعتقد ذلك، لكنه لم يتصل بي. إذا كنت تريدين الحقيقة، كنا نتواصل فقط من خلال المحامين. ولا أريدك أن تعتقدي أن تعاملاته معي كانت مرتبطة بأي شكل من الأشكال بما حدث، أعني بوفاته. بالتأكيد، خسر بعض المال. خسرنا جميعًا. لكنه لم يكن شيئًا لا يستطيع تحمُّله. لم يكن سيضطر إلى بيع ممتلكاته، أو أي شيء من هذا القبيل. إذا لم يكن قادرًا على تحمُّل التكاليف، لما سمحت له بالاشتراك.

رحلت بعد ذلك بوقت قصير. لاحظت أن إليزابيث، مدبرة المنزل، لم تقدم لي فنجانًا ثانيًا من القهوة. انتظرا عند عتبة الباب بينما ركبت سيارتي الإم جي بي، وظلا واقفين هناك معًا، يراقبانني وأنا أعود بالسيارة عبر الممر.

ستاربكس، إبسويتش

هناك نظام طرق ذو اتجاه واحد واضح المعالم يقودك حول أطراف إبسويتش، وهو الأمر الذي يلائمني، لأنها مدينة لم أستمتع كثيرًا بدخولها على الإطلاق. هناك محال تجارية كثيرة بدرجة زائدة على الحد، والقليل جدًّا مما سواها. من المحتمل أن الناس الذين يعيشون هناك يحبونها، لكن لديَّ ذكريات سيئة. اعتدت اصطحاب جاك وديزي، ابنَي شقيقتي، إلى حمَّامات السباحة في فندق ذا كراون، وأقسم بالرب إنه لا يزال بإمكاني شم رائحة الكلور. كما لم أتمكن قَطُّ من العثور على مكان في مواقف السيارات اللعينة. كنت أضطر إلى الوقوف في الصف دهرًا بأكمله، لمجرد الدخول والخروج. افتتحوا مؤخرًا واحدًا من تلك المجمعات ذات الطراز الأمريكي في الجهة المقابلة للمحطة مباشرة، به عشرة مطاعم تقريبًا للوجبات السريعة، ومجمع سينمات. يبدو لي أن فصل المنطقة الترفيهية على هذا النحو يؤدي إلى قتل المدينة، لكن كان هذا هو المكان الذي قابلت فيه ريتشارد لوك، لمدة خمس عشرة دقيقة التي كان كريمًا بما يكفي لمنحي إياها.

وصلت أولًا. في الساعة الحادية عشرة والثلث، كنت قد قررت تقريبًا أنه لن يأتي، لكن الباب انفتح حينها، ودخل وهو بادي الغضب. رفعت يدًا، وتعرَّفت عليه في الحال. كان بالفعل هو الرجل الذي رأيته مع كلير في الجنازة، لكن لم يكن لديه سبب لمعرفتي. كان يرتدي بدلة، لكن من دون ربطة عنق. كان هذا يوم

إجازته. جاء وجلس بتثاقل، وارتطم كل ذلك اللحم والعضلات القوية بالكرسي البلاستيكي، فكان أول ما فكرت فيه أن هذا ليس شخصًا أريده أن يعتقلني. شعرت بعدم الارتياح حتى عندما عرضت عليه القهوة. طلب الشاي، فذهبت وأحضرته له، كما أحضرت له فطيرة أيضًا.

قال:

- وفق ما فهمت، فأنت مهتمة بآلان كونواي.

- كنت محررته.

- وكانت كلير جينكنز شقيقته.

توقف عن الحديث، ثم تابع قائلًا:

- إنها تعتقد أنه قُتل. هل هذا ما تعتقدينه؟

كانت هناك نبرة صارمة وجادة في صوته، تشارف حد الغضب في الواقع، وانعكست في عينيه أيضًا. ثبتهما عليَّ، كما لو أنه هو الذي أمر بهذا الاستجواب. لم أكن متأكدة تمامًا من كيفية الرد. لم أكن متأكدة حتى بماذا أناديه. كان اسم ريتشارد غير رسمي بدرجة زائدة على الحد على الأرجح، كما كان السيد لوك خاطئًا. بدا لقب كبير مفتشي الشرطة مستمدًّا من التلفزيون إلى حدٍّ كبير، لكن هذا ما اخترته. سألته:

- هل رأيت الجثة؟

- لا، شاهدت التقرير.

قطع جزءًا من فطيرته على مضض تقريبًا، لكنه لم يأكله. واصل الحديث:

- استُدعي ضابطان من ليستون إلى مكان الحادث. شاركت فقط لأنني تصادف أن كنت أعرف السيد كونواي. كما أنه كان مشهورًا، وبدا من الواضح أنه سيكون هناك اهتمام من الصحافة.

- هل عرَّفتك كلير عليه؟

- أعتقد أن الأمر كان معكوسًا، في الواقع يا آنسة رايلاند. احتاج إلى مساعدة في كتبه، فعرَّفته عليَّ. لكنك لم تجيبي عن سؤالي. هل تعتقدين أنه قُتل؟

- أعتقد أن هذا ممكن، نعم.

كان سيقاطعني، فتابعت الحديث بسرعة. أخبرته عن الفصل المفقود الذي أتى بي إلى سوفولك لأول مرة. ذكرت مفكرة آلان، وعدد المواعيد التي رتبها للأسبوع الذي تلا وفاته. لم أذكر الأشخاص الذين تحدثت إليهم، إذ لم يبدُ من الإنصاف توريطهم في الموضوع. لكنني شرحت شعوري حيال رسالة الانتحار للمرة الأولى، وكيف أنها ليست منطقية تمامًا. أوضحت قائلة:

- لا يتحدث عن الموت إلا في الصفحة الثالثة فقط، لكنه كان يُحتضر على أي حال. كان مصابًا بالسرطان. لا تذكر الرسالة في أي مكان أنه على وشك الانتحار.

- ألا تعتقدين أنه من الغريب بعض الشيء أنه أرسلها إلى ناشره قبل يوم واحد من إلقاء نفسه من ذلك البرج؟

- ربما لم يكن هو مَن أرسلها. ربما قرأ شخص ما الرسالة وأدرك أنه يمكن إساءة تفسيرها. دفعوا آلان من فوق البرج، ثم أرسلوا الرسالة بأنفسهم. كانوا يعلمون أننا سنقفز إلى الاستنتاج الخطأ بسبب التوقيت تحديدًا.

- لا أعتقد أنني قفزت إلى أي استنتاجات خاطئة يا آنسة رايلاند.

لم يكن ينظر إليَّ بتعاطف، وعلى الرغم من أنني انزعجت نوعًا ما، فإن الشيء الغريب هو أنه لم يكن مخطئًا في الشك بي في ذلك الوقت. كان هناك شيء ما في الرسالة كان يجب عليَّ، من بين جميع الناس، أن ألاحظه، لكنني لم أفعل. وصفت نفسي بأنني محررة، لكنني عميت عن الحقيقة، حتى عندما كانت حاضرة أمام عينَي مباشرة.

شرعت في الحديث قائلة:

- كان هناك كثير من الناس الذين لم يحبوا آلان.

- هناك كثير من الأشخاص الذين لا يحبون كثيرًا من الناس، لكنهم لا يتجولون في الأرجاء لقتلهم.

أتى إلى هنا بنية إخباري بهذا، والآن بعد أن بدأ، فلن يتوقف.

- يبدو أن الأشخاص الذين هم مثلك لا يفهمون أن لديك فرصة أكبر للفوز باليانصيب، أكثر من فرصة تعرضك للقتل. هل تعرفين معدل جرائم القتل في العام الماضي؟ خمسمائة وثمانية وتسعون شخصًا: هذا من أصل ستين مليون نسمة تقريبًا! في الواقع، سأخبرك بشيء قد تجدينه مسليًا. هناك بعض المناطق في البلاد حيث تحل الشرطة بالفعل جرائم أكثر مما ارتُكِبت. هل تعلمين السبب في ذلك؟ إن معدلات جرائم القتل تنخفض بسرعة كبيرة، ولديهم الوقت للنظر في القضايا الباردة التي ارتُكِبت منذ سنوات.

لا أفهم ذلك: كل جرائم القتل هذه على شاشة التلفزيون، كان المرء ليظن أن الناس لديهم ما هو أفضل لقضاء أوقاتهم. كل ليلة، على كل قناة لعينة. الناس لديهم نوع من الهوس. وما يزعجني حقًّا هو أنه لا يشبه الحقيقة في شيء. لقد رأيت ضحايا جرائم قتل، وحققت في جرائم قتل. كنت موجودًا هنا عندما كان ستيف رايت يقتل البغايا. سفَّاح إبسويتش، هذا هو اللقب الذي أطلقوه عليه. لا يخطط الناس لمثل هذه الأشياء. إنهم لا يتسللون إلى منازل ضحاياهم ويلقون بهم من فوق السطح، ثم يرسلون رسائل على أمل أن يُساء تفسيرها، على حد تعبيرك. وهم لا يرتدون الشعر المستعار، ويرتدون ملابس للتخفي كما يفعلون في أعمال أجاثا كريستي. كل جرائم القتل التي حققت فيها حدثت لأن الجناة كانوا هائجين، أو غاضبين، أو مخمورين، وأحيانًا الثلاثة معًا. كما أنها فظيعة، ومقززة. لا يشبه الأمر ممثلًا ما مستلقيًا على ظهره، مع قليل من الطلاء الأحمر على حلقه. عندما ترين شخصًا ما انغرس فيه سكين، فإن ذلك يصيبك بالغثيان. الغثيان، حرفيًّا.

هل تعلمين لماذا يقتل الناس بعضهم بعضًا؟ يفعلون ذلك لأنهم فقدوا عقولهم. هناك ثلاثة دوافع فقط: الجنس، والغضب، والمال. تقتلين شخصًا ما في الشارع، تغمدين فيه سكينًا، وتأخذين أمواله. تتشاجرين

معهم، فتحطمين زجاجة وتمزقين حلقهم. أو تقتلينهم لأن ذلك يشعرك بالإثارة. جميع القتلة الذين قابلتهم كانوا في منتهى الغباء. ليسوا أشخاصًا أذكياء، وليسوا أثرياء ولا من الطبقة العليا. أغبياء للغاية. وهل تعرفين كيف نمسك بهم؟ لا نطرح عليهم أسئلة ذكية، ونتوصل إلى أنهم ليست لديهم حجة غياب، وأنهم لم يكونوا في الواقع حيث كان من المفترض وجودهم. نضبطهم على نظام الدوائر التلفزيونية المغلقة. في نصف الحالات، يتركون حمضهم النووي في جميع أنحاء مسرح الجريمة، أو يعترفون. ربما عليك أن تنشري الحقيقة ذات يوم، على الرغم من أنني أؤكد لك أن أحدًا لن يرغب في قراءتها.

سأخبركِ ما الذي أزعجني حقًّا بشأن آلان كونواي. لقد ساعدته، على الرغم من أنه لم يقدم لي أي شيء قَطُّ على سبيل الشكر. لكن هذه قصة أخرى. لا، بادئ ذي بدء، لم يكن مهتمًّا بالحقيقة. لماذا يظهر كل مفتشي المباحث في كتبه في قمة الغباء؟ هل تعلمين حتى إنه بنى أحدهم عليَّ؟ ريموند تشاب، هذا أنا. أوه، إنه ليس أسود البشرة. لم يكن ليجرؤ على التمادي إلى هذا الحد. لكن تشاب، هل تعرفين مَن هم؟ إنهم يصنعون الأقفال. هل فهمتِ؟ وكل تلك الأشياء التي كتبها عن الزوجة في نفوس شريرة، كانت تلك زوجتي التي كتب عنها. كنت غبيًّا بما يكفي لإخباره، ومضى قُدمًا ووضع ذلك في كتابه من دون استئذاني قَطُّ.

كان هذا هو مصدر غضبه إذن. من الطريقة التي تحدث بها لوك، عرفت أنه ليس مهتمًّا بي، وأنه لن يقدم العون. ربما أوشكت على إضافته إلى قائمة المشتبه فيهم.

اختتم حديثه قائلًا:

– ليست لدى الجمهور أي فكرة عما تفعله الشرطة حقًّا في هذا البلد، وهذا بفضل أشخاص مثل آلان كونواي، ومثلك. وآمل ألا تمانعي في قولي هذا يا آنسة رايلاند، لكنني أجد أنه من المثير للشفقة بعض الشيء كونك تحاولين صنع لغز واقعي، مما هو في الواقع حالة انتحار نموذجية. كان لديه

الدافع. كان مريضًا، وكتب رسالة. انفصل للتو عن صديقه، وكان وحيدًا. لذا اتخذ القرار، وقفز. إذا أردت نصيحتي، فعودي إلى لندن وانسي الأمر. شكرًا على الشاي.

كان قد انتهى من تناوله، وخرج. ترك الفطيرة ممزقة إربًا على طبقه.

كراوتش إند

كان أندرياس في انتظاري عندما دخلت. عرفت منذ اللحظة التي فتحت فيها الباب، بسبب الرائحة المنبعثة من المطبخ. أندرياس طاهٍ رائع. إنه يطبخ بطريقة ذكورية للغاية، محدثًا قعقعة بالمقالي، ويلقي بالمكونات من دون قياسها، ويعمل كل شيء بسرعة كبيرة على ألسنة لهب عالية، مع كأس من النبيذ الأحمر في يده. لم يسبق أن رأيته يستشير كتاب طهي. كانت المائدة مُعدة لشخصين، مع شموع وزهور بدا أنها أتت من حديقة، وليست من متجر. ابتسم ابتسامة عريضة عندما رآني، وعانقني.

قال:

– ظننت أنكِ لن تأتي.

– ماذا يوجد على العشاء؟

– لحم ضأن مشوي.

– هل يمكنك أن تمنحني خمس دقائق؟

– يمكنني منحكِ خمس عشرة دقيقة.

استحممت وبدلت ملابسي، وارتديت سترة فضفاضة وسروالًا ضيقًا، وهو ذلك النوع من الملابس التي تطمئنني أنني لن أخرج مرة أخرى الليلة. أتيت إلى الطاولة بشعر رطب، والتقطت كأس النبيذ العملاقة التي صبها لي أندرياس.

– تشيرز.

- ياماس.
بالإنجليزية، واليونانية: كان ذلك واحدًا آخر من تقاليدنا.

جلسنا وتناولنا الطعام، وأخبرت أندرياس بكل ما حدث في فراملينجهام: الجنازة، وكل شيء آخر. عرفت في الحال أنه لم يكن مهتمًا بدرجة كبيرة. استمع بأدب، لكن لم يكن هذا ما تمنيته. أردته أن يستجوبني، ويتحدى افتراضاتي. ظننت أنه ربما يمكننا استكشاف الأمر، كثنائي من شمال لندن مثل تومي وتوبنس (الثنائي البوليسي الأقل نجاحًا نوعًا ما، لأجاثا كريستي). لكنه لم يكترث حقًّا بمَن قتل الآن. تذكرت أنه لم يكن يريدني أن أباشر التحقيق في الأمر من الأساس، وتساءلت عما إذا كنت قد أزعجته - الجانب اليوناني منه - بالمضي قُدمًا في الموضوع على أي حال.

في الواقع، كان ذهنه منشغلًا بأشياء أخرى. أعلن قائلًا فجأة وهو يقدم الطعام:
- لقد قدمت إشعارًا باستقالتي.
- في المدرسة؟ قدمته بالفعل؟
شعرت بالدهشة.
ألقى إليَّ نظرة سريعة قائلًا:
- أجل، سأرحل عند نهاية الفصل الدراسي. لقد أخبرتكِ بما سأفعله.
- قلت لي إنك تفكر في الموضوع.
- أخذ يانيس يدفعني إلى اتخاذ قرار. لن ينتظر أصحاب الفندق وقتًا أطول كثيرًا، والمال موجود. تمكنا من الحصول على قرض من البنك، وقد تكون هناك منح مختلفة متاحة من الاتحاد الأوروبي. كل شيء يتحقق يا سوزان. سيُفتَتح بوليدوروس الصيف المقبل.
- بوليدوروس؟ هل هذا اسمه؟
- نعم.
- إنه اسم جميل.
لا بد لي من الاعتراف بأنني شعرت بالضيق بعض الشيء. طلب مني أندرياس

الزواج تقريبًا، لكنني افترضت أنه سيمهلني بعض الوقت لاتخاذ القرار. بدا الآن كما لو أنه يعرض عليَّ صفقة منتهية. فلتجلب تذكرة الطائرة، ومريلة المطبخ، ويمكننا الانطلاق في طريقنا. كان معه جهاز الآيباد الخاص به، فدفعه على الطاولة ونحن نتناول الطعام، وعرض عليَّ صورًا. بدا بوليدوروس مكانًا جميلًا بالفعل. كانت هناك شرفة طويلة مبلطة بأحجار غير منتظمة، وبها تعريشة من القش، وطاولات خشبية بألوان زاهية، وخلفها بحر متلألئ. كان المبنى نفسه مطليًّا باللون الأبيض بمصاريع زرقاء، وميزت بالكاد وجود بار به آلة صنع قهوة من الطراز القديم، منزوٍ بعيدًا في الداخل، في الظل. كانت غرف النوم بسيطة، لكنها بدت نظيفة وتوحي بالترحاب. استطعت بسهولة تخيل نوعية الأشخاص الذين سيرغبون في البقاء هناك: زوَّار، بدلًا من سياح.

سألني:

- ما رأيكِ؟

- يبدو جميلًا.

- أنا أفعل هذا لكلينا يا سوزان.

- لكن ماذا سيحدث «لكلينا»، إذا لم أرغب في المجيء؟

أغلقت غطاء الآيباد. لم أعد أرغب في النظر إليه. واصلت قائلة:

- ألم يكن بوسعك الانتظار فترة أطول بعض الشيء، قبل المضي قُدمًا في الأمر؟

- كان عليَّ أن أحسم رأيي - بشأن الفندق - وهذا ما فعلته. لا أريد أن أكون مدرسًا طيلة حياتي، وعلى أي حال، أنا وأنتِ... هل هذا هو أفضل ما في استطاعتنا؟

وضع سكينه وشوكته. لاحظت كيف رتبهما بدقة على جانبَي طبقه. واصل قائلًا:

- نحن لا نرى بعضنا طوال الوقت. هناك أسابيع لا نرى فيها بعضنا على الإطلاق. وقد أوضحت أنك لا تريدينني أن أنتقل للإقامة معك...

أظهرت ضيقي من ذلك، وقلت:

- هذا ليس صحيحًا. أنت مرحب بك هنا، لكنك في المدرسة معظم الوقت. ظننت أنك تفضِّل هذه الحال.
- كل ما أقوله إننا نستطيع أن نمضي وقتًا أكثر معًا. يمكننا إنجاح هذا الأمر. أعرف أنني أطلب الكثير، لكنك لن تعرفي حتى تحاولي. أنت لم تذهبي حتى إلى كريت من قبل! تعالي بضعة أسابيع في الربيع، وانظري إذا أعجبك الأمر.
لم أقل شيئًا، فأضاف قائلًا:
- أنا في الخمسين من عمري. إذا لم أتحرك في هذا الموضوع فلن يتحقق أبدًا.
- ألا يستطيع يانيس تولي الأمر من دونك؟
- أحبك يا سوزان، وأريدك أن تكوني معي. أعدك أنك إذا لم تكوني سعيدة، فيمكننا العودة معًا. لقد ارتكبت ذلك الخطأ بالفعل، ولن أكرره مرتين. إذا لم ينجح الأمر، فيمكنني الحصول على وظيفة أخرى في مجال التدريس.
لم أعد أشعر بالرغبة في الأكل. مددت يدي وأشعلت سيجارة. قلت:
- هناك شيء لم أخبرك به. لقد طلب مني تشارلز تولي إدارة الشركة.
اتسعت عيناه عندما سمع هذا.
- هل تريدين ذلك؟
- عليَّ التفكير في الأمر يا أندرياس. إنها فرصة رائعة. يمكنني توجيه دار كلوفرليف في أي اتجاه أريده.
- ظننت أنكِ قلت إن دار كلوفرليف انتهى أمرها.
- لم أقل ذلك قَطُّ.
بدت عليه خيبة الأمل، فأضفت قائلة:
- هل هذا ما كنت تأمله؟
- هل يمكنني أن أكون صادقًا يا سوزان؟ ظننت، عندما مات آلان، أنها ستكون النهاية بالنسبة إليك، نعم. اعتقدت أن الشركة ستغلق أبوابها، وأنك ستمضين قُدمًا، وأن الفندق سيكون هو الجواب بالنسبة إلى كلينا.

- الأمر ليس على هذا النحو. قد لا يكون الوضع سهلًا لمدة عامين، لكن دار كلوفرليف لن تختفي بين عشية وضحاها. سأنشر لمؤلفين جدد...

- هل تريدين العثور على أتيكوس بوند آخر؟

قالها بدرجة من الازدراء، إلى درجة أنني توقفت، متفاجئة. قلت:

- ظننت أنك أحببت الكتب.

مد يده وتناول مني السيجارة، ودخنها للحظة، ثم أعادها. كان هذا شيئًا نفعله من دون وعي، حتى عندما نكون غاضبين من بعضنا. قال:

- لم أحب الكتب قَطُّ. قرأتها لأنكِ عملت عليها، ومن الواضح أنني أهتم بأمرك. لكنني أعتقد أنها محض هراء.

صدمت، ولم أعرف ماذا أقول.

- لقد جنت الكثير من الأموال.

- إن السجائر تجني الكثير من الأموال، وورق التواليت يجني الكثير من الأموال. هذا لا يعني أنها تساوي شيئًا.

- لا يمكنك قول ذلك!

- لمَ لا؟ كان آلان كونواي يهزأ بك يا سوزان. كان يهزأ بالجميع. أنا أفهم بشأن الكتابة، فأنا أدرس أعمال هومر، بحق السماء! وأدرس أعمال إسخيلوس. كان آلان يعلم حقيقة تلك الكتب، وكان يعرف ذلك وهو يعمل على تأليفها. إنها حثالة، مكتوبة على نحو رديء!

- لا أتفق معك. إنها مكتوبة بشكل جيد للغاية، واستمتع بها الملايين من الناس.

- إنها لا تساوي شيئًا! ثمانون ألف كلمة لإثبات أن كبير الخدم هو مَن ارتكب الجريمة؟

- أنت تتصرف بتعالٍ فحسب.

- وأنت تدافعين عن شيء لطالما عرفت أنه ليست له قيمة على الإطلاق.

لم أكن متأكدة متى تحوَّل النقاش إلى مثل هذا الجدال اللاذع. بدت الطاولة

جميلة للغاية مع الشموع والزهور، وكان الطعام جيدًا جدًّا. لكننا أمسكنا بخناق بعضنا.

تذمرت قائلة:

- لو لم أكن أعرفك بشكل أفضل، لقلت إنك تشعر بالغيرة. لقد عرفتَه قبل أن أعرفه أنا، كلاكما كان معلمًا، لكنه تمكن من الإفلات...

- أنت محقة بشأن شيء واحد يا سوزان. لقد عرفته قبلك بالفعل، ولم أكن أحبه.

- لمَ لا؟

- لن أخبركِ. كل هذا في الماضي، ولا أريد أن أثير استياءك.

- أنا مستاءة بالفعل.

- أنا آسف. أنا أخبرك بالحقيقة فحسب. أما بالنسبة إلى المال الذي جناه، فأنت محقة في ذلك أيضًا. لم يكن يستحق أيًّا منه، ولا بنسًا واحدًا. وطوال الوقت الذي عرفتك فيه، كرهت الطريقة التي كان عليكِ تملُّقه بها. أؤكد لك يا سوزان، لم يكن يستحقك.

- كنت محررته، هذا كل ما في الأمر. ولم أحبه أنا أيضًا!

أجبرت نفسي على التوقف. كرهت المنحى الذي يتخذه هذا الموضوع.

- لماذا لم تقل أيًّا من هذا من قبل؟

- لأنه لم يكن ذا صلة، لكنه بات كذلك الآن. أنا أطلب منك أن تكوني زوجتي!

- حسنًا، لديك أسلوب غريب في القيام بذلك.

قضى أندرياس الليلة، لكن لم تكن هناك أيٌّ من الصحبة التي تمتعنا بها في تلك الليلة الأولى التي عاد فيها من كريت. أخلد إلى النوم مباشرة، وغادر في وقت مبكر جدًّا من صباح اليوم التالي من دون إفطار. كانت الشموع قد احترقت. لففت لحم الضأن بورق قصدير فضي، ووضعته في الثلاجة. بعد ذلك، توجهت إلى العمل.

دار كلوفرليف بوكس للنشر

لطالما أحببت أيام الاثنين. أيام الخميس والجمعة تجعلني متوترة، لكن هناك شيئًا يبعث على الارتياح البالغ، عند الدخول ورؤية الكومة الكائنة على مكتبي: الرسائل غير المفتوحة، وبروفات الطباعة التي تنتظر القراءة، والملاحظات اللاصقة من أقسام التسويق، والدعاية، والحقوق الأجنبية. اخترت مكتبي لأنه يقع في الجزء الخلفي من المبنى. إنه هادئ ومريح، ومنزوٍ أسفل إفريز السطح. إنه من ذلك النوع من الغرف التي يجب حقًّا أن تكون بها مدفأة تعمل بالفحم، وعلى الأرجح كان بها بالفعل، حتى أتى أحد المخربين عند مطلع القرن وسد المدفأة. كانت جميما تساعدني أنا وتشارلز قبل رحيلها، كما أن هناك تيس دومًا في مكتب الاستقبال، والتي ستفعل أي شيء من أجلي. عندما أتيت صباح ذلك الاثنين، أعدَّت لي الشاي، وأعطتني رسائلي الهاتفية. لم يكن هناك شيء عاجل: طلبت مني «جائزة المرأة للخيال» الانضمام إلى لجنة التحكيم، وكان مؤلف الأطفال الذي أعمل معه بحاجة إلى المواساة، كما كانت هناك مشكلات إنتاج متعلقة بغلاف أحد الكتب (قلت إنه لن ينجح).

لم يكن تشارلز موجودًا. كانت ابنته، لورا، قد دخلت في مخاض مبكر كما هو متوقع، وكان ينتظر في المنزل مع زوجته. كما أرسل إليَّ أيضًا بريدًا إلكترونيًّا ذلك الصباح. أتمنى أن يكون قد تسنى لكِ الوقت للتفكير في حديثنا في السيارة. سيكون الأمر رائعًا بالنسبة إليك، وأنا واثق بأنه سيكون رائعًا للشركة أيضًا. من

الغريب أن أندرياس اتصل بي بينما كنت أقرأه. ألقيت نظرة خاطفة على ساعتي، وخمنت أنه لا بد أن يكون قد تسلل إلى الرواق، تاركًا الأطفال مع كتبهم اليونانية. كان يتحدث بصوت خفيض.

قال:

- أنا آسف بشأن الليلة الماضية. كان غباء مني أن ألقي كل شيء عليكِ على هذا النحو. طلبت مني المدرسة إعادة النظر، ولن أتخذ أي قرار حتى تخبريني بما تريدين فعله.

- شكرًا لك.

- كما لم أقصد ما قلته عن آلان كونواي أيضًا. إن كتبه جديرة بالاهتمام بالطبع. كل ما في الأمر هو أنني كنت أعرفه، و...

تلاشى صوته. كان يمكنني تخيله وهو يلقي نظرة خاطفة عبر الرواق، مثل تلميذ يخشى أن يُضبط متلبسًا.

قلت:

- يمكننا التحدث عن ذلك لاحقًا.

- لديَّ اجتماع مع أولياء الأمور الليلة. لماذا لا نتناول العشاء ليلة الغد؟

- سأحب ذلك.

- سوف أتصل بكِ.

أنهى المكالمة.

بشكل غير متوقع تمامًا، ومن دون الرغبة في ذلك حقًا، وصلت إلى مفترق طرق - أو بتعبير أدق، تقاطع على شكل حرف «T» - في حياتي. يمكنني تولي منصب المدير التنفيذي لدار نشر كلوفرليف بوكس. كان هناك كُتَّاب أرغب في العمل معهم، كما أن لديَّ أفكارًا عارضها تشارلز على الدوام. كما أخبرت أندرياس في الليلة السابقة، يمكنني تطوير العمل بالطريقة التي أريدها.

أو كانت هناك جزيرة كريت.

كان الخياران مختلفين تمامًا، والاتجاهان متناقضين للغاية، إلى درجة أن

التفكير في الاثنين جنبًا إلى جنب كاد يجعلني أرغب في الضحك. كنت مثل الطفل الذي لا يعرف ما إذا كان يريد أن يصبح جراح مخ، أم سائق قطار. كان الأمر محبطًا جدًّا. لماذا يجب أن تحدث هذه الأشياء دائمًا في الوقت نفسه؟

تصفحت رسائلي. كانت هناك رسالة موجهة إلى سوزان ريلاند، أغرتني بإلقائها في سلة المهملات. أكره عندما يخطئ الناس في كتابة اسمي، خصوصًا أنه من السهل جدًّا التحقق منه. كانت هناك بضع دعوات، وفواتير... الأشياء المعتادة. وفي أسفل الكومة، كان هناك ظرف بني مقاس A4 بدا من الواضح أنه يحوي مخطوطة. كان ذلك أمرًا غريبًا. لا أقرأ أبدًا أي مخطوطات غير مطلوبة سابقًا. لم يعد أحد يفعل ذلك الآن. لكن كان اسمي على الظرف (مكتوبًا بشكل صحيح)، لذا فتحته وطالعت الصفحة الأولى.

الموت يطأ الألواح

دونالد لي

استغرق مني الأمر لحظة لأتذكر أن هذا هو الكتاب الذي ألفه النادل في نادي ذا آيفي، الرجل الذي أسقط الأطباق عندما رأى آلان كونواي. زعم أن آلان سرق أفكاره، واستخدمها في رابع ألغاز أتيكوس بوند، سيأتي الليل مناديًا. كان العنوان لا يزال لا يعجبني كثيرًا، كما لم تكن الجملة الأولى ناجحة تمامًا في رأيي: «وقعت المئات من جرائم القتل في مسرح بافيليون في برايتون، لكن هذه كانت أول جريمة قتل حقيقية». بدت الفكرة لطيفة، إلا أنني ظننت أنها مباشرة بدرجة زائدة، وقد عبر عنها بطريقة غير متقنة. لكنني وعدته بقراءة الكتاب، ومع غياب تشارلز، وإلحاح آلان على تفكيري بشدة، فكرت في الشروع في الأمر على الفور. كنت قد تناولت الشاي، فلمَ لا أقرأه؟

قرأت معظمه قراءة سريعة، وهو شيء تعلمت أن أفعله. يمكنني عادة معرفة

ما إذا كنت سأحب كتابًا بنهاية الفصل الثاني أو الثالث، لكن إذا كنت سأتحدث عنه في مؤتمر، أضطر إلى الانتظار حتى الصفحة الأخيرة. استغرق مني ثلاث ساعات، ثم أخرجت نسخة من سيأتي الليل مناديًا.

بعد ذلك، قارنت بين الاثنين.

مقتطف من سيأتي الليل مناديًا، تأليف آلان كونواي

الفصل ٢٦: التحية الأخيرة

انتهى الأمر حيث بدأ، في مسرح فولي بارك. بينما هو يتلفت حوله، انتاب جيمس فريزر شعور بأنه لا مفر من الأمر. كان قد تخلى عن حياته المهنية كممثل، ليصير مساعدًا لأتيكوس بوند، وكان هذا هو المكان الذي جلبته إليه قضيته الأولى. صار المبنى رثًّا بدرجة أشد مما كان عليه عندما رآه لأول مرة، بعد إخلاء خشبة المسرح، وتكديس معظم المقاعد بجوار الجدران. سُحبت الستائر المخملية الحمراء جانبًا. في غياب أي شيء لإخفائه، وعدم وجود مسرحية على وشك البدء، بدت بالية ورثَّة، وهي تتدلى مرتخية من الأسلاك الخاصة بها. بدا المسرح نفسه كفم يتثاءب، وهو انعكاس ساخر للعديد من المتفرجين الشباب الذين أُجبروا على الجلوس خلال المسرحيات التي أنتجها مدير المدرسة لـأجاممنون وأنتيجون. حسنًا، لن يلعب إليوت تويد أي دور مرة أخرى. مات في هذه الغرفة ذاتها، وقد انغرس سكين في جانب حلقه. لم يألف فريزر القتل بعد، وكانت هناك فكرة واحدة بعثت فيه القشعريرة على وجه التحديد. أي نوع من الأشخاص يقتل رجلًا في غرفة مليئة بالأطفال؟ في ليلة مسرحية المدرسة، جلس ثلاثمائة شخص معًا في الظلام: أولاد صغار وآباؤهم. سوف يتذكرون ذلك لبقية حياتهم.

كان المسرح ملائمًا لبوند. رتَّب المقاعد بحيث تواجهه، في صفين.

وقف أمام خشبة المسرح، متكئًا على عصاه المصنوعة من خشب الورد، لكن كان من الممكن بكل سهولة أن يعتلي خشبة المسرح نفسها. كان هذا هو عرضه الذي يؤديه، ذروة الدراما التي بدأت قبل ثلاثة أسابيع برجل خائف ذهب إلى زيارة تانر كورت. قد لا تكون الأضواء الكاشفة مضاءة، لكنهم مع ذلك حنوا رؤوسهم تجاهه. كان الأشخاص الذين طلب منهم الوجود هنا مشتبهًا فيهم، لكنهم كانوا جمهوره أيضًا. قد يكون مفتش المباحث ريدجواي واقفًا بجانبه، لكن بدا من الواضح أنه لم يُمنح سوى دور مساند.

تفحص فريزر الموظفين. كان ليونارد جرافيني أول مَن وصل، واحتل مكانه في الصف الأمامي، وقد أسند عكازه إلى ظهر مقعده بصورة غير ملائمة. برز جذع ساقه المقطوعة أمامه، كما لو أنه يتعمد سد الطريق أمام أي شخص آخر. جاء مدرس التاريخ، دينيس كوكر، وجلس بجانبه على الرغم من أن فريزر لاحظ أن أيًا منهما لم يتحدث. شارك كلا الرجلين في آخر أداء مصيري لمسرحية سيأتي الليل مناديًا، عندما وقعت جريمة القتل، جرافيني بوصفه مؤلفًا للمسرحية، وكوكر بوصفه مخرجًا لها. أدى سيباستيان فليت الدور الرئيسي. في سن الحادية والعشرين فقط، كان أصغر مدرس في فولي بارك، وقد دخل بلامبالاة وهو يسير الهُوينى، وغمز لكبيرة الممرضات التي أدارت رأسها عن عمد متجاهلة إياه. جلست ليديا جويندراث في الصف الخلفي، وظهرها مستقيم تمامًا، ويداها مطويتان على حجرها، وقد بدت قلنسوتها البيضاء المنشَّاة ملتصقة في مكانها. كان فريزر لا يزال مقتنعًا بأنها متورطة في مقتل إليوت تويد. كان لديها دافع بكل تأكيد - تصرف بشكل فظيع تجاهها - وبتدريبها الطبي، كانت ستعرف بالضبط أين تغمد السكين. هل ركضت بين الجمهور في تلك الليلة، وانتقمت بسبب الإذلال الذي عانته على يديه؟ بينما جلست، في انتظار أن يبدأ بوند، لم تشِ عيناها بشيء.

أتى ثلاثة آخرون من الموظفين: هارولد ترينت، وإليزابيث كولن، ودوجلاس واي. أخيرًا، وصل المسؤول عن أراضي المدرسة، جاري، ويداه مدفونتان عميقًا في جيبيه، وملامحه عابسة. بدا من الواضح أنه ليست لديه أدنى فكرة عن سبب استدعائه.

- السؤال الذي يجب أن نطرحه على أنفسنا ليس لماذا قُتل إليوت تويد. بصفته مديرًا لمدرسة فولي بارك، فيمكنكم القول إنه كان رجلًا لديه أكثر من نصيبه العادل من الأعداء. كان الأولاد يخشونه، إذ كان يضربهم بلا رحمة وبأقل ذريعة. لم يبذل أدنى جهد لإخفاء حقيقة أنه كان يسعد بألمهم. أرادت زوجته الطلاق منه. كان موظفوه، الذين اختلفوا حول العديد من القضايا، متحدين فقط بسبب كراهيتهم له. لا...

مسح بوند الحشد المجتمع بعينيه، وواصل الحديث:

- ما يجب أن نسأله هو التالي، وقد ذكرت هذا منذ البداية: لماذا قُتل بهذه الطريقة، علانية؟ ظهر القاتل كما لو كان من العدم، وركض بطول امتداد المبنى، ولم يتوقف إلا لتسديد طعنة بمشرط مأخوذ من معمل الأحياء. من الصحيح أن الظلام كان سائدًا، وأعين الجمهور مركزة على المسرح. إنها أكثر اللحظات إثارة في المسرحية. هناك ضباب، وضوء وامض، وظهر في الظل شبح الجندي الجريح كما صوَّره السيد جرافيني. ومع ذلك، فهي مخاطرة كبيرة. بالتأكيد سيرى أحدهم من أين أتى، أو أين سيذهب. توفر مدرسة إعدادية مثل فولي بارك العديد من فرص القتل الأكثر بساطة. هناك جدول زمني، ومن المعروف في جميع الأوقات، أين سيكون الجميع. كم يبدو هذا ملائمًا بالنسبة إلى قاتل، يمكنه التخطيط لتحركاته وهو يعلم على وجه التأكيد أن ضحيته سيكون بمفرده، وأن أحدًا لن يراه.

في الحقيقة، فإن الظلام، والسرعة التي ارتُكِبت بها الجريمة، أديا إلى كارثة!

اعتقد المفتش ريدجواي أن مساعد مدير المدرسة، السيد موريستون، الذي كان يجلس بجوار السيد تويد في تلك الليلة، لا بد أن يكون قد شاهد شيئًا ما، وأنه قُتل بعد ذلك من أجل إسكاته. ربما كان الأمر يتعلق بالابتزاز. من المؤكد أن اكتشاف مبلغ كبير من المال في خزنته يوحي بذلك. لكننا نعلم الآن أن الرجلين تبادلا المقعدين قبل بدء العرض مباشرة. كان السيد تويد أقصر من السيد موريستون بعدة بوصات، ولم يتمكن من الرؤية بسبب رأس المرأة الجالسة أمامه، حيث كانت ترتدي قبعة. كان السيد موريستون هو الهدف الحقيقي، وكانت وفاة السيد تويد حادثًا.

ومع ذلك، فإن الأمر غريب، لأن السيد موريستون كان رجلًا ذا شعبية كبيرة جدًّا. كثيرًا ما دافع عن الآنسة جويندراث. كان هو الذي اختار توظيف السيد جاري، وهو على دراية كاملة بسجله الإجرامي. كما تمكن أيضًا من منع انتحار طفل. من الصعب العثور على أي شخص في المدرسة يتحدث عن السيد موريستون بشيء سوى الخير: صعب، لكنه ليس مستحيلًا. كان هناك، بالطبع، استثناء واحد.

التفت بوند إلى مدرس الرياضيات، لكنه لم يكن بحاجة إلى تسميته. عرف كل شخص في الغرفة مَن الذي يقصده.

صاح ليونارد جرافيني قائلًا:

- هل تحاول القول إنني قتلته؟

لم يستطع منع نفسه من الابتسام.

- بالطبع من المستحيل أن تكون قد ارتكبت جريمة القتل، يا سيد جرافيني. لقد فقدت ساقًا في الحرب...

- وأنا أحارب قومك!

- والآن لديك طرف صناعي. لا يمكن أن تكون قد ركضت عبر القاعة. هذا واضح على نحو مؤلم. ومع ذلك، فإنك ستتفق على أنه كان هناك قدر كبير من العداء بينكما.

- كان جبانًا وكاذبًا.
- كان قائدك في الصحراء الغربية، عام ١٩٤١. شاركتما معًا في معركة سيدي رزيق، وهناك فقدت ساقك.
- لقد فقدت ما هو أكثر من ذلك، يا سيد بوند. مكثت في المستشفى، في ألم مستمر، لمدة ستة أشهر. فقدت عددًا كبيرًا من أصدقائي، كلهم رجال أفضل مما تمنى ذلك اللعين الرائد موريستون أن يكون على الإطلاق. لقد أخبرتك بكل هذا بالفعل. أصدر أوامر خاطئة. أرسلنا إلى ذلك الجحيم، ثم تخلى عنا. مُزِّقنا إربًا، ولم يكن موجودًا في أي مكان في الجوار.
- كانت هناك محاكمة عسكرية.
- كان هناك تحقيق بعد الحرب.

أبدى جرافيني استهزاءه وهو ينطق بالكلمة، وواصل قائلًا:
- أصر الرائد موريستون على أننا تصرفنا بمبادرة منا، وأنه فعل كل ما في وسعه لإعادتنا إلى بر الأمان. كانت كلمتي ضد كلمته. كان ذلك ملائمًا، أليس كذلك؟ انفجر جميع الشهود الآخرين!
- لا بد أنها كانت صدمة كبيرة لك عندما وجدته يُدرس هنا.
- لقد جعلني ذلك أشعر بالغثيان. وكان الجميع مثلك، شديدي الإعجاب به. كان بطل حرب، وشخصية أبوية، وأفضل صديق للجميع. كنت أنا الوحيد الذي رأيت حقيقته، وأردت قتله. سأعترف لك بهذا القدر. لا تعتقد أن الأمر لم يغوِني.
- لماذا بقيت هنا؟

هز جرافيني كتفيه. بدا لفريزر منهكًا من تجاربه، وقد انحنت كتفاه وتهدل شاربه السميك.
- لم يكن لديَّ مكان آخر أذهب إليه. منحني تويد الوظيفة لأنني تزوجت جيما فحسب. كيف تعتقد أن شخصًا عاجزًا من دون مؤهلات يستطيع

كسب لقمة عيشه؟ بقيت لأنني اضطررت إلى ذلك، وتجنبت موريستون بأفضل ما أستطيع.

- وعندما حصل على ميداليته، عندما مُنح رتبة الإمبراطورية البريطانية؟

- لم يعنِ ذلك شيئًا بالنسبة إليّ. يمكنك لصق قطعة من المعدن على شخص جبان وكاذب، لكن ذلك لن يغير من حقيقته.

أومأ بوند برأسه، كما لو كانت هذه هي الإجابة التي توقع سماعها. قال:

- وهكذا نصل إلى التناقض الكائن في صميم الموضوع. الرجل الوحيد في مدرسة فولي بارك الذي لديه دافع إلى قتل جون موريستون، هو أيضًا الرجل الوحيد الذي لا يمكن أن يكون قد ارتكب ذلك الفعل.

توقف عن الحديث، ثم تابع قائلًا:

- ما لم يكن هناك شخص آخر لديه دافع أيضًا - الدافع نفسه حتى - وقد جاء إلى المدرسة بغرض صريح، وهو الحصول على الانتقام.

أدرك سيباستيان فليت أن المحقق يحدق إليه مباشرة. استقام في جلسته، واندفعت الدماء إلى وجنتيه. قال:

- ماذا تقول يا سيد بوند؟ لم أكن في سيدي رزيق، أو في أي مكان قريب منها. كنت في العاشرة من عمري. أصغر من أن أقاتل في الحرب!

- هذه هي الحال بالفعل يا سيد فليت. مع ذلك، لاحظت عندما التقينا أن مؤهلاتك تفوق بكثير العمل مدرس لغة إنجليزية في مدرسة إعدادية في وسط الريف. لقد حصلت على مرتبة الشرف الأولى من جامعة أكسفورد، وتمتلك الشباب والموهبة. لماذا اخترت دفن نفسك بعيدًا هنا؟

- لقد أخبرتك بذلك، عندما التقينا أول مرة. أنا أعمل على كتابة رواية!

- الرواية مهمة بالنسبة إليك، لكنك قاطعت عملك عليها لكتابة مسرحية.

- لقد طُلب مني فعل ذلك. في كل عام، يكتب أحد العاملين مسرحية يؤديها العاملون أيضًا. إنه تقليد هنا.

- ومَن طلب منك ذلك؟

تردد فليت كما لو أنه غير راغب في تقديم الجواب، ثم قال:

- كان السيد جرافيني.

أومأ بوند برأسه، وعرف فريزر أنه لم يكن بحاجة إلى طرح السؤال. كان يعرف الجواب طوال الوقت. تابع قائلًا:

- لقد أهديت سيأتي الليل منادياً إلى ذكرى والدك. أخبرتني بأنه توفي مؤخرًا.

- منذ عام.

- ومع ذلك بدا الأمر غريبًا بالنسبة إليَّ، عندما زرت غرفتك. لم تكن هناك صورة له ملتقطة في الماضي القريب. رافقتك والدتك في اليوم الذي دخلت فيه أكسفورد. لم يكن والدك هناك، كما لم يكن حاضرًا في أثناء تخرجك.

- كان مريضًا.

- لم يكن على قيد الحياة يا سيد فليت. هل تعتقد أنه لم يكن من السهل بالنسبة إليَّ اكتشاف أن الرقيب مايكل فليت، الذي خدم في الوحدة الميدانية رقم ٦٠ من المدفعية الملكية، قد توفي في ٢١ نوفمبر ١٩٤١؟ هل ستتظاهر بأنه لا يمت لك بصلة قرابة، وأن ما قادك إلى هذه المدرسة هو مجرد مصادفة؟ لقد التقيت أنت والسيد جرافيني في مقر سرية المدفعية الشرفية في لندن، ودعاك إلى فولي بارك. لدى كليكما سبب وجيه لكراهية جون موريستون، وهو السبب نفسه.

لم يتحدث فليت ولا جرافيني، مما ترك الأمر لكبيرة الممرضات لكسر الصمت قائلة:

- هل تقول إنهما فعلا ذلك معًا؟

- أقول إنهما كتبا وابتكرا وصمَّما سيأتي الليل منادياً لغرض صريح، وهو ارتكاب جريمة قتل. كانا قد قررا الانتقام لما حدث في سيدي رزيق.

على ما أعتقد، كان السيد جرافيني صاحب الفكرة، والسيد فليت هو الذي وضعها موضع التنفيذ.

قال فليت باستهجان:

- ما تقوله هو محض هراء. كنت على خشبة المسرح في الواقع، عندما ركض ذلك الشخص عبر الجمهور. كنت على مرأى من الجميع.

- لا، بل صُمم كل شيء ليبدو كما لو أنك كنت هناك، لكن الأمر لا يسير على هذا النحو.

وقف بوند على قدميه مستخدمًا عصاه للنهوض، وقال:

- يظهر الشبح عند مؤخرة المسرح. يسود الظلام، كما أن هناك دخانًا. يرتدي الشبح زي جندي من الحرب العالمية الأولى، ولديه شارب مطابق لشارب السيد جرافيني. وجهه ملطخ بالدماء، وتحيط برأسه ضمادة. لديه عبارات قليلة للغاية ليقولها. هكذا رُتِّب الأمر. هذه هي القوة التي يتمتع بها الكاتب، بحيث يجعل كل شيء يخدم أغراضه الخاصة. ينادي بكلمة واحدة فقط: «أجنيس!». ليس من الصعب تزييف الصوت الذي شوَّهه الهجوم بغاز الخردل. لكن السيد فليت ليس هو مَن يقف على خشبة المسرح.

كان السيد جرافيني، مدير المسرحية، ينتظر في الكواليس، وكما هو مخطط، بدلتما مكانيكما لهذا المشهد القصير. ارتدى السيد جرافيني المعطف الواقي من المطر، ووضع الضمادة ولطخ وجهه بالدماء. ببطء، خطا فوق خشبة المسرح. لن يلحظ أحد حقيقة أنه يعرج، في مثل هذه المسافة القصيرة. وعلى أي حال، فهو يلعب دور جندي جريح. في الوقت نفسه، أزال السيد فليت الشارب الزائف الذي كان يرتديه من أجل الدور الذي يؤديه. ارتدى السترة والقبعة، اللذين سنعثر عليهما فيما بعد ملقى بهما في البئر. ركض عبر القاعة، وتوقف فقط لطعن الرجل الجالس في المقعد رقم «E 23». كيف يمكنه أن يعرف أنه قبل لحظات

من بدء المسرحية، تبادل السيد تويد والسيد موريستون مقعديهما، وأن الرجل الخطأ سيموت؟

حدث ذلك بسرعة كبيرة. رحل السيد فليت من الباب الرئيسي للمسرح، وتخلص من القبعة والسترة، ثم ركض حول جانب المبنى في الوقت المناسب لتغيير الأماكن مرة أخرى مع السيد جرافيني، الذي غادر للتو خشبة المسرح. بات الجمهور مصطخبًا الآن، وكل الأعين على الرجل الميت. لم يلحظ أحد ما يحدث في الكواليس. بالطبع، أصيب الرجلان بالذعر عندما اكتشفا ما حدث. كان ضحيتهما هو السيد تويد، البريء تمامًا. لكن هذين القاتلين باردان وماكران. لفقا قصة تشير إلى أن السيد موريستون كان يحاول الابتزاز، وبعد يومين سمماه بالشوكران المسروق من المعمل نفسه الذي وفر لهما المشرط. الأمر بارع، أليس كذلك؟ تشير أصابع الاتهام إلى معلمة الأحياء، الآنسة كولن، وهذه المرة، أُخفِي دافعهما الحقيقي تمامًا...

مقتطف من الموت يطأ الألواح، تأليف دونالد لي

الفصل ٢١: الفصل الأخير

كان الظلام شديدًا في المسرح. أخذ ضوء النهار يتلاشى سريعًا في الخارج، وامتلأت السماء المشؤومة بالغيوم الثقيلة القبيحة. في غضون ست ساعات فقط، سينتهي عام ١٩٢٠، ويبدأ عام ١٩٢١. لكن كبير مفتشي الشرطة ماكينون كان يحتفل في ذهنه بالفعل بالعام الجديد. كان قد اكتشف كل شيء. عرف مَن ارتكب جريمة القتل، وسرعان ما سيواجه ذلك الشخص، ويثبته في الأرض بقسوة عالم مع فراشة نادرة.

نظر الرقيب براون بإمعان إلى المشتبه فيهم، وسأل نفسه للمرة

الألف، أيٌّ منهم كان بإمكانه طعن مدرس التاريخ، إيوان جونز، في حلقه في تلك الليلة التي لا تُنسى؟ أي واحد منهم؟

جلسوا في مسرح شبه مهجور، ولم يبدُ عليهم الارتياح، وبذل كلٌّ منهم قصارى جهده لتفادي التقاء نظراته بالآخرين. أخذ هنري بيكر، مخرج المسرحية، يمسد شاربه كما يفعل دائمًا عندما يشعر بالتوتر. كان المؤلف، تشارلز هوكينز، يدخن سيجارة، أمسكها بتلك الأصابع القصيرة الملطخة بالحبر على الدوام. هل كانت مصادفة أنه أصيب بجروح بالغة في معركة إيبرس، في الوقت نفسه الذي تعرضت فيه الضحية الثانية، مدير المسرح، أليستر شورت، للتسمم بالزرنيخ في ظروف غامضة بعدها بعدة أيام؟ هل يمكن أن تكون هناك صلة؟ كان شورت قد أخفى مائتَي جنيه في خزنة مجاورة لفراشه، وبدا الأمر بدرجة كبيرة كما لو أنه كان يمارس الابتزاز. وإلا من أين أمكنه الحصول على المال خلاف ذلك؟ من المؤسف أنه لم يحيَ حتى يقص الحكاية.

أي واحد منهم؟ كان براون لا يزال يشتبه في ليلى بلير. عادت أفكاره إلى اللحظة التي ألقت فيها بنفسها على شورت، وصرخت في وجهه متهمة إياه بتدمير حياتها المهنية. صرخت قائلة: «أنا أكرهك! أتمنى لو كنت ميتًا». وبعد سبعين دقيقة كان قد مات بالفعل، تمامًا كما أرادت. وماذا عن إيان ليثجو؟ كان الممثل الشاب الوسيم المبتسم أصغر من أن يقاتل في إيبرس. لا يمكن أن تكون هناك صلة، لكنه كان مدينًا بسبب لعب القمار، وكثيرًا ما يقدم الأشخاص الذين هم في حاجة يائسة إلى المال على ارتكاب أفعال يائسة. انتظر براون أن يستجمع رئيسه أفكاره.

والآن، حانت اللحظة التي كان ينتظرها. عندما نهض ماكينون واقفًا على قدميه، تردد دوي رعد قصير في الجو الثقيل المقبض. كان العام الجديد سيبدأ بعاصفة سيئة. توقف الجميع ورفعوا أنظارهم نحو الأعلى، بينما عدل هو من وضع نظارته ذات العدسة المفردة، ثم بدأ الحديث.

شرع قائلًا:

- في ليلة العشرين من ديسمبر، ارتُكبت جريمة قتل هنا، في مسرح روكسبيري، خلال عرض مسرحية علاء الدين. لكنها كانت جريمة قتل خاطئة! كان أليستر شورت هو الهدف الحقيقي، لكن القاتل أخطأ في الأمر، لأنه في اللحظة الأخيرة، تبادل السيد شورت والسيد جونز مقعديهما.

صمت ماكينون للحظة، وتفحص كل واحد من المشتبه فيهم، وهم يستوعبون كلماته. واصل قائلًا:

- لكن مَن القاتل الذي ركض على خشبة المسرح، وأغمد السكين في حلق جونز؟ هناك شخصان لا يمكن أن يكونا القاتل. لم يكن بوسع تشارلز هوكينز الركض عبر المسرح، لأن لديه ساقًا واحدة فقط. أما بالنسبة إلى نايجل سميث، فقد كان على خشبة المسرح في ذلك الوقت، على مرأى ومسمع من الجمهور. لا يمكن أن يكون هو أيضًا.

على الأقل هذا ما ظننته...

لا يمكن أن يكون هناك شك في أن آلان سرق فكرة دونالد لي. غيَّر الفترة الزمنية من العشرينيات إلى أواخر الأربعينيات، ومكان الأحداث من مسرح وضيع إلى مدرسة إعدادية، استوحاها من تشورلي هول، وأعاد تسميتها باسم فولي بارك. إن إليوت تويد هو صورة مقنعة على نحو طفيف لوالده، إلياس كونواي. أوه، نعم، وجميع المعلمين أُطلقت عليهم أسماء أنهار بريطانية. ربما استعار اسم المحقق، المفتش ريدجواي، من رواية أجاثا كريستي، موت على ضفاف النيل. نهر آخر. لكن الآلية هي نفسها، وكذلك الدافع. يتخلى ضابط عن رجاله في زمن الحرب، وبعدها بسنوات، ينضم الناجي الوحيد إلى ابن أحد الرجال الذين ماتوا. يتبادلان الأماكن في أثناء أداء المسرحية، ويرتكبان جريمة القتل على مرأى ومسمع من الجمهور. كان كبير مفتشي الشرطة لوك

سيجد الأمر بعيدًا عن الاحتمال بعض الشيء، لكن في عالم روايات الجريمة، كان الأمر ناجحًا.

بعد أن قرأت الكتابين، اتصلت بمؤسسة آرفون، التي أصبت التخمين بأنها استضافت الدورة التي حضرها دونالد. تمكنوا من تأكيد أن دونالد لي كان بالفعل في منزلهم الريفي في توتليج بارتون، في ديفونشاير. إنه مكان جميل، بالمناسبة، وقد ذهبت إلى هناك بنفسي. كنت سأقول إن فرصة إقدام معلم زائر على سرقة عمل أحد طلابه، كانت نحو مليون إلى واحد، لكن بالنظر إلى النسختين، فإن هذا هو ما حدث. شعرت بالشفقة حيال دونالد. بصراحة، لم يكن يستطيع الكتابة. جمله ثقيلة، وتفتقر إلى أي إيقاع. كما يفرط في استخدام الصفات، وحواره غير مقنع. كان آلان محقًّا في كلا الأمرين. لكنه لم يكن يستحق أن يُعامل بهذه الطريقة. هل كان بوسعه فعل أي شيء حيال ذلك؟ أخبرني بأنه كتب إلى تشارلز، ولم يتلقَّ أي رد. لم يكن ذلك مفاجئًا. يتلقى الناشرون رسائل عدائية طوال الوقت، ولم تكن هذه الرسالة لتتخطى جميما. كانت ستلقي بها في سلة المهملات بكل بساطة. ولم تكن الشرطة ستهتم. كان من السهل على آلان أن يدعي أنه أعطى الفكرة لدونالد، وليس العكس.

ماذا كان بوسعه أن يفعله خلاف ذلك؟ حسنًا، من الممكن أن يكون قد عثر على عنوان آلان في سجلات نادي ذا آيفي، وسافر إلى فراملينجهام، ثم دفعه من فوق السطح ومزَّق الفصول الأخيرة من روايته الجديدة. كنت سأميل إلى فعل الشيء نفسه لو كنت مكانه.

قضيت معظم الصباح في القراءة، وكان من المفترض أن أتناول الغداء مع لوسي، المديرة المسؤولة عن الحقوق لدينا. أردت التحدث معها عن جيمس تيلور ومغامرات أتيكوس. كانت الساعة الثانية عشرة والنصف، وفكرت في الخروج لتدخين سيجارة سريعًا على الرصيف خارج الباب الأمامي، لكن بعد ذلك تذكرت الرسالة الموجودة أعلى الكومة، التي كُتب عليها اسمي بشكل خطأ، ففتحتها.

كانت هناك صورة بالداخل، من دون رسالة، ولا اسم لأي مرسل. اختطفت الظرف مرة أخرى، ونظرت إلى الختم البريدي. أُرسلت من إبسويتش.

بدت الصورة مغبشة بعض الشيء. خمنت أنها التُقطت بهاتف محمول، وكبِّرت وطُبعت في أحد متاجر سنابي سنابس، التي تجدها في كل مكان. يمكنك توصيل هاتفك المحمول بآلاتهم مباشرة، لذا فعلى افتراض أنه دفع نقدًا، فإن الشخص الذي التقط الصورة سيكون مجهولًا تمامًا.

أظهرت الصورة جون وايت وهو يقتل آلان كونواي.

كان الرجلان عند قمة البرج. أدار آلان ظهره إلى الحافة، وكان منحنيًا تجاهها. كان يرتدي الملابس نفسها - السترة الفضفاضة والقميص الأسود - التي كان يرتديها عندما عُثر عليه. وضع وايت يديه على كتفَي آلان. دفعة واحدة، وسينتهي كل شيء.

هذا هو الأمر إذن. تم حل اللغز. اتصلت بلوسي، وألغيت موعد الغداء. بعد ذلك، شرعت أفكر.

أعمال التحقيق

إن القراءة عن المحققين شيء، ومحاولة أن تكون محققًا شيء آخر تمامًا.

لطالما أحببت روايات الجريمة. لم أعمل على تحريرها فقط، بل قرأتها من أجل المتعة طوال حياتي، والتهمتها في الواقع. لا بد أنك تعرف هذا الشعور، عندما يهطل المطر بالخارج، والتدفئة مشتعلة، وتفقد نفسك تمامًا في كتاب. تقرأ وتقرأ، وتشعر بانزلاق الصفحات بين أصابعك، حتى يصبح فجأة عددها في يدك اليمنى أقل مما هو عليه في اليسرى، وتريد أن تبطئ من سرعتك، لكنك تواصل الاندفاع نحو خاتمة يمكنك بالكاد تحمُّل اكتشافها. هذه هي القوة الخاصة التي تتمتع بها روايات الجريمة، والتي تحتل على ما أعتقد مكانة مميزة ضمن النطاق العام للخيال الأدبي، لأنه من بين جميع الشخصيات، يتمتع المحقق بعلاقة خاصة وفريدة مع القارئ.

تدور روايات الجريمة حول الحقيقة، لا أكثر، ولا أقل. في عالم مليء بالشكوك، أليس من الطبيعي الشعور بالرضا عند الوصول إلى الصفحة الأخيرة، بعد وضع النقاط على الحروف؟ تحاكي القصص تجربتنا في العالم. يحيطنا الغموض والتوترات، التي نقضي نصف حياتنا في محاولة حلها، وربما نرقد على فراش الموت عندما نصل إلى تلك اللحظة التي يبدو فيها كل شيء منطقيًّا. تقدم كل رواية بوليسية تقريبًا تلك المتعة، وهي سبب وجودها. ولهذا السبب كانت بدافع القتل مزعجة للغاية.

في كل كتاب آخر تقريبًا يمكنني التفكير فيه، نركض في أعقاب أبطالنا، الجواسيس والجنود والرومانسيين والمغامرين. لكننا نقف كتفًا بكتف مع المحقق. منذ البداية، لدينا الهدف نفسه، وهو في الواقع هدف بسيط. نريد أن نعرف ما حدث بالفعل، ولا يفعل أيٌّ منا ذلك من أجل المال. فلتقرأ قصص شرلوك هولمز القصيرة. بالكاد يتقاضى أجرًا، وعلى الرغم من أنه من الواضح أنه ميسور الحال، فإنني لست متأكدة أنه قدم فاتورة مقابل خدماته ولو مرة واحدة. إن المحققين أذكى منا بالطبع، ونتوقع منهم أن يكونوا كذلك. لكن هذا لا يعني أنهم يمثلون نماذج للفضيلة. هولمز مصاب بالاكتئاب، وبوارو مغرور، والآنسة ماربل فظة وغريبة الأطوار. ليس من الضروري أن يكونوا جذابين. انظر إلى نيرو وولف الذي كان سمينًا إلى درجة أنه لم يستطع حتى مغادرة منزله في نيويورك، واضطر إلى الحصول على كرسي مصنوع خصيصًا ليتحمل وزنه! أو الأب براون الذي له «وجه مستدير وممل كفطيرة من فطائر نورفولك... وعينان خاويتان مثل بحر الشمال». اللورد بيتر ويمسي، خريج إيتون وأكسفورد، نحيل وبادي الضعف، ويرتدي نظارة ذات عدسة مفردة. ربما كان بولدوج دروموند قادرًا على قتل رجل بيديه العاريتين (وربما كان المصدر الذي استُلهم منه جيمس بوند)، لكنه لم يكن صورة مثالية للذكور أيضًا. في الواقع، أصاب هـ. س. ماكنيل عين الحقيقة، عندما كتب أن دروموند «كان محظوظًا لاتصافه بذلك النوع المبهج من القبح، الذي يلهم المرء بالثقة الفورية بصاحبه». لسنا بحاجة إلى الشعور بالحب أو الإعجاب حيال محققينا. نتمسك بهم لأننا نثق بهم.

كل هذا يجعلني اختيارًا سيئًا لدور الراوي/ المحقق. بصرف النظر عن حقيقة أنني غير مؤهلة تمامًا، فقد لا أكون ماهرة إلى هذا الحد في الواقع. حاولت وصف كل مَن رأيته، وكل ما سمعته، والأهم من ذلك، كل ما فكرت فيه. للأسف، ليس لديَّ واتسون، ولا هاستينجز، ولا تروي، ولا بونتر، ولا لويس. لذلك ليس لديَّ خيار سوى وضع كل شيء على الورق، بما في ذلك

حقيقة أنه حتى اللحظة التي فتحت فيها الرسالة ورأيت صورة جون وايت، لم أكن قد توصلت إلى أي شيء على الإطلاق. في الواقع، في لحظاتي المظلمة، بدأت أسأل نفسي عما إذا كانت هناك جريمة قتل قد وقعت على الإطلاق. كان جزءًا من المشكلة هو عدم وجود نمط أو شكل للغز الذي أحاول حله. لو كان آلان كونواي قد وصف وفاته بيده، كما فعل مع السير ماجنوس باي، فأنا متأكدة أنه كان سيقدم لي مجموعة متنوعة من القرائن والعلامات والإشارات لتقودني في طريقي. على سبيل المثال، في بدافع القتل، هناك أثر يد مطبوعة في الأرض، وطوق الكلبة في غرفة النوم، وقصاصة ورق وُجدت في المدفأة، ومسدس الخدمة على المكتب، والرسالة المطبوعة على الآلة الكاتبة داخل الظرف المكتوب بخط اليد. قد لا تكون لديَّ أي فكرة عن معنى كل هذه الأشياء، لكن على الأقل بوصفي قارئة، أعلم أنه يجب أن يكون لها بعض الأهمية، وإلا لماذا ذُكرت؟ بوصفي محققة، كان عليَّ العثور على هذه الأشياء بنفسي، وربما كنت أبحث في الاتجاه الخطأ، لأنه بدا أن لديَّ القليل جدًّا مما يساعدني على العمل: لا أزرار ممزقة، ولا بصمات أصابع غامضة، ولا محادثات مسموعة بسهولة. حسنًا، بالطبع كانت لديَّ رسالة انتحار مكتوبة بخط اليد من آلان، والتي أُرسلت إلى تشارلز في ظرف مطبوع على الآلة الكاتبة، وهو عكس ما قرأته في الكتاب بالضبط. لكن ماذا يعني ذلك؟ هل نفد منه الحبر؟ هل كتب الرسالة، لكنه طلب من شخص آخر كتابة العنوان؟ إذا قرأت قصة من قصص شرلوك هولمز، يمكنك أن تكون متأكدًا تمامًا أن المحقق سيعرف بالضبط ما يحدث، حتى لو لم يخبرك بالضرورة. في هذه الحالة، لم يكن ذلك صحيحًا على الإطلاق.

كان هناك أيضًا ذلك العشاء في ذا آيفي. ما زلت غير قادرة على إبعاده عن ذهني. انزعج آلان عندما اقترح تشارلز تغيير عنوان كتابه. كان ماثيو بريتشارد جالسًا إلى الطاولة المجاورة، وسمع ما قاله. ضرب على الطاولة، ثم أشار بإصبعه قائلًا: «لن أتخلى عن البـ...». عن ماذا؟ لن أتخلى عن البساطة في العنوان؟ لن

أتخلى عن البديهيات في النقاش؟ لن أتخلى عن البرتقال للتحلية؟ حتى تشارلز لم يكن متأكدًا مما كان يقصده.

عليّ الاعتراف بالأمر مباشرة. لم أكن أعتقد أن جون وايت قتل آلان كونواي، على الرغم من أن لديّ دليلًا فوتوغرافيًا يصوره وهو يرتكب ذلك الفعل تحديدًا. بدا الأمر أشبه برسالة الانتحار التي لم تكن في الواقع رسالة انتحار، إلا أنه في هذه المرة لم أكن أملك حتى بدايات تفسير. لم أصدق ذلك ببساطة. قابلت وايت، ولم أرَه شخصًا عنيفًا أو عدوانيًا على وجه الخصوص. وعلى أي حال، لم يكن لديه سبب لقتل آلان. في الواقع، كان العكس هو الصحيح.

كانت هناك أسئلة أخرى أيضًا. مَن أرسل إليّ الصورة؟ لماذا أرسلوها إليّ بدلًا من الشرطة؟ لا بد أنها أُرسلت في نفس يوم الجنازة، وأظهر ختم البريد أنها من إبسويتش. كم شخصًا في الجنازة كان يعرف أنني أعمل لدى دار نشر كلوفرليف بوكس؟ كُتب اسمي بشكل خطأ على الظرف. هل كان ذلك خطأً حقيقيًا، أم محاولة متعمدة لإظهار أنهم لا يعرفونني جيدًا؟

جلست بمفردي في المكتب – خرج الجميع تقريبًا لتناول الغداء – وأعددت قائمة بالمشتبه فيهم. كان بإمكاني التفكير في خمسة أشخاص من المحتمل ارتكابهم جريمة القتل بنسبة أكثر بكثير من وايت، ورتبتهم تبعًا لدرجة الاحتمالية. كان الأمر محيرًا جدًّا. أجريت بالفعل التمرين نفسه بالضبط عندما انتهيت من كتاب آلان.

١. جيمس تيلور، الصديق

على الرغم من أنني أميل كثيرًا إلى جيمس، فإنه أكثر مَن استفاد بشكل مباشر من وفاة آلان. في الواقع، لو عاش آلان أربعًا وعشرين ساعة أخرى، لكان قد خسر عدة ملايين من الجنيهات. كان يعلم أن آلان موجود في المنزل. كان بوسعه تخمين أن آلان سيتناول الإفطار على البرج، لأن الطقس كان جيدًا في

ذلك اليوم قبل الأخير من شهر أغسطس. كان لا يزال يعيش هناك، وفي إمكانه الدخول بنفسه، والتسلل إلى الطابق العلوي ودفعه في غمضة عين. أخبرني بأنه كان في لندن خلال عطلة نهاية الأسبوع، لكن لم يكن لديَّ دليل على ذلك إلا كلمته، كما بدا مرتاحًا تمامًا عندما قابلته، كما لو أنه في منزله، كأنه يعلم أن آبي جرينج ملك له. بالطبع، فإن القاعدة الأولى في روايات الجريمة هي استبعاد المشتبه فيه الأكثر وضوحًا. ما الذي يتعين عليَّ فعله هنا؟

٢. كلير جينكنز، الشقيقة

في كل تلك الصفحات التي أعطتني إياها، استفاضت في الحديث عن مدى حبها لشقيقها، وعن مدى كرمه معها، وكم كانا قريبين على الدوام. لم أكن متأكدة أنني صدقتها تمامًا. اعتقد جيمس أنها كانت تغار من نجاحه، ومن المؤكد أنهما تجادلا في النهاية بشأن المال. لم يكن هذا بالضرورة دافعًا إلى القتل، لكن كان هناك سبب وجيه آخر لوضعها في المرتبة الثانية على قائمتي، وهو متعلق بالكتاب غير المكتمل.

استمد آلان كونواي سعادة شريرة من خلق شخصيات تستند إلى أشخاص يعرفهم. ظهر جيمس تيلور بوصفه جيمس فريزر المتأنق الغبي نوعًا ما، وظهر الكاهن في صورة جناس القلب من اسمه. حتى ابن آلان كان موجودًا باسمه الحقيقي. لم يكن لديَّ قَطُّ أي شك في أن كلاريسا باي، شقيقة السير ماجنوس الوحيدة والعانس، كانت مبنية على كلير. كانت صورة بشعة، أوضحها آلان أكثر عندما تعمد تضمين عنوان شقيقته في شارع دافني (على الرغم من أن برينت في الكتاب هو الذي كان يعيش هناك). إذا كانت كلير قد اطلعت على المخطوطة، فقد يكون لديها سبب وجيه للغاية لدفع شقيقها من فوق السطح. كان من مصلحتها أيضًا التأكد من عدم نشر الكتاب مطلقًا، وهو أمر كانت ستحققه من خلال سرقة الفصول الأخيرة.

لماذا تصر إذن على أن آلان قد قُتل؟ لماذا تلفت الانتباه إلى ما فعلته؟ لم يكن لديَّ جواب حقيقي على ذلك، لكن عند التفكير في الأمر، تذكرت أنني قرأت في

مكان ما أن القتلة لديهم الرغبة في المطالبة بحق الملكية. لهذا السبب يعودون إلى مسرح جريمتهم. هل يمكن أن تكون كلير قد طلبت مني التحقيق في وفاة شقيقها، للسبب نفسه الذي دفعها إلى كتابة تلك الحكاية الطويلة؟ رغبة مرضية في احتلال مركز الصدارة.

٣. توم روباسون، الكاهن

من المؤسف أن روباسون رفض إخباري بما حدث بالضبط في تشورلي هول، عندما واجهته في الكنيسة. لو أن زوجته وصلت بعد بضع دقائق، لأحدث ذلك فرقًا كبيرًا. لكن الحادثة تضمنت صورة استُغلت لإهانة صبي في مدرسة للبنين، ولم أكن بحاجة إلى إجهاد نفسي للتوصل إلى الفكرة العامة للموضوع. كان من المثير للاهتمام، بالمناسبة، أن كلير رأت شقيقها واحدًا من ضحايا أشكال القسوة المختلفة في المدرسة، في حين رآه روباسون مشاركًا نشطًا. كلما عرفت أكثر عن آلان، بت أميل إلى تصديق رواية الكاهن.

حدث كل هذا في السبعينيات، ومن الواضح أنه شغل ذهن آلان، لأنه كتب عن ذلك في الفصل الأول من بدائع القتل، عندما ظهرت ماري بلاكيستون في سكن الكاهن. «وكانت هناك، ملقاة فحسب وسط كل أوراقه». ما الذي رأته؟ هل كانت هنرييتا وروبن أوسبورن منحرفين من نوع ما؟ هل تركا صورًا تدينهما في مكان ظاهر، تشبه في طبيعتها تلك التي عذبت روباسون؟ مما قاله في خطابه في جنازته، لم ينسَ الكاهن أيًا من هذا، وبعد أن قابلته، يمكنني تخيله بسهولة وهو يتسلل إلى أعلى البرج للفوز بالانتقام. مع ذلك، لطالما اعتقدت أن الكهنة يشكلون شخصيات رديئة في روايات الجريمة. بطريقة ما، فهم واضحون بدرجة زائدة على الحد، وضيقو الأفق. إذا تبين أن روباسون هو القاتل، أعتقد أنني سأصاب بخيبة أمل.

٤. دونالد لي، النادل

قلت: «لابد أنك سُررت للغاية لسماع أنه مات»، فأجاب قائلًا: «كنت مبتهجًا».

لم يتقابل الرجلان منذ سنوات عديدة، وأحدهما يكره الآخر. التقيا مصادفة، وبعد ثمانٍ وأربعين ساعة، مات أحدهما. عندما أدوِّن الأمر بوضوح هكذا، فلا بد أن يكون دونالد على قائمتي، وكان من السهل بالنسبة إليه الحصول على عنوان آلان من سجلات النادي. ما الذي يمكن أن يُقال أكثر من هذا؟

٥. مارك ريدموند، المنتج

لقد كذب عليَّ. قال إنه عاد إلى لندن يوم السبت، في حين أظهر السجل أنه أقام بالفعل في فندق ذا كراون طوال عطلة نهاية الأسبوع. كما كانت لديه أيضًا كل الأسباب التي تجعله يتمنى موت آلان. كانت مغامرات أتيكوس ستساوي ثروة، إذا تمكن من وضعها حيز التنفيذ، وقد استثمر ريدموند الكثير من أمواله الخاصة لتمويل المشروع. من المؤكد أنه كان يعرف الكثير عن جرائم القتل، بعد أن دبر المئات منها على شاشة التلفزيون البريطاني. هل كان من الصعب حقًّا الانتقال من الخيال إلى الواقع؟ ففي النهاية، كانت جريمة القتل غير دموية، بلا مسدسات، ولا سكاكين. مجرد دفعة بسيطة. يمكن لأي شخص أن يفعل ذلك.

كانت تلك هي الأسماء الخمسة على قائمتي، الخنازير الخمسة الصغار، إذا شئت القول، الذين أشتبه في ارتكابهم الجريمة. لكن كان هناك اسمان آخران لم أضفهما، ربما يجب أن يكونا موجودين هناك.

٦. ميليسا كونواي، الزوجة السابقة

لم تسنح لي الفرصة للتحدث معها بعد، لكنني قررت السفر إلى برادفورد أون أيفون بأسرع ما يمكن. كنت قد بدأت أُصاب بالهوس بشأن مقتل آلان، ولن أنجز أي عمل في دار نشر كلوفرليف حتى يتم حل الجريمة. تبعًا لكلير جينكنز، لم تسامح ميليسا آلان قَطُّ بسبب الكيفية التي هجرها بها. هل التقيا مؤخرًا؟ هل من الممكن أن يكون قد حدث شيء ما، دفعها إلى الانتقام؟

انزعجت لأنني فاتني لقاؤها في الفندق. أردت سؤالها لماذا قطعت الطريق بأكمله إلى فراملينجهام لحضور جنازة زوجها. هل قطعت الرحلة نفسها لتدفعه من أعلى البرج؟

٧. فريدريك كونواي، الابن

قد لا يكون من الإنصاف إدراج اسمه - لم ألمحه إلا في الجنازة، ولم أكن أعرف عنه شيئًا تقريبًا - لكنني ما زلت أتذكر كيف بدا ذلك اليوم، وهو يحدق إلى القبر، وقد تشوَّهت ملامحه تمامًا بفعل الغضب. كان والده قد تخلى عنه، والأسوأ من ذلك أن والده أعلن عن ميوله المثلية، وبوصفه تلميذًا في المدرسة، ربما لم يكن ذلك سهلًا بالنسبة إليه أيضًا. هل هذا دافع إلى القتل؟ لا بد أن آلان كان يفكر فيه عندما كتب بدافع القتل. ظهر فريدي باعتباره ابن السير ماجنوس والليدي باي، الشخصية الوحيدة التي احتفظت باسمها الحقيقي.

هذه هي الملاحظات التي دوَّنتها، وأنا جالسة في مكتبي عصر يوم الاثنين، وبحلول وقت رحيلي، لم أكن قد وصلت إلى أي شيء محدد. من الجيد جدًّا وجود مشتبه فيهم، لكن عندما يحين وقت الحسم (كما حدث بالفعل)، فإن جميع السبعة - ثمانية إذا أحصينا جون وايت - من الممكن أن يكونوا قد قتلوا آلان كونواي. فيما يتعلق بهذا الموضوع، ربما كان رجل البريد، أو بائع الحليب، أو شخصًا نسيت أن أذكره، أو شخصًا لم أقابله. ما كنت أفتقده هو ذلك الترابط الذي تجده في لغز جريمة قتل، والشعور بأن جميع الشخصيات تتحرك جنبًا إلى جنب، مثل القطع على لوحة لعبة كلودو. كان من الممكن أن يطرق أي واحد منهم باب آبي جرينج في صباح يوم الأحد ذاك، ومن الممكن أن يكون أي واحد منهم قد ارتكب الجريمة.

في النهاية دفعت مفكرتي جانبًا، وذهبت لحضور اجتماع مع أحد محررينا. لو عملت بجد أكبر بعض الشيء، لكنت أدركت أن الدليل الذي أبحث عنه

كان موجودًا بالفعل، وأن شخصًا ما قال لي شيئًا مؤخرًا، حدده بوصفه القاتل، وأن الدافع وراء مقتل آلان كان أمام عينَي في اللحظة التي بدأت فيها قراءة بدافع القتل.

ربما أحدث نصف ساعة فقط كل الفرق في العالم. لكنني تأخرت عن اجتماعي، وكنت لا أزال منشغلة بالتفكير في أندرياس. كان ذلك سيكلفني الكثير.



برادفورد أون أيفون

كانت برادفورد أون أيفون آخر نقطة توقف في رحلتي إلى العالم الوهمي لرواية بدافع القتل. على الرغم من أن آلان استغل أورفورد كنموذج بنى عليه ساكسبي أون أيفون، فإن الاسم نفسه يُظهر أين تكمن أفكاره. ما فعله في الواقع هو تجميع الاثنين. تنتمي الكنيسة، والميدان، والحانتان، والقلعة، والمروج، والتصميم العام، إلى أورفورد. لكن الكتاب يصف برادفورد أون أيفون، التي تقع على بعد أميال قليلة خارج مدينة باث، بأنها «منشآت راسخة من الطراز الجورجي مبنية بأحجار مدينة باث، بها أروقة جميلة بأعمدة، وحدائق ترتفع على شكل مصاطب». لا أعتقد أنه كان من قبيل المصادفة أنه المكان الذي تعيش فيه زوجته السابقة. حدث شيء جعله يفكر فيها. في مكان ما داخل بدافع القتل، هناك رسالة موجهة إليها.

كنت قد اتصلت سابقًا، وسافرت صباح الثلاثاء. ركبت القطار من محطة بادينجتون، وغيرته في باث. كنت سأقود سيارتي، لكن المخطوطة كانت معي، وخططت للعمل في الطريق. سعدت ميليسا باتصالي، ودعتني لتناول الغداء. وصلت بعد الثانية عشرة بقليل.

أعطتني عنوانًا – في ميدل رانك – قادني إلى صف من المنازل المتصلة في مكان مرتفع أعلى البلدة، لا يمكن الوصول إليه إلا سيرًا على الأقدام. كان يقع وسط شبكة غير عادية من الممرات والسلالم والحدائق، التي كان من الممكن

أن تكون إسبانية أو إيطالية الأصل، لو لم تكن إنجليزية بكل هذا القدر البادي من الإصرار. امتدت المنازل في ثلاثة صفوف مع نوافذ متناسبة تمامًا على الطراز الجورجي، وأروقة فوق العديد من الأبواب الأمامية، ونعم، أحجار باث تلك التي بلون العسل. تألف منزل ميليسا من ثلاثة طوابق، وحديقة مزدحمة شقت طريقها على شكل درجات أسفل التل، إلى مقصورة حجرية أدناه. هذا هو المكان الذي انتقلت إليه بعد أورفورد، وعلى الرغم من أنني لم أرَ المكان الذي عاشت فيه عندما كانت هناك، فقد خطر لي أن هذا المكان لا بد أن يكون النقيض. بدا غريبًا، ومنعزلًا. كان مكانًا تأتي إليه إذا أردت الهروب.

قرعت جرس الباب، وفتحته ميليسا بنفسها. كان انطباعي الأول أنها أصغر بكثير مما أتذكرها، على الرغم من أننا لا بد أن نكون في نفس العمر تقريبًا. بالكاد تعرَّفت عليها في الجنازة. بدت غير واضحة وسط الحشد، وهي ترتدي معطفها ووشاحها مع هطول المطر. الآن، وهي تقف أمامي في منزلها، بدت لي واثقة وجذابة ومسترخية. كانت نحيفة، لها عظام وجنتين عاليتين، وابتسامة حاضرة. كنت متأكدة أن شعرها كان بنيًّا عندما تزوجت آلان. صار كستنائيًّا داكنًا الآن، ومقصوصًا على نحو قصير، حتى الرقبة. ارتدت سروالًا من الجينز، وقميصًا من الكشمير، وسلسلة من الذهب الأبيض، ولم تضع أي مساحيق تجميل. كثيرًا ما خطر لي أن الطلاق يناسب بعض النساء. كنت سأقول ذلك عنها.

استقبلتني بطريقة رسمية، وقادتني إلى الطابق العلوي، إلى غرفة المعيشة الرئيسية التي تمتد بطول المنزل بالكامل، مع إطلالات جميلة على برادفورد أون أيفون وعلى تلال منديب. كان الأثاث حديثًا وتقليديًّا، ويبدو باهظ الثمن. كانت قد أعدت الغداء: سمك السلمون المدخن، والسلطة، والخبز المصنوع يدويًّا. عرضت عليَّ نبيذًا، لكنني اكتفيت بالمياه الفوارة.

جلست قائلة:

- رأيتكِ في الجنازة. آسفة لأنني لم أتحدث إليك، لكن فريدي كان في عجلة من أمره للرحيل. أخشى أنه ليس موجودًا هنا. لديه يوم مفتوح في لندن.

- أوه، حقًّا؟

- إنه يتقدم للالتحاق بمدرسة سانت مارتن للفنون. يريد حضور دورة في الخزف.

تابعت الحديث بسرعة، وقالت:

- لم يكن يريد الوجود هناك حقًّا، كما تعلمين، في فراملينجهام.

- لقد فوجئت بشدة لرؤيتك.

- كان زوجي يا سوزان. ووالد فريدي. علمت أنه يتعين عليَّ الذهاب، بمجرد أن سمعت بموته. اعتقدت أن ذلك سيكون مفيدًا لفريدي. تأذى بشدة مما حدث، بدرجة أكثر مني على ما أظن. ظننت أن ذلك قد يمنحه نوعًا ما من الشعور بإغلاق الدائرة.

- وهل حدث ذلك؟

- ليس في الواقع. اشتكى طوال طريق الذهاب إلى هناك، ولم يقل شيئًا في طريق العودة. وضع سماعتَي جهاز الآيباد الخاص به في أذنيه. مع ذلك، أنا سعيدة لأننا ذهبنا. شعرت بأنه الشيء الصحيح الذي ينبغي لنا عمله.

- ميليسا...

كان هذا هو الجزء الصعب. تابعت قائلة:

- أردت أن أسألكِ عنك وعن آلان. هناك بعض الأشياء التي أجد صعوبة في فهمها.

- لقد تساءلت عن سبب مجيئك كل هذه المسافة.

أخبرتها عبر الهاتف بأنني أبحث عن الفصول المفقودة، وأنني أحاول معرفة سبب انتحار آلان. لم تكن بحاجة إلى أي تفسير أكثر من ذلك، وبالتأكيد لم أكن لأذكر حقيقة أنه ربما يكون قد قُتل. قلت:

- لا أريد أن أحرجكِ.

ابتسمت قائلة:

- يمكنك أن تسأليني عن أي شيء تريدينه يا سوزان. كنا قد انفصلنا منذ ست

سنوات عندما مات، ولا أشعر بالحرج مما حدث. لماذا يجب عليَّ ذلك؟ بالطبع، كان الأمر صعبًا للغاية حينها. لقد أحببت آلان حقًّا، ولم أرغب في أن أفقده. لكن الأمر غريب... هل أنت متزوجة؟

- لا.

- عندما يهجرك زوجك من أجل رجل آخر، فإن ذلك يساعد نوعًا ما. أعتقد أنني كنت سأصبح أكثر غضبًا لو كانت امرأة أصغر سنًّا. عندما أخبرني عن جيمس، رأيت أنها مشكلته، إذا كانت مشكلة. لا يمكنني أن ألوم نفسي إذا كان ذلك هو طبيعة شعوره.

- هل كانت لديك أي فكرة عن ذلك، عندما كنتما متزوجين؟

- إذا كنتِ تتحدثين عن ميوله الجنسية، لا، ليس على الإطلاق. وُلد فريدي بعد عامين من زواجنا. أعتقد أن علاقتنا كانت طبيعية.

- قلتِ إن الأمر كان أصعب بالنسبة إلى ابنك.

- كان كذلك بالفعل. كان فريدي في الثالثة عشرة من عمره عندما أعلن آلان ميوله المثلية، وكان أسوأ ما في الأمر أن الصحف علمت بالقصة، وقرأ الأطفال عنها في المدرسة. بالطبع تعرض للمضايقة، نظرًا إلى كون والده مثليًّا. أعتقد أن الأمر كان سيصبح أسهل إذا حدث ذلك الآن. لقد تقدمت الأمور بسرعة كبيرة.

بدت خالية تمامًا من أي ضغينة. فوجئت لذلك، وسجلت ملحوظة في ذهني لشطبها من القائمة التي وضعتها في اليوم السابق. أوضحت أن الطلاق كان وديًّا، وأن آلان أعطاها كل ما تريد، واستمر في الإنفاق على فريدي على الرغم من عدم وجود اتصال بينهما. كان هناك صندوق ائتمان يكفيه لدخول الجامعة وما بعدها، وكما ذكر جيمس تيلور، فقد ترك له مالًا في الوصية. كانت هي نفسها تعمل بدوام جزئي، مُدرِّسة بديلة في مدينة وارمينستر المجاورة. لكن كان يوجد الكثير من المال في البنك، ولم تكن بحاجة إلى العمل.

تحدثنا كثيرًا عن آلان بوصفه كاتبًا، لأنني أخبرتها بأن هذا هو ما يثير اهتمامي.

لقد عرفته في أكثر الأوقات إثارة في حياته المهنية: الكفاح، والنشر لأول مرة، والعثور على الشهرة.

قالت لي:

- كان الجميع في مدرسة وودبريدج يعرفون أنه يريد أن يصبح كاتبًا. لقد أراد ذلك بشدة، وكان هذا هو كل ما يتحدث عنه. في الواقع كنت أواعد مدرسًا آخر هناك، لكن ذلك انتهى عندما جاء آلان للتدريس في المدرسة. هل ما زلتِ على اتصال مع أندرياس؟

طرحت ذلك السؤال بشكل عرضي تمامًا، ولا أعتقد أنها لاحظت الأمر عندما تجمدت. كنا قد تحدثنا منذ فترة طويلة، في حفلات النشر، وقلت لها إنني أعرف أندرياس، ولكن إما أنني لم أخبرها بأننا نتواعد، وإما أنها نسيت ذلك. قلت:

- أندرياس؟

- أندرياس باتاكيس. كان يُدرِّس اللاتينية واليونانية. ارتبطت أنا وهو بعلاقة قوية، استمرت لمدة عام تقريبًا. شغف أحدنا بالآخر. أنتِ تعرفين طبيعة ذلك العرق المتوسطي. أخشى أنني عاملته معاملة سيئة في النهاية، لكن كما قلت، كان هناك شيء ما في آلان يناسبني أكثر.

أندرياس باتاكيس. أندرياس الذي أعرفه أنا.

فجأة، اتضحت أشياء كثيرة. إذن هذا هو السبب وراء كراهية أندرياس لآلان، واستيائه من نجاحه! كما كان هذا أيضًا هو السبب الذي جعله مترددًا جدًّا مساء الأحد، في إخباري ما الذي كان يزعجه بشأن آلان. كيف يمكنه الاعتراف بأنه كان يواعد ميليسا قبل أن يقابلني؟ ما الذي يجب أن أظنه؟ هل عليَّ الشعور بالانزعاج؟ لقد ورثته من علاقة سابقة. لا، هذا سخف. تزوَّج أندرياس مرتين، وكانت هناك الكثير من النساء الأخريات في حياته. كنت أعرف ذلك. لكن ميليسا؟... وجدت نفسي أنظر إليها من منظور مختلف تمامًا. كانت بالتأكيد أقل جاذبية بكثير مما ظننت: نحيفة للغاية، بل حتى صبيانية، وتناسب آلان أكثر من أندرياس.

لم تتوقف عن الحديث. كانت لا تزال تخبرني عن آلان.

- أنا أحب الكتب تمامًا، ووجدته آسرًا. لم يسبق أن قابلت أي شخص متحمس إلى هذا الحد من قبل. دومًا ما كان يتحدث عن القصص والأفكار، والكتب التي قرأها، والكتب التي يرغب في كتابتها. التحق بدورة في جامعة إيست أنجليا، وكان على يقين أنها ستساعده على تحقيق النجاح. لم يكن يكفيه نشر أعماله فحسب، بل أراد أن يصبح مشهورًا. لكن الأمر استغرق وقتًا أطول بكثير مما توقعه. رافقته طوال العملية بأكملها: تأليف الكتب، والانتهاء منها، ثم خيبة الأمل الرهيبة عندما لا يُبدي أحد أي اهتمام. ليست لديكِ أي فكرة عن طبيعة الأمر يا سوزان، عند التعرض للرفض، وتلك الرسائل التي تأتي في البريد، وبها ستة أو سبعة أسطر ترفض عمل عام بأكمله. حسنًا، أعتقد أنك أنتِ التي تعملين على كتابتها. لكن قضاء كل ذلك الوقت في كتابة شيء ما، لتجدي في النهاية أن لا أحد يريده فحسب، أمر مدمر بشكل رهيب. إنهم لا يرفضون عملك فقط، بل يرفضون كينونتك.

- ومَن كان آلان؟

- كان يأخذ الكتابة على محمل الجد بدرجة كبيرة. الحقيقة أنه لم يرغب في كتابة الألغاز. الكتاب الأول الذي عرضه عليَّ كان عنوانه تطلَّع إلى النجوم. في الواقع، كان بارعًا جدًّا، ومضحكًا، وحزينًا بعض الشيء. كانت الشخصية الرئيسية لرائد فضاء، لكنه في الواقع لم يذهب إلى الفضاء قَطُّ. بطريقة ما، كان ذلك يشبه آلان بعض الشيء، على ما أعتقد. بعد ذلك، كان هناك كتاب يدور في جنوب فرنسا. قال إنه مستوحى من رواية هنري جيمس، دورة البرغي. استغرق منه الأمر ثلاث سنوات للانتهاء منه، لكن لم يهتم أحد مرة أخرى. لم أستطع فهم ذلك لأنني أحببت كتابته، وآمنت بها تمامًا. وما يثير غضبي هو أنني كنت أنا مَن أفسد كل شيء في النهاية.

صببت لنفسي مزيدًا من المياه الفوارة. كنت لا أزال أفكر في أندرياس. سألتها:

- ماذا تقصدين؟

- كان أتيكوس بوند فكرتي أنا. لا، كان كذلك حقًّا! عليكِ أن تفهمي أن ما

أراده آلان، أكثر من أي شيء آخر، هو أن تُنشر أعماله، وأن يصير معروفًا. كان الأمر قاتلًا بالنسبة إليه، وهو عالق في مدرسة خاصة مملة وسط مكان منعزل، يُدرِّس لمجموعة من الأولاد الذين لم يكن يحبهم حتى، والذين سينسونه بمجرد انتقالهم إلى الجامعة. وذات يوم - كنا قد ذهبنا إلى مكتبة للتو - اقترحت عليه أن يكتب شيئًا أبسط وأكثر شعبية. لطالما كان بارعًا في الألغاز: الكلمات المتقاطعة، وأشياء من ذلك القبيل. لطالما كان مغرمًا بالحيل والتمويه. لذلك أخبرته بأنه يجب أن يكتب رواية جريمة. بدا لي أن هناك كُتَّابًا يكسبون آلافًا، وملايين من الجنيهات، من الكتب التي لم تكن تداني نصف جودة كتبه. سيستغرق الأمر منه بضعة أشهر فقط، وربما كان ممتعًا. وإذا نجح، فيمكنه ترك وودبريدج ليصبح كاتبًا بدوام كامل، وهو ما أراده حقًّا.

في الواقع، ساعدته في كتابة جرأة أتيكوس بوند. كنت موجودة عندما فكر في الشخصية الرئيسية، وأخبرني بكل أفكاره.

- من أين استمد شخصية أتيكوس؟

- كانوا قد عرضوا للتو فيلم قائمة شندلر على التلفزيون، واستمده آلان من ذلك. ربما كان مبنيًّا أيضًا على شخصية مدرس لغة إنجليزية قديم. كان اسمه أدريان باوند، أو شيئًا من هذا القبيل. قرأ آلان الكثير من كتب أجاثا كريستي، وحاول اكتشاف كيف كتبت ألغازها، وعندها فقط بدأ الكتابة. كنت أول مَن قرأها، وما زلت فخورًا بذلك. كنت أول شخص في العالم يقرأ رواية لأتيكوس بوند، وقد أحببتها. بالطبع لم تكن في مثل جودة باقي أعماله. كانت أخف، ومن دون مغزى تمامًا، لكنني اعتقدت أنها مكتوبة بشكل جميل. وقد نشرتِها بالطبع، وتعلمين الباقي.

- قلتِ إنك أفسدت الأمور بالنسبة إليه.

- سار كل شيء على غير ما يرام بعد صدور الكتاب. عليكِ أن تفهمي أن آلان كان شخصًا بالغ التعقيد. كان بوسعه أن يصبح متقلب المزاج بشدة،

ومنطويًا. بالنسبة إليه، كانت الكتابة شيئًا غامضًا. كان الأمر كما لو أنه راكع عند المذبح، والكلمات تتنزل إليه، أو شيء من هذا القبيل. كان معجبًا ببعض الكُتَّاب، وأكثر من أي شيء آخر في العالم، كان يحلم دائمًا بأن يصير مثلهم.

- أي كُتَّاب؟

- حسنًا، سلمان رشدي، على سبيل المثال، ومارتن أميس، وديفيد ميتشل، وويل سيلف.

تذكرت الصفحات الأربعمائة والعشرين التي قرأتها من الز لاقة. ظننت حينها أنها تحاكي أسلوب عمل آخر، لكن ميليسا أخبرتني الآن عن مصدرها. كان آلان يقلد كاتبًا حظي بإعجابه، لكنني شخصيًا لم أتمكن من قراءته قَطُّ. أنتج شيئًا أشبه بتقليد لأعمال ويل سيلف.

واصلت ميليسا الحديث قائلة:

- ما إن صدر أتيكوس بوند حتى صار حبيسًا. كان ذلك هو ما لم يتوقعه أيٌّ منا. كان ناجحًا للغاية، إلى درجة أن أحدًا لم يرِده أن يكتب أي شيء آخر بالطبع.

قلت:

- كان أفضل من كتبه الأخرى.

- ربما كان هذا رأيكِ، لكن آلان لم يتفق، ولا أنا كذلك.

بدت عليها المرارة، وواصلت قائلة:

- لقد كتب أتيكوس بوند للخروج من مدرسة وودبريدج فحسب، وكل ما فعله أنه وضعه في مكان أسوأ.

- لكنه صار ثريًا.

تنهدت قائلة:

- لم يكن يريد المال! لم يكن الأمر يتعلق بالمال قَطُّ.

لم يتناول أيٌّ منا الكثير من الغداء. تابعت الحديث:

- حتى لو لم يجد آلان ذلك الجانب الآخر من نفسه، وحتى لو لم يرحل مع

جيمس، لا أعتقد أننا كنا سنظل متزوجين فترة أطول. لم يَعُد إلى طبيعته معي قَطُّ بعد أن اشتهر. هل تفهمين ما أقوله يا سوزان؟ لقد خنته. والأسوأ من ذلك أنني أقنعته أن يخون نفسه.

بعد نصف ساعة آخر - ربما أربعين دقيقة - رحلت. اضطررت إلى انتظار القطار في محطة برادفورد أون أيفون، لكن ذلك كان يناسبني. كنت بحاجة إلى وقت للتفكير. أندرياس وميليسا! لماذا أزعجني ذلك إلى هذه الدرجة؟ لقد انتهى الأمر قبل أن نلتقي حتى. أعتقد أن جزءًا من الأمر كان طبيعيًّا، نوبة من الغيرة اللاإرادية. لكن في الوقت نفسه، تذكرت ما قاله لي أندرياس، آخر مرة تحدثنا فيها. «هل هذا هو أفضل ما في استطاعتنا؟». لطالما افترضت أن كلينا يحب طبيعة علاقتنا غير الرسمية، وانزعجت بشأن الفندق لأنه يغير كل هذا. ما قالته لي ميليسا للتو جعلني أفكر مرة أخرى. رأيت فجأة كم سيكون من السهل أن أخسره.

كما طرأ عليَّ شيء آخر. كان أندرياس قد خسر ميليسا بسبب آلان، وقد أوضح أن الأمر لا يزال يثير غضبه. بالتأكيد لم يكن هناك أي ود مفقود بينهما. وهذه المرة، بعد كل هذه السنوات، كان آلان هو السبب الرئيسي الذي قد يفقدني من أجله. كنت محررته، وتعتمد مسيرتي المهنية إلى حدٍّ كبير على نجاح كتبه. «كرهت الطريقة التي كان عليكِ تملُّقه بها». هذا ما قاله.

فجأة، رأيت أنه لا بد أن أندرياس، مثل أي شخص آخر، كان سعيدًا للغاية لرؤيته ميتًا.

كنت بحاجة إلى إلهاء نفسي. لذا بمجرد أن ركبت القطار، أخرجت بدافع القتل، لكن هذه المرة، بدلًا من قراءتها، حاولت فك شفرتها. لم أستطع الفكاك من فكرة أن آلان كونواي أخفى شيئًا ما داخل النص، وأنه قد يكون سبب مقتله. تذكرت الكلمات المتقاطعة التي حلَّتها كلاريسا باي، وألعاب الشفرة التي لعبها الصبيان في الكوخ الخشبي. عندما كان آلان في تشورلي هول، أرسل إلى شقيقته رسائل

ملغزة، ووضع نقاطًا تحت أحرف معينة في الكتب لإرسال رسائل سرية. لم تكن هناك نقاط في النسخة المطبوعة على الكمبيوتر من بدافع القتل. كنت قد تحققت من ذلك بالفعل. لكن كتبه احتوت على أنهار بريطانية، ومحطات مترو أنفاق، وأقلام حبر، وطيور. كان هذا رجلًا يلعب لعبة السكرابل الإلكترونية في أوقات فراغه. «لطالما كان بارعًا في الألغاز: الكلمات المتقاطعة، وأشياء من ذلك القبيل». كان هذا تحديدًا هو السبب الذي دفع ميليسا في الأساس إلى إقناعه بمحاولة كتابة لغز جريمة قتل. كنت على يقين أنني إذا بحثت بجد كافٍ فسوف أعثر على شيء.

ظننت أنني أعرف من أين نبعت الشخصيات، لذا تجاهلتها. إذا كنت أبحث عن رسائل سرية، فقد بدا أن الاختصارات المركبة من أوائل حروف الكلمات هي الاحتمال الأرجح. شكَّلت الحروف الأولى من الكلمة الأولى من كل فصل، على سبيل المثال، كلمة «كجالوو». لا يوجد شيء هناك. بعد ذلك، جربت الجمل العشر الأولى التي بدأت بأحرف «كخليككاكفا»، والحروف الأولى من الكلمة الأولى لكل قسم: كللا... لم أكن بحاجة إلى الاستمرار. لم يعني ذلك أي شيء أيضًا. طالعت عنوان الكتاب. يمكن إعادة ترتيب أحرف بدافع القتل، لتشكِّل «فقدت اللاعب»، «قبلت الدافع»، أو «اتفق بالعدل»، وغيرها. كان هذا نشاطًا صبيانيًّا. لم أتوقع العثور على شيء في الواقع. لكن الفكرة شغلت ذهني ونحن عائدون في طريقنا إلى لندن. لم أرغب في التفكير فيما قالته لي ميليسا.

بعد ذلك، في مكان ما بين سويندون وديدكوت، اتضح لي الأمر، وتشكَّل أمام عينَي فحسب.

عناوين الكتب.

كانت القرائن موجودة على الدوام. أخبرني جيمس بأن عدد الكتب مهم. «لطالما قال آلان إنه ستكون هناك تسعة كتب. قرر ذلك منذ البداية». لماذا تسعة؟ لأن هذه هي رسالته السرية. هذا ما أراد توضيحه. انظر إلى الأحرف الأولى.

جرأة أتيكوس بوند
نفوس شريرة
أتيكوس بوند يتولى القضية
سيأتي الليل مناديًا
أتيكوس بوند يحتفل بعيد الميلاد
لهب وسيانيد
قرنفل أحمر لأتيكوس
لقاءات أتيكوس بوند
إذا أضفت العنوان الأخير، بدافع القتل، فما الذي تحصل عليه؟
جناس القلب.

أخيرًا، أوضح ذلك شيئًا ظل يشغل ذهني فترة من الوقت. في نادي ذا آيفي، غضب آلان عندما اقترح تشارلز تغيير عنوان الكتاب الأخير. ما الذي قاله؟ «لن أتخلى عن الـ...». كانت تلك هي اللحظة التي أسقط فيها دونالد لي الأطباق.

لكن في الحقيقة لم تكن هناك كلمة ناقصة. كان قد أكمل الجملة بالفعل. ما كان يقوله هو أن الكتاب لا يمكن تسميته بـ«دافع القتل»، لأن ذلك من شأنه إفساد المزحة التي ضمنها آلان في السلسلة منذ اليوم الذي فكر فيها تقريبًا. كان قد توصل إلى جناس القلب.

لكن جناس القلب لماذا بالضبط؟

بعد ساعة، وصل القطار إلى محطة بادينجتون، ولم يتضح لي الأمر بعد.

محطة بادينجتون

لا أحب المصادفات في الروايات، ولا سيما في ألغاز القتل التي يقوم نجاحها على المنطق والحسابات. يجب أن يكون المحقق قادرًا حقًّا على التوصل إلى استنتاجه، من دون أن تكون العناية الإلهية في صفه. لكن هذا مجرد حديث المحرر الكائن بداخلي، وللأسف فإن هذا هو ما حدث. عندما ترجلت من القطار في الساعة الخامسة ودقيقتين في مدينة يبلغ عدد سكانها ثمانية ملايين ونصف المليون نسمة، والآلاف منهم يعبرون الساحة في كل مكان من حولي، اصطدمت بشخص أعرفه. كان اسمها جيما همفريز. حتى وقت قريب للغاية، كانت تعمل مساعدًا شخصيًّا لتشارلز كلوفر في دار نشر كلوفرليف.

رأيتها وتعرَّفت عليها في الحال. لطالما قال تشارلز إن لديها ابتسامة من ذلك النوع الذي يمكنه أن يضيء حشدًا، وكان هذا أول ما لفت نظري، حقيقة أنها وحدها بدت مبتهجة بين الكتلة الرمادية من الركاب الذين كانوا في طريقهم إلى المنزل. كانت نحيفة وجميلة، بشعر أشقر طويل، وعلى الرغم من أنها كانت في منتصف العشرينيات من عمرها، فإنها لم تفقد أيًّا من مرحها الطفولي. أتذكر أنها قالت لي إنها أرادت الدخول إلى مجال النشر لأنها تحب القراءة. افتقدت وجودها في المكتب بالفعل. لم تكن لديَّ أي فكرة عن سبب رحيلها.

رأتني في اللحظة نفسها، ولوحَت. شقت كلٌّ منا طريقها نحو الأخرى،

واعتقدتُ أننا سنلقي التحية فقط وأنني سأسألها عن حالها، لكن هذا لم يكن ما حدث.

سألتها:

- كيف حالكِ يا جميما؟

- أنا بخير، شكرًا يا سوزان. إنه لمن الرائع حقًّا رؤيتك. أنا آسفة لأنني لم أتمكن من توديعك.

- لقد حدث كل شيء سريعًا للغاية. كنت في جولة للترويج لكتاب، وعندما عدتُ، كنتِ قد رحلت بالفعل.

- أعرف هذا.

- أين أنتِ الآن، إذن؟

- أعيش مع والدَي في تشيسويك. كنت في طريقي للتو...

- أين تعملين؟

ضحكت بعصبية وقالت:

- لم أحصل على وظيفة بعد. ما زلت أبحث.

حيَّرني ذلك. كنت قد افترضت أن أحدهم اقتنصها للعمل لديه. سألتها:

- لماذا رحلتِ إذن؟

- لم أرحل يا سوزان. طردني تشارلز. حسنًا، طلب مني الرحيل. لم أكن أرغب في ذلك.

لم يكن هذا ما قاله لي تشارلز. كنت متأكدة أنه قال إنها سلمت إشعارًا باستقالتها. كانت الساعة الخامسة والنصف بالفعل، وأردت الذهاب إلى المكتب وتصفح رسائل بريدي الإلكتروني قبل أن أقابل أندرياس. لكن شيئًا ما أخبرني بأنني لا أستطيع ترك الأمر على هذا النحو. كان يجب أن أعرف أكثر. سألتها:

- هل أنتِ في عجلة من أمرك؟

- لا، ليس في الواقع.

- هل يمكنني أن أشتري لكِ مشروبًا؟

مضينا في طريقنا إلى إحدى تلك الحانات القذرة البغيضة بكل صراحة، المطلة على أرصفة محطة بادينجتون. اشتريت لنفسي مشروب جين وتونيك، وصل من دون ثلج كافٍ. طلبت جميما كأسًا من النبيذ الأبيض. سألتها:

- ماذا حدث إذن؟

عبست جميما، وقالت:

- لست متأكدة، لأكون صريحة معك يا سوزان. أحببت حقًّا العمل في دار كلوفرليف، وكان تشارلز جيدًا معظم الوقت. كان يمكنه التصرف بعصبية من حين إلى حين، لكنني لم أمانع، لأن ذلك جزء من الوظيفة بطريقة ما. على أي حال، خضنا جدالًا كبيرًا، لا بد أنه كان اليوم الذي ذهبتِ فيه من أجل جولة الكتاب تلك. قال إنني حجزت له موعدًا لتناول الغداء في الوقت نفسه الذي فيه وكيل جالس في مطعم آخر ينتظره، لكن ببساطة، لم يكن هذا صحيحًا. لم أرتكب أي أخطاء قَطُّ فيما يتعلق بدفتر مواعيده. لكن عندما حاولت الجدال معه، غضب بشدة. لم أرَه هكذا من قبل. بالغ في الأمر تمامًا. بعد ذلك، في صباح يوم الجمعة، جلبت له فنجان قهوة إلى مكتبه، وعندما ناولته إياه تخبط نوعًا ما، وانسكب على جميع أنحاء مكتبه. كانت فوضى رهيبة، فخرجت وجلبت منشفة مطبخ ونظفتها له، وحينها قال إنه لا يظن أن الأمر ناجح بيننا، وإنه يتعين عليَّ البدء في البحث عن وظيفة أخرى.

- هل طردكِ على الفور؟

- ليس تمامًا. كنت مستاءة جدًّا. أعني، ذلك الموقف مع القهوة، لم يكن خطئي أنا حقًّا. كنت سأضعها على مكتبه كما أفعل دائمًا، لكنه مد يده ليتناولها، وأسقطها من يدي. ولم يكن الأمر كما لو أنني ارتكبت الكثير من الأخطاء. بقيت معه لمدة عام، وسار كل شيء على ما يرام. تبادلنا حديثًا مطولًا، وأعتقد أنني أنا مَن قال له إنه سيكون من الأفضل أن أرحل

على الفور، وقال إنه سيدفع لي راتب شهر، لذا انتهى الأمر. قال أيضًا إنه سيعطيني مراجع وظيفية جيدة، وإنه في حال ما إذا طرح أي شخص السؤال، فلم أُطرد من العمل، بل قررت الرحيل فحسب.

تمسك تشارلز بذلك، وكان هذا ما أخبرني به. تابعت قائلة:

- أعتقد أن هذا كان لطفًا منه. رحلت في نهاية اليوم فحسب، وهذا كل ما في الأمر.

سألتها:

- في أي يوم كان ذلك؟

- كان صباح الجمعة. كنتِ في طريق عودتكِ من دبلن.

تذكَرَت شيئًا، ثم سألتني:

- هل تمكن أندرياس من اللحاق بكِ؟

- معذرة؟

شعرت برأسي يدور. كانت هذه هي المرة الثانية التي يُذكر فيها أندرياس اليوم. أقحمته ميليسا في المحادثة فجأة، والآن فعلت جميما الشيء نفسه. كانت تعرفه، بالطبع. قابلته مرات عديدة، واستقبلت منه رسائل. لكن لماذا تذكره الآن؟

واصلت جميما قائلة بمرح:

- لقد جاء في اليوم السابق، وأراد أن يراكِ بعد لقائه مع تشارلز.

حاولت أن أفهم هذا على مهل. قلت:

- معذرة يا جميما، لا بد أنكِ مخطئة. لم يكن أندرياس في إنجلترا ذلك الأسبوع. كان في كريت.

- بدا مسمرًّا للغاية بالفعل، لكنني لست مخطئة. لقد كان أسبوعًا مروعًا بالنسبة إليَّ، وأتذكر كل ما حدث نوعًا ما. لقد جاء يوم الخميس، في نحو الساعة الثالثة.

- وقابل تشارلز؟

بدت عليها الحيرة، وقالت:

- هذا صحيح. أتمنى ألا أكون قد ارتكبت خطأً. لم يقل لي ألا أخبرك.

لكنه لم يخبرني بنفسه، بل العكس تمامًا. تناولنا غداءً كبيرًا عند اجتماع شملنا مرة أخرى، وقال إنه كان في كريت.

أردت ترك أندرياس خارج الموضوع، لذا عدت إلى تشارلز. قلت:

- من المستحيل أن يرغب في خسارتكِ.

لم أكن أتحدث إليها في الواقع، بل أتحدث مع نفسي، في محاولة لفهم الأمر. وكان ذلك صحيحًا. يمكنني بسهولة أن أتخيل تشارلز وهو يفقد أعصابه بالطريقة التي وصفتها، لكن ليس معها. كانت جميما هي سكرتيرته الثالثة، خلال العدد نفسه من السنوات، وكنت أعلم أنه يحبها. كانت هناك أوليفيا، التي أثارت أعصابه، وكات التي كانت تتأخر على الدوام. الثالثة ثابتة، هذا هو ما قاله. كانت جميما كفئًا وتعمل بجد. كما كانت تدفعه إلى الضحك. كيف يمكن أن يكون قد غيَّر رأيه فجأة هكذا؟

قالت:

- لا أدري. كان قد مر بأسبوعين سيئين. عندما صدرت جميع المراجعات لذلك الكتاب، لاعب الخفة ذو الذراع الواحدة، كان منزعجًا حقًّا، كما أعرف أنه لم يكن سعيدًا للغاية بشأن بدافع القتل أيضًا. وكان قلقًا بخصوص ابنته. بصراحة يا سوزان، فعلت كل ما في وسعي للمساعدة، لكنه كان بحاجة إلى شخص يصرخ في وجهه فحسب، وكنت أنا الشخص الذي تصادف وجوده في الغرفة. هل أنجبت لورا طفلها؟

على الرغم من أنني لم أكن أعرف في الواقع، قلت:

- أجل، لم أعرف ما إذا كان صبيًّا أم فتاة.

- حسنًا، أبلغيه أمنياتي الطيبة.

تحدثنا أكثر بعض الشيء. كانت جميما تعمل بدوام جزئي، لمساعدة والدتها التي تعمل محامية، وتفكر في قضاء الشتاء في فيربير. كانت بارعة في التزلج على الجليد، واعتقدت أنها تستطيع الحصول على وظيفة للعمل في أحد الشاليهات.

لكنني لم أستمع حقًّا إلى ما تقوله. أردت الاتصال بأندرياس، وأردت أن أعرف لماذا كذب عليَّ.

بينما كنا نفترق، طرأت عليَّ فكرة أخرى. أعدت التفكير في شيء أخبرتني به، وقلت:

- لقد ذكرتِ أن تشارلز لم يكن سعيدًا برواية بدافع القتل. ماذا كانت المشكلة؟

- لا أدري، لم يقل. لكن من المؤكد أنه كان منزعجًا بسبب شيء ما. ظننت أنها ربما لم تكن جيدة.

- لكنه لم يكن قد قرأها بعد.

- حقًّا؟

بدت متفاجئة.

تعجلت المضي في طريقها، لكنني أوقفتها. لم يكن أيٌّ من هذا منطقيًّا. سلم آلان الكتاب الجديد بعد رحيل جميما. أعطاه لتشارلز في نادي ذا آيفي، يوم الخميس، ٢٧ أغسطس، في اليوم نفسه - كما اتضح الآن - الذي زاره فيه أندرياس في دار نشر كلوفرليف بوكس. عدت في يوم الثامن والعشرين، ووجدت نسخة من المخطوطة في انتظاري. قرأها كلٌّ منا خلال عطلة نهاية الأسبوع، وفي نهاية الأسبوع نفسها، مات آلان. إذن ما الذي يمكن أن يكون تشارلز قد انزعج بشأنه؟

قلت:

- لم يتسلم تشارلز الكتاب إلا بعد رحيلكِ.

- لا، هذا غير صحيح. لقد وصل في البريد.

- متى؟

- يوم الثلاثاء.

- كيف علمتِ بذلك؟

- لقد فتحته.

حدقت إليها، وقلت:

- هل رأيتِ العنوان؟

- نعم، كان على الصفحة الأولى.
- هل كان الكتاب كاملًا؟
حيرها ذلك، وقالت:
- لا أعرف يا سوزان. لقد أعطيته لتشارلز. كان سعيدًا جدًّا بالحصول عليه، لكنه لم يقل أي شيء بعد ذلك. وعلى أي حال، بعد بضعة أيام حدث ذلك الموقف مع القهوة، وانتهى الأمر.

كان الناس يمرون بجوارنا بسرعة. ارتفع صوت عبر نظام الإذاعة الداخلية معلنًا مغادرة قطار. شكرت جميما وعانقتها عناقًا وجيزًا، ثم أسرعت للبحث عن سيارة أجرة.

دار نشر كلوفرليف بوكس

لم أتصل بأندرياس. أردت أن أفعل ذلك، لكن تعين عليَّ فعل شيء آخر أولًا.

وجدت مقر الشركة مغلقًا عند وصولي، لكن كان بحوزتي مفتاح، وفتحت لنفسي. أبطلت أجهزة الإنذار، وصعدت السلم إلى الطابق الأول. أشعلت الأنوار، لكن من دون وجود أي شخص هناك، شعرت بأن المبنى لا يزال مظلمًا ومقبضًا، وقد رفضت الظلال التزحزح. كنت أعرف وجهتي بالضبط. لم يكن مكتب تشارلز يُغلق قَطُّ، ودخلته مباشرة. كان هناك مقعدان خاليان يتشاوران معًا أمام مكتب تشارلز في مواجهتي، وعلى أحد الجوانب الأرفف التي تحوي كل كتبه وجوائزه وصوره. كانت سلة بيلا على الجانب الآخر، منزوية بجوار خزانة تحتوي على زجاجات وأكواب. كم مرة جلست هنا، في وقت متأخر من المساء، أحتسي ويسكي الشعير ماركة «جلينمورانجي»، وأتحدث عن مشكلات اليوم؟ كنت هنا الآن بوصفي متطفلة، وراودني شعور بأنني أحطم كل شيء ساعدت في بنائه خلال السنوات الحادية عشرة الماضية.

تقدمت من المكتب. كنت في حالة مزاجية دفعتني إلى عدم التردد في تحطيم الأدراج إذا كانت مغلقة، سواء أكان المكتب يُعَد تحفة أم لا. لكن تشارلز لم يتخذ حتى هذا الإجراء الأمني. انزلقت الأدراج منفتحة بسهولة في يدي، كاشفة عن العقود، وتقارير التكلفة، والفواتير، وبروفات الطباعة، وقصاصات الصحف، وأسلاك غير مرغوب فيها من أجهزة الكمبيوتر والهواتف المحمولة القديمة،

والصور الفوتوغرافية، وفي الأسفل تمامًا، مخفية من دون عناية، كانت هناك حافظة أوراق بلاستيكية بها نحو عشرين ورقة. لم تحتوِ الصفحة الأولى إلا على عنوان مكتوب بأحرف كبيرة.

سبعة: سر لا يُباح به البتة

الفصول المفقودة. كانت هنا طوال الوقت. وفي النهاية، كان العنوان صحيحًا تمامًا. كان لا بد من إبقاء حل مقتل السير ماجنوس باي طي الكتمان، بسبب علاقته بمقتل آلان كونواي. ظننت أنني سمعت شيئًا ما. هل كان هناك صرير على الدرج بالخارج؟ قلبت الصفحة، وبدأت في القراءة.

تجوَّل اتيكوس بوند حول ساكسبي أون أيفون للمرة الأخيرة، في حين دفع جيمس فريزر الفاتورة لدى كوينز آرمز. كان قد رتب للقاء مفتش المباحث تشاب - واثنين آخرين - في مركز شرطة باث في غضون ساعة. لم يمضِ على وجوده هنا وقت طويل، لكن بطريقة غريبة، تعرَّف على القرية من كثب. الكنيسة، والقلعة، ومتجر التحف في الميدان، ومحطة الحافلات، وكوينز آرمز، وفيريمان... لم يعد بإمكانه النظر إليها على حدة. صارت بمثابة رقعة الشطرنج، التي لُعبت عليها هذه اللعبة تحديدًا، والتي كانت الأخيرة بالنسبة إليه بكل تأكيد.

كانت لعبته الأخيرة، لأنه يُحتضر. كان أتيكوس بوند وآلان كونواي في طريقهما إلى الرحيل معًا. هذا هو صلب الموضوع. كاتب وشخصية يكرهها، كلاهما يتجه نحو شلالات ريتشينباخ(*).

(*) تُعرف «الشلالات» بأنها المكان الذي تقاتل فيه شرلوك هولمز حتى الموت مع البروفيسور جيمس موريارتي، في نهاية رواية «المشكلة الأخيرة». (المترجمة).

اتضح لي كل شيء في محطة بادينجتون، في تلك اللحظة الاستثنائية التي لا بد أنهم شعروا بها جميعًا - بوارو، وهولمز، وويمسي، وماربل، ومورس - لكن لم يشرحها مؤلفوهم تمامًا. كيف كان الأمر بالنسبة إليهم؟ عملية بطيئة، مثل تركيب البازل؟ أم أن الأمر أتى دفعة واحدة، مثل دورة واحدة أخيرة في لعبة المشكال، عندما تتدحرج جميع الألوان والأشكال ويتداخل بعضها مع بعض، مكونة صورة واضحة؟ كان ذلك هو ما حدث معي. كانت الحقيقة هناك، لكن الأمر احتاج إلى دفعة أخيرة كي أتمكن من رؤيتها كاملة.

هل كان ذلك سيحدث لو لم ألتقِ جميما همفريز؟ لن أعرف أبدًا على وجه اليقين، لكن أعتقد أنني كنت سأصل إلى هنا في النهاية. كانت هناك القليل من المعلومات، والرنجة الحمراء التي تعين عليَّ إبعادها عن ذهني. على سبيل المثال، لم يخبرني المنتج التلفزيوني، مارك ريدموند، بأنه أقام في فندق ذا كراون في فراملينجهام خلال عطلة نهاية الأسبوع. لمَ لا؟ كان الجواب بسيطًا للغاية، حينما فكرت فيه. عندما تحدث إليَّ، تعمد جعل الأمر يبدو كما لو أنه بمفرده. كانت موظفة الاستقبال في الفندق فقط هي مَن ذكرت أنه كان برفقة زوجته. لكن ماذا لو أنها لم تكن زوجته؟ ماذا لو كانت سكرتيرة، أو ممثلة ناشئة؟ كان ذلك سيمثل سببًا وجيهًا للبقاء فترة أطول، وسببًا وجيهًا للكذب بشأن الموضوع. ثم كان هناك جيمس تيلور. كان في لندن بالفعل مع أصدقائه. صورة جون وايت وآلان على البرج؟ ذهب وايت لزيارة آلان صباح ذلك الأحد. لا عجب أن عدم الارتياح بدا عليه هو ومدبرة منزله، عندما تحدثت إليهما. كانا قد تجادلا حول الاستثمار الخاسر. لكن لم يكن وايت هو مَن حاول قتل آلان، بل العكس. ألم يكن ذلك واضحًا؟ أمسك به آلان على قمة البرج، وتصارعا للحظة. هذا ما أظهرته الصورة. في الواقع، كان قاتل آلان هو مَن التقطها.

قلبت بضع صفحات أخرى. لست متأكدة ما إذا كنت مهتمة بمَن قتل السير

ماجنوس باي، ليس في تلك اللحظة على أي حال. لكنني كنت أعرف ما أبحث عنه، وبالفعل كان هناك، في الجزء الثاني من الفصل الأخير.

استغرق منه الأمر وقتًا قصيرًا لكتابة الرسالة.

عزيزي جيمس،

عندما تقرأ هذا، سيكون كل شيء قد انتهى. سامحني لأنني لم أتحدث إليك قبل هذا، ولأنني لم أفضِ إليك بسري، لكنني متأكد أنك ستتفهم الأمر بمرور الوقت.

هناك بعض الملاحظات التي كتبتها، وستجدها في مكتبي. إنها تتعلق بحالتي والقرار الذي اتخذته. أريد أن يكون من المفهوم أن تشخيص الطبيب واضح، وبالنسبة إليَّ، لا يمكن أن يكون هناك احتمال للنجاة. أنا لا أهاب الموت، وأحب الاعتقاد بأن اسمي سيظل باقيًا.

- ماذا تفعلين يا سوزان؟

كان هذا هو القدر الذي تمكنت من قراءته، عندما سمعت الصوت آتيًا من عند الباب، فرفعت رأسي، ورأيت تشارلز كلوفر واقفًا هناك. إذن كان هناك شخص ما على الدرج بالفعل. ارتدى سروالًا من القطيفة المضلعة، وقميصًا واسعًا، ومعطفًا مفتوحًا مهدلًا على نحو فضفاض. بدا عليه الإرهاق.

قلت:

- لقد وجدت الفصول المفقودة.

- أجل، يمكنني رؤية ذلك.

ساد صمت طويل. كانت الساعة السادسة والنصف فحسب، لكن الوقت بدا متأخرًا عن ذلك. لم يكن هناك صوت لأي حركة مرور بالخارج.

سألته:

- لماذا أنت هنا؟

- سآخذ إجازة بضعة أيام. جئت لأجلب بعض الأشياء.

- كيف حال لورا؟

- رُزقت صبيًا صغيرًا. سوف يُسمُّونه جورج.

- هذا اسم جميل.

- ظننت هذا.

ولج الغرفة، وجلس على أحد المقاعد. كنت أقف خلف مكتبه، لذا بدا الأمر كما لو أن مواقفنا انعكست. قال تشارلز:

- يمكنني أن أشرح لكِ لماذا أخفيت الصفحات.

كنت أعرف أنه شرع بالفعل في التفكير في تفسير، وأن أيًا ما كان الذي سيقوله، فلن يكون حقيقيًا.

قلت:

- لا داعي لذلك. أنا أعرف كل شيء بالفعل.

- حقًّا؟

- أعلم أنك قتلت آلان كونواي، وأعلم السبب.

- لماذا لا تجلسين؟

لوَّح بيده نحو الخزانة حيث كان يحتفظ بمشروباته، وتابع قائلًا:

- هل تريدين تناول كأس من شيء ما؟

- شكرًا لك.

ذهبت وصببت كأسين من الويسكي. كنت سعيدة لأن تشارلز سهل عليَّ الأمر. عرفنا بعضنا فترة طويلة جدًّا، وكنت عازمة على أن نتصرف بشكل متحضر. لم أكن متأكدة مما سيحدث بعد ذلك. افترضت أن تشارلز سيتصل بالمحقق لوك، ويسلم نفسه.

ناولته الشراب، وجلست قبالته. قال تشارلز:

- أعتقد أن التقليد المتعارف عليه هو أن تقصي عليَّ ما حدث، على الرغم من أنه يمكننا دومًا فعل العكس، إذا كنت تفضلين ذلك.

- ألن تنكر الأمر؟

- أرى أن ذلك سيكون بلا أدنى فائدة على الإطلاق. لقد وجدتِ الصفحات.

- كان من الممكن أن تخفيها بعناية أكبر يا تشارلز.

- لم أعتقد أنك ستبحثين. عليَّ القول إنني فوجئت بشدة للعثور عليكِ في مكتبي.

- فوجئت أنا أيضًا لرؤيتك.

رفع كأسه في نخب ساخر. كان مديري، ومعلمي. كان جَدًّا، وكان الأب الروحي. لم أستطع تصديق أننا نجري هذه المحادثة. مع ذلك، بدأت... ليس من البداية تمامًا كما تمنيت، لكنني اعتمرت أخيرًا قبعة المحقق، وليس المحرر. قلت:

- كان آلان كونواي يكره أتيكوس بوند. اعتبر نفسه كاتبًا عظيمًا - مثل سلمان رشدي، وديفيد ميتشل - شخصًا يأخذه الناس على محمل الجد، في حين أن كل ما كان يفعله هو تأليف أعمال رديئة: ألغاز قتل حققت له ثروة، لكنه عن نفسه كان يحتقرها. ذلك الكتاب الذي عرضه عليك، الز لاقة، كان هذا ما أراد كتابته حقًّا.

- كان مروعًا.

- أعرف ذلك.

بدا تشارلز مندهشًا، لذا أخبرته:

- لقد وجدته في مكتبه وقرأته، وأتفق معك في الرأي. كان يحاكي أسلوب كاتب آخر، وكان محض هراء. لكنه يدور عن موضوع ما. كانت تلك هي وجهة نظره عن المجتمع: كيف تعفنت القيم القديمة للطبقات المثقفة، وكيف أن بقية البلاد من دونها كانت تنزلق إلى نوع من الهاوية الأخلاقية والثقافية. تلك هي شهادته الكبرى. ولم يستطع أن يرى فحسب أنها لن

تُنشر أبدًا، ولن تُقرأ أبدًا، لأنها لم تكن جيدة. آمن بأنه وُلد ليكتب هذا، وألقى اللوم على أتيكوس بوند لأنه اعترض طريقه، وأفسد عليه كل شيء. هل تعلم أن ميليسا كونواي هي أول من اقترح عليه كتابة رواية بوليسية؟

- لا، لم تخبرني بذلك قَطُّ.

- إنه أحد أسباب طلاقه لها.

- لقد حققت له تلك الكتب ثروة.

- لم يكترث لذلك. كان لديه مليون جنيه، ثم أصبحت لديه عشرة ملايين جنيه. كان يمكنه الحصول على مائة مليون جنيه، لكنه لم يكن يمتلك ما يريده، وهو الاحترام، والإجازة التي يحظى بها الكاتب العظيم. بقدر ما يبدو ذلك ضربًا من الجنون، فإنه لم يكن الكاتب الوحيد الذي شعر على ذلك النحو. انظر إلى إيان فليمنج وكونان دويل. وحتى آ. أ. ميلن! لقد كره ميلن ويني ذا بو بسبب نجاحه الفائق. لكنني أعتقد أن الفارق الكبير هو أن آلان كره بوند منذ البداية. لم يرغب قَطُّ في كتابة أيٍّ من الروايات، وعندما اشتهر لم يعد يطيق الانتظار حتى يتخلص منه.

- هل تقولين إنني قتلته لأنه لم يعد يرغب في الكتابة؟

- لا يا تشارلز.

فتشت في حقيبتي، وأخرجت علبة سجائر. فلتذهب قواعد المكتب إلى الجحيم. كنا نتحدث عن القتل هنا. تابعت قائلة:

- سوف نصل إلى السبب الذي دفعك إلى قتله بعد لحظة، لكنني سأخبرك أولًا بما حدث، وأيضًا كيف كشفت أمر نفسك.

- لماذا لا نبدأ بذلك يا سوزان؟ سأكون مهتمًّا بمعرفة ذلك.

- كيف كشفت أمر نفسك؟ الشيء الغريب هو أنني أتذكر تلك اللحظة تمامًا. بدا الأمر أشبه بجرس إنذار يدق في رأسي، لكنني لم أربط الأمور بعضها ببعض. أعتقد أن السبب في ذلك هو أنني لم أستطع ببساطة أن أتخيلك قاتلًا. ظللت أعتقد أنك آخر شخص يرغب في موت آلان.

- فلتواصلي الحديث.
- حسنًا، عندما كنت في مكتبك، في اليوم الذي سمعنا فيه خبر انتحار آلان، حرصت على إخباري بأنك لم تذهب إلى فراملينجهام منذ ستة أشهر، ليس منذ مارس أو أبريل. كانت كذبة مفهومة. كنت تحاول أن تنأى بنفسك عن مسرح الجريمة. لكن المشكلة هي أننا عندما ذهبنا إلى الجنازة معًا بالسيارة، حذرتني كي أسلك طريقًا مختلفًا، لتجنب أعمال الطرق في إيرل سوهام. كانوا قد بدأوا للتو - أخبرني مارك ريدموند بذلك - والطريقة الوحيدة التي كان من الممكن أن تعرف ذلك من خلالها هي إذا كنت قد ذهبت إلى هناك في وقت قريب. لا بد أنك قدت سيارتك عبر إيرل سوهام صباح الأحد عندما قتلت آلان.

فكر تشارلز فيما قلته، وابتسم بنوع من الحزن، وقال:
- أتدرين، هذا يشبه بالضبط ذلك النوع من الأشياء التي كان آلان سيضعها في أحد كتبه.
- اعتقدت ذلك أنا أيضًا.
- سأتناول مزيدًا من الويسكي، إذا لم يكن لديك مانع.

صببت له بعضًا منه، وصببت المزيد لنفسي. كنت بحاجة إلى الحفاظ على صفاء ذهني، لكن ويسكي «جلينمورانجي» كان يتماشى جيدًا للغاية مع السيجارة. قلت:
- لم يسلمك آلان مخطوطة بدافع القتل في نادي ذا آيفي. في الواقع، وصلت إلى هنا عن طريق البريد في يوم الثلاثاء، ٢٥ أغسطس. فتحت جيميما الظرف ورأتها. لا بد أنك قرأتها في اليوم نفسه.
- انتهيت منها يوم الأربعاء.
- تناولت العشاء مع آلان مساء الخميس. كان في لندن بالفعل لأنه كان لديه موعد بعد الظهر مع طبيبته، شيلا بينيت. كانت الأحرف الأولى من اسمها في دفتر مواعيده. أتساءل ما إذا كانت قد أبلغته حينها بالأخبار السيئة، أن

مرض السرطان الذي أصابه لا شفاء منه؟ لا أستطيع أن أتخيل ما كان يدور في رأسه عندما جلس معك، لكن بالطبع كانت أمسية مروعة لكليكما. بعد العشاء، عاد آلان إلى شقته في لندن، وفي اليوم التالي كتب إليك رسالة يعتذر فيها عن سلوكه السيئ. كانت بتاريخ ٢٨ أغسطس، وهو يوم الجمعة، وأعتقد أنه أوصلها بنفسه. سأعود إلى تلك الرسالة في غضون دقيقة، لكنني أريد ترتيب جميع النقاط أولًا.

- الجداول الزمنية يا سوزان. لطالما كانت نقطة قوتك.

- لقد تظاهرت بذلك الموقف الخاص بالقهوة المسكوبة، وطردت جميما من العمل صباح يوم الجمعة. كانت بريئة تمامًا، لكنك كنت تخطط بالفعل لقتل آلان. كنت ستجعل الأمر يبدو كأنه انتحار، لكن ذلك لن ينجح إلا إذا لم تكن قد قرأت بدافع القتل. سلمت إليك جميما الرواية بالفعل قبلها ببضعة أيام. ربما كانت قد شاهدت رسالة آلان أيضًا. كنت تعلم أنني سأعود من دبلن عصر يوم الجمعة، وكان من الضروري للغاية ألا ألتقي أنا وهي. على حد علمي، ستكون أنت في المنزل خلال عطلة نهاية الأسبوع، منشغلًا بقراءة بدافع القتل، مثلي تمامًا. كانت تلك هي حجة غيابك. لكن ما كان له القدر نفسه من الأهمية، هو ألا يكون لديك سبب لقتل آلان.

- لم تخبريني بالسبب بعد.

- سأفعل.

فككت غطاء زجاجة حبر على مكتب تشارلز، واستخدمته كمنفضة سجائر. شعرت بالويسكي يدفئ معدتي، ويشجعني على الاستمرار.

- عاد آلان إلى فراملينجهام مساء الجمعة، أو صباح السبت. لا بد أنك عرفت أنه انفصل عن جيمس وخمنت أنه سيكون بمفرده في المنزل. توجهت إلى هناك بسيارتك صباح الأحد، لكن عندما وصلت رأيت أن هناك شخصًا معه على السطح. كان ذلك هو جون وايت، جاره. أوقفت سيارتك خلف شجيرة حيث لا يمكن رؤيتها - لاحظتُ آثار الإطارات عندما كنت هناك - وراقبت

ما حدث. دارت مشادة بين الرجلين، تحوَّلت إلى شجار، والتقطت أنت صورة لهما، تحسبًا في حال ما إذا كان يمكن أن يصير ذلك مفيدًا. وقد كان كذلك بالفعل، أليس كذلك يا تشارلز؟ عندما أخبرتك باعتقادي بأن آلان قد قُتل، أرسلتها إليَّ، لتضعني على المسار الخطأ.

لكن لم يكن وايت هو مَن قتله. لقد رحل، وشاهدته يعود إلى منزله عبر طريق مختصر بين الأشجار، وحينها تحركت أنت. دخلت المنزل، ومن المحتمل أن آلان اعتقد أنك أتيت لمواصلة المحادثة التي بدأت في نادي ذا آيفي، ودعاك إلى الانضمام إليه لتناول الإفطار على البرج. أو ربما أقنعته باصطحابك إلى الأعلى. لا يهم حقًّا كيفية صعودك إلى هناك. المهم أنه عندما سنحت لك الفرصة، وقد أدار لك ظهره، دفعته من الأعلى.

كان ذلك جزءًا من الأمر فقط. بعد قتله، توجهت إلى مكتب آلان، لأنك قرأت بدافع القتل، وكنت تعرف بالضبط ما كنت تبحث عنه. كان الأمر بمنزلة هدية! رسالة انتحار، مكتوبة بخط يد آلان! كلانا يعرف أن آلان دومًا ما كان يكتب المسودة الأولى بخط اليد. كانت بحوزتك الرسالة التي سلمها آلان بيده صباح الجمعة. لكن كانت هناك رسالة ثانية في الكتاب، وأدركت أنه يمكنك استغلالها. عليَّ أن ألوم نفسي بالفعل، لأنني عملت محررة لأكثر من عشرين عامًا، ولا بد أن هذه هي الجريمة الوحيدة التي ارتُكِبت على الإطلاق، التي يستطيع المحرر حلها بفطرته. كنت أعلم أن هناك شيئًا غريبًا في رسالة انتحار آلان، لكنني لم أميزه. بت أعرف الآن. كتب آلان الصفحتين الأولى والثانية صباح الجمعة، لكن الصفحة الثالثة، الصفحة الفعلية التي تشير إلى نيته في الانتحار، مأخوذة من الكتاب. لم يعد ذلك صوت آلان. لا توجد ألفاظ دارجة ولا سباب. إنها لغة رسمية ومتكلفة نوعًا ما، كما لو أن اللغة الإنجليزية هي اللغة الثانية بالنسبة إلى مَن كتبها. «... بالنسبة إليَّ، لا يمكن أن

يكون هناك احتمال للنجاة». «آمل أيضًا أن تتمكن من استكمال العمل على كتابي». إنها ليست رسالة من آلان إليك، بل رسالة من بوند إلى جيمس فريزر. والكتاب الذي يشير إليه ليس بدافع القتل، بل مشهد التحقيق الجنائي.

كنت محظوظًا بدرجة لا تُصدق. لا أعرف بالضبط ما كتبه آلان لك، لكن الصفحة الجديدة - التي أصبحت في النهاية الصفحة الثالثة - مناسبة تمامًا. مع ذلك، كان عليك قطع الجزء العلوي بعض الشيء. هناك سطر واحد مفقود: السطر الذي يقول «عزيزي جيمس». كان من الممكن أن أكتشف ذلك لو أنني قست الصفحات، لكنني أخشى أن ذلك فاتني. كما كان هناك شيء آخر. لاستكمال الوهم بأن جميع الصفحات الأربع تنتمي إلى الرسالة نفسها، أضفت أرقامًا في الزاوية العلوية اليسرى، لكن إذا نظرت من كثب، لوجدت أن الأرقام أغمق من الأحرف. لقد استخدمت قلمًا مختلفًا. خلاف ذلك، كان الأمر مثاليًّا. لكي يبدو موت آلان كأنه انتحار، كنت بحاجة إلى رسالة انتحار، والآن باتت لديك واحدة.

كان لا يزال يتعين تسليمها. الرسالة التي أرسلها إليك آلان بالفعل، التي يعتذر فيها بشأن العشاء، والتي تلقيتها في اليوم السابق، سُلمت باليد. كنت في حاجة إلى إظهارها كما لو أنها أُرسلت من إبسويتش. كان الجواب بسيطًا. عثرت على ظرف قديم - أعتقد أن آلان أرسله إليك في وقت سابق - ووضعت فيه رسالة الانتحار المزيفة خاصتك. افترضت أن أحدًا لن يطالع الظرف من كثب. كانت الرسالة هي ما يهم. لكن تصادف أنني لاحظت شيئين. كان الظرف ممزَّقًا، وأعتقد أنك مزَّقت الختم البريدي عن عمد، لطمس التاريخ. لكن كان هناك شيء آخر لافت للنظر بدرجة أكبر بكثير. كانت الرسالة مكتوبة بخط اليد، لكن الظرف مطبوع. كان ذلك انعكاسًا مشابهًا تمامًا لشيء حدث في بدافع القتل، وبالطبع علق في ذهني.

دعنا نصل إلى صلب الموضوع إذن. لقد استخدمت جزءًا من رسالة كتبها أتيكوس بوند وللأسف، إذا كانت خطتك ستنجح، فلا يمكن أن يقرأها أحد. إذا تمكن أي شخص من استنتاج الحقيقة، فسوف تنهار نظرية الانتحار بأكملها. لهذا كان لا بد أن تختفي الفصول. عليّ القول إنني شعرت بالحيرة بسبب عدم حماسك عندما اقترحت السفر إلى فراملينجهام للعثور عليها، لكنني أعرف الآن لماذا لم ترغب في أن يعثر عليها أحد. لقد أزلت الصفحات المكتوبة بخط اليد، وأخذت دفاتر آلان، ومسحت القرص الصلب على جهاز الكمبيوتر الخاص به. قد يعني ذلك فقدان الكتاب التاسع في السلسلة - أو تأجيله حتى نتمكن من الحصول على شخص آخر لإنهائه - لكن بالنسبة إليك كان ثمنًا يستحق الدفع.

تنهد تشارلز قليلًا، ووضع كأسه التي صارت فارغة مرة أخرى. ساد الغرفة جو غريب من الاسترخاء. كان من الممكن أن نكون منشغلين بمناقشة بروفة طباعة إحدى الروايات، كما فعلنا مرات عديدة في الماضي. لسبب ما، أسفت لعدم وجود بيلا. لا أعرف لماذا. ربما كان وجودها سيجعل كل شيء يتكشف يبدو طبيعيًا بدرجة أكبر نوعًا ما.

قال:

- راودني شعور بأنك ستدركين حقيقة كل شيء يا سوزان. أنت فائقة الذكاء. لطالما عرفت ذلك. مع ذلك، الدافع! لم تخبريني بعد لماذا قتلتُ آلان.

- حدث هذا لأنه كان على وشك وضع حد لسلسلة أتيكوس بوند، أليس كذلك؟ يعود كل شيء إلى ذلك العشاء في نادي ذا آيفي. كان هذا هو الوقت الذي أخبرك فيه بالأمر. كانت لديه مقابلة إذاعية مع سايمون مايو في الأسبوع التالي، وسيمنحه هذا الفرصة المثالية لفعل ذلك، وهو الشيء الوحيد الذي من شأنه أن يدفعه إلى الضحك بشدة قبل وفاته، والشيء الذي يهمه أكثر حتى من رؤية الكتاب الأخير مطبوعًا. لقد كذبت عليّ

عندما قلت إنه يريد إلغاء المقابلة. كانت لا تزال في دفتر مواعيده، ولم تكن المحطة الإذاعية تعلم أنه سينسحب. أعتقد أنه أراد المضي قُدمًا، كما أعتقد أنه كان يائسًا.

قال تشارلز:

- لقد كان مريضًا.

وافقته قائلة:

- بأكثر من طريقة. ما أجده عجيبًا هو أنه كان يخطط لهذا طوال الوقت، منذ اليوم الذي ابتكر فيه أتيكوس بوند. أي كاتب هذا الذي يضمِّن عمله الخاص آلية تدمير ذاتي، ويراقبها وهي تدق طوال إحدى عشرة سنة؟ لكن هذا ما فعله آلان. وكان هذا هو السبب الذي يجب من أجله أن يكون عنوان الكتاب الأخير «بدافع القتل»، ولا شيء آخر. كان قد ضمَّن اختصارًا في العناوين التسعة. كانت الأحرف الأولى تشكِّل كلمتين.

- جناس القلب.

- هل كنت تعلم؟

- أخبرني آلان.

- جناس القلب. لكن جناس القلب لماذا؟ في النهاية، لم يستغرق مني الأمر وقتًا طويلًا للتوصل إلى الحل. لم تكن العناوين، إذ كانت بريئة تمامًا. كما لم تكن الشخصيات، التي أطلق عليها أسماء طيور. ولم يكونوا رجال الشرطة، الذين سرقهم من أجاثا كريستي، أو بناهم على أشخاص يعرفهم. سُمِّي جيمس فريزر على اسم ممثل، وهذا يترك شخصية واحدة فقط.

- أتيكوس بوند.

- إنه جناس القلب لعبارة «ودنسوا كتبي».

معذرة لتلك الكلمة، «الدنس»، فأنا أكرهها. لطالما خطر لي أن الكلمات البذيئة في الكتب تنم عن الكسل والوقاحة. لكن هذه الكلمة تدل على ما هو أكثر من ذلك. يستخدمها الرجال المحبطون المفعمون بالمرارة، ودومًا ما تتعلق

بالنساء تقريبًا. إنها كلمة مليئة بالازدراء حيال النساء، ومسيئة على نحو فظ. وهذه هي خلاصة الأمر! هذا هو رأي آلان كونواي في الشخصية التي دفعته زوجته السابقة إلى كتابتها. هذا هو ما لخص مشاعره حيال جنس الروايات البوليسية بأكملها.

واصلت قائلة:

- لقد أخبرك، أليس كذلك؟ هذا\ما حدث في نادي ذا آيفي. أخبرك آلان بأنه سيشارك سره الصغير مع العالم بأكمله، عندما يذهب إلى برنامج سايمون مايو في الأسبوع المقبل.

- أجل.

- ولهذا تعين عليك قتله.

- أنتِ محقة تمامًا يا سوزان. كان آلان قد أفرط في تناول الشراب - ذلك النبيذ الفاخر الذي طلبته - وأخبرني عندما كنا نغادر المطعم. لم يكترث للأمر. كان سيموت على أي حال، وكان مصممًا على أخذ أتيكوس معه. لقد كان شيطانًا. هل تعرفين ماذا كان سيحدث لو أخبر الناس بذلك؟ كانوا سيكرهونه! لن يكون هناك مسلسل تلفزيوني على البي بي سي، يمكنك نسيان ذلك. لم نكن سنبيع كتابًا آخر، ولا كتابًا واحدًا. سيصبح حق الامتياز بأكمله من دون قيمة.

- إذن فقد فعلت ذلك من أجل المال.

- إن هذا يعبر عن الأمر على نحو فظ للغاية، لكن أعتقد أنه صحيح. نعم، لقد قضيت أحد عشر عامًا في بناء هذا المشروع، ولم أكن لأراه وهو يتعرض للتدمير بين عشية وضحاها بسبب وغد جاحد كسب من ورائنا الكثير في الواقع. فعلت ذلك من أجل أسرتي، ومن أجل حفيدي الجديد. يمكنك القول إنني فعلت ذلك جزئيًّا من أجلكِ، على الرغم من أنني أعلم أنك لن تشكريني. كما فعلت ذلك أيضًا من أجل ملايين القرَّاء في جميع أنحاء العالم الذين ارتبطوا بأتيكوس، والذين استمتعوا

بقصصه واشتروا الكتب. لم يساورني أي وخز ضمير على الإطلاق. أسفي الوحيد هو أنك تمكنت من اكتشاف ذلك، مما يجعلك شريكتي في الجريمة، على ما أعتقد.

- ما الذي تعنيه بذلك؟

- حسنًا، أعتقد أن الأمر يعتمد على ما تنوين فعله. هل أخبرتِ أي شخص آخر بما قلتِه لي؟

- لا.

- إذن ربما تقتنعين بأنك لست بحاجة إلى ذلك. لقد مات آلان. كان سيموت على أي حال. لقد قرأتِ الصفحة الأولى من رسالته. بقيت له ستة أشهر في أحسن الأحوال. قصَّرت حياته بذلك القدر من الوقت، وربما وفرت عليه قدرًا كبيرًا من المعاناة خلال ذلك.

ابتسم وتابع قائلًا:

- لن أتظاهر بأن ذلك كان أهم ما يشغل ذهني. أعتقد أنني أسديت معروفًا إلى العالم. نحن بحاجة إلى أبطالنا الأدبيين. إن الحياة مظلمة ومعقدة، لكنهم يتألقون، وهم المنارات التي نتبعها. علينا أن نكون براجماتيين فيما يتعلق بهذا الأمر يا سوزان. سوف تصبحين المدير التنفيذي لهذه الشركة. لقد قدمت عرضي بحسن نية، وما زال قائمًا. من دون أتيكوس بوند، لن تكون هناك شركة. إذا كنتِ لا تريدين التفكير في نفسك، فكِّري في كل شخص آخر في هذا المبنى. هل تريدين رؤيتهم وهم يفقدون وظائفهم؟

- هذا غير منصف إلى حدٍّ ما يا تشارلز.

- الأسباب والنتائج يا عزيزتي. هذا هو كل ما أقوله.

بطريقة ما، كنت أخشى هذه اللحظة. من الجيد للغاية كشف قناع تشارلز كلوفر، لكني ظللت أتساءل طوال الوقت عما سأفعله بعد ذلك. كان كل ما قاله للتو قد خطر لي بالفعل. لن يصير العالم مكانًا أسوأ على وجه التحديد من دون

آلان كونواي. شقيقته، وزوجته السابقة، وابنه، ودونالد لي، والكاهن، وكبير مفتشي الشرطة لوك، جميعهم تعرضوا للأذى على يده بدرجة أو بأخرى، ومن المؤكد أنه كان على وشك أن يلعب خدعة دنيئة للغاية على الأشخاص الذين أحبوا كتبه. كان سيموت على أي حال.

لكن كلمة «يا عزيزتي» تلك هي التي دفعتني إلى حسم قراري. كان هناك شيء بغيض للغاية في الطريقة التي خاطبني بها. كانت تلك هي نوعية الكلمات بالتحديد التي كان سيستخدمها موريارتي، أو فلامبو، أو كارل بيترسون، أو أرنولد زيك. وإذا كان من الصحيح أن المحققين يُعدون بمثابة منارات أخلاقية، فلماذا لا أدع ضوءهم يرشدني الآن؟ قلت:

- أنا آسفة يا تشارلز. أنا لا أختلف مع ما تقوله. لم أحب آلان، وكان ما فعله فظيعًا. لكن الحقيقة هي أنك قتلته، ولا يمكنني تركك تفلت من الأمر. أنا آسفة، لكنني لن أتمكن من العيش مع نفسي.
- هل ستسلمينني إلى الشرطة؟
- لا، لست بحاجة إلى التورط في الموضوع. وأنا متأكدة أنه سيكون من الأسهل كثيرًا بالنسبة إليك إذا اتصلت بالشرطة بنفسك.

ابتسم ابتسامة خفيفة للغاية، وقال:

- هل تدركين أنهم سيرسلونني إلى السجن؟ سأسجن مدى الحياة، ولن أخرج أبدًا.
- نعم يا تشارلز. هذا ما يحدث عندما ترتكب جريمة قتل.
- لقد فاجأتني يا سوزان. نحن نعرف بعضنا منذ وقت طويل جدًّا. لم أعتقد قَطُّ أنك ستكونين ضيقة الأفق للغاية.

هززت كتفي قائلة:

- هل هذا ما تعتقده؟ إذن لا يوجد شيء آخر يُقال.

نظر إلى كأسه الفارغة، ثم إليَّ مرة أخرى، وسألني:

- كم يمكنك أن تمنحيني من الوقت؟ هل يمكن أن تمنحيني فترة سماح

أسبوعًا؟ أود قضاء بعض الوقت مع أسرتي ومع حفيدي الجديد. سأحتاج إلى العثور على منزل جديد لبيلا... أشياء من هذا القبيل.

- لا أستطيع أن أمنحك أسبوعًا يا تشارلز. هذا من شأنه أن يجعلني متواطئة معك. ربما حتى نهاية الأسبوع...؟

- حسنًا، هذا منصف بما فيه الكفاية.

نهض تشارلز وتوجه إلى رف الكتب. كانت مسيرته المهنية بأكملها مفرودة أمامه. كان قد نشر العديد من هذه الكتب بنفسه. ظللت جالسة فترة طويلة للغاية، إلى درجة أنني شعرت بركبتَي تصدران صريرًا. قلت:

- أنا آسفة حقًا يا تشارلز.

كان جزء مني لا يزال يتساءل عما إذا كنت قد اتخذت القرار الصحيح، وأردت الخروج من الغرفة.

أدار تشارلز ظهره لي، وقال:

- لا، لا بأس. أنا أتفهم الأمر تمامًا.

- ليلة سعيدة يا تشارلز.

- ليلة سعيدة يا سوزان.

استدرت وتقدمت خطوة نحو الباب، وعندها ضربني شيء بقوة شديدة على مؤخرة رأسي. رأيت وميضًا كهربائيًا أبيض اللون، وشعرت كما لو أن جسدي كله قد انشق إلى نصفين. مالت الغرفة إلى أحد الجوانب بعنف، وسقطت أرضًا.

نهاية اللعبة

صُدمت للغاية، وفوجئت إلى درجة أن الأمر استغرق مني بضع لحظات لمعرفة ما حدث. ربما أكون قد فقدت الوعي أيضًا فترة وجيزة. عندما فتحت عينَي، كان تشارلز يقف فوقي بنظرة لا أستطيع وصفها إلا بأنها تعبر عن الندم. كنت مستلقية على السجادة ورأسي قريبًا من الباب المفتوح. انسال شيء ما حول عنقي، قادمًا من تحت أذني، وبصعوبة وصلت إليه ولمسته. عندما حركت يدي بعيدًا، رأيت أنها ملطخة بالدماء. تلقيت ضربة شديدة للغاية. كان تشارلز يحمل شيئًا في يده، لكن لم يبدُ أن عينَي تعملان بشكل صحيح، كما لو أن هناك شيئًا ما قد فُصل. في النهاية، تمكنت من التركيز، ولو لم أكن خائفة وأعاني الألم، كان من الممكن أن أضحك تقريبًا. كان يحمل جائزة «الخنجر الذهبي» التي فاز بها آلان عن رواية جرأة أتيكوس بوند. إذا لم تكن قد رأيت واحدة من هذه من قبل، فهي عبارة عن خنجر صغير الحجم مغطى بكتلة كبيرة نسبيًّا من زجاج الأكريل، مستطيلة الشكل، ذات حواف حادة. استخدمها تشارلز ليضربني.

حاولت التحدث، لكن الكلمات لم تخرج. ربما كنت لا أزال أشعر بالدوار، أو ربما لم أكن أعرف ببساطة ماذا أقول. تفحصني تشارلز، وأعتقد أنني رأيت بالفعل اللحظة التي توصل فيها إلى قراره. انطفأت الحياة في عينيه، وخطر لي فجأة أن القتلة هم أكثر الناس شعورًا بالوحدة على هذا الكوكب. إنها لعنة قابيل، الهارب المشرد، المطرود من على وجه الأرض. مهما حاول تبرير الأمر، فقد

انفصل تشارلز عن باقي البشرية في اللحظة التي دفع فيها آلان من ذلك البرج، ولم يعد الرجل الواقف فوقي الآن صديقي أو زميلي. بدا خاويًا. كان سيقتلني لإسكاتي، لأنه عندما تقتل شخصًا واحدًا، تكون قد دخلت عالمًا وجوديًا من نوع ما، لا يشكِّل فيه قتل شخصين آخرين، أو عشرين شخصًا، أي فرق. كنت أعرف هذا، وتقبلته. لن يعرف تشارلز السلام أبدًا. لن يلعب بسعادة مع حفيده أبدًا. لن يتمكن من الحلاقة أبدًا من دون رؤية وجه قاتل. وجدت بعض العزاء في ذلك. لكنني سأموت، ولم يكن هناك ما يمكنني فعله لمنع ذلك. شعرت بالرعب.

وضع الجائزة جانبًا.

سأل بصوتٍ لم يكن صوته تمامًا:

- لماذا تعين عليكِ أن تكوني عنيدة للغاية إلى هذا الحد؟ لم أرِدك أن تذهبي للبحث عن الفصول المفقودة. لم أكترث بشأن الكتاب اللعين. كل ما فعلته هو حماية كل شيء عملت من أجله، وحماية مستقبلي. حاولت أن أجعلك تتراجعين. حاولت إرسالك إلى الاتجاه الخطأ، لكنك رفضت الإنصات. والآن ماذا سأفعل؟ لا يزال يتعين عليَّ حماية نفسي يا سوزان. أنا أكبر سنًّا من أن أذهب إلى السجن. لم يكن يتعين عليك الذهاب إلى الشرطة. كان يمكنك الابتعاد فحسب. أنتِ غبية للغاية...

لم يكن يتحدث إليَّ تحديدًا، بل كان الأمر أكثر منه تيار وعي، وحديثًا يجريه مع نفسه. ومن جانبي، فقد استلقيت في مكاني من دون حركة. كان هناك ألم حارق في رأسي، وشعرت بالغضب الشديد من نفسي. سألني عما إذا كنت قد أخبرت أي شخص آخر بما أعرفه. كان يجب أن أكذب. على أقل تقدير، كان في إمكاني التظاهر بأنني في صفه، وأنني سعيدة لكوني شريكة في موت آلان. كان في إمكاني قول ذلك، والخروج من المكتب. بعد ذلك كان بوسعي الاتصال بالشرطة. لقد جلبت هذا على نفسي.

- تشارلز...

خرجت مني تلك الكلمة الوحيدة بصوت أجش. حدث شيء ما لبصري،

وأخذت صورته تدخل وتخرج من نطاق تركيزي البؤري. امتدت الدماء حول عنقي.

أخذ ينظر حوله، والتقط شيئًا ما. كانت علبة أعواد الثقاب التي استخدمتها لإشعال سيجارتي. لم أفهم ما يفعله إلا عندما رأيت شعلة الفوسفور. بدت ضخمة، وبدا كما لو أنه يختفي خلفها.

قال:

- أنا آسف يا سوزان.

كان سيشعل النيران في المكتب، وسيتركني لأحترق حية، ليتخلص من الشاهد الوحيد، ومن ثَمَّ يتخلص أيضًا من الصفحات التي تدينه، والتي كانت لا تزال قابعة على المكتب حيث تركتها. رأيت يده تتحرك على هيئة قوس، وبدا الأمر كما لو أن كرة نارية انتشرت في جميع أنحاء الغرفة، وتساقطت بجانب أرفف الكتب. في مكتب حديث، كان من الممكن أن تصطدم بالسجادة وتنطفئ، لكن كل شيء في دار نشر كلوفرليف كان عتيقًا: المبنى، والألواح الخشبية، والسجاد، والمفروشات. تواثبت ألسنة اللهب على الفور، وقد أعماني مرآها بشدة، إلى درجة أنني لم أرَه وهو يلقي عود ثقاب ثانيًا، وبدأ حريق ثانٍ على الجانب الآخر من الغرفة، فاندفعت النار هذه المرة أعلى الستائر، ولامست السقف. بدا الهواء نفسه كأنه يتحوَّل إلى اللون البرتقالي. لم أصدق مدى السرعة التي حدث بها الأمر. كان الأمر كما لو أنني داخل محرقة للجثث. تقدم تشارلز في اتجاهي، هيئة ضخمة مظلمة ملأت مجال رؤيتي. ظننت أنه سوف يتخطاني، وأنا مستلقية أمام الباب. لكن قبل رحيله، ضربني مرة أخيرة، وصرخت حينما ارتطمت قدمه بصدري. تذوقت طعم الدماء في فمي، وتدفقت الدموع من عينَي من أثر الألم والدخان. بعد ذلك اختفى.

احترق المكتب على نحو مهيب. يعود تاريخ المبنى إلى القرن الثامن عشر، وكان حريقًا يليق بتلك الحقبة الزمنية. شعرت به يلهب وجنتَي ويدَي، وظننت

أنني أنا نفسي لا بد أن أكون مشتعلة. كان من الممكن أن أظل مستلقية هناك بكل بساطة حتى أموت، لكن أجهزة الإنذار انطلقت في جميع أنحاء المبنى وأيقظتني. بطريقة ما، كان عليَّ أن أجد القوة للنهوض والخروج متعثرة من هناك. وقع انفجار في الخشب والزجاج، حيث تحطمت إحدى النوافذ، وقد ساعدني هذا أيضًا. شعرت بدفعة من الرياح الباردة تدخل مسرعة. أنعشني ذلك قليلًا، ومنع الدخان من خنقي. مددت يدي وتحسست جانب الباب، واستعنت به كي أسحب نفسي وأنهض. تمكنت من الرؤية بالكاد. أحرق اللهب البرتقالي والأحمر عينَي، وكان التنفس مؤلمًا. كان تشارلز قد كسر بعض أضلعي، وحتى في ذلك الوقت، تساءلت كيف جعل نفسه يتصرف بهذا القدر الشديد من الوحشية، هذا الرجل الذي عرفته منذ فترة طويلة للغاية؟ حفزني الغضب، ووجدت نفسي بطريقة ما واقفة على قدمَي، لكن ذلك لم يساعدني. في الواقع، كنت أكثر أمانًا بالقرب من الأرض. عندما وقفت، صرت محاطة بالدخان والأبخرة السامة. كنت على بعد ثوانٍ من فقدان الوعي.

أخذت أجهزة الإنذار تقرع في أذنَي. إذا كانت هناك سيارات إطفاء في الطريق، فلن أتمكن من سماعها. بالكاد استطعت الرؤية، ولم أستطع التنفس. بعدها، صرخت عندما التفَّت ذراع حول صدري، وأمسكت بي. اعتقدت أن تشارلز عاد ليقضي عليَّ. لكن بعد ذلك، سمعت أحدهم يصرخ في أذنَي بكلمة واحدة: «سوزان!». تعرَّفت على صوته، ورائحته، وإحساس صدره وهو يضغط رأسي عليه. كان أندرياس هو مَن خرج من العدم، على نحو مستحيل، لإنقاذي. صاح قائلًا:

- هل يمكنكِ السير؟

- أجل.

أصبح ذلك بمقدوري الآن. في وجود أندرياس بجواري، يمكنني فعل أي شيء.

- سوف أخرجكِ من هنا.

- انتظر! هناك بعض الأوراق على المكتب.

- سوزان؟

- لن نترك تلك الأوراق اللعينة!

ظن أنني جننت، لكنه كان يعرف أن عليه الامتناع عن الجدال. تركني بضع ثوانٍ، ثم سحبني خارج الغرفة وساعدني على نزول السلم. تبعتنا خيوط من الدخان الرمادي، لكن النار كانت تنتشر نحو الأعلى، وليس الأسفل، وعلى الرغم من أنني بالكاد استطعت الرؤية أو التفكير، وجسدي كله يتألم والدم يتدفق من الجرح في رأسي، فإننا تمكنا من الخروج. سحبني أندرياس عبر الباب الأمامي، وعبَر الطريق. عندما استدرت، كان الطابقان الثاني والثالث مشتعلين بالفعل، وعلى الرغم من أنني سمعت الآن اقتراب صفارات الإنذار، فإنني كنت أعرف أنه لن يتم إنقاذ أي شيء من المبنى.

قلت:

- أندرياس، هل جلبت الفصول؟

فقدت الوعي قبل أن يتمكن من الرد.

العناية المركزة



قضيت ثلاثة أيام في المستشفى الجامعي، على طريق يوستون، وفي الواقع لم أشعر بأن ذلك وقت كافٍ بعد ما مررت به. لكن هذه هي طبيعة الحال في هذه الأيام، مع معجزات العلم الحديث وما إلى ذلك. وبالطبع، فهم بحاجة إلى الأسِرَّة. بقي أندرياس معي طوال الوقت، وجاءت العناية المركزة الحقيقية منه هو. كانت لديَّ ضلعان مكسورتان، وكدمات شديدة، وشرخ خطي في الجمجمة. أجروا لي أشعة مقطعية، لكن من حسن الحظ لن أحتاج إلى عملية جراحية. سبَّب لي الحريق بعض الندبات في رئتَي وفي الأغشية المخاطية. لم أستطع التوقف عن السعال، وكرهت ذلك، كما أن نظري لم يصفُ بعد. كان هذا شائعًا إلى حدٍّ ما بعد الإصابة في الرأس، لكن الأطباء حذروني من أن الضرر قد يكون دائمًا.

اتضح أن أندرياس أتى إلى المكتب لأنه كان منزعجًا من الجدال الذي دار بيننا ليلة الأحد، وقرر أن يفاجئني بالزهور ويسير معي إلى المطعم. كانت فكرة رقيقة، وقد أنقذت حياتي. لكن هذا لم يكن أكثر سؤال أردت طرحه.

– أندرياس؟

كان ذلك هو صباح اليوم الأول بعد الحريق. كان أندرياس هو زائري الوحيد، على الرغم من أنني تلقيت رسالة نصية من شقيقتي، كاتي، التي كانت قادمة في الطريق. آلمني حلقي، ولم يزِد صوتي على الهمس. تابعت قائلة:

- لماذا ذهبت إلى زيارة تشارلز؟ في الأسبوع الذي ذهبتُ فيه من أجل جولة لكتاب، أتيت أنت إلى المكتب. لماذا لم تخبرني؟

اتضح كل شيء. كان أندرياس يسعى إلى الحصول على قرض من أجل فندقه، بوليدوروس، وعاد إلى إنجلترا وذهب إلى اجتماع في بنكه. وافقوا على الفكرة من حيث المبدأ، لكنهم كانوا بحاجة إلى ضامن، وهذا هو ما أتى به إلى تشارلز. قال:

- أردت أن أفاجئكِ. عندما أدركت أنك غير موجودة في المكتب، لم أدرِ ماذا أفعل. شعرت بالذنب يا سوزان. لم أستطع إخبارك بأنني رأيت تشارلز، لأنني لم أكن قد أخبرتك عن الفندق. لذلك طلبت منه ألا يقول شيئًا. أخبرتك عن الأمر في المرة التالية التي رأيتك فيها، لكنني شعرت بالسوء على الرغم من ذلك.

لم أخبر أندرياس بأنه بعد حديثي مع ميليسا، اشتبهت فترة وجيزة في أنه قتل آلان. كان لديه دافع جيد للغاية، وكان موجودًا في البلاد. في النهاية، ألم يكن هو أقل المشتبه فيهم عرضة للشك؟ كان يجب أن يكون هو في الواقع.

أُلقي القبض على تشارلز. أتى اثنان من ضباط الشرطة لرؤيتي في اليوم الذي غادرت فيه المستشفى، ولم يشبها كبير مفتشي الشرطة لوك في شيء، ولا حتى ريموند تشاب. كان أحدهما امرأة، والآخر رجلًا آسيويًّا لطيفًا. تحدثا معي لمدة نصف ساعة تقريبًا، وأخذا يدوِّنان الملاحظات، لكنني لم أستطع التحدث كثيرًا لأن صوتي كان لا يزال أجش.

كنت تحت تأثير المسكنات، وفي حالة من الصدمة، وأسعل طوال الوقت. قالا إنهما سيعودان للحصول على إفادة كاملة عندما أشعر بالتحسن.

الشيء الغريب هو أنني بعد كل ذلك، لم أرغب حتى في قراءة الفصول المفقودة من بدافع القتل. لم يكن الأمر هو أنني فقدت الاهتمام بمَن قتل ماري بلاكيستون ورب عملها، السير ماجنوس باي. شعرت فقط بأنني نلت أكثر من نصيبي العادل من القرائن والقتل، وعلى أي حال، كان من المستحيل أن أتمكن

من التعامل مع المخطوطة، إذ لم تكن عيناي على استعداد لهذا. لم يعاودني فضولي إلا بعد أن عدت إلى شقتي في كراوتش إند. كان أندرياس لا يزال معي. أخذ إجازة لمدة أسبوع من المدرسة، وجعلته يتصفح الكتاب بأكمله حتى يعرف الحبكة، قبل أن يقرأ الفصول الأخيرة بصوت مرتفع. كان من المناسب أن أسمعها بصوته، إذ إنها نجت بفضله فقط.

انتهى الأمر على النحو التالي.

سبعة

سر لا يُباح به البتة

١

تجوَّل أتيكوس بوند حول ساكسبي اون أيفون للمرة الأخيرة، مستمتعًا بأشعة الشمس في الصباح. كان قد نام جيدًا، وتناول قرصَي دواء عندما استيقظ. شعر بالانتعاش، وكان ذهنه صافيًا. رتب للقاء مفتش المباحث تشاب في مركز شرطة باث في غضون ساعة، وترك جيمس فريزر ليتولى أمر الحقائب ويسوي الفاتورة، بينما ذهب هو للتمشية. لم يمضِ على وجوده في القرية وقت طويل، لكن بطريقة غريبة، شعر بأنه تعرَّف عليها من كثب. الكنيسة، والقلعة، ومتجر التحف في الميدان، ومحطة الحافلات، ودينجل ديل، وبالطبع باي هول، لطالما كانت على صلة ببعض منها بطرق مختلفة، لكن خلال الأسبوع الماضي، أصبحت نقاطًا ثابتة في مسرح الجريمة. اختار بوند عنوان أهم ما كتب بعناية. كان هناك مشهد بالفعل لكل تحقيق جنائي، ودومًا ما تصطبغ الجريمة بطبيعته.

لم يكن من الممكن أن تبدو ساكسبي أكثر جمالًا مما كانت عليه. كان الوقت لا يزال مبكرًا، وللحظة لم يكن هناك أحد على مرمى البصر - ولا سيارات أيضًا - لذلك صار من الممكن تخيل المجتمع الصغير كما كان يمكن أن يكون قبل قرن من الزمان. للحظة، بدت جريمة القتل غير ذات أهمية تقريبًا. في النهاية، ما أهمية ذلك؟ أتى الناس، وذهبوا، ووقعوا في الحب، وكبروا، وماتوا. لكن القرية نفسها، وتخومها العشبية، والسياجات الشجرية، والخلفية بأكملها التي دارت عندها تلك الأحداث، ظلت على حالها. بعد سنوات من الآن، قد يشير شخص ما إلى المنزل الذي قُتل فيه السير ماجنوس، أو المكان الذي عاش فيه قاتله، وقد تتعالى كلمة «أوه» بدافع من الفضول، لكن لا شيء أكثر من ذلك. ألم يكن

هو ذلك الرجل الذي قُطع رأسه؟ ألم يمت شخص آخر أيضًا؟ مقتطفات من محادثات من شأنها أن تتناثر مثل أوراق الشجر في مهب الريح.

ومع ذلك، كانت هناك بعض التغييرات. تسببت وفاة ماري بلاكيستون والسير ماجنوس باي في حدوث عدد لا يُحصى من الشقوق الصغيرة، التي امتدت من مركز كلٍ منهما، والتي ستستغرق وقتًا للشفاء. لاحظ بوند اللافتة الموجودة في نافذة متجر تحف الزوجين وايتهيد: مغلق حتى إشعار آخر. لم يكن يعرف ما إذا أُلقي القبض على جوني وايتهيد لسرقة الميداليات، لكنه شك في أن المحل سيفتح أبوابه مرة أخرى. سار إلى المرأب، وفكر في روبرت بلاكيستون وجوي ساندرلنج اللذين كانا يريدان الزواج فقط، ولكنهما وجدا نفسيهما في مواجهة قوى تفوق إدراكهما. أحزنه التفكير في الفتاة، في اليوم الذي أتت فيه لزيارته في لندن. ما الذي قالته؟ «هذا ليس صحيحًا، والأمر غير عادل على الإطلاق». لم يكن من الممكن أن تكون لديها أي فكرة حينها عن مدى صدق تلك الكلمات.

لفتت حركة انتباهه، ورأى كلاريسا باي تسير مسرعة نحو متجر الجزار، مرتدية قبعة مبهجة نوعًا ما بها ثلاث ريشات. لم تره. كان هناك شيء ما في سلوكها جعله يبتسم. كانت قد استفادت من وفاة شقيقها. لا مجال لإنكار ذلك. ربما لا ترث المنزل أبدًا، لكنها استعادت السيطرة على حياتها، وهو الأمر الذي كان أكثر أهمية. هل كان هذا سببًا لقتله؟ كان من الغريب حقًا كيف يمكن لرجل واحد أن يجعل نفسه هدفًا لكل ذلك القدر من العداء. وجد نفسه يفكر في آرثر ريدوينج، الفنان الذي دُنس أفضل أعماله وقُطع وحُرق. قد يعتبر آرثر نفسه هاويًا. لم يصل إلى مرتبة العظمة كفنان قَطُّ. لكن بوند كان يعرف جيدًا الشغف الذي يحترق في قلب أي شخص مبدع، والذي يمكن قلبه بسهولة شديدة، وتحويله إلى شيء خطير.

ماذا عن الدكتورة ريدوينج نفسها؟ في المرة الأخيرة التي تحدثت فيها عن السير ماجنوس، لم تستطع إخفاء كراهيتها ليس فقط له، بل لكل ما

يرمز إليه. لقد عرفت أكثر من أي شخص آخر، الأذى الذي تسبب فيه لزوجها. وكان بوند يعلم من خلال خبراته السابقة أنه لا يوجد شخص أقوى في قرية إنجليزية من الطبيب، وفي ظروف معينة، سيكون الطبيب أيضًا هو الشخص الأكثر خطورة.

قطع بعض المسافة عبر الطريق الرئيسي، وكانت بإمكانه رؤية دينجل ديل ممتدة على يساره. كان من الممكن أن يأخذ الطريق المختصر إلى باي هول، لكنه قرر ألا يفعل ذلك. لم تكن لديه أي رغبة في مقابلة الليدي باي أو شريكها الجديد. من بين جميع الناس، كانا هما أكثر من استفاد من وفاة السير ماجنوس. كانت أقدم قصة في العالم: الزوجة، والحبيب، والزوج القاسي، والموت المفاجئ. حسنًا، قد يظنان أنهما باتا حُرين في أن يكونا معًا، لكن بوند كان متأكدًا تمامًا أن الأمر لن ينجح أبدًا. هناك بعض العلاقات التي تنجح فقط لأنها مستحيلة، والتي تحتاج في الواقع إلى التعاسة كي تستمر. لن يستغرق الأمر من فرانسيس باي وقتًا طويلًا حتى تسأم من جاك دارتفورد، على الرغم من وسامته التي لا شك فيها. من الناحية العملية، باتت تمتلك باي هول الآن. أم باي هول هو الذي بات يمتلكها؟ قال ماثيو بلاكيستون إنه ملعون، ولم يستطع بوند أن يخالفه الرأي. اتخذ قرارًا واعيًا، وعاد أدراجه. لم يرغب في رؤية المكان مرة أخرى.

ود لو تحدث إلى برينت مرة أخيرة. كان من الغريب أن الدور الذي لعبه الرجل المسؤول عن الحدائق في كل ما حدث، لم يتضح بالكامل. كاد المفتش تشاب يستبعده تمامًا من التحقيق. ومع ذلك، كان برينت أول من اكتشف توم بلاكيستون بعد أن غرق، وكذلك آخر من رأى السير ماجنوس قبل قطع رأسه. في هذا الصدد، كان برينت هو من ادعى أنه اكتشف جثة ماري بلاكيستون، وكان بالتأكيد هو من اتصل هاتفيًا بالدكتورة ريدوينج. لماذا طرده السير ماجنوس بشكل تعسفي قبل وفاته مباشرة؟ خشي بوند من أن الإجابة عن هذا السؤال قد لا تُكتشف أبدًا. لم يبقَ له إلا القليل من الوقت، بكل معنى الكلمة. في هذا

الصباح، سيعرض أفكاره بخصوص ما حدث في ساكسبي أون أيفون، وبحلول فترة ما بعد الظهيرة، سيكون قد رحل.

وماذا عن دينجل ديل؟ يبدو أن الغابة الممتدة بين مقر سكن الكاهن وباي هول لعبت دورًا كبيرًا في الحكاية، لكن بوند لم يعتبر ذلك قَطُّ، بحد ذاته، دافعًا إلى القتل، لا لشيء إلا أن موت السير ماجنوس لن يمنع بالضرورة استمرار عملية التطوير. مع ذلك، فقد تصرف الناس بحماقة شديدة، وسمحوا لمشاعرهم بالتحكم فيهم. فكر بوند في ديانا ويفر، عاملة النظافة المتبلدة التي أخذت على عاتقها كتابة رسالة سب وقذف، باستخدام الآلة الكاتبة الخاصة برية عملها. نظرًا إلى الطريقة التي سارت بها الأمور، لم يتمكن من سؤالها عن الظرف، لكن ذلك لا يهم. كان قد خمن الجواب على أي حال. لقد حل هذه القضية، ليس بالأدلة الملموسة بقدر ما كان بالتخمين. في النهاية، لا يمكن أن تكون هناك إلا طريقة واحدة حتى يصبح كل هذا منطقيًا.

عاد أدراجه، وسار عبر الشارع الرئيسي. وجد نفسه مرة أخرى في مقبرة سانت بوتولف، مارًا أسفل شجرة الدردار الكبيرة التي تنمو بجانب البوابة. رفع نظره نحو الفروع، التي كانت خالية.

واصل طريقه نحو القبر المحفور حديثًا، بصليبه الخشبي واللوح الخشبي المؤقت.

ماري إليزابيث بلاكيستون
٥ أبريل ١٨٨٧ - ١٥ يوليو ١٩٥٥

كان هذا حيث بدأ كل شيء: وفاة والدة روبرت، وحقيقة أنهما تجادلا علنًا قبلها ببضعة أيام فحسب، مما دفع جوي ساندرلنج إلى مكتبه في فارينجدون. أدرك بوند الآن أن كل ما حدث في ساكسبي أون أيفون نابع من تلك الوفاة. تخيل المرأة، مستلقية تحته في التربة الباردة. لم يقابلها قَطُّ، لكنه شعر بأنه

يعرفها. تذكر التدوينات التي سجلتها في دفتر يومياتها، والنظرة المسمومة التي حملتها للعالم من حولها.

فكر في السُم.

كان هناك وقع أقدام وراءه، واستدار ليرى الكاهن روبن أوسبورن يسير نحوه، وهو يشق طريقه بين القبور. لم تكن معه دراجته. من الغريب أنه في ليلة وقوع جريمة القتل، كان هو وزوجته على مقربة من باي هول، حيث كان من المفترض أن أحدهما يبحث عن الآخر. كما سُمع صوت دراجة الكاهن وهي تمر أمام حانة فيريمان خلال المساء، وكان ماثيو بلاكيستون قد رآها بالفعل متوقفة خارج الكوخ الخشبي. سعد بوند بمقابلة الكاهن مرة أخيرة. كانت هناك مسألة معينة لا تزال بحاجة إلى التفسير.

قال أوسبورن.

- أوه، مرحبًا يا سيد بوند.

نظر إلى القبر. لم يترك أحد أي زهور. تابع قائلًا:

- هل أتيت إلى هنا بحثًا عن الإلهام؟

أجاب بوند:

- لا، على الإطلاق. سأغادر القرية اليوم. كنت امر فقط في طريق عودتي إلى الفندق.

- هل سترحل؟ هل يعني هذا انك تخليت عنا؟

- لا يا سيد أوسبورن. إنه يعني العكس تمامًا.

- هل تعرف مَن قتلها؟

- أجل، أعرف.

- أنا سعيد جدًا لسماع ذلك. كثيرًا ما فكرت... لا بد أنه من الصعب للغاية أن ترقد في سلام، في حين أن قاتلك يخطو على الأرض فوقك. هذا يسيء إلى كل أفكار العدالة الطبيعية. هل تعتقد أن هناك ما يمكنك أن تخبرني به... على الرغم من أنني ربما لا يجب أن أسأل.

لم يحرِ بوند جوابًا. بدلًا من ذلك، غيَّر الموضوع. قال:

- الكلمات التي ألقيتها في جنازة ماري بلاكيستون، كانت ذات أهمية كبيرة.

- هل تعتقد ذلك؟ شكرًا لك.

- قلت إنها كانت جزءًا كبيرًا من القرية، وإنها تقبلت الحياة هنا. هل ستندهش إذا علمت أنها احتفظت بمذكرات لم تسجل فيها إلا أخبث الملاحظات وأشدها قسوة عن الأشخاص الذين عاشوا في ساكسبي أون أيفون؟

- سأكون مندهشًا يا سيد بوند، أجل. أعني، كانت لديها طريقة في فرض نفسها، لكنني لم ألحظ قَطُّ أي خبث محدد في أي شيء فعلته.

- لقد دوَّنت ملاحظة عنك أنت والسيدة أوسبورن. يبدو أنها زارتك قبل وفاتها. هل تذكر ذلك؟

- لا أستطيع القول...

كان أوسبورن فاشلًا في الكذب. أخذت يداه تتلويان، وباتت ملامحه كلها مشدودة وغير طبيعية. بالطبع رآها، وهي واقفة في المطبخ. «سمعت أنك تواجه مشكلات مع الدبابير». والصور التي كانت ملقاة على طاولة المطبخ وهي تواجه نحو الأعلى... لماذا كانت هناك؟ لماذا لم تضعها هنريتا بعيدًا؟

واصل بوند الحديث قائلًا:

- لقد استخدمت عبارة «مثير للصدمة» في دفتر يومياتها، كما قالت أيضًا إن الأمر «مروع»، وسألت نفسها عما يتعين عليها فعله. هل تعرف ما كانت تشير إليه؟

- ليست لديَّ أي فكرة.

- سوف أخبرك إذن. لقد حيرني كثيرًا يا سيد أوسبورن، سبب احتياج زوجتك إلى العلاج من تسمم البيلادونا. اشترت الدكتورة ريدوينج زجاجة من الفيسوستجمين لذلك الغرض بالتحديد. كانت قد وطئت فوق أجمة من نبات ست الحسن القاتل.

- هذا صحيح.

- لكن السؤال الذي طرحته على نفسي هو: لماذا لم تكن زوجتك ترتدي حذاءً؟
- نعم، لقد ذكرت ذلك حينها، وقالت زوجتي...
- لم تخبرني زوجتك بالحقيقة كاملة. لم تكن ترتدي حذاءً لأنها لم تكن ترتدي أي شيء آخر أيضًا. هذا هو السبب الذي جعلكما مترددين للغاية في إخباري أين ذهبتما لقضاء عطلة. في النهاية، اضطررتما إلى إعطائي اسم فندقكما - شيبلي كورت في ديفونشاير - واستدعى الأمر مكالمة هاتفية واحدة بسيطة لاكتشاف أن شيبلي كورت معروف جيدًا بوصفه منتجعًا للعراة. هذه حقيقة الأمر، أليس كذلك يا سيد أوسبورن؟ أنت وزوجتك من أتباع المذهب الطبيعي.

ازدرد أوسبورن ريقه بقوة، وقال:

- أجل.
- وهل وجدت ماري بلاكيستون دليلًا على ذلك؟
- وجدت صورًا فوتوغرافية.
- هل لديك أي فكرة عما كانت تنوي فعله؟
- لا، لم تقل شيئًا. وفي اليوم التالي...

تنحنح، وقال فجأة والكلمات تندفع خارجة منه:

- أنا وزوجتي بريئان تمامًا. إن المذهب الطبيعي هو حركة سياسية وثقافية مرتبطة أيضًا إلى حدٍّ كبير بالصحة الجيدة. ولا يوجد أي دنس في الأمر، كما أؤكد لك أنه لا يوجد أي شيء من شأنه أن يحط من قدر مهنتي أو يقوضها. يمكنني أن أذكر أن آدم وحواء لم يكونا مدركين أنهما عاريان. كانت تلك هي حالتهما الطبيعية، ولم يشعرا بالخزي إلا بعد أن أكلا التفاحة. سافرت أنا وهن معًا إلى ألمانيا قبل الحرب، وهناك خضنا أول تجربة لنا، وأعجبنا الأمر. أبقيناه سرًا ببساطة لأننا شعرنا بأن هناك أشخاصًا هنا قد لا يتفهمون، وقد يستاءون.
- ودينجل ديل؟

- كانت مثالية بالنسبة إلينا. لقد منحتنا الحرية، ومكانًا ما يمكننا السير فيه معًا من دون أن يرانا أحد. سأسرع في القول يا سيد بوند، إننا لم نقترف أي خطأ. أعني، لم يكن هناك شيء... جسديًا.

اختار الكلمة بعناية، وواصل قائلًا:

- تمشينا ببساطة في ضوء القمر. لقد كنتَ هناك معنا، وتعرف كم هو مكان جميل.

- كان كل شيء على ما يرام، حتى داست زوجتك على نبات سام.

- كان كل شيء على ما يرام حتى رأت ماري الصور. لكن لا يمكنك أن تشك - أنت - ولو للحظة، لا يمكنك ان تعتقد أنني أذيتها بسبب ذلك؟

- انا أعرف كيف ماتت ماري بلاكيستون بالضبط يا سيد أوسبورن.

- لقد ذكرت... قلت إنك على وشك الرحيل.

- في غضون ساعات قليلة من الآن. وهذا هو السر الوحيد الذي سآخذه معي. ليس لديك ما تخشاه أنت وزوجتك. لن أخبر أحدًا.

أطلق روبن أوسبورن زفيرًا عميقًا.

- شكرًا لك يا سيد بوند. لقد كنا قلقين للغاية. ليست لديك أدنى فكرة.

التمعت عيناه، وواصل قائلًا:

- وهل سمعت؟ وفقًا للوكلاء في باث، لا تنتوي الليدي باي مواصلة التطوير. سوف تترك الغابة لحالها.

- انا سعيد جدًا لسماع ذلك. لقد كنت محقًا بالتأكيد يا سيد أوسبورن. إنه مكان جميل جدًا. في الواقع، لقد أعطيتني فكرة...

غادر اتيكوس بوند المقبرة بمفرده. كان لا يزال لديه خمسون دقيقة حتى الاجتماع مع ريموند تشاب.

كما كان هناك شيء يتعين عليه فعله.

٢

استغرق منه الأمر وقتًا قصيرًا لكتابة الرسالة، جالسًا مع كوب من الشاي في ركن هادئ من كوينز آرمز.

«عزيزي جيمس،

عندما تقرأ هذا، سيكون كل شيء قد انتهى. سامحني لأنني لم أتحدث إليك قبل هذا، ولأنني لم أفضِ إليك بسري، لكنني متأكد أنك ستتفهم الأمر بمرور الوقت.

هناك بعض الملاحظات التي كتبتها، وستجدها في مكتبي. إنها تتعلق بحالتي والقرار الذي اتخذته. أريد أن يكون من المفهوم أن تشخيص الطبيب واضح، وبالنسبة إليَّ، لا يمكن أن يكون هناك احتمال للنجاة. أنا لا أهاب الموت، وأحب الاعتقاد بأن اسمي سيظل باقيًا.

لقد حققت نجاحًا كبيرًا في حياة طالت بما يكفي. ستجد أنني تركت لك ميراثًا صغيرًا في وصيتي. جزئيًا، هذا للاعتراف بالسنوات العديدة التي أمضيناها معًا، لكنني آمل أيضًا أن تتمكن من استكمال العمل على كتابي، وإعداده للنشر. أنت الوصي الوحيد عليه الآن، لكنني واثق بأنه سوف يكون في أمان بين يديك.

خلاف ذلك، فهناك عدد قليل من الناس الذين سينعونني. لم أخلف ورائي أي مُعالين. بينما أستعد للرحيل عن هذا العالم، أشعر بأنني استغللت وقتي جيدًا، وآمل أن تبقى ذكراي بسبب النجاح الذي تشاركناه معًا، أنا وأنت.

أود أن أطلب منك الاعتذار إلى صديقي مفتش المباحث تشاب. كما سيتضح، لقد استخدمت الفيسوستجمين الذي أخذته من كلاريسا باي، والذي كان يجب أن أعيده إليه. حسب ما فهمت، فهو بلا طعم، وأعتقد أنه

سيوفر لي عبوراً يسيراً، لكن مع ذلك، كانت تلك خيانة للثقة، بل حتى جريمة صغيرة، وأنا آسف لذلك.

في النهاية، على الرغم من أن ذلك يدهشني، فإنني أرغب في أن يُنثر رمادي في الغابة المعروفة باسم دينجل ديل. لا أعرف السبب الذي يدفعني إلى طلب هذا. أنت تعلم أنني لست ذا نزعة رومانسية. لكنه مشهد قضيتي الأخيرة، ويبدو ذلك ملائمًا. كما أنه أيضًا مكان هادئ للغاية. يبدو أن هذا هو الصواب.

أودعك أيها الصديق القديم، مع احترامي وأمنياتي الطيبة. أشكرك على ولائك ورفقتك، وأتمنى أن تفكر في العودة إلى التمثيل، وأن تتمتع بمستقبل مهني طويل ومزدهر».

وقع الخطاب ووضعه في ظرف، وأغلقه، وكتب عليه: خاص - إلى السيد جيمس فريزر.

لن يحتاج إليه فترة من الوقت، لكنه كان سعيدًا أنه انتهى منه. أخيرًا، شرب الشاي وخرج إلى السيارة التي تنتظره.

٣

كان هناك خمسة منهم في المكتب في باث، محاطين بنوافذ مزدوجة الارتفاع، والجو صامت وساكن على نحو غريب. استمرت الحياة على الجانب الآخر من الزجاج، لكنها بدت هنا كما لو أنها محاصرة في لحظة كان لا مفر منها على الدوام، وقد حلت أخيرًا. اتخذ مفتش المباحث ريموند تشاب مكانه خلف المكتب، على الرغم من أنه لم يكن لديه الكثير ليقوله. لم يكن أكثر من شاهد. لكن هذا كان محل عمله، ومكتبه، وسلطته، وكان يأمل أن يكون قد أوضح ذلك. كان أتيكوس بوند بجانبه، وإحدى يديه ممدودة فوق السطح المصقول، كما لو أن ذلك يمنحه

الحق في الوجود هنا بطريقة ما، وقد أسند عصاه المصنوعة من خشب الورد بشكل مائل إلى ذراع كرسيه. انزوى جيمس فريزر في الركن.

جلست أمامهم جوي ساندرلنج، التي أتت إلى لندن وورطت بوند في هذا منذ البداية، على كرسي وُضع بعناية كما لو أنها استُدعيت هنا لإجراء مقابلة عمل. جلس بجانبها روبرت بلاكيستون، وقد بدا شاحبًا وعصبيًا. لم يتحدثا كثيرًا منذ وصولهما. كان بوند هو محور الاهتمام، وهو الذي شرع في الحديث الآن. قال:

- آنسة ساندرلنج، لقد دعوتك هنا اليوم لأنك من جوانب عديدة، تعتبرين موكلتي، بمعنى أنني سمعت عن السير ماجنوس باي وشؤونه لأول مرة من خلالك. لقد أتيت إليَّ ليس لأنك أردت مني حل جريمة - في الواقع لم يكن بوسعنا التأكد أن أي جريمة قد ارتُكبت - لكن لتطلبي مساعدتي في مسألة زواجك بروبرت بلاكيستون، الذي شعرتِ بأنه واقع تحت التهديد. ربما كان من الخطأ مني رفض ما طلبتِه، لكن آمل أن تتفهمي انه كانت لديَّ أمور شخصية عليَّ التفكير فيها حينها، وأن اهتمامي كان منصبًا في مكان آخر. في اليوم التالي لزيارتك، قرأت عن وفاة السير ماجنوس، وكان هذا هو ما غيَّر رأيي. مع ذلك، منذ اللحظة التي وصلت فيها إلى ساكسبي أون أيفون، شعرت بأنني أعمل ليس نيابة عنك فقط، لكن من أجل خطيبك أيضًا. لهذا فمن الصواب أن تتم دعوتكما إلى الاستماع إلى نتيجة مشاوراتي. أود أن تعرفي أيضًا أنني شعرت بالحزن الشديد لأنك أحسست بالحاجة إلى تولي زمام الأمور بين يديك، والمجاهرة بحياتك الخاصة للقرية بأكملها. لا يمكن أن يكون هذا ممتعًا لك، وكنت أنا المسؤول عن ذلك. عليَّ أن أطلب منك السماح.

قالت جوي:

- إذا كنت قد حللت جرائم القتل، وصار بوسعي أنا وروبرت الزواج، فسوف أغفر أي شيء.

- آه، أجل.

التفت نحو تشاب للحظة وجيزة، وتابع قائلًا:

- لدينا شابان، من الواضح أنهما واقعان في الحب بشدة. كان واضحًا لي كم يعني هذا الزواج بالنسبة إلى كليهما.

غمغم تشاب:

- حظًا سعيدًا لهما.

تحدث روبرت بلاكيستون للمرة الأولى، وبدا في صوته غل دفين:

- إذا كنت تعرف مَن ارتكب ذلك، فلمَ لا تخبرنا؟ بعدها يمكننا أن أرحل أنا وجوي. لقد اتخذت قرارًا بالفعل، لن نبقى في ساكسبي اون أيفون. لا أطيق المكان. سنجد مكانًا بعيدًا، ونبدأ من جديد.

مدت جوي يدها، ولمست يده قائلة:

- سنكون على ما يرام إذا بقينا معًا.

سحب بوند يده بعيدًا عن المكتب، وأسندها إلى ذراع كرسيه، ثم قال:

- سوف أبدأ إذن. حتى قبل وصولي إلى ساكسبي أون أيفون، عندما قرأت عن مقتل السير ماجنوس في صحيفة \التايمز، علمت أنني أتعامل مع مصادفة غريبة. سقطت مدبرة منزل وماتت، فيما بدا أنه حادث منزلي واضح، ثم بعد ذلك بأقل من أسبوعين، مات رب عملها أيضًا، ولا شك هذه المرة في أنها جريمة قتل من أبشع الأنواع. أقول إنها مصادفة، لكن ما أعنيه هو في الواقع عكس ذلك تمامًا. لا بد أن هناك سببًا لاصطدام هذين الحدثين، إذا جاز التعبير، لكن ما هو؟ هل يمكن أن يكون هناك دافع واحد لموت كلٍّ من السير ماجنوس باي ومدبرة منزله؟ ما الغاية التي يمكن تحقيقها، إذا أُبعدا عن الطريق؟

حدق بوند بشدة إلى الشابين الجالسين أمامه للحظة وجيزة، وواصل قائلًا:

- خطر لي أن الزواج الذي تحدثتما عنه، والذي ترغبان فيه بشدة، قد يكون دافعًا. نعلم أن ماري بلاكيستون عارضت ذلك الزواج، لأسباب قد تكون بغيضة.

لكنني صرفت النظر عن خط التفكير هذا. أولًا، لم تكن لديها القدرة على منع الزواج، على حد علمنا على الأقل. لذلك لم يكن هناك سبب لقتلها. كما لا يوجد دليل يشير إلى أن السير ماجنوس كان معنيًا بالأمر بطريقة أو بأخرى. في الواقع، دومًا ما كان يشعر بالميل حيال ابن ماري بلاكيستون، وسيرغب بالتأكيد في رؤية الأمر يأخذ مجراه.

قال روبرت:

- لقد علم بشأن الزواج، ولم تكن لديه قَطُّ أي اعتراضات. لماذا يكون لديه اعتراض؟ إن جوي فتاة رائعة، وأنت على حق، لطالما كان لطيفًا معي، وأرادني أن أكون سعيدًا.

- أوافقك الرأي. لكن إذا لم نتمكن من العثور على سبب واحد لحادثَي الوفاة، فما البدائل؟ هل يمكن أن يكون هناك قاتلان في ساكسبي أون أيفون، يتصرفان بشكل مستقل أحدهما عن الآخر، ولديهما مجموعتان مختلفتان تمامًا من الدوافع؟ هذا يبدو غير مرجح نوعًا ما، على أقل تقدير. هل يمكن أن يكون أحد حادثَي الوفاة سببًا في وقوع الآخر، بطريقة ما؟ نعلم الآن أن ماري بلاكيستون جمعت الكثير من الأسرار عن حياة سكان القرية. هل كانت تعلم شيئًا عن شخص ما، وعرَّضها ذلك للخطر؟ وهل أخبرت السير ماجنوس، ربما؟ دعونا لا ننسَ أنه كان أقرب شخص تثق به.

بينما كنت أقلب هذه الأمور في ذهني، ظهرت لي جريمة ثالثة. إذ إنه في مساء جنازة ماري بلاكيستون، اقتحم شخص ما باي هول. بدا الأمر كما لو أنه عملية سطو عادية، لكن في شهر قُتل فيه شخصان، لم يعد هناك أي شيء عادي. سرعان ما ثبت أن هذه هي الحال، فعلى الرغم من بيع مشبك حزام فضي واحد في لندن، فإن بقية المسروقات أُلقيت في البحيرة فحسب. لماذا حدث ذلك؟ هل أزعج أحدهم السارق، أم كان له هدف آخر؟ هل يمكن أن يكون قد رغب ببساطة في إخفاء الفضة، بدلًا من الاستفادة منها؟

سأله تشاب:

- هل تقصد أنه كان نوعًا من الاستفزاز؟

- كان السير ماجنوس فخورًا بفضته الرومانية، التي كانت جزءًا من إرثه. ربما سُرقت ببساطة نكاية فيه. خطرت لي تلك الفكرة، أيها المفتش.

مال بوند نحو الأمام، وتابع الحديث قائلًا:

- هناك جانب آخر من القضية وجدت صعوبة كبيرة في فهمه. كان هذا هو موقف ماري بلاكيستون.

تمتم روبرت قائلًا:

- أنا أيضًا لم أفهمها قَطُّ.

- دعنا نتفحص علاقتها معك. فقدت ابنًا واحدًا في حادث مأساوي، مما جعلها متيقظة ومتسلطة ومتملكة. هل تعلم أنني قابلت والدك؟

حدق روبرت قائلًا:

- متى؟

- بالأمس. أخذني زميلي فريزر إلى منزله في كارديف. وقد أخبرني بالكثير من الأشياء المثيرة للاهتمام. بعد وفاة شقيقك توم، حاصرتك والدتك، وحتى هو لم يكن مسموحًا له بالاقتراب منك. لم تستطع تحمُّل ابتعادك عن ناظريها، لذا، على سبيل المثال، غضبت عندما اخترت الذهاب إلى بريستول. كانت هذه هي المرة الوحيدة التي تجادلت فيها مع السير ماجنوس، الذي اهتم برفاهك طوال الوقت. كل هذا منطقي. إن المرأة التي فقدت طفلًا ستصبح بطبيعة الحال مهووسة بالآخر. يمكنني أيضًا أن أفهم كيف يمكن أن تصبح هذه العلاقة غير مريحة، بل حتى سامة. كانت الخلافات بينكما طبيعية. إنه أمر محزن للغاية، لكنه لا مفر منه.

لكن هذا ما لا أفهمه: لماذا عارضت هذا الزواج؟ هذا غير منطقي. لقد وجد ابنها، إذا جاز لي القول، رفيقة ساحرة متمثلة في الآنسة ساندرلنج. ها هي ذي فتاة محلية، من أسرة طيبة. والدها رجل إطفاء، وتعمل في عيادة

طبيبة، وهي لا تنوي إبعاد روبرت عن القرية. إنها زيجة مثالية، ومع ذلك، فلم ترُد ماري بلاكيستون منذ البداية سوى بعدوانية. لماذا؟

تضرج وجه جوي وقالت:

- ليست لديَّ اي فكرة يا سيد بوند.

تدخل تشاب قائلًا:

- يمكننا مساعدتك هنا يا آنسة ساندرلنج. لديك شقيق مصاب بمتلازمة داون.

- بول؟ ما علاقته بالموضوع؟

- لقد دوَّنت السيدة بلاكيستون أفكارها في دفتر يوميات عثرنا عليه. كانت لديها فكرة بأن المرض سوف ينتقل إلى أي أحفاد قد تُرزقان بهم. كانت تلك هي مشكلتها.

هز بوند رأسه، وقال:

- معذرة أيها المفتش، لكنني لا أتفق معك.

- لقد اوضحت ذلك بما فيه الكفاية، تبعًا لرأيي يا سيد بوند. «... هذا المرض الفظيع وإصابته لأسرتها ...». إنها كلمات فظيعة، لكن هذا بالضبط هو ما كتبته.

- إنها كلمات ربما تكون قد أسأت تفسيرها.

تنهد بوند، وواصل قائلًا:

- كي نفهم ماري بلاكيستون، من الضروري العودة بالزمن إلى الوراء، إلى اللحظة الحاسمة في حياتها.

ألقى نظرة سريعة على روبرت، وقال:

- آمل ألا يزعجك هذا يا سيد بلاكيستون. أنا أشير إلى وفاة شقيقك.

قال روبرت:

- لقد عشت معها معظم حياتي. لا يوجد شيء يمكنك قوله من شأنه أن يزعجني الآن.

- هناك جوانب عديدة للحادث أجدها محيرة. دعني أبدأ، للحظة، برد فعل

والدتك على ما حدث. لا أستطيع فهم امرأة استمرت في العيش في المكان نفسه الذي وقع فيه الأمر، حيث فقدت طفلها. مرت أمام تلك البحيرة كل يوم، وعليَّ أن أسأل نفسي: هل كانت تعاقب نفسها على شيء فعلته؟ أو عن شيء تعرفه؟ هل يمكن أن تكون مدفوعة بشعور بالذنب منذ ذلك اليوم الرهيب؟

لقد زرت الكوخ الخشبي، وحاولت تخيل كيف يمكن أن تكون الحال بالنسبة إليها، وبالنسبة إليك في الواقع، وأنتما تعيشان معًا في ذلك المكان الكئيب، محاطين بالأشجار ووسط الظلال على الدوام. لم يكشف المنزل عن الكثير من الأسرار، لكن كان هناك لغز واحد: غرفة في الطابق الثاني أبقتها والدتك مغلقة. لماذا؟ ماذا كان الغرض من تلك الغرفة ولماذا لم تدخلها قَطُّ؟ لم يبقَ في الغرفة إلا القليل: فراش، وطاولة، وداخل درج الطاولة طوق كلبة ماتت هي أيضًا.

قال روبرت:

- كانت هذه هي بيلا.

- نعم. كانت بيلا هدية من والدك لشقيقك، ولم يحب السير ماجنوس وجودها في أرضه. عندما تحدثت إلى والدك بالأمس، ألمح إلى أن السير ماجنوس قتل الكلبة بأقسى طريقة ممكنة. لم أستطع التأكد من حقيقة ذلك، لكنني سأخبرك بما فكرت فيه. غرق شقيقك، وسقطت والدتك من فوق الدرج، وقُتل السير ماجنوس بوحشية. والآن لدينا بيلا، كلبة من سلالة هجين، ماتت مسمومة. إنه موت عنيف آخر، يضاف إلى قائمة الوفيات العنيفة الحقيقية التي نجدها في باي هول.

لماذا وُضع طوق الكلبة هنا؟ كان هناك شيء آخر في الغرفة لاحظته على الفور. كانت هي الوحيدة في المنزل التي تطل على البحيرة. ظننت أن هذا في حد ذاته في غاية الأهمية. بعد ذلك، سألت نفسي، فيمَ كانت تُستخدم الغرفة عندما كانت ماري بلاكيستون تعيش في الكوخ الخشبي؟

لقد افترضت، على نحو خاطئ، أنها كانت غرفة النوم التي استخدمتها إما أنت، وإما شقيقك.

قال روبرت:

- كانت غرفة خياطة والدتي. كنت سأخبرك لو أنك سألتني.

- لم أكن بحاجة إلى أن أسألك. لقد ذكرت لي أنك أنت وشقيقك كنتما تمارسان لعبة، تطرقان خلالها جدران غرفتَي نومكما، وترسلان إلى بعضكما الإشارات. لذا لا بد أنه كانت لديكما غرفتان متجاورتان، ومن ثَمَّ فإن الغرفة الكائنة عبر الرواق يجب أن يكون لها غرض آخر. كانت والدتك تمارس الخياطة كثيرًا، وبدا لي أنه من المرجح جدًا أن هذا هو المكان الذي تحب العمل فيه.

قال تشاب:

- كل هذا جيد للغاية يا سيد بوند، لكنني لا أرى إلى أين يقودنا ذلك.

- لقد أوشكنا على الوصول أيها المفتش. لكن فلتسمح لي أولًا أن أتفحص الحادث كما وقع، لأنه كما ذكرت سابقًا، فإن هذا أيضًا يطرح بعض المشكلات. وفقًا لشهادة كلٍّ من روبرت ووالده، كان توم يبحث عن قطعة من الذهب كانت في الواقع وسط الأعشاب بجانب الماء، لأن هذا هو المكان الذي أخفاها فيه السير ماجنوس. الآن، دعونا نتذكر، لم يكن طفلًا صغيرًا. كان عمره اثني عشر عامًا، كما كان ذكيًا. يجب أن أسألكم، هل كان سيخوض في الماء البارد والموحل، معتقدًا أن الذهب هناك؟ حسب ما فهمت، كانت الألعاب التي لعبها الصبيان رسمية للغاية، نظمها السير ماجنوس، الذي أخفى الكنز وقدَّم أدلة محددة. إذا كان توم بجانب البحيرة، فربما يكون قد اكتشف المكان الذي يمكن العثور فيه على الذهب. لكن لم تكن هناك حاجة إلى تجاوزه والخوض وسط البحيرة مباشرة. هذا غير منطقي على الإطلاق. كما أن هناك تفصيلة أخرى تزعجني. لقد اكتشف برينت، المسؤول عن الحدائق، الجثة...

قاطعه روبرت قائلًا:

- دومًا ما كان يتسلل في أرجاء المكان. كنت أخافه أنا وتوم.

- أنا على استعداد لتصديق ذلك. لكن هناك سؤالًا أود طرحه عليك الآن. كان برينت دقيقًا جدًا في وصفه. أخرج شقيقك من الماء، ووضعه على الأرض. لقد وصلت أنت بعد لحظات، فما السبب الذي قد يجعلك تخوض في الماء بنفسك؟

- أردت تقديم العون.

- بالطبع، لكن شقيقك كان خارج الماء بالفعل. قال والدك إنه كان مستلقيًا على اليابسة. فلماذا تريد أن تجعل نفسك باردًا ورطبًا؟

تجهم روبرت وقال:

- لا أعرف ما تريدني أن أقوله يا سيد بوند. كنت في الرابعة عشرة من عمري، ولا أتذكر ما حدث حتى، في الواقع. كنت أفكر في توم فحسب، وفي إخراجه من الماء. لم يكن هناك شيء آخر في ذهني.

- لا يا روبرت. أعتقد أنه كان هناك شيء. أعتقد أنك أردت إخفاء حقيقة أنك كنت مبللًا بالفعل.

بدا أن الغرفة بأكملها قد توقفت، كما لو أنها جزء من فيلم علق في جهاز عرض. حتى في الخارج، في الشارع، لم يتحرك شيء.

سألت جوي، برعشة طفيفة في صوتها:

- ما الذي سيجعله يرغب في ذلك؟

- لأنه تشاجر مع شقيقه بجانب البحيرة قبلها بلحظات قليلة. لقد قتل شقيقه بأن اغرقه.

- هذا ليس صحيحًا!

أطلقت عينا روبرت شررًا، وللحظة، ظن فريزر أنه سيثب من مقعده، واستعد لإنقاذ بوند إذا لزم الأمر.

قال بوند:

- الكثير مما أقوله يستند إلى التخمين، وثق بي عندما أقول إنني لا أُحمِّلك

المسؤولية الكاملة عن جريمة ارتكبتها عندما كنت طفلًا. لكن دعونا نلقِ نظرة على الأدلة. تلقى شقيقك كلبة، بدلًا منك، وقد ماتت في ظروف مروعة. بحثت أنت وشقيقك عن قطعة ذهب، وعثر هو عليها، بدلًا منك. كان هو من تلقى العقاب هذه المرة. أخبرني والدك بأنك أنت وتوم كنتما كثيرَي الشجار. شعر بالقلق حيالك، بسبب تقلباتك المزاجية، والطريقة التي كنت تذهب بها إلى السير بمفردك، حتى في سن مبكرة جدًا. لم يرَ ما رأته والدتك، وهو أنه منذ وقت ولادتك، التي كانت متعسرة، كان بك شيء على غير ما يرام، وأنك على استعداد للقتل.

كانت جوي هي التي احتجت هذه المرة، وقالت:

- لا يا سيد بوند! أنت لا تتحدث عن روبرت. روبرت ليس هكذا أبدًا.

- إن روبرت هكذا بدرجة كبيرة يا آنسة ساندرلنج. لقد أخبرتني بنفسك عن الأوقات الصعبة التي مر بها في المدرسة. لم يكوّن صداقات بسهولة، ولم يثق به الأطفال الآخرون. ربما أدركوا أن هناك شيئًا غير صحيح تمامًا. وفي المرة الوحيدة التي ابتعد فيها عن المنزل، عندما كان يعمل في بريستول، تورط في مشاجرة عنيفة أدت إلى اعتقاله وقضاء ليلة في السجن.

أضاف تشاب قائلًا:

- لقد كسر فك الرجل الآخر، وثلاثًا من أضلعه.

بدا من الواضح أنه راجع الملفات.

واصل بوند الحديث:

- أعتقد ان ماري بلاكيستون كانت تعرف جيدًا جدًا طبيعة ابنها الأكبر، والحقيقة ببساطة أنها لم تكن تحميه من العالم الخارجي، بل كانت تحمي العالم منه. لقد عرفت، أو اشتبهت، في ما حدث للكلبة، بيلا. وإلا لماذا احتفظت بالطوق؟ لقد رأت ما حدث عند البحيرة. أجل، جلست إلى طاولتها في غرفة الخياطة، وشاهدت روبرت وهو يقتل توم، وقد انتابه الغضب لأن شقيقه الأصغر هو من عثر على الذهب، وليس هو. ومنذ ذلك اليوم، بنت

جدارًا حوله. أخبرنا ماثيو بلاكيستون بأنها أحرقت الجسور، ولم تسمح له بالاقتراب من روبرت، لكنه لم يفهم السبب. لم تكن تريده أن يعرف الحقيقة. والآن يمكننا أن نفهم يا آنسة ساندرلنج، سبب معاداتها الشديدة لفكرة زواجكما. مرة أخرى، لم تكن ملائمتك كزوجة هي ما يقلقها. لقد عرفت ابنها على حقيقته، وكانت مصممة على ألا يصبح زوجًا. أما بالنسبة إلى شقيقك المصاب بمتلازمة داون، فقد أسأت تمامًا فهم ما تعنيه. لقد دوَّنت ملاحظة مهمة في دفتر يومياتها: «وطوال الوقت كنت أفكر في هذا المرض الفظيع وإصابته لأسرتها». أخشى أن كلًا من جيمس فريزر والمفتش تشاب أساءا فهم ما كتبته. المرض الذي أشارت إليه هو جنون ابنها. كانت تخشى أنه في يوم من الأيام في المستقبل، قد يصيب عائلة الآنسة ساندرلنج إذا سُمح بإتمام الزواج.

نهض روبرت بلاكيستون واقفًا، وقال:

- سأرحل! لست مضطرًا إلى الاستماع إلى مزيد من هذا الهراء.

قال له تشاب:

- ستبقى في مكانك. هناك رجلان على الجانب الآخر من ذلك الباب، ولن تذهب إلى أي مكان حتى ينتهي السيد بوند.

تلفت روبرت حوله باهتياج، وقال:

- إذن ما النظريات الأخرى التي لديك يا سيد بوند؟ هل ستقول إنني قتلت والدتي لأمنعها من الكلام؟ هل هذا ما تظنه؟

- لا يا سيد بلاكيستون. أعلم جيدًا أنك لم تقتل والدتك. إذا جلست، فسأخبرك بما حدث بالضبط.

تردد روبرت بلاكيستون، ثم عاد إلى مقعده. لم يستطع فريزر إلا أن يلحظ أن جوي ساندرلنج انحرفت مبتعدة عنه. بدت بائسة جدًا، وتفادت نظراته.

تابع بوند قائلًا:

- لنضع أنفسنا داخل عقل والدتك. مرة أخرى، يجب أن يكون الكثير من هذا

تخمينًا، لكن هذه هي الطريقة الوحيدة التي تجعل الأحداث التي ظهرت لنا منطقية. إنها تعيش مع ابن تعرف أنه مختل بشكل خطير، وبطريقتها الخاصة، حاولت حمايته. راقبت كل تحركاته، ولم تتركه يبعد عن انظارها على الإطلاق. لكن عندما أصبحت علاقتهما نكدة وبغيضة بدرجة أكبر، وازدادت المواقف بينهما عنفًا، شعرت بالقلق. ماذا لو انقلب عليها ابنها بجنونه؟

لديها شخص واحد تثق به. إنها تتطلع إلى السير ماجنوس، بوصفه رجلًا ثريًا حسن التربية. إنه يفوقها مكانة بكثير، وهو من النبلاء، لا أقل من ذلك. لقد ساعد في العديد من المناسبات في شؤون الأسرة. وظفها، وابتكر ألعابًا لطفليها لتسليتهما عندما يكون والدهما بعيدًا. وقف إلى جانبها بعد فشل زيجتها، وبعد ذلك وجد عملًا مرتين لابنها الباقي على قيد الحياة. حتى إنه استخدم نفوذه لإخراج روبرت من السجن.

لا يمكنها إخباره بجريمة القتل. سيشعر بالرعب، وقد يتخلى عن كليهما. لكن خطرت لها فكرة. أعطته ظرفًا مغلقًا يحتوي على رسالة توضح الحقيقة: مقتل ابنها الأصغر، وقتل الكلبة، وربما حوادث أخرى لن نعرف عنها أبدًا. وصفت روبرت بلاكيستون كما هو بالفعل، لكن هنا تكمن الخدعة في الأمر. ستُفتح الرسالة في حالة وفاتها فقط. وبعد تسليمها وحفظها، أخبرت روبرت بما فعلته بالضبط. ستكون الرسالة بمثابة شبكة أمان. سيلتزم السير ماجنوس بكلمته، ولن يفتحها. سيحفظها في أمان فحسب. لكن إذا وقع لها أي شيء، وإذا ماتت في ظروف غريبة او مشبوهة، فسوف يقرأها ويعرف مَن المسؤول. إنه ترتيب مثالي. لن يجرؤ روبرت على مهاجمتها، ولن يتمكن من إيذائها. بفضل الرسالة، تم تحييده.

قال روبرت:

- أنت لا تعرف هذا. لا يمكنك معرفة ذلك.

- انا أعرف كل شيء!

توقف بوند، ثم تابع الحديث:

- دعونا الآن نعُد إلى وفاة ماري بلاكيستون، ونرَ كيف تطورت الأحداث.

سأله تشاب:

- من قتلها بالفعل إذن؟

ابتسم بوند قائلًا:

- لا أحد! هذا هو الشيء الغريب والمؤسف في هذه القضية برمتها. لقد ماتت بالفعل نتيجة حادث، لا شيء آخر!

تحدث فريزر من ركن الغرفة، وقال:

- انتظر لحظة! لقد أخبرتني بأن ماثيو بلاكيستون قتلها.

- لقد فعل، لكن ليس عن قصد، ولم يكن حتى يدري أنه مسؤول. سوف تتذكر يا جيمس، أنه كان لديه هاجس غريب أن زوجته في خطر، واتصل بها في ذلك الصباح. سوف تتذكر أيضًا أن الهواتف الموجودة في الجزء العلوي من المنزل لم تكن تعمل. أخبرتنا الليدي باي ذلك عندما كنا معها. لذا كان ما حدث في غاية البساطة. كانت ماري بلاكيستون تنظف باستخدام المكنسة الكهربائية أعلى الدرج. رن جرس الهاتف، واضطرت إلى أن تهرع حتى الطابق السفلي للرد عليه. اشتبكت قدمها في السلك وسقطت، وسحبت معها المكنسة التي انحشرت في الجزء العلوي من الدرابزين.

بدا واضحًا بالنسبة إليَّ أن التفسير المعقول الوحيد هو كون الأمر حادثًا. كانت ماري بلاكيستون بمفردها في المنزل، ومفاتيحها في الباب الخلفي، الذي كان مغلقًا، في حين كان برينت يعمل أمام المنزل. كان سيرى أي شخص إذا خرج. كما أن دفع شخص أسفل الدرج... إنها ليست طريقة معقولة لمحاولة القتل. كيف يمكنك التأكد أنه سيلحق به ما هو أكثر من إصابات خطيرة فحسب؟

اعتقد سكان ساكسبي أون أيفون خلاف ذلك. تحدثوا عن القتل فقط. ولزيادة الطين بلة، تجادلت ماري بلاكيستون مع ابنها قبل ذلك بأيام قليلة

فحسب. «أتمنى فقط لو أنك سقطت ميتة، لتمنحيني بعض السلام». ربما لم يخطر ذلك لروبرت على الفور، لكن الشروط الدقيقة لرسالة والدته، على الأقل بقدر ما يمكننا تخيله، تم استيفاؤها. ماتت ميتة عنيفة، وكان هو المشتبه فيه الرئيسي.

اتضحت له خطورة الوضع بعد ذلك بأسبوع، في أثناء الجنازة. تكرم الكاهن وأعارني خطابه، وقد قرأت كلماته بالضبط. «على الرغم من أننا هنا اليوم حدادًا على رحيلها، يجب أن نتذكر ما خلفته وراءها». أخبرني بأن روبرت أصيب بالدهشة وغطى عينيه عندما سمع ذلك، وكان هذا لسبب وجيه. لم يكن ذلك بسبب انزعاجه، بل لأنه تذكر ما تركته والدته وراءها.

من حسن الحظ، لم يكن السير ماجنوس والليدي باي في القرية. كانا في عطلة في جنوب فرنسا. لم يكن أمام روبرت سوى قليل من الوقت، وقد تصرف على الفور. في الليلة نفسها، اقتحم باي هول، مستخدمًا الباب نفسه الذي أتلفه برينت عند العثور على الجثة. كانت مهمته بسيطة: يجب أن يجد الرسالة ويدمرها قبل عودة السير ماجنوس.

نظر بوند نحو روبرت مرة أخرى، وقال:

- لا بد أنك شعرت بالغضب من مدى الظلم الكامن في الأمر برمته. لم تفعل شيئًا! لم يكن لك ذنب في الموضوع. لكن إذا قُرئت الرسالة، فستنكشف أسرار طفولتك، وسيُمنع الزواج.

التفت الآن إلى جوي، التي كانت تستمع إلى كل هذا بنظرة هلع تام.

- أعلم أن هذا لا يمكن أن يكون سهلًا بالنسبة إليك يا آنسة ساندرلنج. ولا يسعدني تحطيم آمالك. لكن إذا كان هناك أي عزاء، فهو أن الرجل الجالس بجانبك يحبك حقًا، وفعل ما فعله على أمل أن يتمكن من البقاء معك.

لم تقل جوي ساندرلنج شيئًا، فتابع بوند قائلًا:

- فتش روبرت المنزل، لكنه لم يجد شيئًا. وضع السير ماجنوس الخطاب في خزنة في مكتبه، إلى جانب أوراقه الخاصة الأخرى. كانت الخزنة مختفية

خلف لوحة، وتتطلب رقمًا سريًا طويلًا، لا يمكن لروبرت معرفته. اضطر إلى الرحيل خالي الوفاض.

لكن باتت لديه الآن مشكلة أخرى: كيف يفسر أمر الاقتحام. إذا لم يؤخذ أي شيء، فقد يشتبه السير ماجنوس - والشرطة - في وجود دافع آخر، وعندما ينكشف أمر الرسالة، ربما قادهم ذلك إليه. كان الحل بسيطًا. فتح دولاب العرض، وأخرج الفضة الرومانية التي عُثر عليها من قبل في دينجل ديل. كما أخذ أيضًا بعض مجوهرات الليدي باي. بدا الأمر الآن كأنه عملية سطو مباشرة. بالطبع، لم يكن لديه أي اهتمام بأيٍّ من هذه الأشياء، ولن يجازف ببيعها. ماذا فعل إذن؟ ألقى بها في البحيرة، حيث كانت ستظل من دون أن تُكتشف، لولا بعض من سوء الحظ. أسقط مشبك حزام فضي وهو يسرع عبر العشب، وفي اليوم التالي وجده برينت وباعه إلى جوني وايتهيد. أدى ذلك إلى اكتشاف غواصي الشرطة لباقي الكنز، ومن ثَمَّ السبب الحقيقي للاقتحام.

بقي الخطاب في الخزنة. عاد السير ماجنوس من فرنسا، في الأيام القليلة التالية، لا بد انه كانت لديه امور أخرى تشغله، ولا يمكن ان الأمر كان سهلًا بالنسبة إليك يا روبرت، في انتظار المكالمة التي كنت تعرف أنها آتية لا محالة. ماذا سيفعل السير ماجنوس؟ هل سيذهب إلى الشرطة مباشرة أم سيمنحك فرصة لشرح موقفك؟ في النهاية، في يوم الخميس عندما ذهبت زوجته إلى لندن، دعاك إلى باي هول. وهكذا، أخيرًا، وصلنا إلى مسرح الجريمة.

قرأ السير ماجنوس الرسالة. من الصعب التأكد من رد فعله. لقد شعر بالصدمة، بالتأكيد. هل شك في أن روبرت بلاكيستون هو من قتل والدته؟ هذا ممكن جدًا. لكنه رجل ذكي، ويمكن للمرء القول إنه متردد إلى حدٍّ كبير. لقد عرف روبرت جيدًا لسنوات عديدة، ولا يخافه. ألم يتصرف دائمًا كمرشد لروبرت؟ مع ذلك، كي يكون متأكدًا فقط، بحث عن مسدس الخدمة

الخاص به ووضعه في درج مكتبه حيث سيجده المفتش تشاب لاحقًا. إنه بمثابة بوليصة تأمين، لا أكثر.

في الساعة السابعة، أغلق المرأب أبوابه. عاد روبرت إلى المنزل ليغتسل، وليرتدي ملابس أكثر أناقة، من أجل اجتماع ينوي أن يدفع فيه ببراءته، ويطلب من السير ماجنوس تفهم الموقف. في غضون ذلك، كانت هناك قوى أخرى تلعب دورها. كان ماثيو بلاكيستون في طريقه من كارديف، لاستجواب السير ماجنوس بخصوص معاملته لزوجته. عمل برينت، الذي طُرد من وظيفته مؤخرًا، حتى وقت متأخر، ثم ذهب إلى حانة فيريمان. عانى روبن أوسبورن أزمة ضمير، وذهب إلى الكنيسة لطلب العزاء. شعرت هنريتا أوسبورن بالقلق، وذهبت للبحث عن زوجها. سوف تتقاطع العديد من هذه المسارات، لكن بطريقة لن يظهر بها نمط حقيقي.

في الساعة الثامنة والثلث تقريبًا، توجه روبرت إلى ذلك الاجتماع المصيري. رأى دراجة الكاهن خارج الكنيسة، وقرر استعارتها بناءً على نزوة. لم تكن لديه وسيلة لمعرفة أن الكاهن موجود بالفعل داخل الكنيسة. وصل إلى باي هول من دون أن يراه أحد، وأوقف الدراجة بجوار الكوخ الخشبي، وسار عبر الممر. استقبله السير ماجنوس، وسوف أصف ما حدث، أي جريمة القتل الفعلية نفسها، بعد دقيقة. لكن اسمحوا لي أولًا أن أكمل الصورة الكبرى. وصل ماثيو بلاكيستون أيضًا، وأوقف سيارته بجانب الكوخ الخشبي، وفي الوقت نفسه لاحظ الدراجة. سار عبر الممر، ورآه برينت الذي أنهى عمله للتو. طرق الباب، وفتح السير ماجنوس بعد عدة لحظات. سوف تتذكر يا فريزر، الحوار الذي دار، والذي وصفه لنا ماثيو بلاكيستون بدقة تامة.

«أنت!». فوجئ السير ماجنوس، وكان ذلك لسبب وجيه. وصل الأب في اللحظة نفسها التي كان فيها الابن بالداخل، وكلاهما منشغل في مناقشة في غاية الحساسية. لم يذكر السير ماجنوس اسمه بصوت مرتفع. لم يرغب في تنبيه روبرت إلى حقيقة وجود والده هنا، في أسوأ وقت ممكن. لكن قبل

أن يطرده، انتهز الفرصة لطرح سؤال على ماثيو: «هل تعتقد حقًا أنني قتلت كلبتك؟». لماذا يطرح مثل هذا السؤال، ما لم يكن يرغب في تأكيد شيء كان يناقشه مع روبرت قبل لحظات فقط؟ على أي حال، أغلق السير ماجنوس الباب، ورحل ماثيو.

وقعت جريمة القتل، وأسرع روبرت بلاكيستون مبتعدًا عن المنزل، مستخدمًا الدراجة التي استعارها. حل الظلام، ولم يتوقع مقابلة أحد. داخل حانة فيريمان، سمع برينت الدراجة وهي تمر خلال فترة صمت وسط الموسيقى، وافترض أنه الكاهن. أعاد روبرت الدراجة عند الكنيسة، لكن كان هناك قدر كبير من الدماء، وقد نقل بعضها إلى المقود. عندما خرج الكاهن من الكنيسة وعاد إلى المنزل على الدراجة، فمن المؤكد أن بعضًا من تلك الدماء انتقل إلى ملابسه. لهذا السبب، كما أعتقد، كانت السيدة أوسبورن متوترة للغاية عندما تحدثت معي. ربما ظنت أنه مذنب بارتكاب الجريمة. حسنًا، سرعان ما سيعرفان الحقيقة.

هناك فصل أخير في دراما تلك الليلة. غيَّر ماثيو بلاكيستون رأيه، وعاد لمواجهة السير ماجنوس. فاتته مقابلة ابنه بمجرد دقائق، لكنه رأى الجثة من خلال فتحة رسائل البريد، وانهار فوق حوض الزهور، تاركًا أثر يده في الأرض الرطبة. خوفًا من أن يُشتبه فيه، غادر بأسرع ما يمكن، لكن لمحته الليدي باي التي عادت من لندن للتو، والتي ستدخل المنزل الآن لتعثر على زوجها.

هذا يترك جريمة القتل فقط، التي يتعين عليَّ أن أصفها الآن.

التقى روبرت بلاكيستون والسير ماجنوس باي في غرفة المكتب. أخرج السير ماجنوس الرسالة التي كتبتها ماري بلاكيستون كل تلك السنوات الماضية، وسوف تتذكرون أن الصورة التي تغطي الخزنة كانت لا تزال موارية. استقرت الرسالة على مكتبه، وتناقش الرجلان في محتوياتها. حث روبرت السير ماجنوس على تصديق أنه لم يرتكب أي خطأ، وأنه لم يكن مسؤولًا عن

موت والدته المأساوي. تصادف أنه كانت هناك رسالة ثانية على المكتب أيضًا، تسلَّمها السير ماجنوس في ذلك اليوم. كانت متعلقة بتدمير دينجل ديل، وتحتوي على بعض التهديدات، وحتى بعض الألفاظ العنيفة. كما نعلم الآن، كتبتها امرأة محلية، تُدعى ديانا ويفر، باستخدام الآلة الكاتبة الخاصة بالدكتورة ريدوينج.

رسالتان، وظرفان. تذكروا هذا.

لم تسِر المحادثة على ما يرام. ربما هدد السير ماجنوس بفضح تلميذه السابق. ربما قال إنه سينظر في الأمر قبل أن يتوجه إلى الشرطة. أتخيل أن روبرت التزم أقصى ما يستطيعه من اللطف والإقناع، بينما كان السير ماجنوس يصطحبه إلى الخارج. لكن عندما وصل إلى القاعة الرئيسية، وجَّه ضربته. كان قد لاحظ بالفعل البدلة المدرعة، وسحب السيف من غمده. خرج بصمت وسهولة، لأنه تصادف أن السير ماجنوس استخدمه مؤخرًا عندما هاجم صورة زوجته. لن يجازف روبرت، ولن يترك أمره ينكشف. سيمضي زواجه بجوي ساندرلنج قُدمًا. من الخلف، قطع رأس السير ماجنوس، ثم عاد إلى غرفة المكتب للتخلص من الأدلة.

لكنه ارتكب خطأين فادحين هنا. جعد رسالة والدته، وأحرقها في النار. في الوقت نفسه، لطخ الورقة ببعض دماء السير ماجنوس، وهذا ما سنجده لاحقًا. لكن الأسوأ من ذلك بكثير، هو أنه أحرق الظرف الخطأ! عرفت على الفور أن هناك خطأً قد ارتُكِب، ليس فقط لأن رسالة السيدة ويفر طُبعت على الآلة الكاتبة، في حين أن الظرف مكتوب بخط اليد. لا، كان الظرف موجهًا بصورة رسمية إلى حدٍّ بعيد، إلى «السير ماجنوس باي»، وهذا يتنافى تمامًا مع طبيعة محتوياته. أشارت إليه المرسِلة بعبارة «أيها الوغد»، وهددت بقتله. هل كانت ستكتب «السير ماجنوس على الظرف؟ لم أعتقد ذلك، وكنت أنوي سؤال السيدة ويفر بخصوص هذا، لكن للأسف أصابني المرض قبل أن أطرح السؤال عليها. لا يهم، لدينا الظرف ولدينا

دفتر اليوميات التي كتبتها ماري بلاكيستون. كما أشرت إلى فريزر، كانت الكتابة على كليهما هي نفسها.

توقف بوند عن الحديث. لن يكون هناك أي ختام درامي، ولا خطاب نهائي. لم يكن ذلك أسلوبه قَطُّ.

هز تشاب رأسه، وردد قائلًا:

- روبرت بلاكيستون، أنا ألقي القبض عليك بتهمة القتل.

تابع تحذيره الرسمي، ثم أضاف قائلًا:

- هل هناك أي شيء تود قوله؟

طوال الدقائق القليلة الماضية، كان بلاكيستون يحدق إلى نقطة ثابتة على الأرض، كما لو انه يستطيع أن يجد مستقبله بأكمله هناك. لكنه رفع نظره فجأة، وكانت الدموع تنهمر من عينيه. في تلك اللحظة، كان بإمكان فريزر أن يتخيله بسهولة الطفل البالغ من العمر اربعة عشر عامًا الذي قتل شقيقه في نوبة غضب، واختبأ من تلك الجريمة منذ ذلك الحين. التفت إلى جوي، ووجه حديثه إليها وحدها قائلًا:

- لقد فعلت هذا من أجلك يا حبيبتي. كان لقاؤك هو أفضل شيء حدث لي على الإطلاق، وعرفت أنني لا أستطيع أن أكون سعيدًا تمامًا إلا معك. لم أكن لأترك اي شخص يسلبني هذا، وسأفعل ذلك مرة أخرى إذا اضطررت. سأفعل ذلك من أجلك.

٤

من صحيفة التايمز، أغسطس ١٩٥٥

غطت الصحف البريطانية وفاة أتيكوس بوند على نطاق واسع، لكني أتساءل ما إذا كانت بإمكاني إضافة بضع كلمات خاصة

من جانبي، لأنني أعرفه ربما أفضل من أي شخص آخر، حيث عملت معه لمدة ست سنوات بوصفي مساعدًا شخصيًّا. قابلت السيد بوند لأول مرة عندما رددت على إعلان نُشر في مجلة سبيكتيتور، ذكر أن رجل أعمال وصل مؤخرًا من ألمانيا، يحتاج إلى خدمات سكرتير خاص لمساعدته في الطباعة على الآلة الكاتبة، والإدارة، والمهام المرتبطة بها. من الكاشف أنه لم يشِر إلى نفسه كمحقق أو مُتحرٍّ خاص، على الرغم من أنه كان يتمتع بالفعل بسمعة هائلة، ولا سيما بعد استعادة ماسة لودندورف، وسلسلة الاعتقالات المذهلة التي تلت ذلك. لطالما كان السيد بوند متواضعًا. على الرغم من أنه ساعد الشرطة في مناسبات عديدة، بما في ذلك جريمة القتل الأخيرة لمالك أرض ثري في قرية ساكسبي أون أيفون في سوفولك، غير أنه فضَّل البقاء في الظل، ونادرًا ما نُسب إليه الفضل فيما أنجزه.

انتشرت بعض التكهنات حول طريقة وفاته، وأرغب في تصحيح الأمور. من الصحيح أن السيد بوند حصل على جرعة كبيرة من مادة الفيسوستجمين السامة خلال تحقيقه الأخير، وأنه كان عليه بالطبع إعادتها إلى الشرطة. لم يفعل لأنه كان قد قرر الانتحار بالفعل، كما أوضح في رسالة تركها، وأُرسلت إليَّ بعد حرق جثته. على الرغم من أنني لم أكن على دراية بذلك، فقد تم تشخيص السيد بوند بأنه مصاب بنوع خبيث من ورم الدماغ، كان سينهي حياته قريبًا على أي حال، وقد اختار أن يوفر على نفسه المعاناة غير الضرورية.

كان ألطف وأحكم رجل عرفته على الإطلاق. لا بد أن تجاربه في ألمانيا قبل وفي أثناء الحرب أعطته منظورًا ساعده في عمله. كان يتمتع بفهم فطري للشر، وكان قادرًا على اجتثاثه

بدقة متناهية. على الرغم من أننا أمضينا الكثير من الوقت معًا، فإنه كان لديه عدد قليل من الأصدقاء، ولا يمكنني التظاهر بأنني فهمت تمامًا طريقة عمل عقله الرائع. لقد أوضح أنه لا يريد ترك أي نصب تذكاري، لكنه طلب أن ينثر رماده بالقرب من ساكسبي أون أيفون في دينجل ديل، الغابة التي ساعد جزئيًّا على إنقاذها.

مع ذلك، فبحوزتي جميع الصفحات والملاحظات والمواد المتعلقة بالدراسة التي شغلته معظم الوقت في أواخر حياته، وهو عمل رائد بعنوان مشهد التحقيق الجنائي. إنها لمأساة أن يظل غير مكتمل، لكنني أرسلت كل ما تمكنت من العثور عليه إلى البروفيسور كرينا هاتون في مركز أكسفورد لعلم الجريمة، وآمل بشدة أن يُتاح هذا الكتاب التاريخي للجمهور قريبًا.

جيمس فريزر



آجيوس نيكولاوس، كريت

ليس هناك الكثير مما يمكن إضافته.

طوت دار نشر كلوفرليف بوكس صفحتها، وهو أنسب وصف يمكنك العثور عليه لدار نشر توقفت عن العمل. كان كل شيء فوضويًّا للغاية، مع وجود تشارلز في السجن ورفض شركات التأمين دفع ثمن المبنى، الذي تدمر بالكامل في الحريق. قفز مؤلفونا الناجحون من السفينة بأسرع ما في وسعهم، مما كان مخيبًا للآمال بعض الشيء، لكن ليس مفاجئًا تمامًا. لا يرغب المرء في أن تُنشر أعماله من قِبل شخص قد يقتله.

لم يعد لديَّ عمل بالطبع. في أثناء بقائي في المنزل بعد خروجي من المستشفى، فوجئت عندما علمت أنني أتلقى بعض اللوم على ما حدث. كان الأمر كما ذكرت في البداية. كان تشارلز كلوفر راسخًا في صناعة النشر، وبدا أن الشعور العام السائد هو أنني خنته. في النهاية، كان قد نشر أعمال جراهام جرين، وأنتوني بورجيس، وموريل سبارك، ولم يقتل قَطُّ سوى كاتب واحد فقط، هو آلان كونواي، المعروف بكونه شخصًا مزعجًا. هل كان من الضروري حقًّا إثارة مثل هذه الجلبة حول وفاته، في حين أنه كان على وشك الموت على أي حال؟ لم يعبر أحد عن هذا صراحة في الواقع، لكن عندما ذهبت أخيرًا بخُطى عرجاء إلى بعض المناسبات الأدبية - مؤتمر، وحفل إطلاق كتاب - كان هذا هو الشعور الذي راودني. في النهاية، قررت «جائزة المرأة للخيال» عدم الاستعانة

بي مُحكِّمة. تمنيت لو أنهم رأوا تشارلز كما رأيته أخيرًا، وهو يستعد لحرقي حية، ويركلني بشدة إلى درجة أنه كسر أضلعي. لم أكن سأعود إلى العمل في أي وقت قريب. لم أعد قادرة على ذلك نفسيًّا، ولم يتعافَ نظري على أي حال. لا يزال هذا هو الوضع. أنا لست كفيفة تمامًا مثل السيد روتشستر المسكين في جين إير، لكن عينَي تتعبان إذا قرأت كثيرًا وتتحرك الكلمات فوق الصفحة. هذه الأيام، أُفضِّل الكتب الصوتية. لقد عدت إلى أدب القرن التاسع عشر. وتجنبت روايات الجريمة.

أعيش في آجيوس نيكولاوس، في كريت.

كان قراري جاهزًا بصورة أو بأخرى في نهاية المطاف. لم يعد هناك شيء يبقيني في لندن. أدار لي الكثير من أصدقائي ظهورهم، وكان أندرياس سيرحل بصرف النظر عما سيحدث. كنت سأصبح حمقاء إذا لم أذهب معه، وقضت شقيقتي، كاتي، ما لا يقل عن أسبوع وهي تخبرني بذلك تحديدًا. في النهاية، كنت أحبه. أدركت ذلك وأنا جالسة بمفردي في محطة برادفورد أون أيفون، وقد تأكد ذلك بالقطع عندما ظهر بوصفه فارسي الذي يرتدي الدروع اللامعة، وهو يشق طريقه عبر اللهب لإنقاذي. غالبًا كان ينبغي له أن يكون هو من يعاود التفكير في الأمر. لم يكن بوسعي التحدث ولو بكلمة واحدة من اللغة اليونانية، كما لم أكن طاهية بارعة، وقد ضعف بصري. ما الذي يمكن أن يستفيده مني؟

قلت له بعضًا من هذا بالفعل، وكان رده هو أن اصطحبني إلى المطعم اليوناني في كراوتش إند، وأخرج خاتمًا ماسيًّا (كانت تكلفته أكثر بكثير مما يمكنه تحمُّله)، ونزل على ركبة واحدة أمام جميع روَّاد المطعم. شعرت بالهلع، وقبلت بأسرع ما يمكنني، كي أجعله يتصرف على نحو صحيح فحسب، ويعاود الوقوف على قدميه. لم يحتَج إلى قرض بنكي في النهاية. بعت شقتي، وعلى الرغم من أنه لم يكن سعيدًا تمامًا بذلك، فقد أصررت على استثمار بعض الأموال في فندق بوليدوروس، وجعلت نفسي شريكة بالتساوي. ربما كان ذلك ضربًا من الجنون، لكن بعد ما مررت به، لم أكترث حقًّا. لم يكن الأمر مجرد أنني كدت أُقتل، بل إن

كل ما وضعت به ثقتي وآمنت به، قد سُلب مني. شعرت بأن حياتي انهارت تمامًا وبسرعة مثل اسم أتيكوس بوند. هل هذا منطقي؟ كان الأمر كما لو أن حياتي الجديدة عبارة عن جناس قلب ناجم عن حياتي القديمة، ولن أعلم الشكل الذي سوف تتخذه إلا عند الشروع في عيشها.

مرت ستتان منذ أن غادرت إنجلترا.

لم يحقق فندق بوليدوروس ربحًا حتى الآن في الواقع، لكن يبدو أن الضيوف يحبونه، وقد اكتمل الحجز لدينا لمعظم هذا الموسم، لذا لا بد أننا نفعل شيئًا ما على نحو صحيح. يقع الفندق على حافة آجيوس نيكولاوس، وهي بلدة مشرقة متداعية زاهية الألوان، بها الكثير من المتاجر التي تبيع الحلي الرخيصة وسقط المتاع للسائحين، لكنها أصيلة بما يكفي لجعلك تشعر بأنها مكان تريد العيش فيه. نحن على شاطئ البحر مباشرة، ولا أتعب أبدًا من التحديق إلى الماء الذي له لون أزرق باهر للغاية، ويجعل البحر الأبيض المتوسط يبدو كأنه بركة. ينفتح المطبخ ومنطقة الاستقبال على شرفة حجرية، حيث لدينا اثنتا عشرة طاولة - نفتح لتقديم الإفطار والغداء والعشاء - ونقدم طعامًا محليًّا بسيطًا وطازجًا. يعمل أندرياس في المطبخ. لا يفعل ابن عمه يانيس شيئًا تقريبًا، لكن لديه صلات جيدة، (يُسمُّون ذلك باللغة اليونانية «قابس الكهرباء»)، ولديه شبكة علاقات عامة محلية خاصة به. ثم إن هناك فيليبوس، وألكسندروس، وجورجوس، ونيل، وجميع أفراد العائلة والأصدقاء الآخرين الذين يتجمعون لمساعدتنا خلال النهار، ويجلسون معنا لشرب الراكي حتى وقت متأخر من الليل.

يمكنني الكتابة عن ذلك، وربما أفعل يومًا ما. امرأة في منتصف العمر اتخذت خطوة جريئة وانتقلت للعيش مع حبيبها اليوناني وعائلته غريبة الأطوار، والعديد من القطط، والجيران، والموردين، والضيوف، محاوِلة تحقيق النجاح في ضوء شمس بحر إيجة. كانت هناك سوق لمثل ذلك النوع من الحكايات، على الرغم من أنني بالطبع لن أتمكن من كتابة الحقيقة كاملة، إذا أردتها أن تحقق مبيعات. لا يزال هناك جزء مني يفتقد كراوتش إند، وأفتقد صناعة النشر. دومًا ما أشعر

أنا وأندرياس بالقلق بشأن المال، وهذا يضع عبئًا علينا. قد تحاكي الحياة الفن، لكنها عادة ما تعجز عن مضاهاته.

الأمر الغريب هو أن بدافع القتل نُشرت في النهاية. بعد انهيار دار نشر كلوفرليف، حاز ناشرون آخرون حقوق بعض أعمالنا، بما في ذلك سلسلة أتيكوس بوند بأكملها، والتي تصادف أنها ذهبت إلى شركتي القديمة، أورايون بوكس. أعادوا إصدارها بأغلفة جديدة، وأصدروا بدافع القتل في الوقت نفسه. عرف العالم بأكمله الآن الحقيقة البغيضة وراء اسم المحقق، لكن على المدى القصير لم تكن لذلك أهمية. كل الدعاية حول جريمة القتل الواقعية والمحاكمة جعلت الناس أكثر اهتمامًا بالكتاب، ولم أتفاجأ برؤيته في قوائم الكتب الأكثر مبيعًا. قدم روبرت هاريس مراجعة جيدة للغاية عنه في صحيفة صنداي تايمز.

حتى إنني رأيت نسخة منذ عدة أيام، عندما كنت أسير عبر الشاطئ. جلست امرأة على كرسي للاستلقاء وهي تقرأه، وكان آلان كونواي يحدق إليَّ من الغلاف الخلفي. عند رؤيته، شعرت بنوبة من الغضب الحقيقي. تذكرت ما قاله تشارلز عن آلان، كيف أنه أفسد بأنانية، وبلا داعٍ، متعة ملايين الأشخاص الذين استمتعوا بروايات أتيكوس بوند. كان على حق. كنت أنا واحدة منهم، وللحظة فقط، تخيلت أنني أنا، وليس تشارلز، التي كنت على البرج في آبي جرينج، أضغط بكلتا يدَي، وأدفع آلان إلى الموت. استطعت رؤية نفسي وأنا أفعل ذلك بالفعل. كان هذا هو ما يستحقه تمامًا.

كنت المحقق، والآن صرت أنا القاتل.

وهل تدري؟ أعتقد أنني أحببت ذلك أكثر.

أنتوني هورويتز يحاور آلان كونواي
إعادة نشر من مجلة سبيكتيتور

عندما قابلت آلان كونواي في نادي ذا آيفي في لندن، خطر لي أن بيننا كثيرًا من القواسم المشتركة. على الأقل، كان هذا ما اعتقدته في البداية.

أكتب أنا وهو الروايات البوليسية، لكن بطرق مختلفة. وهو مؤلف سلسلة أتيكوس بوند الناجحة بصورة استثنائية، بينما أمضيت سنوات عديدة في كتابة الدراما البوليسية للتلفزيون: جرائم ميدسومر، وحرب فويل، وبوارو أجاثا كريستي. نشرت دار أورايون بوكس أعمال كلينا الآن، كما أن لدينا صلة بسوفولك. يعيش آلان في منزل جنوني على الطراز الفيكتوري خارج فراملينجهام مباشرة، في حين أن لديَّ منزلًا صغيرًا في أورفورد، على الجانب الآخر مباشرة من طريق A12. أخيرًا، إذا كانت لهذا قيمة، فكلانا عضو في نادي ذا آيفي، على الرغم من أنه هو الذي اختار اللقاء هنا، وليس أنا.

قبل أسبوع من نشر روايته السابعة، قرنفل أحمر لأتيكوس، طلبت مني مجلة سبيكتيتور إجراء مقابلة معه، وكنت أتطلع إلى ذلك. أنا من محبي كتبه، وفي الواقع، أمضيت شهرين في العمل على جرأة أتيكوس بوند، الجزء الأول في السلسلة، لتحويله من أجل البي بي سي. لم ينتهِ ذلك الأمر على ما يرام، إذ إن شركة الإنتاج - ريد هيرينج - طردتني فجأة، وآخر ما سمعته هو أن آلان يعمل بنفسه على تحويل الكتاب.

ربما كان من الخطأ أن أذكر له ذلك، لكن رد فعله كان مفاجئًا، على أقل تقدير. «نعم، أخبرتهم بأنني أريد تولي الأمر. لأكون صادقًا، لم أكن قَطُّ من أشد المعجبين بـجرائم ميدسومر. لطالما اعتقدت أنها خفيفة وسخيفة للغاية. ظننت أنه ربما كانت هناك فرصة، مع سيناريو كتابي، لعمل شيء أكثر دقة».

عادة ما يوجد عقد غير معلن بين الكُتَّاب الذين يروجون لكتاب والصحفيين - أو أي شخص - الذين يجرون مقابلات معهم: سيكون الكاتب لطيفًا ومتعاونًا، وحتى إذا كان الصحفي يكره الكتاب، فإنه سيكون مهذبًا. لهذا السبب، لن تقرأ أبدًا مراجعات سيئة عن كتاب قبل نشره. لذا شعرت بالحيرة من السبب الذي دفع آلان كونواي إلى أن يكون مهينًا بهذا القدر من اللامبالاة، وأعتقد أنه كان عليَّ توجيه إهانة خبيثة إلى عمله في المقابل.

لكنني لا أستطيع ذلك، لأن الحقيقة هي أن قرنفل أحمر لأتيكوس من أفضل الأجزاء في السلسلة. إنه أول كتاب تدور أحداثه خارج المملكة المتحدة، في جنوب فرنسا بشكل رئيسي، وهذا ما أثار قلقي في البداية. لطالما اعتقدت أن أتيكوس بوند يعمل بشكل أفضل في الريف الإنجليزي. بطريقة ما، لم أشعر بالقدر نفسه من المتعة في أثناء قراءة نفوس شريرة ولهب وسيانيد، التي تدور أحداث كلٍّ منهما في لندن. مع ذلك، يستحضر كونواي صورة واقعية جدًّا للريفيرا الفرنسية في أواخر الخمسينيات، حتى تكاد تستطيع شم رائحة الجهنمية تقريبًا.

كما أنها أيضًا القصة الأولى التي تتضمن علاقة حب كاملة. وقع أتيكوس في حب ليديا فورد، وهي شقيقة فنان مشهور، واضطر إلى التحقيق في الأمر عندما أُلقي القبض عليها بتهمة قتل تاجر مخدرات محلي يُدعى «جون سوبارو». مع تزايد الأدلة، يبدو من المؤكد أنها مذنبة، كما أن هناك محققًا فرنسيًّا بغيضًا بشكل واضح، المفتش رينو، يزيد من درجة التوتر. لقد خدعتني النهاية بالتأكيد، وأظن أنها ستخدعكم أيضًا، على الرغم من أن كونواي يلعب بشكل منصف تمامًا كالعادة.

لذلك بدأت بالإشارة إلى أنه من غير المعتاد أن يكون هناك محقق يقع

في الحب. أسرع في إبداء اختلافه معي في الرأي، وقال: «هذا هراء. ماذا عن هولمز وإيرين أدلر؟ كما وقع هيركيول بوارو في حب الكونتيسة الروسية، فيرا روساكوف...». في الواقع، كنت أعرف ذلك. ظهرتُ في قصة تُدعى «البرهان المزدوج»، حوَّلتها من أجل آي تي في. لكن قبل أن أتمكن من الإشارة إلى أن هذه مجرد لقاءات وجيزة للغاية، واصل الحديث مناقضًا نفسه على ما يبدو، وقال: «المشكلة هي أن معظم المحققين يصبون جل تركيزهم على هدف واحد فقط، ويفتقرون إلى الجرأة. بل إنهم يفتقرون إلى الشخصية، في الواقع. لديهم سلوكيات شخصية مميزة فحسب». ابتسم لنفسه وواصل قائلًا: «عندما تخبر امرأة المحقق بأنه مهتم بشيء واحد فقط، فهي لا تتحدث عن الجنس. على الأرجح، يرغب في إلقاء القبض عليها فقط».

قلت إن هذا لا ينطبق على أتيكوس بوند. تظهر شخصية في الكتاب الجديد: أوتو ديملر، الذي كان مع بوند في معسكر اعتقال سوبيبور، مما يضفي على الحكاية بعدًا شخصيًّا ومؤثرًا للغاية. خالفني كونواي الرأي، وقد شارفت لغته حد الهجوم: «لا يقرأ الناس كتبي لأنهم مهتمون ببوند، أو بما حدث له على أيدي النازيين. بل يقرأونها ليكتشفوا من ارتكب الجريمة». لكن من المؤكد أن عليك الإيمان بالمحقق بوصفه إنسانًا؟ «ليس في الواقع. لديه وظيفة، وهذا هو ما يهم. انظر إلى هولمز! حتى دويل يعترف بأنه لا يهتم بالأدب أو الفلسفة أو السياسة. ليس لديه أصدقاء، بل لديه معارف».

مع ذلك، يُعَد هولمز أحد أكثر الشخصيات المحبوبة في الروايات الشعبية. من المفترض أن بوند نفسه مستوحى من مدرس اللغة الإنجليزية، ستيفن باوند، الذي درَّس لكونواي في سانت ألبانز. (لم يرد باوند، الذي لا يزال يعمل في التدريس، على مكالماتي). هل لا يزيد حقًّا على كونه مجرد صفر؟ «إنه صفر بالطبع، كما أن القاتل في قرنفل أحمر لأتيكوس محايد بطريقة ما. كلاهما نوع من الحساب، أو المعادلة. تقرأ الكتاب فقط من أجل علامة يساوي».

حقًّا؟ عند الاستماع إلى حديث كونواي، قد تظن أن لديه بعض الازدراء حيال

عمله، لولا الثروة التي جلبها له. لقد حضر إلى المقابلة - متأخرًا خمسًا وأربعين دقيقة بالمناسبة - مرتديًا سروالًا من الجينز، وقميصًا، وسترة بيضاء جديدة تمامًا باهظة الثمن. بينما تناولت الشاي، طلب هو الشمبانيا. عبث بخاتم ذهبي في إصبعه الرابعة، ولواه بينما أنا أتحدث كما لو أنه وسيلة من نوع ما للتحكم في مستوى الصوت. كلما تحدثت أكثر، أدار الخاتم بسرعة أكبر. إذا كنت قد بدأت المقابلة بالتفكير في مدى تشابهنا، سرعان ما خطر لي أننا متناقضان تمامًا.

خلال محادثتنا، أخذ يحدق إلى ساعته، وبعد ثلاثين دقيقة فقط، ظهر شاب وقدم نفسه على أنه جيمس تيلور، المساعد الشخصي لكونواي. كانت السيارة بالخارج، وانتهت المقابلة. توجه كونواي إلى البار لدفع ثمن المشروبات، وأسر إليَّ تيلور - الذي هو في الواقع شريكه - قائلًا: «آمل ألا يكون قد عاملك بعجرفة بالغة. إنه لا يحب إجراء المقابلات». لماذا وافق إذن؟ «حسنًا، من الواضح أن الناشرين أجبروه على ذلك. ذهبنا إلى إدنبرة قبل بضعة أسابيع، وقد كرهها تمامًا. دومًا ما يقول إنه لا يجب على الكُتَّاب التحدث عن كتبهم، بل عليهم تأليفها فقط».

أخالفه الرأي هنا. إن الكتابة هي عمل منفرد، إلى درجة أنني دومًا ما أحببت المهرجانات الأدبية، ويسعدني التحدث إلى الأشخاص الذين قرأوا كتبي. هناك شائعة مفادها أن كونواي دفع محاورة إلى البكاء ذات مرة، في هاي أون واي. بعد مقابلته، بت أميل إلى تصديق ذلك.

في النهاية، عاد من البار. «أتمنى أن تكون قد حصلت على ما تريد. هل قرأت الكتاب حقًّا؟». قلت له إنني قرأته بالطبع، فوجه إليَّ ابتسامة باهتة للغاية، وقال: «أتدري، عندما كنا نتحدث، دسست اسم القاتل في الحوار. أتمنى ألا يقرأ أحد مقالتك. قد يفسد ذلك النهاية».

كانت تلك هي ملاحظته اللاذعة الأخيرة قبل انصرافه. تركني وأنا أتساءل ما تحديدًا الذي يحفز آلان كونواي، الذي هو بلا شك واحد من أكثر المؤلفين إثارة للحيرة الذين صادفتهم على الإطلاق؟ ما الذي قصده بالضبط بهذه الكلمات

الأخيرة؟ لقد سجلت محادثتنا، وأعدت تشغيلها عدة مرات قبل أن أكتب هذا المقال، لكنني بالتأكيد لم أستطع العثور على اسم القاتل. هل هو موجود بالفعل أم أنه كان يسخر مني فحسب؟

على الرغم من أنه من المحزن أن أقول ذلك، فهناك اسم واحد قضى على استمتاعي بكتبه، وأخشى نوعًا ما أنه اسمه هو.

سبتمبر ٢٠١٤



المؤلف

يُعَد أنتوني هورويتز واحدًا من أكثر الكُتَّاب إنتاجًا ونجاحًا في المملكة المتحدة - وهو يتفرد بعمله عبر العديد من وسائل الإعلام، فقد ألَّف كثيرًا من الكتب والمسلسلات التلفزيونية والأفلام والمسرحيات والمقالات الصحفية. كتب أنتوني أكثر من ٥٠ كتابًا، بما في ذلك روايتان لشرلوك هولمز، وثلاث روايات لجيمس بوند، وسلسلة الجاسوسية للمراهقين الأكثر مبيعًا أليكس رايدر، والتي يُقدر أنها باعت ٢١ مليون نسخة حول العالم، وتحوَّلت إلى مسلسل تلفزيوني ناجح للغاية.

نُشرت رواية «بدافع القتل» في ٢٠١٦، ولاقت استحسان النقاد، وحازت عدة جوائز في الكتابة التشويقية، وتحوَّلت إلى مسلسل عرضته قناة البي بي سي في عام ٢٠٢٣.

في عام ٢٠١٩، أصبح أنتوني راعيًا لمؤسسة «هوم-ستارت» الخيرية التي تتعاون مع العائلات في مقاطعة سوفولك، لتجاوز الظروف الصعبة مثل مشكلات الصحة العقلية، أو الفجيعة، أو المرض طويل الأمد أو المزمن، أو العزلة، أو المشكلات المنزلية، أو سوء المعاملة والفقر، وغير ذلك الكثير، فتدعمهم عمليًّا وعاطفيًّا، وتساعدهم على النمو بثقة وتمدهم بالمهارات اللازمة لتربية أطفال أسوياء وناجحين.

في عام ٢٠٢٢، حصل أنتوني على وسام رتبة الإمبراطورية البريطانية، وهو أعلى وسام على مستوى المملكة المتحدة، لخدماته في مجال الأدب.

المترجمة

إيناس التركي مترجمة مصرية. تخرجت في قسم اللغة الإنجليزية وآدابها بكلية الآداب، جامعة عين شمس. ترجمت لدار الكرمة كتاب «عندما تحب النساء أكثر مما ينبغي: أن تعيشي في انتظار أن يتغير» لروبين نورود، والروايات: «خلف هذه الأبواب» لروث وير، و«جمعية جيرنزي للأدب وفطيرة قشر البطاطس» لماري آن شيفر وآني باروز، و«المكتبة المتنقلة» لكريستوفر مورلي.

««بدافع القتل»، لغز مزدوج لمحبي الألغاز»

– جانيت ماسلين، النيويورك تايمز

قائمة النيويورك تايمز للكتب الأكثر مبيعًا | جائزة مكافيتي لأفضل رواية | قائمة إن بي آر لأفضل كتب العام | قائمة الواشنطن بوست لأفضل كتب العام | قائمة إسكواير لأفضل كتب العام

تنسج هذه الرواية المثيرة لغز جريمة قتل كلاسيكية يليق بأجاثا كريستي بأسلوب عصري مبتكر.

عندما حصلت المحررة سوزان رايلاند على مخطوطة أحدث روايات مؤلفها آلان كونواي، لم يكن لديها أي سبب للاعتقاد بأنها ستكون مختلفة كثيرًا عن أيٍّ من رواياته السابقة. أثبتت روايات آلان نجاحها الكبير، مما أجبر سوزان على تحمُّل سلوك آلان المزعج إذا أرادت الاحتفاظ بوظيفتها.

أحدث روايات آلان تدور حول جريمة قتل في قصر بالريف الإنجليزي الهادئ. نعم، هناك جثث ومجموعة مثيرة من المشتبه فيهم، ولكن كلما قرأت سوزان أكثر أيقنت بوجود قصة أخرى مخبأة في صفحات المخطوطة: قصة غيرة مدمرة، وجشع لانهائي، وطموح لا يوقفه شيء، وقتل...

«بدافع القتل» رواية بارعة وذكية ومشوقة بلا هوادة لأنتوني هورويتز، الكاتب الإنجليزي الذي باعت كتبه أكثر من ٢١ مليون نسخة حول العالم.






ISBN 978-977-96-0300-1